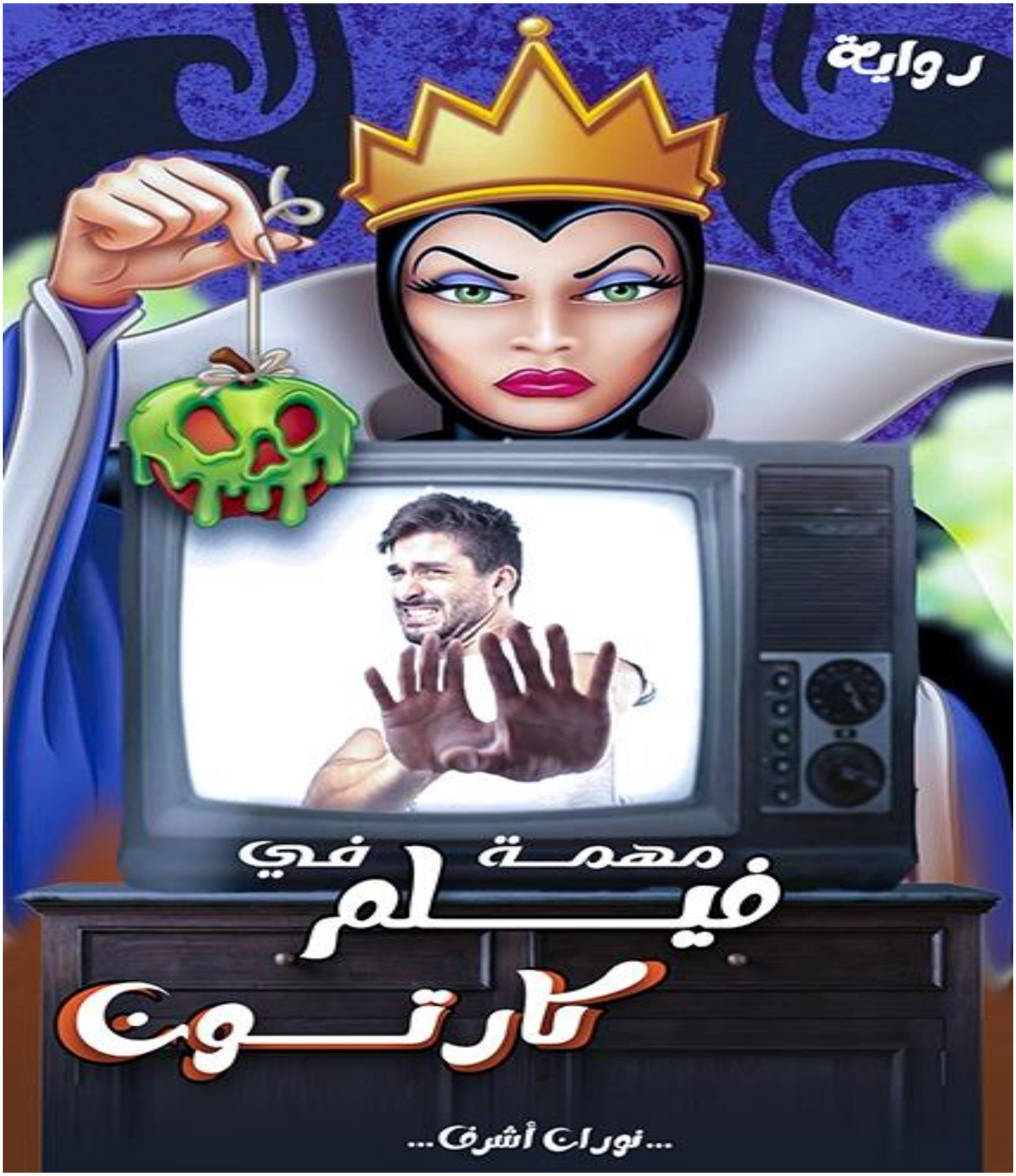
رواية
مهمة في
فيلم
كارتون
... نوران أشرف ...

مقدمة

لا تصدق ما تراه عيناك، فأغلب الشائعات تأتي حينما ترى شيئًا وتترجمه كما يمليه عليك عقلك، وعقولنا الصغيرة لا تستطيع استيعاب الحقيقة، بل أنها احيانًا تجعلك تقع في هوة من الأكاذيب وأنت لا تعرف، فأنت لا تصدق سوى عقلك، وعقلك لا يُصدق سوى عيناك....

في هذا المعمل المتطوّر ذو الأجهزة الحديثة، وفي مدينة بربانك القابعة بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة، يقف هذا العالِم الجليل أمام جهازٍ كبيرٍ يعادل حجم الخزانة، كان يكبس على الأزرار ويُسجل المعادلات في دفتره الصغير إلى أن وجد أحدهم يتقدم نحوه بعد أن طرق الباب بضع طرقات.

-عِمت مساءً سيد مارك .... هل لي أن أعرف آخر مستجدات البحث ؟

عدّل مارك عوّيناته قبل أن يلتفت إلى السيد إيجر الرئيس التنفيذي الذي يُشرف على بحثه العلمي.

-لم أنتهي بعد ... لكنني توّصلت إلى طريقة نستطيع من خلالها تفعيل الغدة الصنوّبرية .... استطعتُ أن أضبط الترددات الصوّتية إلى ٩٦٤ مما يعني أن بإمكاننا الآن ان نسيطر على الساعة البيولوجية لأي شخص وننقله إلى عالمٍ آخر .... وهذا العالم قد ابتكرته بواسطة أجهزة تقنية ومعالجة حاسوبية.... جعلته مطابقًا للرسوم المتحركة .... التي تُنتجها شركتنا

أنهى مارك حديثه بطريقة علمية لم تتخلّى عن لهفته وحماسه لذاك المشروع الذي يعمل عليه منذ عدة سنوات، وكان الفخر ينطلي على وجه إيجر وهو يتقدم نحو مارك ويُربت على كتفه تربيتاتٍ أبوية أنهاها بـ...

-أحسنت صنعًا سيد مارك .... كنت اعرف أنك عالمٌ جليل وستستطيع الارتقاء بشركتنا وبعالمنا الفريد

ابتسم مارك بخيلاء ولم يُعقب امام إيجر الذي بدأ يتحرك داخل الحجرة مستفسرًا:

-متى سيُصبح الجهاز جاهزًا ؟

توتر مارك قليلًا قبل الإجابة:

-لازال ينقصه بعض التعديلات .... صحيح أنني استطعتُ التوُصل إلى طريقة ننقل بها وعي الفرد إلى عالمٍ افتراضي، لكنني لم أبتكر بعد طريقة لعودته

همهم إيجر بفهمٍ وبقي في حالة من الصمت حتى أردف :

-هل هذا يعني أن من يُجرب الجهاز سيبقى عالقًا بداخله ؟

اومأ مارك ببعض الارتباك الذي أنهاه بنبرة خائفة:

-نعم سيدي، سيبقى عالقًا بالرسوم المتحركة ... إلى ما لا نهاية.....!!

الفصل الأول (جمعتهم الكارثة)

عام 2023 كاليفورنيا : الولايات المُتحدة....

تتناثر أوراق الشجر على أسقف السيارات التي اتخذتها مرتعًا لها وجعلتها حدائق محفوفة بالأوراق الصفراء الخريفية، وفي تلك المدينة الساكنة التي يختلط أهلها ما بين المتعنتين والبُسطاء، والمباني الحديثة وناطحات السحاب، وفي داخل إحدى المباني الشاهقة ذات اللافتة العريضة المُزينة بالإضاءات الساحرة الخلابة، لافتة كُتب عليها بخطٍ عريض " هنا حيث ترقد الطفولة " فبداخل هذا المبني كان يوجد العديد من تماثيل الرسوم المُتحركة والمجسمات التي تجعلك تحيا داخلهم وكأنك دلفت عالمًا آخرًا، حيث توجد فتاة ترتدي الزي الخاص بإحدى أميرات ديزني وتقوم بتفرقة الحلوى على الأطفال وبعض الرجال والنساء يقومون بتأدية إحدى العروض المسرحية باستخدام الدُمى المتحركة وبعض المجسمات الهلوجرامية التي تجعلك تتحدث مع شخصية خيالية وكأنها تقف أمامك مباشرة.

المكان ساحرًا لدرجة تفوق الوصف، ولأنه في بداية افتتاحه، كانت هذه الفتاة ذات الشعر المموّج الأسود القصير، والعينان الزُمرديتان، تقف أمام جهاز التصوير ومعها مُسجل الصوّت الذي تُسجل به كلماتها العربية الفصيحة:

-نحن الآن أمام أكبر معرضٍ للرسوم المُتحركة الذي يُعد طفرة في عالم الطفولة ....

آشارت بيدها صوّب إحدى المُجسمات وطفقت تتحرك نحوهم مسترسلة:

-يوجد هنا العديد من المجسمات الأقرب إلى الحقيقة .... والتي سنعرضها لكم تفصيليًا....

آشارت إلى المصوّر حتى يلتقط العديد من اللقطات داخل المعرض وكانت هي تتحرك وتتحدث أمام جهاز التصوير حتى تم إغلاقه لتتحدث أخيرًا بلغتها العربية:

-صوّرلي هون كمان .... بدنا نغطي المكان كله ..... وأنا راح شوف حدا صوّر معه

أومأ المصوِّر إيجابًا وبدأ يُنفذ تعليماتها ويلتقط المزيد من اللقطات ليتم عرضها بالقناة القطرية التي يعملان بها، فرغم أنها فتاةً سورية وُلدت بحِمص، إلا أنها تعمل مراسلة تليفزيونية بقناة قطرية عريقة، تجعلها تُسافر إلى العديد من المُدن وتُسجل العديد من الاكتشافات، خاصة هذا المعرض العظيم الذي لقى صديدًا في العالم، وبات الجميع يجلس أمام التلفاز ليُشاهد بثها المباشر.

تلفتت غيِّد حولها بنظراتٍ مترقبة أشبه بنظرات الصقر الذي يبحث عن فريسته، وكانت فريستها هذه المرة هو مصدرٍ جديدٍ تستطيع أن تسترفد منه المزيد من المعلومات السرية، تركت المصوِّر ليلتقط الصوَّر دون تعليماتها، وبدأت تتحرك داخل المعرض وتتلفت يمينًا ويسارًا حتى وجدت حُجرة صغيرة تقبع بإحدى الأماكن المتدثرة؛ ابتسمت بانتصارٍ وهي تُسرع من خطواتها نحو هذه الحجرة البعيدة عن الجميع، فربما تجد بها سرًا كامنًا يجعلها تحصل على سبقٍ صحفيٍ يرفع من شأنها ويجعلها أمهر الصحفيين التلفزيونيين.

اقتربت أكثر نحو الحجرة لتتبين تلك العلامة التي تُشير إلى التحذير من الدخول، وعلى عكس الجميع، لم تشعر بالخوف اتجاه هذه العلامة، بل إنها ازدادت حماسًا ولهفة لدخول الحجرة ورؤية ما بها، وما زاد حماسها هو استماعها إلى همهمات تُصدر من الداخل، أي أنها ستجد أخيرًا مصدرًا مُهمًا لتتحدث معه، والأهم من ذلك، هو أن وجود الأشخاص داخل الحُجرة، يعني أنها ليست مُغلقة، وأنها ستستطيع دخولها .... وستدخلها الآن.....

تتحرك خطواته في أعقاب الشوارع بالقُرب من المباني، خطواتٌ حادة متذمرة ونظراتٌ حانقة تراقب ساعة معصمه كل ثانية والأخرى، حك أنفه المُدبب وتوَّقف عن السير لتتوَّقف أقدام صغيرة قبالته مع كلماتٍ طفولية متعالية:

-لماذا توّقفت ؟ .... والدي قال أنك ستأخذني إلى المعرض

ربط الصبي ماثيو ذراعيه في تذمرٍ أمام سامي الذي بدأ يطلق زفراتٍ سائمة لعن معها تلك اللحظة التي وافق فيها على رعاية هذا الصغير المتعنت ابن أحد شركاءه حتى تتم الصفقة بينهما.

-لا تتعنت أيها المشاكس .... سأشرب لفافتي ثم نواصل

قالها وهو يُخرج لفافة تبغٍ من جعبته ويُشعلها ليرضي رغبته الجامحة باستنشاق النيكوتين، لكن الصغير ماثيو داهمه بانقضاضة وقحة أوقعت لفافة تبغه قبل أن يُشعلها وكادت توّقع قداحته أيضًا؛ صُدم سامي من فعلته وبدأ يطالعه بنظراتٍ جحيمية زيّنتها عيناه الخضراوان الشبيهتان بعينا القُطط مع أنفه المدبب ولحيته البيسطة التي تزيده حدة، فكان يهتف بالصبي بكلماتٍ غاضبة ولغة إنجليزية منمقة:

-ما الذي فعلته أيها الولد ؟

تجاهل ماثيو غضبه وبدا حانقًا وهو يقول:

-أريد الذهاب إلى المعرض الآن .... وإن لم تأخذني ... سأخبر والدي

أنهى الحديث بتهديدٍ جعل سامي يملأ فمه بالهواء ويُطلقه على هيئة نيران ضامرة، ابتعد بعدها عن الحائط الذي كان يستند عليه بظهره ودفع الصبي أمامه ليتحرك صوّب المعرض الذي يبتعد عنهما بشارعينٍ فقط، ما إن دلفا المعرض حتى شهق الصبي في حماس وبدأ يتلفت حوٌله بحثًا عن المُتعة، بينما كان سامي خلفه يُحدق بساعته في كل حينٍ وينتظر مرور هذين الساعتين بفارغ الصبر، وأثناء تحديقه بالساعة إذ يداهمه مجموعة من الأطفال وهم يركضون داخل المعرض حتى اصطدم به أحد الصبية مما جعله يتقوّس بألم ولسانه لا يُطلق سوى السبّات النابية.

رفع سامي رأسه ليُلقن هذا الطفل درسًا لكنه وجد أمامه فتاةً متوّسطة الطول ذات أعينٍ عسلية واسعة وابتسامة هادئة مرتبكة، ولأنه كان غاضبًا، لم يجد وقتًا للالتفات إلى جمالها الآخاذ وبدأ ينظر لها بغضبٍ جحيمي عندما كانت تعتذر:

-أعتذر سيدي عن_

لكن سامي قطعها بنبرة غاضبة:

-كيف تتركينهم يركضون بهذه الطريقة ..... ألا يوجد لديكِ احساس بالمسئولية أيتها الحمقاء

ازدردت كاتي لعابها بغضبٍ ابتلعت معه إهانته وهي تهتف بوجهه:

-إنـهم مُجرد أطفال .... ثم من أنت حتى تنعتني بالحمقاء

جحظت عينا سامي بغضبٍ وهو يرفع سبابته أمامها متفوِّهًا:

-وتتواقحين علي أيضًا !! .... أنت مُجرد...

بتر حديثه عندما التقطت عيناه هذا الفراغ المجاور له والذي من المُفترض أن يضحى ماثيو بداخله؛ تلفت سامي حوّله في ذعر بحثًا عن ذاك الشقي الذي لم يجده في أي مكان، تسارعت ضربات قلبه ووّد لو أن الأرض تنشق وتبتلعه الآن، والد ماثيو لن يتركه حيًا إذا علِم أن ابنه الوحيد قد اختفى .... وبسببه!!

-ماثيو!!

هتف سامي بتلك الكلمة محملًا بالذعر والهلع وقد تناسى عراكه مع كاتي وبدأ يتلفت حوّله وينادي على ماثيو، أخذ يسب هذه الفتاة وأطفالها ويتحرك بخطواتٍ سريعة حتى تحوّلت إلى خطواتٍ أشبه بالهرولة، اصطدم بالعديد من الأشخاص الذين يرتدون الأقنعة وملابس التنكر، انساب العرق على جبهته من كثرة إرهاقه من شدة البحث، طالع ساعة يده ليكتشف أن والد ماثيو سيأتي بعد ساعة واحدة فقط، وإن لم يجد صغيره حتمًا ستتدمر حياته كليًا وسيُطرد من العمل، ازداد قلبه ذعرًا وهو يواصل البحث حتى وقعت عيناه على حُجرة بعينها، حجرة تحمل علامة التحذير لكنها الحُجرة الوحيدة التي لم يبحث بداخلها، فربما ماثيو المشاكس ذهب إليها حتى يرضي فضوله وبدأ يعبث بتلك الحُجرة الغامضة.

وفي أقل من ثانية، بدأت خطواته تعدو داخل هذا الحجرة عازمًا على إيجاد الصغير.....

تحركت كاتي داخل المعمل وهي تُفكر في ذاك المتعنت وتتابع الأطفال من بعيد، فهي قد ترعرعت بإحدى دوّر الرعاية وأصبحت الآن مُشرفة تقوم برعاية أطفال الميتم وتُشرف عليهم في الرحلات، ولأنها فتاةَ وحيدة ترعرعت بلا أبوين، تعرف كيف يكون شعور هؤلاء الأطفال جيدًا وتعاملهم بكل حبٍ وحنانٍ كما يستحقون، فليس ذنبهم أن يولدوا وحدهم في هذا العالم القاسي.

كانت تتحرك بسرعة داخل المعرض تحاول التهدئة من حركة الأطفال حتى لا يتعركل أحدهم أو يضيع وسط هذا الكم من الأطفال، وأثناء هروٌلتها خلفهم، استوٌقفها بكاء هذه الطفلة البريئة التي بقيت تنتحب وترفع من شهقاتها؛ اضطرب قلب كاتي بعد أن ظنُت أن مكروٌهًا آصابها، وبحنانٍ جارفٍ، ركعت على ركبتيها قبالة الطفلة الصغيرة تحاول مداعبتها حتى تهدأ:

-ما بكِ سيدني ؟

آجابتها سيدني الصغيرة بشهقاتها المتعالية:

-لا أجد دميتي .... انا أريدها

واصلت البكاء بعدها أمام كاتي التي انفطر قلبها وبقيت تُربت على ظهرها مطمئنة:

-لا بأس عزيزتي ... سأبتاع لكِ غيرها

لكن هذه الإجابة لم ترضي سيدني وبقيت تضرب على الأرض بتذمرٍ وصوٌت بكاءها يرتفع:

-لا .... أنا أريد دميتي ... أريدها الآن

تنهدت كاتي بخيبة أملٍ أمام هذه الطفلة العنيدة التي لا تتوٌقف عن البكاء، هذا ما جعل كاتي تقول بعزم:

-حسنًا صغيرتي ... سأعثر لكِ عليها .... أين وضعتها آخر مرة ؟

توٌقفت سيدني عن البكاء قليلًا أثناء تفكيرها الذي انهته بكلماتها اليائسة:

-لا أذكُر

تنهدت كاتي مرة أخرى وهي تثب عن الأرض لا تجد حلًا آخرًا لتهدئة هذه الطفلة، وعدتها بأنها ستعثر على الدمية مهما تطلب الأمر، فتلك الأشياء الصغيرة تُشكل فارقًا بالنسبة لأولئك الأطفال، فجميعها أشياءٌ لها ذكرى مُحببة ويصعب الحصول عليها مرة أخرى، فربما هذه الدمية أتتهم عن طريق التبرعات ولن يستطيعوا

ابتياعها مرة أخرى، فالدولة لن تنفق أموالها على شراء دمى للأطفال، يكفي أنها تتكفل بتعليمهم وإطعامهم ورعايتهم.

نحّت كاتي أفكارها جانبًا وهي تتجوّل داخل المعرض بحثًا عن هذه الدمية التي لا تعثر لها على أثر، تُحدق بالأرض لساعة أو أكثر حتى أضحت أشبه بعمود الإنارة، تلفتت في كل مكانٍ حتى آلمها كاحلها وشعرت أنها ستهوّي من الإرهاق، لكن هذا لا يُهم، فإرهاقها أفضل من رؤيتها لدموع هذه الصغيرة وهي تنتحب.

استوقفها إحدى الحُجرات القابعة بإحدى بقاع المعرض، ولأنها تعلم أن الأطفال تسوقهم أقدامهم الفضولية، شعرت أن سيدني ربما دلفت هذه الحجرة لتعبث بداخلها وتركت دميّتها، هي ليست متأكدة، لكن لن يحدث لها شيءُ إذا قامت بالبحث بداخلها.

هروّلت فوّرًا صوّب هذه الحجرة على أمل أن تجد هذه الدُمية، توّقفت أمام الباب لتفتحه فوّرًا دون أن تنتبه لتلك العلامة التحذيرية.... !!

يرفع هاتفه بخيلاء ويدوّر به داخل أركان المعرض مُرتديًا سترته الواسعة ذات الأشكال والألوان العصرية وبنطاله حديث الصيحة ذو الجعبات الواسعة واللون الأسوّد، أرجع خصلاته اللامعة إلى الوراء لتظهر ابتسامته الواسعة ووجهه الطفولي المستدير الذي زيّنه عيناه البندقيتان وكلماته المُحبة:

-يا جدعان .... المكان هنا حوّار .... أنا حاسس إني رجعت عشر سنين لورا .... بوصو كدة...

آدار الهاتف نحو المُجسمات الخاصة بسلاحف النينجا، الرسوم المتحركة المفضلة بالنسبة إليه، فهو لا يُشاهد الأميرات وغيرهم، فقط يشاهد سلاحف النينجا وتلك الرسوم المتحركة الخاصة بالأبطال الخارقين والمغامرات، تلفت حكيم حوّله ليعرض المزيد من الصوّر واللقطات لجمهوره العريض، فوظيفته في الحياة هي السفر والتصوير الذي يقتات من خلاله العديد من الأموال بسبب مشاهداته المرتفعة، وهو بالأساس لا يحتاج إلى الأموال، فهو من عائلة مرموقة، لا يفعل شيئًا بحياته سوى السفر حول العالم واللهو.

-وبس كدة يا عزيزي المشاهد ... متنساش تعمل لايك وفولو وتشتركو في القناة وتفعلو الجرس عشان تشوفو حلقة جديدة .... من الرحلة مع حكيم

لوّح بيده أمام الهاتف قبل أن يغلقه ويعبث به ليُشاهد التعليقات بذاك البث المباشر، كان يتحرك داخل المعرض يُفكر في تعليقات الجمهور الإيجابية التي تدفعه للمواصلة والسلبية التي يتجاهلها والتي تنعته بالبزخ واللامسؤولية، فهر لا يفعل شيئًا سوى اللهو والسفر، وغيره محرومون ويعثرون على الطعام بصعوبة.

أغلق حكيم هاتفه وقرر الاستمتاع قليلًا قبل أن يرحل ويبحث عن مطعمٍ فارهٍ لتناول الغداء، لكن فجأة، داهمته وعكة صحية جعلته يمسك معدته ويتأكد أنه بحاجة لدلوف المرحاض، فمسانته قد امتلأت على آخرها.

أخذ يتلفت حوّله بحثًا عن المرحاض الذي لم يعثر له على أثر، فهو جديدُ على هذا المكان، تحرك بسرعة لعدم قُدرته على الاحتمال، واصل التلفت حوله بحثًا عن ذاك المرحاض، وأثناء بحثه توّقف أمام حُجرة بعينها، حجرة تحمل علامة تحذيرية لكنه يتجاهلها أو لم ينتبه لها وهو يُقرر دلوف الحجرة بعد ان اعتقد أنها المرحاض.....

أما بداخل هذه الحُجرة، حيث تجتمع الفصاحة مع الخيلاء، والجنون مع العلم، يقف مارك، هذا العالِم الجليل الذي بمُنتصف عقده الثالث أمام جهازه وحلمه الذي ينمو مع الأيام، حيث بدأ بمُجرد خواطر إلى أن انقلبت هذه الخواطر إلى مخططات ومن ثم إلى مُجسمٍ حقيقي يعرض مجهوده ونجاحه المُدجر، يتحسس جهازه بأنامل فخورة وكأنه يشاهد ابنه وهو يتسلم شهادة تخرجه بعد أن بذل الكثير في انفاقه على تعليمه، وهذا الجهاز بمثابة ابنه الذي لم ينجبه، بقي يتحسس هذا الجهاز باستعلاءٍ تغيّب معه عن العالم حتى قطعه هذا الصوّت المرتفع الأشبه بصوّت دجاجه قبل ذبحها.

-مـــــارك!!

انتفض مارك إثر هذا الصوّت لتتقابل عيناه مع عينا ميليندا الغاضبتان والمصحوبتان بصوّتها:

-أناديك لأكثر من ساعة

ذم شفتيه بتذمرٍ وهو يجابهها بحنق:

-ماذا أيتها المزعجة .... ألا تعرفي كيف تتصرفين بدوني

أطبقت على شفتيها بحنقٍ من هذا المتعنت الكسول لترد عليه بنفس طريقته:

-إنه جهازك أنت .... ثم أنني أتيتُ فقط للمساعدة وأنت تعاملني بهذا الجفاء!!

تذكر مارك أن السيد إيجر قد أخبره أنه سيحضر له عالمًا آخرًا ليُساعده في إتمام الجهاز رغم اعتراض مارك، فمارك لا يُحب أن يشاركه أحدهم انجازاته، خاصة الفتيات، فهو لا يكره أكثر منهم لأسباب قرر دثرها بداخله للأبد.

-أنا لم أطلب مساعدتكِ يا هذه .... ثم ما الذي تُريدينه ؟ .... ها قد اتصل الجهاز بالواقع الافتراضي الذي خلقناه ووجدنا طريقة لجعله يُطلق رزازاتٍ تُفعل الغدة الصنوبرية .... ما الذي تُريدينه أيتها المُزعجة ؟

كتمت زفراتها الحانقة وهي تحمل جهازًا صغيرًا يُشبه الهواتف المحمولة لكن أكبر حجمًا، تقدمت نحوه وهي تهتف بحدة:

-لا يزال الجهاز متصلًا بالواقع .... أي أن من يدلف عالم الرسوم المتحركة سيُغيره للأبد .... ثم أننا لم نتوّصل إلى طريقة تساعدنا على الخروج من ذاك العالم وقتما نُريد

تنهد مارك بضجرٍ وهو يبتعد عن الجهاز مُتذكرًا أنه لم ينتهي منه بعد، لا يزال بحاجة إلى المزيد من التعديلات حتى يستطيع وضعه بهذا المعرض، حيث سيكون نقلة نوّعية لمعرضهم وسيجنوا من خلاله العديد من الأموال.

-حسنًا .... أنا سأقوم بالتعديلات وحدي .... لا تتدخلي بالأمر....

لوّح بيده وهو يواصل بأمر:

-هيا .... إذهبي ورتبي الأغراض .... ولا تزعجيني بصوّتِك هذا

أطبقت ميليندا على شفتيها بحنقٍ وقد كادت تستشيط من الغضب بسببه، رفعت خصلاتها المجعدة البنية القصيرة عن عينيها وقبضت على الجهاز مجددًا عازمة

على تعديل هذا الجهاز رغمًا عن أنفه، فهي لم تأتي لتُنظف الأرضية أو لتُرتب الأدوات، حبها للعلم والمعرفة دفعاها للالتحاق بكلية العلوم بجامعة كاليفورنيا لتتخرج بأعلى الشهادات خاصة بالعلوم الفيزيائية، ولن يأتي هذا المتعنت ليُقلل من شأنها ويفرض سيطرته عليها فقط لأنه أكثر منها خبرة ومهارة.

كادت ترد على تهكماته لولا صوّت الباب الذي طفق يُفتح بهدوءٍ ويصحبه بعض الطرقات: اعتدل مارك في وقفته وشعر بالعجب من ذاك الزائر الذي لا يعرف كيف عثر على حجرته، فقد كانت غيُد أمامهما ترميهما بابتسامة هادئة مرحبة زيُنتها عيناها الزمرديتان وبشرتها البيضاء، كانت تتقدم نحوهما ببعض الارتباك والتردد الذي نحتُهما جانبًا بسبب وظيفتها التي تُرغمها على الاندفاع وعدم التردد، خاصة مع المصادر.

حمحمت غيُد قبل أن تردف بطريقة علمية:

-عفوًا ..... أعتذر عن الدخول بدون إذن .... هل يُمكنني أن أجري معكما حوّارًا ... فأنا .... أنا مراسلة صحفية

قالتها بانجليزية حملت مزيجًا من اللهفة والارتباك أمام نظرات مارك التي بدت ساكنة في البداية حتى تحوّلت إلى ابتسامة متعالية اعتدل معها في وقفته وبدأ يُعدل عويناته متفوّهًا:

-بالطبع يا فتاة .... فأنا_

وقبل أن يواصل حديثه قطعه صوّت الباب الذي يُفتح باندفاع يليه ظهور سامي وعلامات الارتباك على وجهه، وصوّت ميليندا التي كانت تعبث بالجهاز بأصابع ترتجف قالت معها:

-مارك .... مارك...

تجاهلها مارك وسلّط نظراته على ذاك الغريب الذي اقتحم معمله دون إذن.

-هل رأيتم طفلٌ صغيرٌ مُزعجٌ هنا ؟

كاد مارك يصرخ بوٌجهه حتى يرحل عن الحُجرة لكنه وجد الباب يُفتح للمرة الثالثة ويليه فتاة حسناء يبدو عليها الارهاق وهي تقول :

-عفوًا .... كنت أبحث عن دُمية صغيرة...

ازدادت أصابع ميليندا ارتجافًا تزامنًا مع تلك الهزّات التي بدأ يطلقها الجهاز ويتعالى صوٌتها تدريجيًا، ولأنها ليست على دراية كاملة بتشغيل هذا الجهاز_ بسبب مارك الذي يمنعها من التدخل في مشروعه ويحجب عنها العديد من المعلومات_ كانت أشبه بالطفل الذي عبث بمِقبس الكهرباء حتى آصابته الصاعقة، ففي محاولاتها لفهم الجهاز، لا تعرف ما الذي ضغطت عليه ليجعل تلك الأصوات تتعالى مرة واحدة، ورغم أنها تنادي على مارك حتى ينقذ الموٌقف، إلى أن مارك يتجاهلها ويصُب اهتمامه على أولئك الغُرباء.

-كيف دخلتم هكذا دون إذن .... ألا ترو علامات التحذير ؟....

صرخ بوجههم بطريقة حادة جعلت الدماء تتغلغل بعروق سامي ورغبة عارمة تجتاحه وتجعله يوٌد لو يصفعه على وجهه، بينما كانت كاتي تشعر بالارتباك وتكاد ترحل من الحجرة التي فُتح بابها مُجددًا بطريقة مُندفعة ليُقابلهم حكيم الذي طالعهم بنظراتٍ بلهاء قال معها:

-معذرة .... ظننتُ أنه المرحاض

كاد يرحل حكيم ويتركهم وشأنهم لولا تلك الزبزبات التي زادت عن حدها وجعلت الذعر يتملكهم خاصة مع صُراخ ميليندا:

-مـــارك .... فُتح الجهـــاز....

انطلقت هزة عنيفة عقب انهائها للحديث جعلت أجسادهم ترتد مرة واحدة وأصوٌاتٌ غريبة تخترق آذانهم جعلتهم يكتمون صرخاتهم المستغيثة ويستسلمون لهذه الظلمة التي غمٌرت المكان .... وغمرتهم جميعهم!!

كان الظلام دامسًا لا يُظهر أي بصيصٍ من الأمل، لكن العتمة بدأت تنزاح ليحل محلها رؤية مشوشة داعبت صاحبها وصداعٌ جثيمٍ يجعل رأسه تزن أطنانًا، حاول سامي الاعتدال بعد أن فتح عينيه ولم يكن يعرف ماذا حدث، يتذكر فقط أنه دلف هذه الحجرة العجيبة وتعارك مع حفنة من الأغبياء قبل أن تنطلق صرخة هذه الفتاة ويرتج جسده بفعل تلك الزبزبات التي لا يعرف مصدرها، مهلًا ... هو لا يعرف حتى أين هو الآن.

تحسس هذه الأرضية العُشبية واستطلع تلك الأشجار الكثيفة التي تُحيط بهم، يبدو أنه في إحدى الغابات، لكن كيف ذهب إليها، هو لم يذهب حتى إلى أي غابة بحياته، حاول الاعتدال في جلسته لكن ظهره كان يؤلمه لدرجة جعلته أشبه بعجوزٍ يحاول الاتكاء على الأريكة حتى يثب من مقعده، ارتفع صوّت الهمهمات بجواره ليجد هذه الفتاة الحسناء التي اصطدم بها ذات مرة وكانت معه بالحُجرة، وكان على مقربة منه، هذا الفتى المُرفه الذي يعتقد أنه رآه ذات مرة ولا يعرف أين، لكنه استطاع الاستماع إلى همهماته العربية، والتي كانت دليلًا صريحًا على أن هذا الفتى المُرفه من نفس دوّلته.

-أه ياني ياما أه .... إيه ده .... إيه المكان ده .... هو احنا اتخطفنا ولا إيه ؟

تحسس حكيم رأسه بسبب هذا الصُداع الذي يُداهمه ويجعله يحاول الاعتدال في جلسته بصعوبة، وكان سامي يقترب نحوه ويرميه بنظراتٍ حائرة جعلت حكيم يُعلق ببلاهة:

-إيه ياسطا مالك ..... هو أنا جوز أمك ولا إيه ؟

لم ينبس سامي ببنت شفة مما جعل حكيم ينتبه إلى حديثه العربي الذي حاول تداركه والتحدث بالانجليزية قبل أن يُربت سامي على كتفه متفوهًا:

-لا مفيش ... كنت بتطمن عليك بس

ابتعد سامي عنه بهدوء ليواصل تفقد البقية وسؤالهم عن هذا المكان الذي انتقلوا إليه فجأة، بينما أطلق حكيم شهقة متفاجئة عقب حديث سامي بالمصرية وكأنه لا يُصدق أنه وجد رجلًا من نفس بلدته، حسنًا، هو يعرف أن المصريون في كل مكان، لكنه أيضًا سيتفاجأ من هذه الصُدفة.

-يا فرج الله .... إنت مصري

انقض عليه ليُعانقه رغم أنفه وكأنه أخيرًا قد عثر على ملاذه من هذا العالم الغربي الذي انعقد لسانه بسبب حديثه بلغتهم، أحاط حكيم عُنق سامي بذراعيه رغم تذمره المتجلّي على وجهه، فهو لا يُحب الالتصاق بالآخرين، خاصة الرجال، لكن حكيم لم يُبالي بتذمره وأخذ يهتف بأخوية:

-أنا حكيم .... مش قصدي إني عميق وكدة .... أنا اسمي حكيم .... عندي صفحة على اليوتيوب عليها مليون متابع .... هستناك بقى تتابعني

أبعده سامي عنه بتذمرٍ قال معه معرفًا:

-أنا سامي .... أو سام .... خلينا نشوف المصيبة إللي احنا فيها الأول

قبل أن ينطق حكيم بحرفٍ آخر وجدا غيِّد تعتدل في جلستها تتحسس رأسها الثقيل وتُبعد خُصلاتها المموَّجة الداكنة عن وجهها متفوِّهة:

-شو في ؟ .... وين نحنا ؟

قالتها بعفوية جعلتها تتناسى أنها تتحدث بالعربية، لكن كلماتها جعلت عينا حكيم تتسعان في ذهولٍ، حتى أنه بدأ يشك في ذهابه إلى دوّلة أجنبية:

-يا فرج الله ..... تركية!!

أطبقت غيِّد على شفتيها وقد تناست ألمها وحيرتها وهي تعتدل في جلستها متفوِّهة باعتراض:

-مو تركية يا أجدب .... أنا من سوريا

وثبت أمام حكيم وهي تطالعه بنظراتٍ ثابتة ويطالعها هو بنظراتٍ بلهاء برر معها:

-سورية إزاي .... دا إنتِ بتتكلمي زي سمر

كادت غيِّد تبرر له أنها مجرد دبلجة لكن كاتي قطعتهما بسؤالها الحائر:

-أين نحن ؟

اقتربت ميليندا نحوٌهم ومعها جهازها الذي من المُفترض أنه هو السبب في نقلهم، تقدم مارك هو الآخر نحوٌهم وكان على عكسهم تمامًا، كان يرمق ما حوٌله في ذهولٍ وإعجاب، فجهازه يعمل وبجدارة.

-هل وضحتم لنا أين نحن بالضبط ؟

سألهم سامي بنبرة حادة لتُجيبه ميليندا بارتباكٍ حاولتٌ معه تغيير السؤال حتى لا تصدمه بالحقيقة مرة واحدة:

-أهلًا بك سيد...

توٌقفت حتى يُخبرها باسمه وكان هو يُجيبها بحدة:

-سام .... ناديني سام

حمحمت ميليندا بارتباكٍ آجابت معه:

-حسنًا سيد سام .... أنا أُدعى ميليندا ... وهذا_

كانت تُشير على مارك حتى تُعرفه وتشرح له أين هم، لكن مارك قطع حديثها بنبرته المتعالية التي قال معها مُعرفًا:

-وأنا أدعى مارك .... وأحيانًا ينادونني بمارك زوكربيرج .... فكما تعلم...

عدٌل من عويناته وهو يقف بشموخٍ ويواصل:

-أنا من أمهر العُلماء والمخترعين بالولايات المُتحدة .... وأنا الذي اخترعتُ هذا الجهاز الذي يستطيع أن ينقلنا إلى عالم الرسوم المُتحركة .... ويبدو أن الجهاز يعمل بالفعل و_

قطع سامي حديثه وهو ينقض عليه انقضاضة الأسد على فريسته، كان يطالعه بغضبٍ جحيمي ويمسك بياقته متفوٌهًا:

-هل تسببت بهذا أيها الأحمق ... أقسم أنني سألقنك درسًا

أبعده مارك عنه بحدة هتف معها بنظراتٍ غاضبة:

-هل أنا من أخبرتك أن تدلف هذه الحُجرة .... أم أنك من دلفتها وحدك

كاد يرد عليه سامي لولا تدخل غيّد بنبرة حكيمة:

-رفاق .... لا فائدة من المشاجرة الآن .... يجب أن نعثر على طريقة للعودة

تنهد سامي ليستجمع هدوءه بينما ازداد الارتباك على وجه مارك حتى انسابت قطرات العرق على جبهته وانزلقت عويناته التي أخذ يُعدلها وهو يقول بتلجلج:

-لا أعتقد أننا سنستطيع العوّدة بهذه السهولة .... فأنااا .... لم أبتكر طريقة للعودة بعد

طالعه الجميع بنظراتٍ حادة غير مُصدقة حتى أطبق سامي على شفتيه بحنقٍ وما كاد ينقض عليه مُجددًا حتى تدخل حكيم:

-هل هذا يعني أننا سنعلق هنا للأبد!!

تدخلت ميليندا بالحديث هذه المرة لتبثهم بعض الأمل:

-لا .... نحن بإحدى أفلام الرسوم المُتحركة .... والطريقة الوحيدة للعودة، هو انتهاء هذا الفيلم .... ولا تقلقوا، الجهاز الذي سينقلنا معي .... يجب فقط أن نتحلّى بالقليل من الصبّر حتى ينتهي الفيلم ونعود سالمين

كلماتها الآملة بثتهم طاقة من الاطمئنان والراحة رغم أنهم يجهلون ما سيواجههم، أما عن حكيم، فبطبيعته المُرفهة، أخذ ينظر للأمور بطريقة أكثر إيجابية جعلته يُخرج هاتفه ويتفوّه براحة:

-يا فرج الله ... يبقى إن شاء الله هنرجع ... ألحق بقى أصوّر كام فيديو في المكان الغريب ده قبل ما نرجُع

أخرج هاتفه وبدأ يعبث به ليلتقط العديد من المقاطع لكنه يتوّقف حينما يُدرك أن هاتفه لا يعمل أبدًا، حتى أنه ظنّ أنه فرغ من الطاقة لكنه تذكر أن طاقته كانت ممتلئة.

-مهلًا .... لماذا الهاتف لا يعمل ؟

سألهم بذعرٍ وخوٌفٍ على هاتفه العزيز، لكن مارك تدخل بطريقته العلمية:

-لن يعمل بهذا البُعد

أطلق زفرة خائبة للأمل لأنه لن يستطيع انتهاز هذه الفرصة للحصول على مزيدٍ من المُعجبين، أما عن غيٌد، فكانت تتلفت حولها وتسألهم بحيرة:

-إذا ما الذي سنفعله ؟ .... كيف سنعرف أن هذا الفيلم قد انتهى ؟

آجابتها ميليندا بطريقة علمية:

-يجب أولًا أن نعرف ما هذا الفيلم .... حتى نعرف متى سينتهي ونستطيع تشغيل الجهاز في اللحظة المناسبة

قطع حديثها العلمي صوٌت كاتي التي أخذت تهتف من بعيد، فهي قد تركتهم يتسامرون ويتشاجرون وطفقت هي تتجوٌل في تلك الغابة حتى التقطت عيناها هذا القصر الكبير الذي تعرفه جيدًا، فطبيعة عملها الذي يجعلها تتعامل مع الأطفال، حفظت هذه الرسوم المُتحركة عن ظهر قلب.

-يا رفاق .... أعرف أين نحن

قالتها بصوٌتٍ مُرتفعٍ جعلهم ينتبهون لها ويهرولون نحوها حتى استطاعوا رؤية هذا القصر الذي تُشير نحوه وتواصل:

-انظروا إلى هذا القصر .... هذا القصر لا يوجد سوى في فيلمٍ واحد

قطب سامي حاجبيه بحيرة وهو يسألها:

-وما هو هذا الفيلم ؟

آجابته كاتي وهي تُحدق بالقصر:

-الجميلة والوحش!!

الفصل الثاني (الجميلة والوحش)

يومًا ما، ستكتشف أن العالم الذي أردت الذهاب إليه يومًا، لم يكن إلا جحيمًا....

حاوطهم الظلام من كل حدبٍ وصوّبٍ وكأنه حبالٌ غليظة تلتف حوّل أعناقهم حتى تختنق أنفاسهم، يسيرون بتيهٍ في هذه الغابة بين أشجارها الطويلة وحشائشها الكثيفة، همسات الليل كانت بالنسبة لهم مصدرًا آخرًا للرُعب، فلم يتخيلوا أبدًا أنهم سيبيتون ليلتهم في تلك الغابة، بل لم يتخيلوا أنهم سيذهبوا إلى غابة من الأساس.

-ماذا سنفعل الآن ؟

سألت غيّد وهي تتحرك خلف كاتي التي تسلُمت المسيرة ونصبت نفسها قائدًا عليهم لأنها أكثر من يعلم بالرسوم المتحركة، حيث كانت تقول بنبرة هادئة واثقة:

-سنقترب من القصر .... سنراقب ما يحدث من بعيدٍ حتى نعرف متى ستأتي النهاية

كانت تعلم أن الجهاز لن يتم تفعيله سوّى بعد نهاية الفيلم، وحتى يعرفوا متى سيتم تفعيل الجهاز، عليهم البقاء بالقُرب من الأحداث حتى يستعدوا جيدًا للرحيل من هنا، فإذا تم تفعيل الجهاز وهم متفرقون فلن ينتقل سوى من كان قريبٌ من الجهاز.

-ألن يُخبرنا الجهاز أن الفيلم قد انتهى ؟

سألت غيّد مجددًا لتتدخل ميليندا وتُجيبها بعلمية:

-هذا صحيح .... لكن يجب أن نضحى مستعدون قبلها

فهمت غيّد مقصدها وواصلت طريقها بجوارها ورأسها تتلفت في كل مكانٍ بذهولٍ وإعجاب، فرغم سفرها المتكرر بسبب وظيفتها، إلى أنها لم ترى مثل هذه الغابة من قبل، هي حتى لا تُشبه تلك الغابات التي تراهم بالأفلام.

واصلوا السير حتى أصبح القصر ظاهرًا أمامهم، كان قصرًا شاهقًا يتكوّن من العديد من المباني الملتصقة والجدران الرمادية المتشققة، تحفه الغربال والسُحب الكثيفة، ومن يراه يعتقد أنه قصرًا تسكنه الأرواح.

-إيبه رفاق ..... هل .... هل هذا قصر الأمير ؟

سأل حكيم ببعض الخوْف لتُجيبه كاتي بثقة:

-نعم ... لكن الأمير هو وحش

ازدرد حكيم ريقه في هلع بينما تدخل مارك ليُجابهها بحدة:

-بل أصبح وحشًا بسبب ساحرة غبية قامت بلعنه ....

تنهد بتهكمٍ ثم واصل بعوالم مُزدرية:

-هؤلاء النساء لا يأتي من ورائهن سوى المتاعب

زمّت ميليندا شفتيها بحنقٍ وكادت تهاجمه بكلماتها لولا قطرات المطر التي هطلت فجأة على رؤوسهم، كانت تضرب أجسادهم كالشلالات الهاجرة، حتى أنهم تبللوا في أقل من دقيقتين.

-حقًا !! .... هذا هو الذي ينقصنا

قالها سامي بتذمرٍ تبعه أصوات البرق والرعد التي انتشرت فجأة وجعلت كاتي تُطالعهم بارتباك، فهي تعرف جيدًا سبب ظهور البرق والرعد والمطر بالأفلام .... خاصة الرسوم المُتحركة.

رفعت غيِّد يدها كي تستخدمها كمظلة تحميها من المطر، لكن مظلتها كانت أشبه برُقعة القماش المليئة بالثقوب، حتى أنها شعرت بحبات المطر تزداد أكثر على رأسها، وأصوات البرق تكاد تُفجر أذنيها:

-يجب أن نحتمي من هذا المطر .... لا أريد أن تُداهمني الحُمى

حمّي !! هذا أقل ما قد يُصيبهم هنا، هذا ما كانت تُفكر به كاتي وهي تحاول ترتيب أفكارها وإزاحة تلك الهواجس جانبًا، فهم بالأساس لا علاقة لهم بالحكاية حتى تداهمهم المخاطر، فلا يجب أن تقلق .... ولا يجب أن تشعر بالخوف، نعم، سيُصبح كل شيءٍ على ما يُرام.

-لا تقلقوا ..... إنها مجرد أمطار .... لن يحدث أكثر من ذلك...

قالها حكيم في محاولة بائسة لبثهم بعض الأمل وهو يقف قبالتهم يمسح قطرات المطر عن وجهه حتى لا تُصيب عينيه، كان يعتقد أنه سيبثهم الطمأنينة والآمان، لكن ما حدث أنه وجدهم يتصلبون أمامه ويُطالعونه بنظراتٍ جاحظة مذعورة، حتى أنه بدأ يشعر بنبضات قلوبهم المرتفعة.

-ما بكم !! .... لما ترمقونني بهذه النظرات الهلعة ؟ .... أخبرتكم لا تقلقو .... أنا ذهبتُ إلى العديد من الغابات .... إنها آمانة أنا واثق من ذلك ... وأثق أنها_

رفع سبابته وهو يحاول طمأنتهم بثقة لكنه بتر حديثه بسبب تلك الرجفة التي خالجته حينما استمع إلى صوّت زمجرة .... زمجرة قريبة من أذنيه، قريبة للغاية!!

تقهقرت أقدامهم للوراء بخوّف بينما تصلب حكيم مكانه وقد شعر وقتها أنه سيبصق فؤاده، لا يُريد أن يرى ما الذي يقف بجواره، ولا يُريد أن يعرف ما هذا الصوّت، فقط يزدرد ريقه بهلع، ويتحوّل وجهه إلى اللون الأبيض، حتى أنه شعر أن خصلات شعره ستتحوّل إلى البياض لتتشابه مع وجهه الشاحب وجسده الذي لم يتوّقف عن الارتجاف.

-مـ.... ما هذا الصوّت ؟

ارتفع صوّت الزمجرة مجددًا وبدا قريبًا للغاية من حكيم الذي شعر لوهلة أنه بلل سرواله.

-هذا هو الآمان الذي كنت تتحدث عنه

قالها سامي بمزيجٍ من السُخرية والهلع ليتشجع حكيم ويتحرك بضع خطوّاتٍ قبالتهم ثم يلتفت ببطء صوّب هذا الصوّت لتُداهمه صاعقة مرتفعة ضربت السماء كما ضربت قلوبهم، فأمامهم مباشرة، يقف مجموعة من الذئاب تطالعهم بأعينٍ صفراء تتقد شرًا، والزبد يسيل من أنيابها التي تتشوّق لافتراسهم، فالمخاطر توجد في كل مكان، حتى أفلام الأطفال.

ابتلع حكيم ريقه وهو يلتصق بسامي وكأنه يتخذه ستارًا للحماية، بينما اختبأت غيْد خلفهم وكانت تتلفت يمينًا ويسارًا بحثًا عن أي مخرجٍ من تلك الذئاب التي أخذت تقترب ... وتقترب ... حتى....

-اركـــضوا.....

صاحت ميليندا بهم وهي تهرول بخوّف ويهرولوا ورائها هربًا من تلك الذئاب التي انقضت عليهم، طفقوا يهرولون على الحشائش ويتعركلون في بعضهم حتى استطاع واحدٌ من الذئاب أن ينقض على كاتي من الخلف ويُمزق سُترتها؛ أطلقت كاتي صرخة مدوِّية وهي تحاول الهرب من أنياب الذئب لتقع على الأرض وتستشعر أقدام الذئاب وأنيابه التي انغرست في ظهرها، شعرت وقتها أنها ستلقى حتفها، هذا الذئب حتمًا سيلتهمها حية، لكن لا ... ليس الآن.

استمعت إلى صوّت جزع الشجرة وهو يطيح بالذئب الجاثم على ظهرها لترى وجه سامي الذي يحاول التقاط أنفاسه ومعه جذع الشجرة الذي استخدمه ليتخلص من هذا الذئب، هي لم تنسى ملامحه أبدًا، فلا تزال تتذكر أنه أهانها ونعتها بعديمة المسؤولية، لكن لا يوجد وقتٌ للعتاب الآن، حسنًا، لا يوجد وقتٌ لأي شيءٍ الآن سوى الهرب.

مدٌ سامي يده نحوها لينتشلها عن الأرض ويجذبها بسرعة لتركض معه حيث يركض بقيتهم، واصلوا الركض والفرار حتى وجدوا أنفسهم أمام القصر مباشرة، كانت الذئاب تحاوطهم ويتكاثر عددها كالذباب، والأسوأ أنه لا يوجد سوى مفرٌ واحدٌ فقط للهرب .... نعم، هذا المفرٌ هو القصر!!

هروّلت ميليندا أولًا ولم تكن تحسب خطواتها هذه المرة، هي فقط تُريد النجاة، وجدت نفسها تدلف القصر ويدلف مارك خلفها ومن ثم حكيم وغيِّد وسامي الذي جذب معه كاتي عنوة، دفع مارك الباب الحديدي ليُغلقه بسرعة قبل أن تنقض عليهم الذئاب، وبعد محاولاتٍ جاهدة لدفع هذا الباب الثقيل، استطاع أخيرًا إغلاقه والاحتماء داخل القصر من هذه الأنياب المفترسة التي تريد اختراق الباب الحديدي والانقضاض عليهم والتهامهم.

أطلق مارك زفرة مرتاحة بعد أن عادت أنفاسه إلى مكانها وبقيت قدماه ترتعدان من هوّل الصدمة، وكان حكيم لا يختلف عن حالته لكنه يضع يده على صدره ليُحاول التهدئة من نبضاته الثائرة، بينما كانت ميليندا تُعدل من خصلاتها المجعدة التي

أصبحت شبيهة بالقُنفذ وغيِّد بطبيعتها الفضولية، تناست هوّل الموّقف ووقفت تتطلع إلى القصر وتقترب منه بفضول.

تحسست كاتي ثيابها الممزقة وهذا الجرح الطفيف الناجم عن أنياب الذئب، اقترب سامي نحوّها ليتفقد حالتها متسائلًا:

-هل أنتِ بخير ؟

أومأت كاتي بامتنانٍ قالت معه بنبرة هادئة:

-نعم ... شكرًا لك

-لا داعي للشُكر

قالها باختصارٍ قبل أن يلتفت حوّله ويكتشف أن رفاقه قد دلفوا بالفعل إلى القصر، فمن سيرغب في قضاء ليلته بتلك الغابة على أي حال.

فتحت غيِّد هذا الباب الثقيل الذي يُعادل طوله عامود الإنارة ببلدتها، تحركت على هذه السجادة الحمراء وكأنها بإحدى تلك المهرجانات الخاصة بالأفلام، سقط فكها وهي تطالع ما حوّلها بذهول وتشعر أنها دلفت أحد المتاحف، الجُدران قديمة مُتشققة على أطرافها شباك العناكب، والأتربة في كل مكانٍ وكأنهم داخل منزلٍ مسكون، فحتى إنارة القصر ضعيفة وهناك تماثيل معدنية للعساكر وقت الحروب لا تعرف ما أتى بهم إلى هنا.

-رباه !! ... هذا مُذهل!

قالتها غيِّد وهي تتحرك على السجاد الأحمر وتتابع النقوش المُرتسمة على الجدران مع هذا السقف المُرتفع ذو القُبة المستديرة، انتشر بقيِّتهم داخل القصر يتلمسوا أتربته ومظهره الأثري متجاهلين هذه الهمسات التي بدأت تنتشر نحوهم.

-أيمكننا البقاء هنا ؟

التفتت غيِّد نحوّهم وهي تسألهم بحماسٍ طفولي بدأت معه تتحرك نحو الدرجات؛ تقدم حكيم نحوها ليشاركها صعود الدرجات وهو يهتف بتقرير:

-لن أعود إلى تلك الغابة مجددًا

صعد الدرجات أولًا ليكتشف بقية القصر ويتبعه البقية فيما عدا كاتي التي وثبت أمام الباب تحاول تحذيرهم بقلق:

-لا أعتقد أننا يجب أن نبقى هنا.... يجب أن نرحل

حاولت حثهم على الرحيل من قصر الوحش لكن مارك هاجمها:

-ارحلي وحدكِ إذن ... أنا سأبقى هنا

أنهى الحديث بتقريرٍ أكد عليه البقية وواصلوا صعودهم لتلك الدرجات الشاهقة لتذهب كاتي ورائهم مُرغمة، تعلم أنهم على وشك ارتكاب كارثة أخرى، لكنها أيضًا لن تستطيع البقاء في الغابة وحدها مع الذئاب.

صعد جميعهم الدرجات صوّب البهو متجاهلين هذه الأصوات التي صُدرت من تلك الساعة، والتي على الأحرى لا يشعرون بوجودها، أو لا يشعرون أنها تتحدث.

-أوه ... يالا هذه الروّعة .... لم أتخيّل يومًا أنني سأبيت في قصرٍ كهذا

قالتها غيّد وهي تتلفت حولها تتحسس المقاعد الكلاسيكية المجاورة لتلك المدفئة التي غمرت نيرانها المكان وغمرتهم بدفئها من هذا البرد القارس، وبما أن أجسادهم قد تبللت من المطر، فكان هذا الدفء المنبعث من النيران يجعل النوم يكاد يزورهم.

اقترب حكيم من إحدى اللوحات المُعلقة المليئة بالأتربة والتي كانت تحتوّي على صوّرة ملكٍ من الملوك يقف مع زوجته الحبيبة، حاول إزاحة الأتربة عن تلك اللوحة وهو يقول بتذمر:

-ليت الهاتف يعمل .... كنت سألتقط العديد من الصوّر وقتها

ابتسم مارك ابتسامة متعالية وهو يطالع ذهولهم ويسخر منه:

-ما بكم يا رفاق !! .... إنه مجرد قصرٌ قديم ....

جلس على أقرب مقعدٍ يُقابله ليرفع قدمه عازمًا على وضعها فوق القدم الأخرى لكنه تفاجأ من هذا المقعد الصغير الذي وُضع أسفل قدمه حتى يستريح جيدًا، حيث كان يسترخي للوراء ويواصل حديثه المُتبهنس:

-لا أفهم سبب هذه الدهشة على وجوهكم .... أنا أذهب إلى تلك القصور يوميًا....

أرخى ظهره للوراء وبسط ذراعه وهو يشرح ليجد فنجانًا من الشاي يتم وضعه بين راحتيه وطاولة تتحرك وحدها مما جعل فكوكهم تُفتح بصدمة، لكن مارك، لم يكن ينتبه للإبريق الذي يسكب الشاي وحده ولا حتى للفنجان الذي يوُضع بين راحتيه، بل واصل الحديث بطبيعته المتبهنسة وهو يتجرع الشاي.

-وهذا القصر .... أقل من العادي .... لن يجعلني آصاب بالذهول أبد_

أطلق صرخة مدوِّية عقب حديثه بعد أن استمع إلى تلك الضحكة الصادرة من الفنجان، الفنجان الذي يحمله!!

-هذا القصر ملعون ... هذا القصر ملعون!!

هتف بها بذعرٍ وهو يترك المقعد ويختبيء خلف سامي الذي وقف مصدومًا أمام هذا الفنجان الذي يتحرك صوّب الإبريق متفوّهًا بطريقة طفولية:

-من هؤلاء يا أمي ؟ .... أهم ضيوف ؟

ارتجفت آصابع مارك وهو يُشير على الفنجان متفوّهًا:

-الـ... الفنجان ... يتكلم!!

آجابه سامي بنظراتٍ جاحظة:

-ليس الفنجان فقط .... المقعد أيضًا، والإبريق، وعالقة الملابس والـ....

قطع حديثهم صوّتٌ ثالث أتى من مسافة قصيرة جعلتهم يرمقون الأرضية ويطالعون منبهًا صغيرًا يقف بجواره الشمعدان الذي لا يعلموا حتى كيف يربط ذراعيه، إذا كان لديه ذراعٌ من الأساس:

-يجب أن ترحلوا من هنا قبل أن يُلاحظ سيِّدنا

قالها المنبه وهو يضع يديه على خصره ويُطالعهم بنظراتٍ حادة جعلتهم يتبلمون ولا يعرفوا ماذا يفعلوا، صدمتهم تجعل أقدامهم تلتصق بالأرض وذهولهم يجعل عقولهم مشتتة، يعرفوا جيدًا أن عالم الرسوم المُتحركة يختلف عن عالمهم، لكن لم يتوّقعوا أبدًا أنهم في يومٍ من الأيام، سيتلقوا الأوامر من منبهًا وشمعدانًا!!

آزاح الشمعدان المنبه جانبًا لينتفض المنبه إثر هذه النيران التي لامسته، والتي كان مصدرها الشمعدان.

-عفوًا يا سادة .... أنا لوميير

قالها الشمعدان مُعرفًا بابتسامة ودودة عكس نظرات المنبه الغاضبة:

-لا أعتقد أنكم بمأمنٍ هنا .... عليكم أن ترحلوا فوٌرًا

ختم لوميير حديثه بتحذيرٍ ساعد كاتي على التقدم حتى تدفعهم بعيدًا عن ذاك القصر، فلايزال القلق يُداهمها من اختلاطهم بأحداث الحكاية، مما يعني أن الخطر سيحوم حولهم.

-نعم .... معه حق، يجب أن نرحل من هنا

قالتها باندفاعٍ جذبت معه يد ميليندا التي لم تتحرك خطوة واحدة وأخذت تهتف بتذمر:

-أنا لن أعود إلى هذه الغابة .... سنبقى هنا الليلة فقط وبعدها سنرحل في الصباح .... ثم أننا في وقتٍ متأخر، لن يستيقظ الوحش الآن

تبادلت نظرات المنبه ولوميير في حيرة من معرفة هؤلاء الغرباء بحقيقة الوحش، ثم أن ملابسهم العصرية جعلتهما يتعجبان أكثر ويعتقدان أنهم من مدينة أخرى، أو من عالمٍ آخر، وما كاد المنبه يعاود تحذيرهم، حتى داهمهم صوّت زمجرة غليظة جعلت أفئدتهم تتوّقف لبُرهة، حتى أنهم ظنّوا أن الذئاب قد عادت لتلتهمهم مرة أخرى، لكن لا، هذا ليس صوّت الذئاب، هذا الصوّت أكثر غلظة وحدة، فهو ببساطة، صوت الوحش.

-من الذي اقتحم قصري ؟

ارتفع صوّته الغليظ الغاضب وهو يتحدث ليظهر قبالتهم بنظراته المُتقضة وجسده الضخم، فروّته الكثيفة تجتمع مع أنيابه الحادة وتلك القرون التي تعتلي جانبي رأسه، عيناه الخضراء كانت تشع نيرانًا وهو يقف قبالتهم يُخيفهم بضخامته ويجعلهم يتكوّمون على أنفسهم بأجسادٍ ترتعد من الخوّف.

-نـ...نحـ..نحن كنا .... نبحث عن مأوى

قالها حكيم بشفاهٍ ترتعد ومحاولة جاهدة لاستسماحه، لكنه على العكس تمامًا، وجد الوحش يرسم ابتسامة شيطانية على ثغره وهو يقترب نحوهم ويقول بصوّته الغليظ :

-مأوى !! .... أنا سأعطيكم مكانًا للمأوى.....

فُتح باب هذه الحُجرة الواسعة ذات الفراش الأنيق ذو الستائر البنفسجية والخزانة البيضاء الكلاسيكية ذات الأبواب الخضراء، دلفت كاتي تلك الحُجرة عنوة ومعها كلًا من غيّد وميليندا بعد أن كانوا سيبيتن ليلتهن بسجنٍ مقيتٍ لولا تدخل لوميير وإقناعه للوحش بأن يجعلهن في تلك الحجرة الأنيقة ويبقى الرجال في السجن، لا يعلمن حتى ما قاله لوميير للوحش، لكن كاتي هي من أخبرتهن بذلك، فهذا الوحش قد أقسم على النيل منهم بسبب اقتحامهم لقصره الفخم.

ارتمت غيّد على الفراش بإنهاكٍ ودُت معه لو استلقت وتناست ما حوّلهم، فهي تُريد النوم فقط، وهذا أفضل ما تفعله الآن بعد مطاردة الذئاب هذه، بينما جلست ميليندا على حافة الفراش تُربع قدميها أمام كاتي التي بقيت واثبة أمامهن تتلفت حوّلها بقلق.

-لا يجب أن يحدث ذلك .... لم يكن يجب أن نقترب من الوحش

نبست كاتي بتلك الكلمات وهي تتحرك في جميع الاتجاهات لتحاول غيّد طمأنتها بالحديث:

-ما سبب استيائكِ يا فتاة .... ها نحن سننام على فراشٍ وثير ..... ثم أن الجميلة ستأتي في جميع الأحوال

توّقفت كاتي عن السيْر لتُفكر في حديث غيّد الذي ربما جعلها تتطرق إلى ما سيزيدهم كارثية:

-أوه لا .... الذئاب!!

قطبت ميليندا حاجبيها وهي تهتف باستفهام:

-ما بهم !!.... ها قد تخلصنا منهم أخيرًا

وعلى عكس المتوّقع، وجدا كاتي تجابهما بنظراتٍ جاحظة تحمل أطنانًا من القلق:

-هذا لم يكن يجب أن يحدث ..... كان من المُفترض أن هذه الذئاب ستُهاجم والد الجميلة ..... لكنها هاجمتنا نحن !!

لاحت بينهن فترة طويلة من الصُمت وهن يفكرن في تلك الكارثة، بُهتت ملامح غيّد وهي تنبس باستنتاج:

-هل ... هل هذا يعني أنه....

لم تشأ الاسترسال أكثر حتى لا تزيدهن شعورًا باليأس، لكن ميليندا أضافت على حديثها لتؤكد هذه الشكوك:

-الذئاب لن تهاجم والد الجميلة .... وسيمضي في طريقه بسلام...

رفعت من نبرة صوّتها المستاءة وهي تضرب جبهتها:

-تبًا !!.... هكذا لن نصل إلى النهاية أبدًا.... وسنبقى عالقون هنا

قطع حديثهن كلماتٍ مرحة مُرحبة تحمل قِدرًا من الحنان المبالغ:

-عمتم مساءً أيتها الجميلات ...... ماذا سترتدين على العشاء ؟

التفت ثلاثتهن صوّب الصوّت ليكتشفن أنه صادرٌ من تلك الخزانة البيضاء الكلاسيكية، والتي اكتشفن فيما بعد أن لها أعين!!

فتحت الخزانة أدرفها لتخرج منها مجموعة من الفساتين أثناء قولها:

-لدي هنا ما ترغبونه من الفساتين

خرج منها مجموعة من الفراشات البيضاء فأغلقت الخزانة بابها لتُحمحم بحرج ثم تفتح الخزانة مجددًا وتواصل إخراج الفساتين أمام ذهولهن وتعليق غيِّد:

-هل الفراش يتحدث أيضًا ؟

آجابتها ميليندا باستنتاج:

-لا أعرف .... ربما

بينما كانت كاتي تطالع الخزانة بطبيعية لأنها تعلم ما سيحدُث جيدًا، حسنًا، هي لا تزال تشعر بالذهول لمعايشتها تلك الأمور، لكنها الآن تُفكر في كيفية الرحيل، فهي لن تستطيع أن تترك الأطفال وحدهم بدون رعاية.

تحركت الخزانة صوّبهن لترتد أجسادهن للوراء بذهول رغم أن الخزانة ترمقهن بوّد، لكن الوّد حينما يجتمع مع نظراتٍ واسعة وشفاه تتحدث، بل وخزانة تتحدث، يجعل الأمر بالنسبة لهم أكثر رعبًا.

-لدي جميع أنواع الملابس التي تُريدونها

قالتها الخزانة وهي تُحرك الفساتين بداخلها لتتسع بسمة غيِّد وتعتدل في جلستها أثناء طلبها المُتحمس:

-أريد أن أرتدي مثل الأميرة ديانا

علٌقت ميليندا على كلماتها بسخرية:

-رفقًا يا فتاة .... هذه خزانة وليست ساحرة

ثم التفتت بعدها صوّب الخزانة حتى تسألها:

-عفوًا .... هل سندفع ثمن ما سنرتديه ؟

طالعتها الخزانة بغرابة ولم تُعلق، أم لم تجد الوقت للتعليق بسبب ذاك الصوّت الغليظ الذي ارتجت الحُجرة بسببه:

-اخرجوا إلى العشاء!!

انقبضت قلوبهن في ذعر بسبب صوّت الوحش الآمر، تحركت غيّد لتبتعد عن الفراش تنفيذًا لأوامر الوحش لولا كاتي التي أوقفتها:

-لا ... ابقوا هنا .... لا نُريد الاختلاط بالوحش حتى لا نُفسد الأمور

عبست ملامح غيّد وهي تعود إلى الفراش متذمرة:

-لكنني اتضوّر جوعًا

رفعت كاتي يدها حتى تطمئنها بكلماتها:

-لا تقلقوا .... سنتناول العشاء .... لكن ليس الآن

سرعان ما صدح صوّت الوحش مُجددًا لترتعد أجسادهن فترفع كاتي من صوّتها بأمر:

-لن نذهب

ارتفع الصوّت مجددًا بلكنة آمرة واجهتها كاتي بالرفض لتنقلب اللكنة إلى أخرى مهذبة وترفض كاتي وبقيتهن مجددًا حتى ارتفع صوّت الوحش في غضب:

-حسنًا .... إبقوا هنا حتى تموتن من الجوع

استمعن إلى صوّت أقدام الوحش التي ابتعدت عن الحجرة لتعبس ملامح غيّد بعد أن منّت نفسها بتناول طعامٍ فاخرٍ في هذا القصر الشاهق، حيث طفقت تربط ذراعيها وهي تقول بعِتاب:

-لمَ فعلتِ ذلك ؟ .... كنا سنتناول طعامًا فاخرًا

سُرعان ما فُتح باب الحجرة ببطء ليدلف من خلاله هذا المنبه الذي عركل طريقهم في باديء الأمر؛ اعتدلت ميليندا في جلستها بينما رسمت كاتي ابتسامة على ثغرها، ليس لأنها كانت تعرف أن ذاك سيحدث، بل لأنها أيضًا تتضوّر جوّعًا مثلهن، ما يشغل بالها فقط هو ما حدث لبقيتهم، تريد أن تعرف ماذا حلٌ بهم، وكيف سيستطيعوا الهرب، لكن الآن، سيذهب جميعهن إلى العشاء.....

خرجن من الحُجرة بعد أن بدلن ثيابهن إلى أخرى فيكتورية تتناسب مع هذا العصر حتى لا يبدو كالغُرباء، فكانت غيّد ترتدي فستانًا ورديًا ذو أكمامٍ قصيرة وقفازًا يصل إلى مرفقها وميليندا ترتدي فستانًا أخضرًا يعلوه بعض النقوش البيضاء التي تتناسب مع بشرتها السمراء وشعرها المُجعد، بينما ارتدت كاتي فستانًا أزرقًا يُشبه لوّن السماء مع لمعة بسيطة تجعلك تشعر أنه أشبه بالنجوم المتلألئة.

تجوّلن قليلًا في القصر يُطالعن فخامته مع ذاك المنبه الذي كان مُرشدًا لهم، آراهم هذه الردهة العريضة ذات السجاد الأحمر المحفوفة بالعساكر الحديدية من الجانبين والتي كانت تُحرك رأسها وتزيدهم ذهولًا، آراهم بعض التماثيل القديمة والنقوش المزركشة لكنه توّقف معهم عند الحجرة التي من المُفترض أن يتناولن بها الطعام، كانت حجرة واسعة ذات إضاءة خافتة وطاولة عريضة تكفي لأكثر من ثلاثون شخصًا، والغريب في الأمر أنه تخطى جزءًا كبيرًا من القصر وحذّرهن أكثر من مرة من الاقتراب من الجناح الغربي.

ربما لم يُلاحظ أحدهم هذا التمثال الشيطاني الموضوع على بداية الدرجات الخاصة بالجناح الغربي، لكن غيّد لاحظته جيدًا، فهي تعرف جيدًا تلك التماثيل التي يستخدمها عبدة الشياطين والماسونية، وتتعجب من وجودها داخل فيلمٍ من المفترض أنه للأطفال، ولأنها لم تكن تشاهد هذه الأفلام كبقية أقرانها، لم تكن تعرف هذه القصة، فوالديها لم يسمحا لها بمشاهدة هذه الأفلام الغربية، طفولتها مبنية على صراع الجبابرة وصقور الأرض وسابق ولاحق وغيرهم من الأفلام البريئة الخالية من تلك التقاليد الغربية، وطبيعتها الفضولية، ستزيدها حماسًا لمعرفة ما وراء هذه التثمايل الشيطانية.

جلسن أعلى الطاولة والحماس يتآكلهن، ترأست كاتي الطاولة وكانت ميليندا على يسارها تضع المحرم داخل ثيابها وتمسك بالشوكة والسكين بينما جلست غيّد قبالتها تلعق شفتيها بشهوة وتنتظر الطعام على أحر من الجمر، كانوا يتوّقعن أن الطعام سيوّضع أمامهن ويبدأن تناوله في هدوءٍ، لكن هذا في واقعهن وليس هنا... فحتى الطعام هنا يتحرك!!

بدأت الفناجين تتراقص أمامهن والملاعق تتحرك بطريقة استعراضية شكلت دائرة مستقيمة لينطلق بعدها نافورًا من الشراب الوردي وكان لومبير يقف فوقه ويُغني

والمؤسيقى تشتعل ورائهن مما جعل ميليندا تتلفت حوّلها بحيرة، وغيّد تراقب الطعام الذي يتراقص أمامها وتُريد أن تُخبرهم بصوّت مرتفع أنها جائعة وتريد أن تتناول الطعام فقط، لكن لا ... لا حياة لمن تنادي.

تراقصت أوعية الطعام والهلام الأخضر ووقف لوميير والمنبه أعلى الطاولة ليواصلوا الغناء، انبثق الضوّء من أعلى الحجرة ليُسلط على الطعام المتراقص الذي كلما حاولت غيّد أن تمدّ يدها لتأكله وجدته يبتعد عنها ليواصل الرقص والغناء مع بقيتهم، فحتى إبريق الشاي والفنجان الصغير بدأا الرقص والغناء أثناء إعدادهم الشاي.

تلفتت ميليندا حوّلها وهي تتسائل بحيرة، فهي لن تنسى طبيعتها العلمية:

-من أين جاءت هذه الأضواء ؟ .... أليس من المُفترض أن الأضواء لم تُخترع بهذا العصر ؟

قطعت الزهور تساؤلاتها وبدأت تتناثر على الطاولة وتدعوهم لالتقاط زهراتها فزفرت غيّد بملل وهي تأخذ زهرة بيضاء وتفعل كاتي مثلها بينما ابتعدت ميليندا لأنها تمقت الزهور.

بعد فترة وجيزة من الاستعراضات، ازداد تضوّرهن جوعًا وتحسست ميليندا معدتها الخاوية، فهي لم تتناول شيئًا منذ الصباح وها هي الساعة قد شارفت على الثانية بعد مُنتصف الليل وأولئك لا يتوّقفون عن الاستعراض أمامهن .

طالت مدة رقصهم مما جعل غيّد تستشعر معدتها التي تُصدر أصوّاتًا كزمجرة الذئاب.

-متى سينتهي هذا العرض ؟.... أنا جائعة

حاولت أن ترفع صوّتها حتى يستمعوا لها ويوّقفوا الغناء، لكن صوّتها لم يكن واضحًا أمام هذه الموسيقى المُرتفعة، وعندما أدركت أن محاولاتها باءت بالفشل، أسندت رأسها على باطن كفها وطفقت تقول متذكرة:

-كانت والدتي تنهرني حتى لا ألهو بالطعام .... ها هو الطعام الآن هو الذي يلهو بنا

بدأت نفحات الغضب تُسيطر على ميليندا قليلة الصبر حتى وجدت يدها تقبض على الشوكة وتضربها بحدة على الطاولة، تزامنًا مع كلماتها المرتفعة الآمرة:

-توقفــوا !! .... نحن نتضوّر هنا جوعًا وأنتم لا تكفون عن الغناء ..... ألم يعلمكم أحدهم آداب الطعام!!

توقف العرض مرة واحدة لتخفت الإضاءة ويحلّ السكون أمام نظرات ميليندا الغاضبة وغيُّد السعيدة وكاتي التي كانت تُمسد على جبهتها بخيبة أمل، فهؤلاء الحمقى عازمون على تشوّيه الطفولة بأية طريقة....

بزغ القمر المُستدير لتتلألأ حوله النجوم الزاهية، وفي تلك الليلة الخريفية الساكنة والأشجار المتلاطمة بفعل الرياح، كانت تتحرك غيُّد صوّب هذا الجناح العجيب، تركت كاتي وميليندا في الحجرة ينامان على الفراش الفسيح وطفقت هي تتجوّل في خِضم الليل عندما قاربت الساعة على الرابعة فجرًا، تتحرك بخطواتٍ انسيابية وتتلفت يمينًا ويسارًا حتى لا يراها أحد.

صعدت الدرجات، الدرجة تلو الأخرى مع رأسها التي تتلفت حوّلها وقلبها الذي لا يتوقف عن الخفقان، تحسست التمثال الشيطاني بآناملها لتغمرها الأتربة ويزداد قلبها انقباضًا، فربما ترى الأشباح بالأعلى، كل شيء واردٌ في هذا العالم، أخذت نفسًا عميقًا ثم أطلقته وهي تواصل صعود الدرجات رغبة بإرضاء فضولها، فضولها هو الذي يسوقها دائمًا، مثلما ساقها للحصول على العديد من المعلومات، ودخول هذه الحجرة المحذورة بالمعرض.

كانت شباك العناكب تحاوط أطراف الحُجرة، والظلام هنا أكثر كثافة من بقية المنزل، يوجد كذلك العديد من التماثيل الشيطانية التي لا تفهم سبب وجودها، فلمَ يوجد هنا تمثال لوسيفير ؟ ولمَ يوجد تلك التماثيل الموجودة بقصر البارون ؟ كلها أسئلة تحوّم حول رأسها وتتوّقف مرة واحدة حينما رأت صوُّرة متوّسطة الحجم تحمل وجه أميرٍ ذو شعرٍ أصفرٍ وملامح وسيمة، لكنها صوُّرة ممزقة مليئة بالأتربة مثل الحجرة بالضبط.

واصلت سيرها وسط الخردوات والتماثيل لعلها تجد ما يُثير انتباهها أكثر، وما وجدته جعلها تتوّقف عن السير وتطالعه بنظراتٍ جاحظة مليئة بالذهول.

ابتسمت غيٌد بإعجابٍ وهي تطالع هذه الزهرة الحمراء التي يشع منها وهجًا، وضعت يدها على الإطار الزجاجي المحاوط لهذه الوردة السحرية، آرادت فقط أن تتلمس بريقها وتعرف كيف تطوف هكذا داخل الإطار الزجاجي، لربما استطاعت اخفاءها داخل ملابسها والعودة بها إلى بلدتها، أو الى الواقع.

رفعت الإطار الزجاجي بابتسامة متلهفة ونظراتٍ مذهولة، تحسست الزهرة بإعجابٍ بليغٍ جعلها تلتقطها وتشتم رائحتها التي لم تكن واضحة أبدًا، تكاد تكون بلا رائحة.

بدأ ضميرها يعبث معها ويُخبرها أن تُعيد الزهرة مكانها، فلا يجب أن تعبث بأغراض الغرباء، ولا يجب أن تأخذ ما ليس لها، هذا ما علٌمه إياه أبويها، وهي لن تُخيٌب ظنهما؛ قررت وضع الزهرة مكانها والعودة من حيث أتت، لكن الرياح تأتي بمَ لا تشتهيه السُفن، فسُرعان ما استمعت إلى صوّتٍ غليظ ارتجت عناصر الحجرة على إثره، صوّتٌ جعلها تتصلب مكانها وترتعد من الخوف، فهي تعلم لمن هذا الصوّت جيدًا، وتعلم عاقبة ما تفعل أيضًا...

-من الذي دلف هذه الحجرة!!

هذا الصوّت الغاضب الرعدي، جعل خوّفها يزداد أضعافًا، ويزداد أكثر حينما استمعت إلى هذه الخطوات وهي تقترب من الحجرة، تقترب منها حتى.....

الفصل الثالث (الوحوش ليست بأشكالها)

تدفعنا أقدامنا نحو الكوارث، ويدفعنا عقلنا لتكرار الكوارث ألف مرة، ونحن بين كل ذلك، فقط نُريد الهرب قبل الغرق في مستنقعٍ سحيق.....

لم تكن هذه الحجرة فسيحة وأنيقة كالتي بقي فيها النساء، بل كانت حُجرة صغيرة ضيقة تنبعث منها الروائح الخنيقة والأضواء الخافتة، حتى أن حجارتها الصلبة غمرت كل مكانٍ حولهم وجعلت البرودة تتسرب من تشققاتها وتضرب أبدانهم، كان مارك يجلس على الأرض مُتربعًا يلوح الغضب على وجهه، فهو يعتقد أن الوحش قد حرر الفتيات وأطلق سراحهن فقط لأنهن نساء، أصبح يكره النساء أكثر ويتمنى زوالهن عن العالم، فلا يأتي من ورائهن سوى الكوارث من وجهة نظره.

أما حكيم، فكان يتمدد على الأرض بإعياءٍ أخذ معه يُحرك هاتفه المُعطل على الأرض ويتمنى أن يستيقظ من ذاك الحُلم الذي لا ينتهي، فأولًا مطاردة الذئاب، ثم سجنهم في تلك الحجرة، وهذه فقط كانت البداية.

وسامي على مقربة منهما يتجوّل في الحُجرة وعقله شاردٌ في العديد من الأفكار أهمها كيفية الرحيل من هنا والتبرير لمُديره بالعمل حتى لا يطرده لأنه آضاع ماثيو، وبعد برهة من التفكير، انتصرت حاجته للنكوتين على أفكاره ليتذكر أنه لم يُدخن لفافة تبغه بعد، فربما هذا ما يُشعره بالصُداع بالإضافة إلى معدته التي تتضوّر جوّعًا، فهذا الطعام الذي أدخل إليهم كان باردًا لا مِذاق له، فقط كسرة من الخُبز مع حساءٍ لا يعرف مكوناته ولا يعرف إن كان حساءً من الأساس أم لا.

أخرج لفافة تبغٍ من جعبته ثم تبعها بإخراج قداحته وإشعالها حتى يستنشق هذه الأدخنة السامة ثم ينفثها فتنتشر رائحتها بتلك الحُجرة الضيقة، الأمر الذي بدوّره جعل مارك يشتاط من الغضب ويثب عن الأرض عازمًا على توبيخ سامي، وكأنه انتهز الفُرصة ليُفرغ من ضيقه.

-أنت أيها الأحمق .... ألا ترى أننا في حُجرة أشبه بعُلبة السردين ؟؟

رمقه سامي ببرودٍ استنشق معه بعض الأنفاس من لفافة تبغه وأخرجها على هيئة أدخنة كثيفة قبالة مارك وكأنه يُثير حنقه، خاصة مع كلماته الباردة:

-إن لم يُعجبك الأمر .... إذهب إلى الباب واستنشق ما تريده من الهواء....

التفت بوجهه بعيدًا وهو يواصل ببرودٍ حمل بعض السُخرية:

-فكرٌ بمعادلاتكِ أيها العالم الجليل حتى لا نجد أنفسنا داخل فيلمٍ من أفلام الرُعب

صك مارك على أنيابه بحنقٍ من نبرته الساخرة التي جعلته يثب من مؤّضعه وينقض على سامي انقضاضة الذئب على فريسته، أو انقضاضة الذئاب عليهم.

-أقسم أنني سألقنك درسًا إن لم تُطفئ لفافتك يا حثالة المُجتمع

دفع سامي دفعة قوية أسقطت لفافة تبغه على الأرض وجعلت الدماء تتغلغل بعروق سامي لينقض هو الآخر على مارك ويمسك كلًا منهما بتلابيب الآخر؛ وثب حكيم عن الأرض بعد أن وجد العراك يشتد بينهما داخل هذه الزنزانة.

-إهدو يا جدعان صلو على النبي

لم يُجيبه أي منهما وواصلا العراك ليتذكر حكيم أنهما مسيحيان، وأن مارك لا يفهم حديثه من الأساس؛ هذا ما جعله يقترب نحو سامي ليُحاول إبعاده عن مارك متفوّهًا :

-خلاص يا سام سيبك منه

ثم التفت نحو مارك ليواصل بإنجليزية مُتقنة:

-وأنت مارك ..... اعتبره طفلًا صغيرًا واتركه يفعل ما يُريد

تجهم وجه سامي وهو ينظر إلى حكيم الذي أفسد الأمر بكلماته العفوية التي جعلت سامي يُطالعه بنظراتٍ جحيمية قال معها:

-أنا عيّل صُغير

أمسك بتلابيب حكيم وهو يجابهه بكلماته وحكيم يحاول الاعتذار لكن الأمر ينقلب عليه وينتقل العِراك الذي كان بين مارك وسامي إلى عراكٍ بين ثلاثتهم حتى تعالت أصواتهم وبدأو بدفع بعضهم بعضًا.

-أيها الغُرباء ..... أيها الغُرباء توّقفوا

قطعهم هذا الصوّت القادم من مصدرٍ مجهولٍ جعلهم يتلفتون حوّلهم بنظراتٍ حائرة رمقت باب الزنزانة الذي يخرج الصوّت من خلاله، لكنهم لا يعلموا من أين يخرج بالضبط.

-أيها الغرباء .... أنا سأساعدكم

تبادلت نظراتهم في حيرة أكثر تذكروا معها أن هذا المنزل العجيب يحتوي على أثاث يتحدث ويتحرك كالبشر، هذا ما جعل حكيم يُعلق ببلاهة:

-أنا طول عُمري بسمع إن الحيطان ليها ودان .... أول مرة أشوفها على الحقيقة .... لأ دي طلعت بتتكلم كمان!!

تجاهل سامي تعليقه الأبله واقترب من باب السجن بخطواتٍ مُترقبة تبعه مارك بنظراتٍ مُستفهمة حتى وقف ثلاثتهم أمام هذه المربع المُفرغ الذي يُقسمه أعوادٌ حديدية، اتسعت حدقاتهم في ذهولٍ أكثر عندما وجدوا هذا الشمعدان يقف قبالتهم بملامح تُنزر بالارتباك، حيث كان يقول بصوّتٍ أقرب إلى الهمس:

-سأساعدكم على الرحيل من هنا .... سيّدنا لن يترككم أحياء .... لكن...

توّقف عن الحديث ليتلفت حوّله بحذرٍ ثم يقول بصوّتٍ خافتٍ قرّب معه وجهه من تلك الفتحات:

-لا تخبروا أحدًا عن هذا القصر ..... ولا عن سيّدنا

طالعه سامي بنظراتٍ حادة أكد معها:

-نحن لا نعرف أحدًا هنا من الأساس

ابتعد لوميير عن فتحات الباب متفوّهًا بأريحية:

-لهذا السبب سأساعدكم .... لكن يجب أن ترحلوا بأسرع ما يُمكن

-ماذا عن بقيتنا ؟

سأله حكيم بقلق ليُجيبه لوميير بطمأنينة:

-لا تقلقوا .... إنهم بخير

هذه الإجابة جعلت مارك يهتف بتذمر:

-حقًا !! .... لمَ لا تسجنوهن هنا وستسدي للبشرية خدمة جليلة .... خاصة هذه التي تُدعى ميليندا

طالعه لوميير بغرابة من حديثه بينما أصمته سامي وهو يجذبه صوّب الخارج حتى يلوذوا بالفرار قبل استيقاظ الوحش، طفقوا يتحركون في ممرٍ طوّيلٍ يحفه العساكر الساكنة وشُعلات النيران، وجدوا سُلمًا طوّيلًا آخره بصيصٌ من الأمل سيُساعدهم على الهرب من ذاك القصر نهائيًا، ربما سيأتو مجددًا لانقاذ بيقتهم، لكن الآن، يجب أن يهربوا قبل أن....

توّقفت أهدابهم مرة واحدة بعد أن ظهر الوحش قبالتهم يُطالعهم بنظراتٍ تتقض شرًّا، كان يجز على أنيابه بغضبٍ عارمٍ ويُزمجر زمجرة أقرب إلى زمجرة ديناصورٍ من العصر الحجري؛ ابتلع حكيم ريقه واختبأ خلف سامي الذي كان يتقهقر إلى الوراء محاولًا قدر الإمكان المحافظة على ثباته، بينما كان مارك يُطالع الوحش بنظراتٍ مذهولة أخذ معها يُترجم العديد من المقولات العلمية والبيولوجية التي كوّنت وحشًا كهذا.

-كيف خرجتم من الزنزانة ؟

انسابت قطرات العرق على وجوههم وهم ينسلون الدرجات ببطءٍ شديدٍ وكل ما يجول بعقولهم الآن هو، أين لوميير ؟ وهل كانت هذه خدعة للتخلص منا ؟ أو ما الذي سيفعله الوحش بنا ؟ فبالطبع سيلتهمهم، فهُم ليسوا أبطال الحكاية على أي حال.

بقي الوحش يقترب نحوهم ويكشف على حوافره الطويلة أمامهم مما جعل سامي يزدرد ريقه وهو يقول بخوّف:

-نحن كنا .... كنا ... كنا نحاول المساعدة

تذكر سامي تلك الحكاية التي قصتها عليهم كاتي وهم بالغابة وتذكر أن الوحش يجب أن يعثر على حُبه الأول حتى تنزاح عنه هذه اللعنة، وبسبب تدخلهم بالأحداث بات العثور عليها شبه مُستحيلًا، توّقف الوحش عن الاقتراب منهم وبقي يُطالع سامي باستفهامٍ حتى أردف:

-سنُساعدك حتى تنزاح عنك هذه اللعنة .... وتعود أميرًا وسيمًا

أنهى حديثه ببسمة مُرتبكة جعلت الوحش يخفض حوافره وتلين ملامحه وهو يسأل بصوّتٍ أجش:

-كيف ذلك ؟

تبادلت نظراتهم في استفهامٍ قبل أن يواصل سامي مُتذكرًا طبيعته المخادعة التي يستخدمها في إبرام الصفقات والعقود واستمالة الشُركاء:

-سنذهب إلى المدينة .... وسنجد لك الفتاة التي ستُساعدك بفك اللعنة .... نحن ... نحن نعرف من هي

أنهى حديثه بثقة جعلت هالة من الصمت تحاوطهم ليبدأ الوحش بالتفكير في حديثه وتخيّل ذاته أميرًا وسيمًا في قصره الفاخر، فهو يُريد التخلص من هذه اللعنة قبل أن تسقط بتلات الوردة، وربما الحل بين أيديهم بالفعل، لكنه لا يزال يشُك بهم، فهم مجموعة من الغُرباء حاولوا اقتحام خصوصيته وتدمير ممتلكاته.

-حسنًا .... سأساعدكم على الرحيل .... لكن إن لم تعثرو لي على هذه الفتاة

ضيٌق عينيه بوٌعيدٍ قال معه بلكنة تهديدية:

-سأسجنكم هنا مجددًا.....

أشرقت شمس يومٍ جديد في تلك المدينة الخيالية، فكانت العصافير تُغرد كفرقة مُوسيقية، والورود تهتز معها كراقصاتٍ استعراضيات، ووسط ذلك، كانت غيٌد تتململ على فراشها مُتذكرة ما حدث ليلة أمس، فقد كانت بتلك الحجرة ترضي فضولها كالعادة حتى وجدت هذه الزهرة التي تذكرت فيما بعد أن كاتي قد أخبرتهم عنها وقالت أنها سبب اللعنة، لكنها تذكرت ذلك الآن، بعد أن أخذت الزهرة لترضي فضولها!!

تذكرت أيضًا زمجرة الوحش القريبة من الحُجرة حتى كادت تنصهر خوٌفًا من الامساك بها ووضعها بالزنزانة، هذا ما جعلها تُعيد الزهرة بسرعة وتختبيء في

إحدى الأركان أثناء رؤيتها للوحش وهو يقتحم الحُجرة ويتلفت يمينًا ويسارًا ثم يخرج في غضبٍ جعلها تُطلق الهواء من جوّفها بأريحية، فقد ظنُّت للحظة أنه سيُفتك بها، لكن العجيب أن ملامحه_ رغم كوّنها غاضبة_ إلى أنها حمّلت لينًا وهدوئًا وكأنه يُحاول تخبئة اللين والهدوء بداخله، فهو لن يأذيهم مهما كانت نبرته غليظة وكلماته وقحة مُهددة.

تململت على الفراش حتى وضعت يدها أسفل الوسادة لتُخرج تلك الزهرة وتتعجب من عدم ذُبلانها، كانت قد قررت إعادتها مكانها قبل أن يكتشف الوحش، لكنها لم تكن تعرف كيف، حتى أنها حاولت اخفاءها عن تلك الخزانة التي على الأحرى لا تعلم ماهيتها.

وثبت عن الفراش تقترب نحو الشُرفة حيث تجلس ميليندا ومعها كتابًا قد استعارته من تلك المكتبة العريضة، فطبيعتها العلمية تجعلها تقرأ جميع الكُتب وتُحللها في أي زمانٍ أو مكان، انتبهت ميليندا إلى تلك الزهرة التي تحملها غيُّد وظنُّت أنها زهرة عادية قد اقتطفتها من الحديقة، لكن غيُّد رسمت بسمة متلهفة على ثغرها وهي تقول :

-إنظري إلى هذه الزهرة العجيبة .... وضعتها أسفل الوسادة ليومٍ كاملٍ ولم تتأثر

جحظت عينا ميليندا بإعجابٍ أغلقت معه كتابها والتفتت نحو هذه الزهرة متفوّهة:

-واو ... هذا رائع .... هل يُمكنني أخذها ؟

مدُّت يدها لتلتقط هذه الزهرة لكن غيُّد آبت وتمسكت بها متفوّهة بإصرار:

-لا ... ستبقى معي حتى أعيدها .... أنا التي وجدتها أولًا

-لا تكوني سخيفة .... أعطيني إياها وسأعيدها لكِ مُجددًا

بدأت ميليندا تعاركها بتلك الكلمات وهي تحاول التقاط الزهرة وتهم غيُّد بالرفض وكأنها حصلت على غنيمتها، وما هي إلا لحظاتٌ وجيزة حتى ارتفعت أصواتهما وباتت كل واحدة منهما تحاول الحصول على هذه الزهرة بأية طريقة.

-أخبرتكِ أنها ستبقى معي .... لا تحاولي أخذها مجددًا

رفعت ميليندا من صوٌتها وهي تتذمر:

-لكنها لا تخصكِ

كادت غيٌد تجابهها لولا هذه الشهقة التي انطلقت من كاتي بعد أن سقط فكها أمام هذا المشهد، كانت تتمنى في تلك اللحظة أن تضحى هذه مجرد زهرة عادية من الحديقة، لكن لا، الحديقة هنا لا يوجد بها زهرة واحدة، والزهور المؤجودة هي زهورٌ ذابلة وسوداء وهي تعرف ذلك جيدًا على عكسهما، وتعرف أيضًا ما هذه الزهرة الحمراء ذات البتلات المُشعة:

-ماذا تفعلينه أنتِ وإياها ؟ ..... كيف حصلتما على هذه الزهرة ؟

قالتها بنبرة مؤبخة تحمل مزيجًا من الصدمة والرغبة بالفتك بهما، لكن غيٌد آجابتها بفخر:

-أنا التي أحضرتها

صرخت كاتي بوجهها بلكنة آمرة:

-إذا أعيديها بسرعة ..... ألا تعرفان أن هذه الزهرة هي سبب اللعنة ؟

قطبت ميليندا حاجبيها وهي تتسائل:

-لكنكِ قُلتِ أن هذه الزهرة لديها بتلة واحدة ستسقط قريبًا وينتهي معها فرصة الوحش للعودة إلى طبيعته .... وهذه الزهرة مُكتملة البتلات

آشارت على الزهرة مع آخر كلماتها لأنها زهرة متكالمة لا تعرف كيف بقي بها بتلة واحدة، وهذا أيضًا ما لا تعرفه كاتي، لكنها تعرف أنهم داخل إحدى أفلام الأطفال، فلن يُدققوا على أمورٍ كهذه:

-نعم هذا صحيح .... لكنكم يُجب أن تُعيدوا هذه الزهرة قبل أن_

وما كادت تواصل الحديث حتى استمعن إلى صوٌت يرتج له من بالقصر، فيبدو أن مخاوفهن قد تحققت الآن؛ طغي الارتباك على ثلاثتهن وتلفتت كاتي حوٌلها وهي تهتف بذعر:

-يجب أن نهرب

هرّولت بأقصى ما لديها صوّب باب الحُجرة لتتبعها ميليندا وتترك غيّد الزهرة على الفراش حتى لا يتم الفتك بها، لكنهن ما إن فتحن الباب حتى قابلتهن أعينه الخضراء الغاضبة ونظراته الرعدية التي تُنزر بالخطر، خاصة بعد أن لمِح زهرته العزيزة ترتكن على الفراش بوهيجها البراق.

كشف الوحش عن أنيابه وهو يتقدم نحوهن متفوّهًا:

-من الذي سرق الزهرة ؟

ابتلعن ريقهن في هلع وبدأت كل واحدة تُشير على الأخرى بآصابع الاتهام، فكانت كاتي تُشير على غيّد وميليندا كذلك، وغيّد تخفض أيديهما وتُشير على كاتي وميليندا أمام نظرات الوحش المُرعبة والذي كان على شفا جرفٍ من الانفجار بسبب أفعالهن، حيث أخذ يتقدم نحوهن ويُزمجر بغضبٍ حتى انحبست أنفاسهن وانهالت قطرات العرق على وجوههن مما دفع غيّد لتُطلق شهقة مذعورة آشارت معها على بُقعة نائية وطفقت تقول:

-هناك حريقٌ بالقصر

التفت الوحش حوله صوّب هذه البقعة التي تُشير عليها غيّد ليكتشف أنها خدعة، وأن التفاتته سمحت لهن بالهرب والهرولة بعيدًا عن القصر، فإذا بقين أكثر من ذلك فسينتهي بهن الأمر تمامًا، انسللن الدرجات بأقصى سُرعة وواصلن الركض حتى اعترضهن مجموعة من العساكر الحديدية التي اعترضتهن بالسيوف ومنعت هروبهن من القصر، التفتن خلفهن ليجدن الوحش يقف على مقربة منهن يطالعهن بنظرات متخاذلة أكثر من كونها غاضبة، لكن ما يعرفنه الآن، أنه لا نجاة من العقاب هذه المرة!!

تجتمع المنازل البسيطة هنا مع الباعة الجائلين والأسواق البسيطة، فكانت هناك سيدة تبيع العطور ورجلٍ يجرّ عربة اليقطين، وبائع الخُضار وغيرهم من النساء والرجال المنهمكون بالعمل.

خرج سامي من متجر الملابس يرتدي بزة كحلية طويلة أسفلها بنطالٌ من نفس اللون وقميصٌ أبيضٌ يعلوه صديري أسوٌد مُزرقش وترك خصلات شعره البنية اللامعة بطريقة عشوائية، وحكيم بجواره يرتدي قميصُ أبيضٌ ذو أكمامٍ واسعة وسوارٌ من الجلد يُمسك بمعصمه مع صديري بني اللون مليء بالنقوش يخرج منه طبقاتٌ من الأقمشة الخاصة بالقميص، ويجتمع معهم بنطالٌ بُني ضيّق وحذاءٌ داكنٌ طويل يصل إلى الرُكبة مع قُبعة أنيقة، أما مارك فقد اكتفى بارتداء بزة رمادية أسفلها قميصٌ أبيضٌ باهت وصديري بني اللون يميل إلى الأحمر مع رابطة عُنقٍ سوداء وبنطالٌ ضيّق بنفس لون البزة مع حذاءٍ أسوٌدٍ طويل وقبعة أرستقراطية تناسقت مع عويّناته السوداء، فكانوا أشبه بأمراءٍ من الطبقة المخملية والعصر الفيكتوري، هذا بعد أن أعطاهم الوحش حفنة من الأموال ليتبدروا أمورهم وهم يحاولون العثور على الجميلة.

أوهموا الوحش بأنهم سيُساعدونه على فك اللعنة، لكن الحقيقة أنهم يساعدون أنفسهم، فهم يعثرون على نهاية هذه الحكاية حتى يرحلوا من هنا، ويتمنوا أن ينتهي الأمر على خير، لا يُريدون البقاء في ذاك العالم الخيالي الذي يُثير جنونهم.

-كيف سنعثر عليها ؟

سألهم مارك بحيرة ليُقهقه حكيم بتهكمٍ قال معه:

-بسيطة...

ثم التفت نحو أحد المارة ليسأله:

-عفوًا يا سيٌد .... هل يوجد هنا فتاةٌ جميلة تُدعي ... تٌدعى...

تناسى الاسم للحظة لأنه لا يشاهد هذه الأنواع من الأفلام، هو فقط يشاهد الأبطال الخارقون، لكن سامي، كان قد تذكر هذا الاسم الذي أملته عليهم كاتي، فهو لا ينسى بهذه السهولة.

-بيلا .... اسمها بيلا

آضاف سامي على كلماته لتعلو وجه الرجل ابتسامة بلهاء شغوفة وهو يقول:

-بيلا... !!

غرق في أحلام اليقظة وكأنه يتذكر جمالها ثم عاد إلى الواقع وهو يُشير لهم على إحدى البقاع، وكان يتأملها بشغفٍ وهو يُشير عليها وكأنه يتخيل نفسه يقطن معها في نفس المنزل وتُطعمه بيدها حبّات الكرز قبل أن تداعب خصلاته حتى ينام بين يديها.

التفت ثلاثتهم صوّب هذه الفتاة البريئة التي تجلس بالقُرب من النافورة ويلتف حولها الخِراف، كان معها كتابٌ أزرق وكانت تُمسد على رأس الخِراف بحنانٍ أخذت تحكي معهم هذه الحكاية التي تقرأها، التفت سامي نحوهما ليردف بتقرير:

-هيا .... يجب أن نستدرجها إلى القصر

لم ينتظر إجابتهما وواصل الطريق صوّب بيلا وهو يُعدّل من ياقة ملابسة ويُرتب خصلات شعره المتناثرة محاولًا أن يبدو جذابًا قدر الإمكان، وقف قبالتها لينعكس ظله عليها ويجعلها تتوّقف عن القراءة لتُطالع هذا الغريب الذي يتقدم نحوّها، رفع سامي قدمه على حافة النافورة واستند بمرفقة عليها وهو ينبس بجاذبية:

-مرحبًا أنسة بيلا ..... سمعت الكثير عن جمالكِ وبرائتك .... لكن ما سمعته لا يُعادل ذرة واحدة مما آراه أمامي من جمالٍ وآناقة

ابتسمت بيلا بخجلٍ قالت معه ببراءة:

-شكرًا لك ... لكنني_

كادت تستأذن وترحل من أمامه منفذة تعليمات والدها الذي يُحذرها من التحدث مع الغُرباء، كما أنها لا تؤمن بالحُب الذي يأتي من النظرة الأولى، فيجب أن يأتيها الأمير وينقذها من الأهوال حتى تتعلق به وتتزوجه، وما قطع حديثها هو كلمات مارك المذهولة بعد أن طالع هذه الحكاية التي تقرأها:

-الأميرة أنستازيا .... هل تقرأي حكايتها ؟

ذُهلت بيلا من حديث مارك وتعجبت من وجود أحدهم يعرف الكُتب ويُحب القراءة مثلها، فنادرًا ما تجد أمثاله في مثل هذا العصر وفي هذه المدينة:

-مهلًا .... هل قرأت هذه الرواية ؟

سألته بعدم تصديقٍ ليتناسى مارك موٌقفهم ويُجيبها بحماس:

-هل تمزحي معي .... أنا قرأتها ثلاث مرات .... وقرأت أيضًا جاك وحبة الفاصولياء، والذئب والثلاث نعجات، وأحدب نوتردام....

أخذ يُعدد لها ما قرأه من الروايات والحكايات التي أحب قرائتها مُنذ الصِغر وكان يجدها ملاذًا لمَ كان يُعانيه، وكانت هي مع كل كلمة ترمقه بإعجاب وتتفاجيء من وجود مثقفٍ غيرها على وجه القرى الأرضية.

-هذا مُذهل !! .... لم أرى أحدهم من قبل يُحب القراءة مثلي

قالتها بلهفة قابلها مارك بتهكم خرج منه بطريقة عفوية:

-وأنا لم أرى فتاةً من قبل تقرأ هذه الكُتب وتفعل شيئًا مُفيدًا

ذبلت ملامح بيلا مرة واحدة بعد أن استشفت القليل من الإهانة في حديثه، لكنها تداركت الأمر وقررت الرحيل حتى لا يبقى والدها وحيدًا بالمنزل، احتضنت كتابها ورسمت بسمة هادئة على ثغرها وهي تقول:

-علي الرحيل الآن .... تشرفت بمعرفتك سيد....

توٌقفت عن الحديث ليُجيبها مارك بنبرة متعالية:

-مارك .... أدعى مارك

اتسعت بسمة بيلا وهي تُرحب به متفوٌهة:

-حسنًا مارك .... تشرفت بمعرفتك ... وأنا أدعى بيلا

صافحته بوٌدٍ قبل أن ترحل وتعدو نحو منزلها البسيط، وما إن رحلت حتى التفت كلًا من سامي وحكيم حوٌل مارك بنظراتٍ مُعجبة لم يفهمها مارك أبدًا، فكانت كلماته مع بيلا مجرد كلماتٍ عفوية لم يحسب لها حسابًا، لكن يبدو أنه قد نجح فيما لم ينجح به سامي.

ربت سامي على ظهره متفوٌهًا بفخر:

-أحسنت أيها العالم الجليل ....

رسم بسمة متمعنة جعلت مارك يرتبك خاصة وهو يطالع نظرات سامي وحكيم التي شعر لوهلة أنها ستنتهك أغلى ما يملك.

-مـ... ما بكما يا رفاق .... لمَ ترمقانني هكذا ؟

سألهم ببعض الحِدة ليرميه سامي ببسمة متشفية بادلها مع حكيم الذي نبس باستنتاج:

-ها قد علمنا كيف سنوّقع الجميلة

تلفت مارك يمينًا ويسارًا قبالتهما وهو يردف بارتباك، لا يُريد أن يتحقق ما يُفكران به، فهو لا يكره بحياته أكثر من النساء، ونظراتهما المُحدقة به جعلته يغرق أكثر في بئرٍ من الخوف والذعر.

-ما الذي تُفكران به ؟ ..... ولمَ تحدقا بي هكذا

ربت سامي على ظهره وهو يقول مطمئنًا:

-إهدأ يا صاح .... كل ما عليك فقط هو اجتذاب الجميلة .... يبدو أنها اختارتك أنت

اتسعت حدقتي مارك في ذعرٍ أكثر وهو يقول برفض:

-ماذا !! ....لا، هذا مُقزز .... أنا لا أطيق بحياتي أكثر من النساء وأنت تُرغمني على التقرّب من تلك الكائنات اللزجة .... هذا مُستحيل

ربط ذراعيه بتذمرٍ جعل سامي يحاوطه بذراعه ويحاول إقناعه:

- وأنا لا أخبرك أن تُعلقها في حِبال عشقك وتتزوجها .... أنا أقول فقط أن عليك التقرب منها حتى نستدرجها نحو قصر الوحش .... وهي قد أعجبت بشخصيتك وذكاءك أنت .... فأنت الذي سيستطيع الإيقاع بها

آضاف حكيم على حديثه برجاءٍ وهو يسير بجوار مارك من الجهة الأخرى يحاول إقناعه هو الآخر:

-أرجوك مارك .... أريد الرحيل من هنا ..... لدي متابعون علي تفقدهم

واصلا إلحاحهما وهما يسيران بجواره باتجاه منزل بيلا الذي سأل حكيم عنه عندما كان مارك يتحدث مع بيلا، وأمام إلحاحاتهما وإصرارهما على الأمر وجد مارك نفسه موافقًا رغم أنفه ورغم مقته للنساء، لكنه أيضًا يُريد العودة ويُريد لهذه الحكاية أن تنتهي بأسرع وقتٍ وبأية طريقة، حتى لو اضطر إلى اختطاف الجميلة وإرغامها على الزواج من الوحش.

توّقفوا أولًا داخل مكتبة عتيقة يترأسها رجلٌ أشيبٌ قصير ذو خُصلات شعرٍ بيضاء وشاربٍ كثيف ووجهٍ يحفه التجعيدات، كانت الأتربة تتراكم على الكُتب ذات الأغلفة السميكة والقصص المُثيرة، تعجب رئيس المكتبة من وجودهم وظنٌ أنهم مجموعة من الأرستقراطيين من مدينة أخرى، حاول مساعدتهم في إيجاد الكتاب المناسب لكن مارك اختار رواية بعينها وأخبرهم أنه سيبتاعها للجميلة كما خططوا.

عندما تركوا المكتبة، حاوّط سامي مارك بذراعه أثناء مواصلة السير، فكان ينصحه بجدية:

-عليك أن تقدم لها هذه الهدية .... ولا تنسى أن تضحى عميقًا ودودًا .... لا تجعل لسانك ينطلق بوجهها كالقطار

أومأ مارك مُرغمًا ليُحاوطه حكيم من الجهة الأخرى متفوّهًا:

-أخبرها أنك تُريد أن تتناول العشاء معها ....

-ولا تنسى أن تكون عفوٌيًا وعلى طبيعتك .... لكن ليس كُليًا

-ولا تجعلها تشعر أنك مرغمًا على فعل ذلك .... اجعلها تشعر أنها مهمة بالنسبة لك

أخذا يُمليان عليه بعض النصائح ومارك يوميء برأسه ويلعن تلك اللحظة التي لفت فيها نظرها، فهو الآن عالقٌ لا محالة، ولا يعرف متى ستنتهي خطتهم، فربما يتزوٌج بها وتنتهي الحكاية ويبقى هو عالقٌ هنا.

توّقفت أقدامهم أمام منزلٍ صغيرٍ من الطوب البني العتيق، وكانت الجميلة تُدندن بصوّتٍ ساحرٍ أثناء قيامها بتنظيف الملابس جوار البئر، تيبست أقدام مارك على

الأرض ولم يكن يُريد الاقتراب لولا دفعة سامي التي جعلته يتقدم نحوها ليجعلها تترك ما تفعل وتنتبه لوجوده بحيرة وبابتسامة رقيقة.

-أهلًا مارك

رمقها مارك بنظراتٍ مُزدرية قال معها وهو يدفع الكتاب قبالتها:

-خذي هذا

أطبق سامي على شفتيه وهو يزغر له ليُحمحم مارك قبل أن يُعدل حديثه:

-عفوًا .... أحضرت لكِ هدية

أنهى الحديث بابتسامة بلهاء زائفة جعلت الجميلة تبادله بابتسامة رقيقة وهي تلتقط منه الكتاب متفوّهة بحماس:

-هل هذا لي !! .... عن ماذا يحكي هذا الكتاب ؟

أخذت تتصفح الكتاب بحماسٍ بالغٍ أمام مارك الذي طفق يشرح لها تلك الرواية التي ابتاعها:

-يحكي عن أليس في بلاد العجائب ..... عن فتاةٍ حمقاء وجدت ثغرًا بالشجرة فقررت دخولها لسببٍ لا وجود له مما جعلها تقع في العديد من الكوارث التي سببتها بحماقتها ....

تنهد بعد حديثه ليواصل بتهكم أمام نظرات سامي المُشتعلة:

-هؤلاء الفتيات لا يتوقفن عن الحماقة ... حتى بالحكايات

تلقى صفعة على رقبته من سامي الذي اشتعل غضبًا من كلماته التي ستُفسد خطتهم؛ وبعد هذه الدفعة، انتبه مارك على خطأه فحاول تداركه بابتسامة بلهاء:

-أقصد .... جميع الفتيات عداكِ

كانت ملامح الجميلة حائرة في البداية لا تفهم سبب التناقض في حديثه لكنها لانت عندما قال هذه الكلمات وواصلت تصفح الكتاب لتلفحهما فترة من الصمت زاد فيها ارتباك مارك وكانت الجميلة على وشك الرحيل، أخذ سامي يُشير بعينيه وحكيم

يهمس ويُحرك يديه حتى يُباشر مارك بالحديث قبل أن ترحل بيلا، الأمر الذي زاد من ارتباك مارك وجعله يتنحنح ليُجلي حنجرته قبل أن يعرض بطريقة درامية مبالغٌ بها:

-آنسة بيلا .... أنـاا ... أنـاا ... أريد أن أخبرك شيئًا

رفعت الجميلة نظراتها عن الكتاب لتُطالعه بحيرة انتظرت معها حديثه، وكان مارك يُعدل من ياقته قبل أن يُنّحي ارتباكه جانبًا وهو يقول:

-أحبكِ بيلا .... أحبكِ من أول نظرة

عض سامي على شفتيه بحنقٍ همس معه حتى ينتبه مارك أنه لا يجب أن يعترف الآن:

-ليس الآن... ليس الآن

انتبه مارك على همساتهما فحاول إصلاح ما أفسد لكن الجميلة كانت قد التقطت حديثه وبدأتُ تُشير على نفسها بدم تصديق:

-تُحبني أنا ؟

تبلمت نظرات مارك أمامها وهو يحاول ضبط كلماته حتى قال برومانسية مبالغة:

-نعم أحبكِ .... أنتِ بالنسبة لي ....

أخذ نفسًا عميقًا ثم أخرجه ليواصل بطريقته الدرامية التي بسط معها ذراعه كحركة ارستقراطية:

-أنتِ بالنسبة لي كالحيوانات المُقبلة على الانقراض

ضرب سامي جبهته بيأسٍ وغضب بينما علّق حكيم بسُخرية:

-هو كان هيقولها إنها باندا ولا إيه ؟

انقض سامي على مارك ليجذبه نحوّهما من ياقة ثيابه ويوّبخه على حديثه " الرومانسي " الأحمق هذا، التصق مارك بهما ليهمس سامي بأذنه موّبخًا:

-ألن تجد أغبى من ذاك الوصف ؟

تشبث سامي بياقة مارك من الخلف أمام نظرات الجميلة الحائرة التي لا تفهم شيئًا، بينما كان مارك يُبرر ما قاله بهمس:

-ماذا ؟؟ .... كُنت أقصد أنها نادرة

أطبق سامي على شفتيه مجددًا وزغره بعينيه قبل أن يدفعه مرة أخرى ليثب أمام الجميلة يحاول تصليح ما أفسده بكلماته المُرتبكة:

-أقصد أنكِ .... بالنسبة لي .... أفضل من أي فتاةٍ رأيتها بحياتي

ابتسمت بحرجٍ وهي تتقدم نحوه بضعة خطواتٍ وتقول ببراءة:

-شكرًا

أخفضت رأسها وقررت العودة إلى والدها لولا كلمات مارك المندفعة التي أوقفتها:

-ما رأيكِ بعزيمة على العشاء ؟

توّقفت بيلا عن السير لتعلوها ابتسامة متلهفة التفتت معها نحوه لتُعلق بعدم تصديق:

-حقًا !! .... أين ؟

انتهز مارك الفُرصة ليرفع قامته بشموخٍ آجاب معه:

-أين سيكون يا فتاة ؟ .... بالطبع في قصري الكبير المليء بالخدم والحشم .... حيث سنتناول أفضل المأكولات وسنرقص حتى الصباح

ذبلت ملامح بيلا وطالعته بغرابة وبعض الازدراء، ليس لأنها لا تُصدق حديثه الكاذب، بل لأنها لا تهتم لتلك الأمور، وما إن لاحظ مارك نظراتها الذابلة وسامي وحكيم اللذان كادا ينفجران بسببه، قرر أن يهبط على أرض الواقع بقوله:

-أمزح .... سنتناول العشاء في منزلٍ بسيط .... فأنا لا أملك قصرًا من الأساس

اتسعت بسمة بيلا وهي تومىء برأسها وتوافق على عزيمته قبل أن تستأذن بهدوءٍ وتعود إلى الداخل مع اقتراب الشمس من الغروب، ما ان اختفت بيلا حتى هرع

سامي نحو مارك ليواصل توّبيخه على تلك التراهات التي قالها والتي كادت توّقعهم أكثر من مرة لكن لحُسن الحظ لم تكن الجميلة كالسيدات في عالمهم، فكانت أكثر براءة وسذاجة.

-أين سنتناول هذا العشاء ؟

سأل مارك بحيرة ليُجيبه سامي وهو يدفعه للسير هو وحكيم:

-لا تقلقوا .... أستطيع تدبّر الأمر...

بدأوا التحرك في أركان المدينة بحثًا عن منزلٍ صغيرٍ ليقوموا بتأجيره ويواصلوا تنفيذ الخُطة أمام أعين هذا الرجل القصير ذو الهالات الحمراء والجسد البدين الذي اجتمع مع ثيابه البسيطة ونظراته المذهولة، هرع هذا الرجل فوّرًا إلى حيث يجلس سيده داخل إحدى الحانات يتجرع كوبًا كبيرًا من الخمر ويُشاهد المارة بخيلاء، كان الآخر مذعورًا لا يُعرف كيف يدلي هذا الخبر أمام سيده لكنه قال في جميع الأحوال :

-سيدي ..... الجميلة تُحب رجلًا آخرًا

اشتعلت نظراتُ جاستون إثر ما قاله تابعه وطفق يقبض على كوب الخمر متفوّهًا بعدم تصديق:

-ما هذا الهُراء ؟

تقدم نحوه الرجل وأخذ ارتباكه يزداد أكثر وهو يؤكد حديثه:

-شاهدته يقوم بعزيمتها على العشاء .... ويعترف لها بحُبه

ازداد غضب جاستون أكثر حتى ألقى بكوّب الخمر على أرضية الحانة ليتحوّل إلى مجموعة من الشظايا، وثب بعدها عن كُرسيه الوثير متفوُهًا بغضب:

-من هذا الحقير ؟ .... وكيف يجرؤ على الاقتراب من ممتلكاتي ؟

رفع تابعه كتفيه بجهلٍ قال معه:

-لا أعرف ..... لا يبدو أنه من هنا

كاد جاستون يشتعل غضبًا وهو يجوب الحانة ذهابًا وإيابًا بنظراتٍ مُشتعلة تجعلك تشعر أنه أشبه بالوحوش، رغم وسامته وطوله الفارع وجسده الرياضي المليء بالعضلات، كاد يُحطم الحانة غضبًا من ذاك الوغد الذي اقتحم حياة محبوبته رغم أن الجميلة رفضته أكثر من مرة، وهذا ما يزيد من حدة غضبه أكثر، فكيف توافق على غريبٍ لا تقارن وسامته بوسامته، ولا توافق عليه هو، هو لن يقبل الخُسارة بتلك المعركة، لن يقبل أن يضحى مرفوضًا ومُنهزمًا أمام وغدٍ حقير، يجب أن يتصرف بأسرع وقت.

اقترب نحوه تابعه بعد أن غرق في نيران الغضب لفترة، أمسك بياقة تابعه القصير ليرفعه عن الأرض ويأمره بنظراتٍ مُشتعلة:

-اسمعني جيدًا .... أوجد لي هذا الحقير بأية طريقة

تركه على الأرض ليرتطم جسد القصير لكنه يثب بسرعة ويُعدل من ثيابه أمام جاستون الذي عاد ليجلس بخيلاء على مقعده الوثير، اقترب التابع نحوه بنظراتٍ فضولية سأل معها ببعض الارتباك:

-ما الذي تنوي فعله ؟

أمسك جاستون الكوب الزجاجي ليملأه خمرًا ويُقربه من فمه متفوّهًا بنظراتٍ تشع مكرًا وشرًا:

-سأتخلص من هذا الوغد!!

الفصل الرابع (خداع الجميلة)

تذكر دائمًا أن أخطر الطُرق، هي وحدها من ستُساعدك على النجاة....
النيران تشتعل من جميع الجوانب رغم عدم وجود لهيبها في الأجواء، فكانت تشتعل من الوحش الذي يُريد الفتك بمن عبث بممتلكاته، ومن العساكر الحديدية التي رغم عدم ظهور ملامحها، إلا أن سيوفها الحديدية كانت مبعثًا للخوف بالنسبة لهن، حيث وقف الثلاث فتيات بين هذه الأهوال لا يعرفن طريقة للنجاة، يعرفن فقط أن عليهن الهرب... وبأية طريقة!!

أخذن يتلفتن حولهن في ذعرٍ وحيرة وكلما بقين أكثر، كانت الهوة تضيق والوحش يقترب بنظراته الغاضبة والعساكر من الجهة الأخرى لتنفيذ التعليمات، وقتها، قررت كاتي أن عليهن استخدام آخر بطاقاتهن، هي لم تُرد أبدًا هذه الطريقة، لكن الآن، يبدو أن القدر يفرض عليهن الطريق.

أخفضت غيْد جذعها وهي تخترق الحُراس لتتبعها كاتي وميليندا التي دفعت واحدًا من العساكر ليتساقطوا فوق بعضهم، أخذن يركضن بأقصى ما لديهن صوّب باب القصر عازمين على الفرار مهما تطلب الأمر، فبقائهن في هذا المكان مُنذ البداية لم يكن صائبًا، حسنًا، بقائهم جميعًا في عالمٍ كهذا ليس صائبًا أيضًا، لكن، إذا كان القدر قد دفعهم هنا، فالقدر أيضًا سيُساعدهم على الرحيل.

عبرن بوابة القصر لينطلقن في حديقة ذات أوراقٍ شجرٍ ذابلة وحشائش قليلة ميتة، تخطين الحديقة ليعبرن من خلال البوابة الحديدية الكبيرة، فأخذت ميليندا تركض أمامهن برهبة لا تنظر أمامها ولا خلفها، حتى أنها سبقت بقية الفتيات لكونها الأسرع في الركض.

تصلبت أهدابهن مرة واحدة أمام جمع الذئاب التي انقضت عليهن وآعادت لهن ذكرى هذه المطاردة التي بدأ بها يومهن في هذا العالم؛ شهقت كاتي بخوفٍ وهي تتقهقر للوراء هي وغيْد التي تناست رغبتها في الهرب وآرادت الاختباء في القصر مجددًا، فالسجن أفضل من أن يلتهمهن ذئبٌ مُفترس.

تراجعت كاتي للوراء وقررت العودة إلى القصر بسرعة هي وغيْد قبل أن يفترسهما هذا الذئب، فبدلًا من أن يركضن خارج القصر، وجدوا أنفسهن يركضن إلى الداخل

بقلبٍ مذعورٍ وأنفاسٍ تتلاحق، أمسكت غيّد باب القصر لتختبيء خلفه كما فعلت كاتي هي الآخرى، أما ميليندا التي كانت تسبقهن بخطوات، لم تجد ما يكفي من الوقت حتى تعود إلى القصر، فما إن تحركت حتى انقض عليها الذئب مرة واحدة!!

-ميلـــيندا!!

صرخت كاتي بتلك الكلمات وهي ترى الذئب ينقض على ميليندا ولا تعلم ماذا تفعل، فهي أضعف من أن تواجه ذئبًا كهذا، بل مجموعة من الذئاب!!
أطلقت ميليندا صرخة مدوية وهي تهوي على الأرض إثر الدفعة وتحاول الاستنجاد بصوّتها الذي اختلط مع بكاءها، كانت ترى الذئب يجثو على صدرها والزبد يسيل من فمه مع نظراته المُفترسة التي كادت تجعلها تبصق فؤادها من الخوف، ترقرقت دمعاتها في صمتٍ وهي تحاول التحرك لتتفاجأ بهذا الجمع من الذئاب التي تحاوطها وتجعلها فريستهم.

زمجر الذئب في وجهها وكشف عن أنيابه وهو يقترب من رقبتها؛ رفعت يدها صوّب وجهها لحماية نفسها وهي لا تتوّقف عن البكاء وزميلتيها يحاولان العثور على طريقة لإنقاذها دون أن يتأذيا، سلمت ميليندا الراية وتأكدت أنها ميتة لا مُحالاة، ستموت في هذا العالم وهي صغيرة لم تكد تتخطى عقدها الثاني، لكن يبدو أن للقدر رأي آخر!!

لفحتها نسماتٌ عليلة من الهواء إثر هذه الدفعة التي طار الذئب على إثرها وابتعد عن جسدها؛ رفعت ميليندا قامتها لتتفاجأ من وجود الوحش يقف قبالتها ويقاتل الذئاب في شراسة، كان يُطلق زمجراتٍ عالية ويعض الذئاب بأنيابية حتى انسالت الدماء على شفتيه، تكاثرت عليه الذئاب وآصابوه بجرحٍ عميقٍ جعل ميليندا تُطلق شهقة مذعورة ثم تعتدل بسرعة وتحاول الهرب بحركاتٍ مُرتبكة....

سمعنا الكثير عن الكذبات البيضاء، لكننا لم نسمع أبدًا عن الخداع الأبيض، ذلك الخداع الذي يتسبب في البغض والضغينة، لكن لسببٍ أو لآخر يتسبب في نجاة الطرفين، المخادع.... والمخدوع!!

كانت الخطة تسير على قدمٍ وساقٍ في تلك المدينة البسيطة، فكان مارك قد بدأ الخطة واتجه إلى البقعة التي يعمل فيها والد الجميلة، فعليه أن يتقرّب منه حتى يجذب الجميلة نحوه أكثر، ولأنه عالمٌ جليلٌ يُحب الاختراعات، فكان سهلًا عليه التقرّب من والد بيلا الذي يعشق الاختراعات ويهواها، حيث كان بمعمله يعبث بالخردوات عازمًا على صناعة سيارة هوائية لا تقودها الأحصنة، ولأن هذه السيارات لا توجد بذاك العصر، فكان الاختراع بالنسبة له شيئًا عظيمًا، هذا إن كان يعرف اختراعه من الأساس، فكل ما كان يفعله هو العبث بالخردوات واحداث الفوضى التي تنتهي بالانفجارات والكوارث.

لكن ما إن دلف مارك معمله وقرر المساعدة، تحوّل الأمر من الانفجارات إلى المحاولات، فكان مارك يمسك بعصا حديدية مجوّفة يتسع تجوّيفها في الأسفل ليُطلق عليها اسم " صمام السحب "

وثب مارك أعلى إحدى المقاعد الخشبية وهو يُركب الصمام بالجهاز بمهارة فائقة اعتاد عليها بسبب عصره المتطوّر وحبه للاختراعات، فكان يشرح بطريقة واثقة أثناء عمله:

-هذا الصُمام سيمتص خليط الهواء والوقود في تلك الاسطوانة

آشار على قطعة معدنية مُستديرة كان قد أحكم ربطها بالجهاز قبل وضع الصُمام.

-عندما نغلق الصمام، سيتم ضغط الهواء والوقود بواسطة المكبس .... وهذا سيجعل خليط الهواء والوقود ينفجر مما سيخلق طاقة هوائية تساعد على تحريك المكبس لأسفل .... فسيتحرك معها الاختراع

تعمّد قوّل كلمة " اختراع " لأن كلمة سيارة لم تكن متداولة في هذا الزمن، كما أنه أخذ يُشير على قطعة معدنية مستديرة مجوفة صغيرة الحجم وواصل تركيب قطع الجهاز بمهارة جعلت والد بيلا يفتح فمه بذهول ويتسآل عن عالمه وعن مدينته الحقيقية، فهو لم يشهد رجلًا في هذه المدينة بمثل ذكاءه، ولأن مارك لا يجب أن يُخبره حقيقته، أخذ يتخيّل عالمًا آخرًا ويُخبره أنه من أسرة عظيمة مرموقة ذات شأنٍ في دوّلته وأنه كان من أنجب الطلاب وأذكاهم، لا يعرف إن كانت قد انطليت هذه

الخدعة على والد بيلا، لكنه يعلم الآن أنه نال الإعجاب من والدها، وعن قريب، سيناله منها أيضًا.....

تركه حكيم وسامي ليُنفذ مُهمته التي يعلمان أنها ستجعله سعيدًا، فما إن أدرك أن والد بيلا يُحب الاختراعات حتى أبدى حماسًا فائقًا وهو يُنفذ تلك المُهمة، بدأ يتيقن بالفعل أن بيلا هي خير زوجة له، فهي تُحب القراءة مثله، ووالدها يُحب الاختراعات مثله أيضًا، أي أنه إذا بقي هنا، سيضحى ذا شأنٍ عظيمٍ بين أهل المدينة.

أمسك سامي خابوره بنُي اللون ذو اللمحة الكلاسيكية التي لا توجد في عالمه، فهو قد فشل في العثور على السجائر هنا وقرر أن يبتاع التبغ التقليدي ويُشعله بذاك الخابور ليرضي نيكوتينه، فكان أشبه ببباي عاشق السبانخ وهو يُدخن من ذاك الخابور.

أخرج الأدخنة من جوفه وهو يستمع إلى حكيم الذي يسأل:

-هنعمل إيه لما نقربهم لبعض ؟.... وإزاي أصلًا هنقول للجميلة إنها تروح للوحش

أخفض سامي خابوره وهو يُجيب بطريقة واثقة تحمل بعض المُكر:

-لما نقربهم لبعض .... الجميلة هتحب مارك، يعني لما نقولها إن الوحش حابس مارك عنده في القصر هتجري تروحله

قطب حكيم حاجبيه بفهمٍ ليسأله بعدها:

-طب وهنقولها إزاي ؟

فكرٌ سامي هنيهة وبقي صامتًا وشاردًا حتى توّقف عن السير بعد أن التقطت حدقتاه شيئًا بعينه، شيئًا ربما يُساعدهم بتلك الخطة:

-مش احنا إللي هنقولها .... الحُصان

حدّق حكيم بوجهه بغرابة سأل معها:

-حُصان!!

أومأ سامي رأسه وهو يعاود السير ويستنشق الهواء من لفافته:

-أيوة .... واحنا ماشيين لمحتها بتكلم الحُصان ..... والغريب إن الحُصان بيتجاوب معاها .... احنا في كارتون، فتوّقع أي حاجة بتتكلم عادي ..... وبعدين ما إنت كنت بتابع سلاحف بتتكلم مجتش على الحُصان

رفع حكيم سبابته مدافعًا عن طفولته الثمينة:

-لا مسمحلكش .... كله إلا سلاحف النينجا....

أخفض إصبعه وهو يواصل برضا:

-ماشي يا سيدي .... حصان حصان مجتش على دي يعني .... ما كل حاجة بتتكلم هنا .... دا انا خايف الأرض كمان تكون بتتكلم

ابتسم سامي على مزحته ليواصل السير واستنشاق الأدخنة التي اكتشف فيما بعد أنها قد نفدت؛ توّقف عن السير ليتلفت حوّله شاخصًا عينيه في كل مكانٍ بحثًا عن متجرٍ للعطارة.

-بقولك إيه ..... أنا هروح اشتري دُخان

لم ينتظر إجابة حكيم وعدا صوّب أول متجرٍ للعطارة يُقابله، فكان متجرًا صغيرًا يترأسه رجلٌ قصيرٌ يبدو عليه الشيّب وبعض الغموض، كان يرتدي قفطانا بُنيًا أسفله سُترة رمادية وبنطالٌ أسود.

-هل لديك تبغ ؟

سأله سامي بآلية ليوميء الرجل بدوّره ويتجه إلى داخل المتجر ليُحضر له مطلبه، بينما كان حكيم بالداخل يعبث بتلك الزجاجات الصغيرة ذات السوائل الملونة التي تجعل عينيه جاحظتان في ذهول.

ذهب التاجر إلى سامي ومعه كيس كحلي من القماش يحتوي على التبغ الذي آراده سامي وكاد يدفع ثمنه لولا حكيم الذي آشار على تلك الزجاجات الصغيرة ليسأل بفضول:

-ما هذه الزجاجات ؟

رفع التاجر رأسه نحو حكيم ليُجيبه بنبرة عميقة:

-هذه عقاقير ....

آشار على واحدٌ منهم يحمل سائلًا ورديًا وهو يشرح:

-هذا العقار .... يجعل الأشيب شابًا بمُقتبل العُمر

آشار على آخر وهو يواصل:

-وهذا ...... يكشف الآكاذيب_

قطع حكيم شرحه بعوالم مذهولة ومتسآلة:

-أوه .... هل لديك عُقار يجعلني أحلق في الفضاء ؟

قطب الرجل حاجبيه بعدم فهمٍ قطعه سامي الذي آشار على عقارٍ ذو سائلٍ أخضر لفت انتباهه:

-وما هذا ؟

أمسك التاجر تلك الزجاجة الصغيرة ذات السائل الأخضر وأخذ يشرح:

-هذا عُقار الخلاص ...... من يُسكب عليه مرة تتوُقف حياته.... ومن يُسكب عليه مرتين .... تعود إليه الحياة مُجددًا

تمتم حكيم بالاستغفار في سره لعدم اقتناعه بالأمر ورؤيته أن هذا العقار هو كالسلاح بالضبط، بل أشد سوءًا، فهو يُعيد الحياة ويُفقدها وهذا لا يفعله سوى الخالق، لكن بالرسوم المتحركة_ خاصة الغربية_كل شيءٍ مباح، أما بالنسبة لسامي، فقد ازداد فضوله مما جعله يُخرج العملات الذهبية ويُعطيها إلى التاجر متفوّهًا وهو يأخذ العقار من بين يديه:

-إذا أعطني إياه

أعطاه التاجر هذا العقار وأخذ منه الأموال التي طفق يحصيها بسعادة لم يلاحظها سامي وحكيم اللذان تركا المتجر، كان يتحرك سامي بأعينٍ تنصب على التبغ يُحاول إخراجه من الكيس وإقحامه داخل تبغه بطريقه ماهرة حتى يواصل استنشاقه لتلك السموم أمام نظرات حكيم الحائرة التي لم تفهم سبب شراء سامي لهذا العُقار.

-هتعمل إيه بالبتاع إللي انت جبته ده ؟

آجابه سامي وهو ينشغل بإقحام التبغ داخل خابوره:

-معرفش ..... حسيت اننا هنحتاجه......

مهما كانت نيُّتك صافية، ستواصل الحياة دفعك نحو القاع حتى تفقد آخر فرصة للنجاة، وبالنسبة لهن، كان قذفهن نحو القاع ربما بمحض إرادتهن، أو بسبب غباءهن، فبعد ثوّران الوحش واهتياج الحُراس، أصبحن الآن سُجناء داخل هذه الحجرة، توّقعن أن العقاب سيضحى أسوأ وأكثر قساوة، لكنهن يتفاجئن من استكانة الوحش وتفضيله للعُزلة وعدم التحدث معهن، فقد ظنن لوهلة أنه سيلتهمهن أو سيسجنهن في حُجرة مقيتة ضيقة...

كانت كاتي لا تتوّقف عن التفكير طوال هذا الاسبوع حتى كاد عقلها ينفجر، أما ميليندا، فلم تكن تتوّقف عن الشجار مع غيُد_ سبب كل ذلك_ حتى كاد صوّت شجارهما يجعل الخزانة تنفجر من الصُداع.

-كله بسببكِ أيتها الغبية ..... كنا سنستطيع الهرب لولا تدخلك ..... ها هو الآن سيسجننا مدى الحياة

خرجت كلمات ميليندا من جوّفها بصوّرة غاضبة واجهتها غيُد بنبرة متجهمة رغم أنها تعرف أنها الطرف المُخطيء، لكنها لن تسمح لأحدهم أن يهين كرامتها.

-تتحدثي وكأننا كُنا على وشك الهرب ..... نحن كنا سُنسجن في جميع الأحوال

-لكننا كنا سنجد طريقة للهرب

كادت غيُد تجابهها لولا تدخل كاتي لإصماتهما:

-توّقفا أرجوكما ..... علينا التوّقف عن اللوم الآن ونعثر على طريقة للهرب

أرخت ميليندا ظهرها للوراء لتستند على باطن كفها وهي تهتف بتهكم:

-وكيف سنفعل ذلك والحراسة في كل مكان ..... لم يعد الوحش يثق بنا

علقت غيّد على حديثها بسُخرية:

-وكأنه كان يثق بنا مُنذ البداية

أوقفت كاتي شجارهما للمرة الثانية قبل أن يشتعل وهي تقول بنبرة حكيمة:

-حسنًا .... علينا أن ننال ثقته أولًا

ربطت غيّد قدميها وهي تسأل بجدية:

-وكيف ذلك ؟

صمتت كاتي عن الحديث وطفقت تتلفت حوّلها وهي تُفكر جيدًا في تلك الحكاية، تتذكر كيف استطاعت الجميلة أن تهرب من هذا القصر وكيف عادت إلى والدها بموافقة الوحش!!

توّقفت عن التفكير بعد أن شق ثغرها ابتسامة واسعة ثم التفتت نحوّهما لتُطالعهما بلهفة قالت معها بثقة:

-وجدتها .... سنفعل ما فعلته الجميلة

قطبت ميليندا حاجبيها وهي تسأل:

-وما الذي فعلته الجميلة ؟

اقتربت كاتي نحوهما وهي تواصل بحماس:

-تقرّبت الجميلة من الوحش ..... ونالت رضاه وعطفه .... وبعدها .... نفذ الوحش طلباتها

اقتربت غيّد بجذعها وهي تسأل:

-وكيف سنفعل ذلك ثلاثتنا ؟

-ليس ثلاثتنا .... واحدة منا فقط .... وهي التي ستساعدنا على الرحيل من هنا

أنهت حديثها ببسمة واثقة جعلت النظرات تتبادل بين غيّد وميليندا في حيرة وبعض القلق حتى سألت ميليندا:

-ومن منا ستفعل ذلك ؟

صمتت برهة عن الحديث قبل أن تلتفت صوّب ميليندا كي تُجيب:

-أنتِ ميل

لم تنتبه ميليندا على حديثها وهي تواصل أسئلتها:

-حسنًا وكيف ستفعل .... مهلًا .... أنا!!

أنهت حديثها بعدم تصديقٍ آشارت معه على نفسها وكانت كاتي توّميء برأسها وغيّد تجلس في صمت تتابع غضب ميليندا الذي تبع حديثها وهي تثب عن الفراش متفوّهة:

-هل تمزحي معي !!.... أنا لا يُمكن أن أفعل ذلك، مُستحيل

وثبت كاتي هي الأخرى لتُحاول تهدئتها وإقناعها بحكمة:

-اسمعي ميل .... أنتِ الوحيدة التي تستطيع فعل ذلك

ربطت ميليندا ذراعيها في رفضٍ قالت معه:

-ليس صحيحًا .... أنا لن أفعل ذلك

اقتربت كاتي نحوها وهي تعاود اقناعها مجددًا:

-ميل.... أنتِ الأقرب منا إلى الوحش .... سواء كشخصية أو_

كادت توّاصل كاتي لولا ارتفاع صوّت ميليندا المُتذمر:

-شخصية !! .... ألأنني سوداء تقوّلين ذلك أيتها البيضاء العُنصرية ؟

تنهدت كاتي بقلة صبرٍ حاولت معه تدارك توّبيخها:

-لا دخل للعُنصرية فيما نقوله .... أنا أقول أن الوحش أنقذكِ أنتِ من الذئاب .... مثلما فعل مع الجميلة بالضبط، كما أنها أيضًا كانت تُحب القراءة مثلك .... أي أنكِ الوحيدة التي تستطيع اجتذاب الوحش

تدخلت غيّد هذه المرة لتحاول اقناعها هي الآخرى:

-وافقي ميل أرجوكِ .... أريد أن أرحل من هنا

زفرت ميليندا الهواء من جوّفها على هيئة شُعلاتٍ نارية وهي تُفكر في حديثهما، فلا يوجد طريقة أخرى للخروج من هنا سوى عن طريق التوّدد إلى الوحش، هي لا تعرف إن كانت تستطيع تنفيذ هذه المُهمة أم لا، لكنها غاضبة على اختيارهن لها، غاضبة لأنها لا تجد مخرجًا آخرًا من هذه الورطة سوى عن طريقها.

أنهت وصلة تفكيرها وغضبها بصوّتٍ مُرتفعٍ مُرغم:

-حسنًا موافقة

أطلقت زفرة حارقة أخرى وهي ترتمي على الفِراش موّبخة:

-تبًا لكم....

جلست على الفراش تربط ذراعيها بتذمرٍ أمام كاتي التي كانت تتابع موافقتها بلهفة ويزداد الحماس بداخلها لاقترابهن من الرحيل والخلاص، بينما كانت غيّد يبدو على وجهها إمارات القلق وهي تقترب نحوهما متفوّهة بتنبيه:

-فتيات .... أليست الخزانة تتحدث وتفهمنا!!

بزغ القمر بنوّره الخلاب الذي غمّر أركان المدينة وجعلها كلوحة ساحرة خاصة مع عدم وجود تلك الأضواء الصناعية التي تحجب جماله وروّنقه، كان مارك قد وطد علاقته مع الجميلة في تلك الفترة القصيرة حتى يستطيعوا تنفيذ الخُطة في أسرع ما يُمكن، ولأن الجميلة أكثر سذاجة وبراءة عن الفتيات في عالمهم، فكان اجتذابها أسهل بكثير، القليل من الرومانسية والبساطة واللين يُجدوا نفعًا، فهي لا تهتم

بالأموال والجاه، فقط تهتم بالحُب والآمان، وهذا ما وجدته مع مارك الذي لا يعرف كيف يتصرف ذلك معها رغم أنه يمقت النساء وأحيانًا يُظهر هذا المُقت أمامها لكنه يتدارك الأمر بسرعة.

لا ينكر أنه أحب شخصيتها الفريدة وبراءتها الزائدة، لكنه كان يشعر بالاشمئزاز أحيانًا من حنانها المبالغ وطيبتها الزائدة وكلامها العميق ككلام أهل المدينة، فقط يُريد أن تنتهي هذه المُهمة ويعود إلى عالمه سالمًا غانمًا يُخبر الجميع أن اختراعه قد نجح وأنه سيُصبح عالمًا مشهورًا يتناقل اسمه بين الصُحف والكُتب.

-أين والديك .... لمَ لا تحادثني عنهما ؟

سألته الجميلة ببراءة أثناء حديثهما وتجوّلهما بجوار البُحيرة في تلك الليلة الهادئة، آجابها مارك بسرعة دون أن ينتبه لإجابته:

-والدي بفلوريدا

قطبت الجميلة حاجبيها بغرابة سألت معها:

-فلـ... فلوريدا !! .... أين هذه المدينة لم أسمع عنها من قبل ؟

ارتبك مارك بعد أن انتبه لحديثه، لكنه تدارك الأمر بسرعة بقوله:

-إنها مدينة جديدة

ابتسمت الجميلة ببراءة سألت معها:

-وهل أنت أيضًا من هناك ؟

آجابها مارك بنبرة يختلط بها الصدق مع الكذب:

-لا

-ولماذا لا تسكن مع والدك ؟

تضايق مارك من أسئلتها الكثيرة وآراد انتهاء هذه المقابلة قبل أن يجد لسانه يُخبرها أنهم من عالمٍ آخرٍ كليًا، لكنه حافظ على ثباته قدر الإمكان وهو يقول:

-بسبب وظيفتي .... أنا أحب الاختراعات .... ولا أستطيع فعل ذلك بفلوريدا .... لذلك أتيتُ هنا

همهمت الجميلة بتفهمٍ وبقيت صامتة لفترة وجيزة حتى سألت مجددًا بنبرة هادئة:

-وماذا عن والدتك ؟ .... لم تتحدث عنها أبدًا

ذبلت ملامح مارك ولم يُرد أن يتحدث في ذاك الأمر أبدًا، ليس لأنها غريبة، بل لأنه لا يُريد أن يتذكر والدته التي تركت بداخله ثُقبًا أسوّدًا وآصابت حياته برصاصة نارية، ازداد ارتباكه أكثر وهو يُغير الحديث بسؤاله:

-ماذا عن والدتكِ أنتِ ؟

أخفضت وجهها في ضيقٍ وهي تُجيب:

-لا أعرف ... ماتت وأنا صغيرة ولم آرها أبدًا

همهم مارك بلامبالاة حاول اخفاؤها وهو يتوّقف عن السيّر متفوّهًا:

-تأخر الوقت .... علي الرحيل

لم يكن الوقت قد تأخر لهذه الدرجة لكنه يُريد أن يُنهي هذه المقابلة، وكانت الجميلة تومىء رأسها ببراءة قالت معها دون اعتراض:

-حسنًا ... وأنا أيضًا سأذهب إلى أبي

أومأ مارك بابتسامة هادئة حاول جاهدًا أن يرسمها على ثغره حتى تبادله الجميلة نفس هذه الابتسامة وتُقرر الرحيل لكنها تتوّقف عن السير فجأة لتلتف نحو مارك وتقترب نحوه حتى قبلته على وجنته برقة أمام صدمة مارك الذي توّردت وجنتيه من تلك الحركة المفاجئة.

ابتعدت الجميلة عنه كي تُخبره بامتنان:

-مارك .... شكرًا لأنك معي

بقيتْ عينا مارك جاحظتان ووجهه أحمرًا كالطماطم وهو يتابع كلماتها البريئة ورحيلها ويتحسس وجنته موّضع قبلتها، كانت الصدمة تلوح على وجهه والعرق

يتصبب من جبينه، فلا يوجد فتاةٌ قبلته من قبل، حتى والدته لم تكن تُقبله أبدًا، ولم تُعانقه حتى.

توّعكت معدته إثر الاشمئزاز الذي شعر به وجعله يفرك وجنته ليمحي أثر هذه القبلة بعوالم مُزدرية قطعها سامي الذي اقترب نحوه بابتسامة متشفية ربت معها على مارك وهو يقول بسُخرية:

-آراك تستمع بهذه المُهمة

آزاح مارك يد سامي بغضب:

-أبعد يدك يا حثالة المُجتمع ..... كل ذلك من تحت رأسك

بقي سامي يُقهقه على ردة فعله مثلما فعل حكيم، لاحت بينهم فترة من صمت قطعها مارك بكلماته المُتذمرة:

-متى سينتهي هذا الأمر ؟

لفحت الجدية وجه سامي وهو يجُيب:

-لا تقلق .... دوّرك قد انتهى .... وستبدأ خطتنا!!

الفصل الخامس (جريمة في عالم الخيال)

أحيانًا نتحرك نحو النيران بإرادتنا، فلسببٍ أو لآخر، تضحى هذه النيران هي السبيل الوحيد للنجاة.....

تخطو بخطواتٍ هادئة حاولت معها اخماد النيران الثائرة بداخلها، تأخذ أنفاسًا متتالية ثم تُخرجهم وتحجب ارتباكها قدر الإمكان، هي لا تُريد أن تفعل ذلك، لا تريد أن تتوّدد لأحدهم، هي حتى لن تتوّدد لأحدهم، بل ستوّدد لوحشٍ لا تعرف ردود أفعاله، فنظراته وحدها تُصيبها بالارتعاد.

تقدمت ميليندا بضع خطواتٍ نحو الوحش الجالس على مقعده الوثير يضع الضمادة على كتفه ويُحدق بالنيران بشرودٍ حمل القليل من الغضب، لم تكن توّد الاقتراب نحوه بعد آخر حادثة مرّت بينهم، فقد شعرت لوهلة أنهما وضعاه بفوّهة المدفع، فلم يجروء أحدهن على الاقتراب من الوحش بعد هذه الفوضى التي أحدثتها.

حمحمت ميليندا بارتباكٍ حتى ينتبه لها الوحش الذي ما إن استمع إلى حمحمتها حتى التفت نحوها وأخذ يُحدجها بنظراتٍ حانقة حاولت ميليندا قدر الإمكان أن تتفاداها وهي تتقدم نحوه بخطواتٍ بطيئة قالت معها:

-هل ..... هل أنت بخير ؟

سألته وهي تُشير بعينيها صوّب جرحه المُضمد لكنها تجده يُزمجر بوجهها ويقول بأمر:

-ارحلي من هنا

كانت كلماته تحمل الإهانة مما كاد يجعلها تثور عليه لكنها ابتلعت غضبها وجلست بجواره على الأرض فوق إحدى الوسائد المتناثرة، بدأت قطرات العرق تتجمع على جبهتها بسبب حرارة النيران وحرارة جسدها المُرتبك، لكنها مع ذلك جاهدت حتى تُحافظ على ثباتها وهي تقول:

-شـ... شكرًا لأنك حميّتني من الذئاب

حدجها بنظرة حادة ثم عاد إلى شروده في صمت، قرّبت ميليندا يدها نحو جرحه الذي شعرت أنه تلوّث مما قد يُعرضه للآذى:

-يجب أن تُغير الضمادة ..... هكذا سيتلوّث الجرح

وضعت يدها على ضمادته وحاولت مساعدته في تغييرها لكنه دفعها بحدة زمجر معها في وجهها:

-إبتعدي عني

صكت ميليندا على أنيابها بحنقٍ رغم خوّفها من نبرته المتجهمة، دفعت كبرياءها جانبًا وهي تقترب نحوه عازمة على تغيير ضمادته، ليس لأنها تُنفذ الخُطة، لكنها تخشى على هذا الغاضب المُتمرد:

-أنا أحاول مساعدتك يا هذا ..... ثم أنك الذي قُمت بسجننا مُنذ البداية .... الآن تُمثل دوّر الضحية!!

وجدت ذاتها تعود إلى طبيعتها المُتعصبة وهي تحادثه لتُدرك بعدها خطأها الذي كاد يفسد الخطة فتعود بسرعة إلى هدوئها الزائف وهي تعتذر:

-آسفة .... أنا فقط...

تنهدت تنهيدة عميقة صادقة وجدت نفسها تقول معها:

-أفقد صوّابي بسرعة

وجدت حقيبة الإسعافات تقترب نحوها وتفتح جوّفها حتى تستطيع انتشال الضمادة من داخلها وتُقرّبها من الوحش متفوّهة بإصرار:

-يجب أن تُغير الضمادة ..... لا تقلق لن تتأذى

حاول دفعها مجددًا لكنها حافظت على ثباتها وإصرارها وأخذت تُربت على فروّته البنية حتى استكان بين ذراعيها وسمح لها بتمضيد جرحه وهي تتحدث:

-أتعرف .... وأنا بالمدرسة، كانت الفتيات تسخرن مني وتنعتني بالقبيحة بسبب شعري المُجعد الأشبه بشجرة في الأدغال .... كُنت أعود إلى المنزل والدموع

تُغرقني .... تمنيتُ أن أرتمي في أحضان والدتي حتى توّاسني، لكنني لا أجدها .... أجد مكانها زوجة والدي التي تسخر من معاناتي، بل وتزيدها أيضًا..

تنهدت بضيقٍ حقيقيٍ وهي تتذكر حياتها وتتحدث بما يجيش به صدرها أمام ملامحه التي استكانت تمامًا:

-علِمت وقتها أنني يجب أن أواجه .... لذلك بدأتُ أصيح بمن يسخر مني وأحيانًا يمتد بي الأمر إلى ضرب إحداهن .... أصبحت أقرب إلى الوحوش .... أضرب هذه وأصيح بهذه وأعامل الجميع بجفاء .... وعندما امتد بي العُمر .... أدركتُ أنني أضعت طفولتي هباءً، لم يكن يجب أن أسمح لهم بتحوّيلي إلى ذاك الوحش .... كان يجب أن أثبت لهم أنني الأفضل، حتى ولو كان شعري أجعدًا وبشرتي سوداء

ابتعدت عنه بعد أن انتهت من تضميد جرحه لتجده يُحدق بها بإمعان سأل معه بهدوء:

-وهل فعلتِ ذلك الآن ؟

بقيت ميليندا في حالة من الصمت وهي تفكر في الإجابة التي على الأحرى، لا تعرفها، فهي لا تعرف إن كانت وحشًا على هيئة بشر، أم بشرٍ قد تحوّل إلى وحشٍ مع مرور الأيام، لكنها في النهاية آجابت بما يستكين بداخلها:

-لا أعرف .... لكنني أحاول

واصل تحديقه بعينيها البنية بإعجابٍ جلّي حاولت ميليندا تجاهله وهي تُغيّر ضفة الحديث وتثب عن الأرض:

-ألن تأخذني في جوّلة بهذا القصر ؟

طالعته بلهفة وحماسٍ طفوليٍ جعل الوحش يُطالعها في صمتٍ وتيهٍ ثم وثب عن مقعده ببطءٍ لتتقابل عينيه مع عينيها المترجية:

-هيا .... لا تكن كسولًا .... دعنا نتجوّل قليلًا

قالتها بعفوية وهي تجذب يده ويستسلم هو لها أثناء تحركه معها أمام الإبريق الذي كان يُقهقه بانتصارٍ وهيام ولوميير الذي يكاد يرقص من السعادة بسبب تغيّر سيده...

صعدت ميليندا الدرجات الشاهقة بجوار الوحش الذي آراها التُحف الفنية المُعلقة على الحائط وآراها حُجرة الطعام الواسعة وتلك الرُدهة التي يصل طولها إلى العديد من الأمتار، بقي يتجوّل بجوارها ويشرح لها ماهية الحُجرة وتقابله هي بلهفة وإعجابٍ رغم أنها تجوّلت في القصر مُسبقًا، وفي النهاية توّقفا داخل المكتبة العريضة المليئة بالكُتب بشتى أنوعها وأحجامها، وكان هذا المكان هو الأفضل بالنسبة لميليندا بسبب عشقها للعلم والكُتب، طفقت تدور حول نفسها بسعادة وتهروّل نحو الكتب لتنتشل إحداهم ثم تلتفت صوّب الوحش لتسأله:

-هل تقرأ هذه الكُتب ؟

أخفض الوحش رأسه بحرجٍ نفى معه:

-لا

اتسعت بسمة ميليندا وهي تتذكر حديث كاتي وتعليماتها جيدًا، توّجهت نحو الوحش ومعها هذا الكُتاب لكنها لم تفتحه، فهي لن تقرأ له كما في الحكاية، هي في مُهمة الآن، ولا يجب أن تحيد عنها حتى ترحل عن هنا.

-ما رأيك أن أحكي لك قصة

-أي قصة ؟

سألها بفضولٍ جعل ابتسامتها تتسع وتبدأ بجذبه نحو الطاولة حتى تقص عليه وكأنها تحاكي الأطفال:

-قصة تتحدث عن رجلٍ قبيحٍ ظنٌ أن الجميع لن يُحبه .... فقرر أن يعامل الجميع بجفاء ..... إلى أن أتت أميرة جميلة، أسرته بجمالها وبرائتها.... بددت روّحه الثائرة.... وأخرجت الإنسان الكامن في ذاك الرجل القبيح

احتدت عيناه الخضراوان وهو يتمعن في قصتها التي لم تعجبه بتاتًا، بل زادته غضبًا وهو يتخيّل نفسه موّضع هذا الرجل القبيح:

-هذا ليس صحيحًا .... إذا كانت الأميرة جميلة .... فلن تُحب الوحش أبدًا

اقتربت ميليندا نحوه لتُحدق بعينيه بثباتٍ قالت معه:

-دعني أخبرك أن نظرتك خاطئة أيها الوحش .... فجمال الروّح يُبدد جمال الوجه .... والروح الجميلة، تتعلق بقرينتها .... تستطيع أن تعثر على الجوهرة وسط الأحجار .... هذا هو الحُب أيها الوحش

حافظ الوحش على عناده وهو يقول بغضب:

-لا يوجد شيءٌ كهذا

واجهته ميليندا بعنادٍ يماثل عناده:

-بل يوجد ..... وإن كُنت أستطيع الرحيل من هنا .... كنت سأجد لك هذه الفتاة

أنهت حديثها بتحدٍ جعل الوحش يُطالعها بنظراتٍ مُكذبة حافظ فيها على صمته ثم ابتعد عنها بضع خطواتٍ قال معهم:

-حسنًا .... لنرى ذلك

آشار لها بعينيه حتى تتبعه ففعلت كما أمرها وأخذت تعدو وراءه حتى أدخلها حجرة واسعة يحفها السوّاد والأتربة، تجاهلت مكوّنات الحُجرة، بل لم تستطع رؤيتها بسبب الظلام، واصلت عدوّها خلف الوحش الثائر الذي توّقف عند طاولة صغيرة يعلوها بلورة متوّهجة ومرآة كلاسيكية وجدته يمسكها ويُقربها منها متفوّهًا:

-ها هو العالم أمامكِ .... آريني أين هذه الفتاة ؟

سألها باستخفافٍ وكانت ميليندا تفتح فاهها بإعجابٍ من تلك المرآة التي تجعلها ترى ما يحدث بالمدينة وكأنها معهم، فكانت اللقطات تتبادل كلما تحدث عن بقعة معينة والوحش يرمقها بترقُّب حتى تُخبره أنها وجدت هذه الفتاة الخيالية من وجهة نظره.

بقيت ترمق المرآة بذهول حتى وجدت نفسها تطالع الوحش وتسأله ببلاهة:

-هل تستخدم هذه المرآة في رؤية النساء وهن يُبلدن ثيابهن ؟

لم يُجيبها الوحش وبقي يُطالعها بغرابة جعلتها تتدارك ما قالت:

-لا عليك

شهقت بصدمة حينما توّقفت أمام صوّرة لسامي وحكيم ومارك وهُم يتحدثون بالُقرب من إحدى البُحيرات، لم تكن تعرف ما يقولونه بالضبط، لكنها ظنُّت أن الوحش يسجنهم في الزنزانة، لهذا السبب قالت:

-مهلًا .... هل أطلقت سراحهم ؟!

زمجر الوحش بغضبٍ وندمٍ مما فعله، فقد خدعه هؤلاء الرجال، ولم يعثروا على تلك الأميرة التي أوهموه بها، هذا ما جعله ينبس بغضب:

-نعم .... أخبروني أنهم سيعثرون على من ستساعدني .... لكنهم كاذبون، جميعكم كاذبون

وضعت ميليندا المرآة جانبًا وهي تتقدم نحوه متفوّهة بتحدي:

-ومن أخبرك أنهم لا يُحاولون ؟ .... ربما هم بحاجة إلى المساعدة

لم ينبس ببنت شفة وبقي صامتًا يطالعها ببعض الغضب حتى اقتربت ميليندا نحوه متفوّهة:

-ما رأيك أن تدعني أنا والفتيات لنذهب لمساعدتهم ؟

هتف بوجهها بسرعة والغضب والإصرار قد تملكا منه:

-مستحيل .... لن تخدعوني مجددًا

ابتلعت رمقها حتى تحافظ على ثباتها وهي تُحدق بعينيه بصدق:

-لمَ لا تُجرب ؟ .... لمَ لا تُجرب أن تُطلق سراحنا .... وستجد هذه الأميرة تذهب إليك وحدها

ربط ذراعيه بغضبٍ ولم يُطالعها مما جعل ميليندا تحاول إقناعه مجددًا بعد أن وجهت نظرة عابرة صوّب البلورة ثم صوّب المرآة:

-ألا تستطيع رؤيتنا بواسطة هذه ؟

لم يُجيبها الوحش فواصلت:

-يُمكنك تهديدنا وأنت في موّضعك .... وأنا سأرى ذلك من خلال المرآة .... وقتها سأترك المدينة وأعود لك فوّرًا .... لكنني أعدك أنني سأعثر عليها مهما تطلب الأمر

لانت ملامحه قليلًا وبدأ يُفكر في حديثها ويبقى صامتًا، اقتربت هي نحوه أكثر لتضع يدها على فروّته متفوّهة برجاء:

-هيا .... ألا تُريد أن تعود وسيمًا ؟

أطلق زفرة حارقة من جوّفه وبدأ يُفكر في حديثها حتى قال بعد فترة من الصمت:

-حسنًا .... سأطلق سراحكن.....

في خِضم الليل والنجوم المتلألئة، كان حكيم يتجوّل في المدينة برفقة سامي، عازمين على الانتهاء من ذاك الأمر والعودة إلى بلدتهما، هذه المرة كانت الخطة أقرب إلى الجنون، وبالنسبة لعالم الرسوم المتحركة، كان الأمر عاديًا، ففي الرسوم المتحركة يُمكنك أن تتحدث مع الحيوانات وتجدهم يتجاوبون معك بل ويُحاكونك عن أسرارهم ومعاناتهم، أما في حالتهم، كان الأمر قد تعدّى الحديث عن الهموم والمشاكل وأصبح عن الخداع ونصب الكمائن.

أخرج حكيم كيسًا قماشيًا وأخذ يُحركه بين راحتيه أمام سامي الذي سأله بفضول:

-إيه ده ؟

آجابه حكيم وهو يفتح الكيس ويتفقد محتوياته ثم يُعيده إلى جيبه متفوّهًا:

-ده سُكر .... مش احنا رايحين نخدع حُصان ؟

أطبق سامي على شفتيه من هذا المعتوه الذي يجعله يقول:

-إنت هترشي حُصان!!

زفر الهواء من جوفه بنفادٍ صبرٍ ثم دفع يد حكيم حتى يزيح هذا الكيس متفوّهًا:

-شيل ... شيل البتاع ده مش ناقصة غباوة .... خلينا نخلص من الحوار ده ونمشي من هنا

نفذ حكيم تعليماته وآعاد الكيس إلى جعبته ما إن توّقف كلاهما أمام حصانٍ يقف بهدوءٍ بجوار المنزل الخاص ببيلا.

-هو إحنا ليه أساسًا هنقول للحُصان ؟ .... ما نقولها إحنا

سأل حكيم بحيرة فآجابه سامي بثقة:

-يا بني آدم عشان هي فاكرانا صُحاب مارك .... يعني لو قولنالها إن مارك في خطر هنضطر نروح معاها ننقذه عشان مش منطقي نسيبها تروحله لوحده.... وإحنا مينفعش نروح معاها

أومأ حكيم باقتناع وواصلا الطريق صوّب الحصان استكمالًا للخطة، فكان حصانًا أبيضًا ذو خُصلات شعرٍ ناعمة وعينان واسعتان مع لِجامٍ بُني، حاول سامي تمثيل الخوف والذعر على وجهه وهو يقول:

-أنقذنا فيليب .... مارك في ورطة...

تذكر اسم الحُصان الذي أخبره به مارك بعد حديثه الطويل مع الجميلة، وكان فيليب لا يُصدر أي ردات فعلٍ مما جعل سامي يعتقد حقًا أن الحصان لا يفهمه، بسط حكيم ذراعه قُرب سامي ليوّقفه عن الحديث متفوّهًا بثقة:

-إركن إركن .... شكله مش فاهم إنت بتقول إيه

نصب قامته بثقة جعلت سامي يعتقد لوهلة أنه سينقذهم من ذاك الموّقف، لكنه تفاجأ حينما وجد حكيم يُقلد صوّت الحصان الذي يراه بالأفلام، هذا ما جعل سامي يُحدجه بغرابة والحصان يرفع قامته نحوهما ويعقد حاجبيه بعدم فهم.

انتهى حكيم من كلماته غير المفهومة وهو يقول بثقة:

-كدة تلاقيه فهم

ضربه سامي على كتفه بخفة نهره معها:

-هو إنت أصلًا فاهم إنت كُنت بتقول إيه ؟

ارتبك حكيم وهو يُجيبه بصدق:

-إييه ... لأ .... بس قولت أكلمه بلغة الأحصنة يمكن يفهم

زفر سامي الهواء من جوفه مجددًا وعاود المحافظة على ثباته وهو يُحمحم ويُمثل الذعر بقوله:

-فيليب أرجوك .... مارك في خطر، أصبح أسيرًا لدى الوحش ..... أتعرف هذا القصر الذي مررت به مع والد بيلا ؟ ..... أصبح مارك سجينًا هناك .... ولن يُساعده أحدٌ سوى بيلا

لاحت اللامبالاة على وجه الحصان وبدأ يلعق حافره ثم يخفضه ويشيح بنظراته عنهما وكأنهما لا يتحدثان من الأساس، هذا ما جعل حكيم يتسآل بحيرة:

-مش يمكن يطلع حُصان عربي وعارف إننا بنخدعه ؟

أخفض صوّته وهو يتحدث حتى لا يسمعهما الحصان بعد أن ظن أنه يعرف خدعتهما، لكن سامي لم يشأ أن يستسلم، وحاول مجددًا أن يزيد من حدة ذعره وهو يتحدث بنبرة مُرتفعة.

-مارك في خطر .... يجب أن تُخبر بيلا أن تذهب إلى القصر حتى تستطيع إنقاذه

تجاهلهما الحصان للمرة التي لا يعرفان عددها مما جعل سامي يضيق ذرعًا ويلتفت نحو حكيم مادًا يديه ومتفوّهًا:

-بقولك إيه .... هات السُكر

ابتسم حكيم ابتسامة متهكمة وهو يُدثر يده في جعبته ويُخرج كيس السُكر ليمدُّه نحو سامي الذي التقطه وأخرج منه مكعبات السُكر التي ما إن رآها الحصان حتى اتسعت حدقتيه في شغف، مدٌ سامي نحوه قطعة من السُكر فتناولها الحصان بتلذذٍ وبقيت ملامحه الشغوفة أمامهما عندما كان سامي يُخرج قطعة أخرى من السُكر ويكاد يُعطيها للحصان لكنه توّقف وأبعدها عنه مما جعل الحصان يحدجه بغضبٍ ويصهل بإصرار:

-سأعطيك غيرها إذا نفذت ما نقوله

ثبتٌ الحصان نظراته نحوٌهما وبدا التركيز على وجهه عندما كان سامي يقول:

-ستذهب إلى بيلا وتُخبرها أن تذهب إلى القصر فوٌرًا .... فمارك مُحتجزٌ هناك، وبيلا فقط هي التي تستطيع إخراجه

أومأ الحصان إيجابًا واتجه بسُرعة صوٌب المنزل ليطرق بحوافره أمام نظرات حكيم وسامي المُنتصرة، اختبأا خلف البناية وشاهدا الجميلة وهي تخرج بذعرٍ من مضجعها وتضع الوشاح على ظهرها ثم تمتطي الحصان وملامح الذعر تلوح بها، وضع سامي مكعبات السُكر بالقُرب من البناية حتى يلتهمهم الحصان ثم عاد إلى حكيم الذي كانت تعلوه ابتسامة منتصرة لأن خطته هي التي نُفذت في النهاية.

-مش قولتلك شكله بتاع رشا

ابتسم سامي إثر حديثه المازح وواصلا الطريق صوٌب المنزل الذي استأجروه بأموال الوحش، فمن المُفترض أن مارك بالمنزل الآن يختبيء بداخله حتى لا يراه أحد أثناء تنفيذهما للخُطة.

توٌقفت عربة كبيرة تُشبه العنكبوت بالقُرب من المدينة ليترجل منها كلًا من غيٌد وكاتي وميليندا بعد أن استطاعن الفرار من قبضة الوحش، كانوا يُريدن العثور على بقيتهم حتى يتفقوا على طريقة لإنهاء هذه الحكاية والعودة إلى ديارهن، حيث يعلمن جيدًا أن الرجال قُد أطلق سراحهم وكانت ميليندا تراقبهم عن طريق المرآة.

ضرب حكيم كتف سامي حتى ينتبه لوجود الفتيات مما آصابه بالحيرة:

-إلحق ياه .... مش دي البت التُركية والبنات إللي كانو معانا

انتبه سامي على حديثه لتتوٌجه أبصاره صوٌب الفتيات وهن يتقدمن نحوهن؛ هروٌل سامي اتجاههن ليُطالع فساتينهن الغريبة ويُبادلونه النظرات بحيرة بسبب ملابسهم التي تغيرت هي كذلك.

-هل أنتم بخير ؟

سألهم سامي بحيرة امتزجت مع قلقه ورغبته الجامحة بمعرفة كيف رحلوا من القصر.

-نعم بخير ....لن ننتظركم حتى تنقذوننا

قالتها ميليندا بحنقٍ وغيظٍ من استطاعتهم للهروب قبلهم، تدخلت بعدها كاتي حتى تقطع حدة المؤقف متفوّهة بعملية:

-يجب أن نعثر على الجميلة وننتهي من هذا الأمر

ارتسمت بسمة فخورة على ثغر حكيم وهو يُجيبها:

-ماذا تظنيننا يا هذه .... نحن انتهينا من هذا الأمر مُنذ فترة طويلة .... الجميلة الآن ذهبت إلى الوحش

قطبت كاتي حاجبيها وهي تسأل بذهول:

-ماذا !! ... كيف فعلتم ذلك ؟

تدخل سامي ليُجيبها بثقة:

-جعلنا مارك يتقرّب منها .... ثم أوهمناها أنه في ورطة وأنه مسجونٌ لدى الوحش .... وهذه الساذجة صدقت وهروّلت وراءه .... وبما أننا مهدنا الطريق للوحش .... فهو سيسجنها لا محالة

انفجرت ميليندا بالضحك على حديثه وكأنه أخبرها دعابة مُضحكة:

-ماذا !! .... مارك!!

انفجرت مجددًا بالضحك لأنها تعرف مارك جيّدًا وتعرف أنه لا يقدر على شيءٍ كهذا، بل بدأت تتخيّله حتى وهو يتقرّب من الجميلة بعد أن كان يعاملها بجفاءٍ ويُخبرها كم يمقت النساء، واصلت قهقهتها الساخرة ولم تتوّقف إلا حينما تدخلت غيّد بالحديث لتسأل:

-مهلًا .... هل ستذهب الجميلة إلى الوحش ويسجنها بحجرة صغيرة ويُعاملها بغلظة وجفاءٍ .... ثم ستتعلق به في النهاية!!

لم تنتظر الإجابة من أحد وطفقت تُعلق باستنتاج:

-هذا يُشبه الروايات الساقطة التي كُنت أقرأها وأنا صغيرة

واصلوا الحديث في شتى المواضيع وعمَ حدث معهم في هذه الأيام وعن طريقة للقضاء على ذاك المكان بأية طريقة، واصلوا الحديث حتى أوصلهم سامي إلى منزلهم الصغير المكوّن من حُجرتين وبهوٌ بسيط، لا يُشبه بالطبع المنازل في عالمهم لكنه يُجدي نفعًا، سيبقوا داخله القليل من الأيام قبل أن يعود كل واحدٍ منهم إلى موٌطنه ويتناسوا هذه الأيام تمامًا.

اتجه حكيم فوٌرًا صوٌب حُجرة الطعام الصغيرة ينتشل إبريق الشاي ويملأه بالمياه التي ملأها من البئر عازمًا على إعداد الشاي بالطريقة التقليدية القديمة، بينما كانت كاتي تتلفت داخل المنزل وهي تُفكر بصوٌتٍ مسموع:

-لم يتبقى سوى شيءُ واحدٌ فقط ونرحل من هنا .... لكننا سننتظر بعض الأيام حتى تطوتد العلاقة بين الجميلة والوحش

قطعت ميليندا حديثها وهي تتلفت داخل المنزل متسآلة:

-مهلًا .... أين هو مارك ؟

بدأ الجميع يتلفت حوٌله بذهولٍ علٌق معه حكيم:

-من المفترض أننا تركناه هنا

تدخل سامي ليُطمئنهم:

-لا تقلقوا .... ربما شعر بالجوع وذهب ليبتاع الطعام .... سيأتي بعد قليل.....

يُدندن مارك بأغنية أجنبية وهو يتحرك في المدينة ببقعة خالية من السُكان، فقد أغلقت المتاجر وخلد الجميع إلى النوم، وهو الذي ظنٌ أنه سيستطيع أن يبتاع ما يسد به جوعه في هذا الوقت المتأخر، لكن الأمر قد انتهى به وهو يحمل كيسًا ورقيًا من الخُبز قد ابتاعه من سيدة عجوزٍ مباشرة قبل أن تُغلق مخبزها الصغير.

يحمل مارك هذا الكيس الورقي وينتهز أنه وحيدًا ليُغني بتلك الكلمات الأجنبية قبل أن يقطعه أحد المارة ويسأله عمَ يُغني، حتمًا سيجد القرية بأكملها تُغني معه إذا لمحت صوّت الغناء فقط، وهو لا يُحب هذه المبالغة، كما أنه يُريد الاحتفال مع ذاته بسبب نجاحه في تلك الخطة رغم مُقته للنساء، لا يصدق أنه خدع الجميلة وأسرها بملامحه البريئة وشخصيته الجذابة من وجهة نظره.

بقي يُفكر في لحظة العوّدة وما الذي سيفعله في الجهاز وكيف سيضحى غنيًا مشهورًا حتى قطعه صوّت الحشائش وهي تتضارب ببعضها وكأن شيئًا يتحرك بداخلها؛ ارتعد مارك في باديء الأمر وتوّقف عن السير بقلبٍ يكاد يخفق من الهلع، لكنه تدارك الأمر بعد وهلة وظنٌ أنه أرنبًا أو قطة أو راكونًا، فلا يجب أن يخشى هذه المدينة المسالمة خاصة في هذا الوقت، لكن فجأة....

توّقف عن السير مرة واحدة ليسقط الكيس الورقي على الأرض وتتناثر محتوياته أمام صدمة مارك وخوّفه الذي بلغ حد الذروّة.

تصنم أمام هذه الابتسامة الماكرة والخنجر الذي يلوّح به هذا الرجل الضخم الوسيم ذو العضلات المبالغ بها:

-لمَ توّقفت عن السير ؟ ..... أتريدنا أن نستمتع قليلًا ؟

ظهرت أسنان جاستون البيضاء اللامعة التي زادت مارك ارتباكًا وخوّفًا خاصة وهو يقترب نحوه ويلوّح بالخنجر أمام وجه مارك الذي تأكد أنها نهايته حتمًا، بدأ جسده يرتجف والعرق يتصبب من جبينه كلما اقترب جاستون نحوه وداهمه بكلماته الرعدية:

-أتظنني سأترك الجميلة لك ؟ ..... جاستون الوسيم لا يترك أشياءه

قبض جاستون على الخنجر وكاد يطعن به مارك لولا عوّدته إلى الواقع وهروّلته بأقصى سُرعة من ذاك المجنون الذي يُريد الفتك به، بدأ مارك يصرخ بصوّتٍ مُرتفع حتى يأتي أحدهم لإنقاذه لكنه لا يلقى سوى الصمت والسكون، وكأن المدينة قد أصبحت خالية من السُكان، وكان جاستون يهرول خلفه حتى استطاع أن يجذبه من سُترته ويدفعه بقوة صوّب الصناديق الخشبية التي سقط مارك فوقهم وهشمهم.

تأوه مارك بألم لكنه لم يطلُ بسبب نظرات جاستون الجحيمية وهو يقترب نحوه بغضبٍ ويرفع الخنجر ليهوِّي به على مارك عازمًا على القضاء عليه حتى تعود الجميلة إلى أحضانه.

-أتظن أنك ستستطيع الهرب

رفع الخنجر مجددًا وكاد يهوِّي به على مارك الذي تدحرج لليمين على آخر لحظة والتقط قطعة من الخشب المُهشم ليضرب بها جاستون وهو يقول بذعر:

-ابتعد أيها المجنون

ضربه على رأسه ضربة جعلت جاستون يتأوه بألم ويمسك رأسه بغضبٍ يتطاير من عينيه، بينما وثب مارك عن الأرض وواصل الهرولة ليهرب من هذا المجذوب الذي طفق يطارده بنظراتٍ جحيمية حتى توّقف كلاهما أمام البحيرة.

توّقف مارك عن الركض مُرغمًا وكان العرق يتصبب من جبينه وأنفاسه تتلاحق بصعوبة، أما جاستون فكان يرمقه بنظراتٍ شيطانية ويرفع خنجره وهو يتقدم نحو مارك ببطء ومارك يتلفت حوله بحثًا عن طريقة للهرب.

قهقه جاستون بشيطانية قبل أن يرفع الخنجر متفوُهًا:

-ستنتهي أيها السارق اللعين

اتسعت بسمته الشيطانية أمام نظرات مارك الخائفة ويداه التي بسطهما أمامه وهو يقول بخوُّفٍ ووعد:

-اسمع .... أنا لن أقترب من بيلا مُجددًا .... أعدك بذلك

كان يتحدث بنبرة متقطعة بين لهيثه حتى يبتعد عنه هذا المخبول، لكن جاستون بقي يتقدم نحوه بنظراته المتوّعدة وخنجره الذي رفعه عاليًا ليهوِّي به عليه قبل أن يداهمه مارك بإمساكه لحفنة من الرمال وإلقاءها على عيناي جاستون.

-أيها اللعين!!

صرخ جاستون بتلك الكلمات وهو يمسك عينيه التي تغلغلت الرمال بداخلهما وجعلته يترك الخنجر ليسقط على الأرض لعدم قُدرته على الرؤية؛ انتهز مارك هذه الفرصة وهرع فوّرًا ليلتقط الخنجر من الأرض ويرفعه صوّب جاستون مهددًا:

-لا تقترب وإلا سأقتلك

رفع جاستون نظره ببطء لتظهر عيناه الحمراء التي لا زالت تؤلمة، لكنه الآن يوّد الانتقام، ليس فقط من أجل بيلا، لكن من أجل أن يتخلص من هذا الحقير الذي تجرأ وضربه على رأسه ثم ألقى عليه الرمال، وكان مارك أمامه يدعو بقرارة نفسه أن ينقذه أحد ويرفع الخنجر أمامه بيدين ترتعدان.

كوّر جاستون قبضته وهو يرمق مارك بثباتٍ قبل أن يتحرك نحوه ليُداهمه بانقضاضة مباشرة أدت إلى.....

-إنه رجلٌ مفتول العضلات، أوّسم من في هذه المدينة، وأكثرهم غرورًا وتكبرًا ..... يأكل اثني عشرة بيضة في اليوم، وأمهر واحدٍ في البصق ..... ويُزين منزله بقرون الحيوانات

قالتها كاتي بعملية وهي تصف لهم جاستون لأنه آخر ما ستنتهي عليه الحكاية، لكن غيّد تدخلت بحديثها كي تُعلق بذهول:

-إثني عشرة بيضة !!.... ألا يوجد كولوسترولٌ هنا ؟

لم تُجبها كاتي وواصلت شرحها حتى ينتبهوا جيدًا ولا يتدخلوا بالأحداث مرة أخرى، فهي تُريد الرحيل من هنا في سلام:

-لا يُهم ..... المهم أننا يجب ألا نقترب من جاستون أبدًا .... فهو الذي سينشر خبر الوحش في المدينة ..... ونحن فقط سنُخبر والدها ونُعطيه المرآة

بقي سامي يُطالعها بإمعان حتى أردف مستنتجًا:

- أليس جاستون هذا يُحب الجميلة .... مارك أخبرنا عنه من قبل .... وقال أن الجميلة لا تُحبه من الأساس

أكدت كاتي على حديثه وهي تواصل بعملية:

-بالضبط .... لهذا السبب سيحاول قتل الوحش .... وسيحدث بسببه عراكٌ في القصر .... وعندما يضحى الوحش في خطر، وتكاد تُسلب روحه، ستعترف الجميلة بحُبها .... وستنتهي هذه الحكاية....

أنهت حديثها بكلماتٍ تحذيرية:

-لذلك لا يجب أن نحيد عن هذه الخطة .... سنُنتظر القليل من الوقت، ثم نُخبر والد بيلا عن الوحش ونُعطيه المرآة .... وجاستون سيتوّلى الأمر بعد أن يهرع والد بيلا لطلب المساعدة منه .... أفهمتم ما أقول

جلس حكيم على مقعدٍ خشبيٍ أمام الطاولة المستديرة وهو يُخبرها بطمأنينة:

-نعم لا تقلقي .... لن نتدخل في الأحداث مجددًا .... يكفي ما حدث حتى الآن...

ما كاد يُنهي الحديث حتى استمع جميعهم إلى طرقاتٍ حادة تُصدر من الباب؛ وثب سامي من مقعده ليفتح للطارق وهو يقول مستنتجًا:

-ها قد أتى مارك أخيرًا

فتح سامي الباب ليتصلب جسده بحيرة وذهولٍ أمام مارك الذي يثب أمامه يلتقط أنفاسه بصعوبة ويدلف المنزل بحالة يُرثى لها، فقد كانت ملابسه مليئة بالأتربة وشعره متناثر بطريقة عشوائية وعوّيناته مائلة وتنزلق بسبب عرقة الذي يُغرق ملابسه رغم برودة الطقس، وما زادهم حيرة أكثر هي بقعة الدماء التي لطخت ثيابه وجعلتهم ينتفضون في ذعر:

-ماذا حدث ؟

سألت كاتي في ذعرٍ ليتنفس مارك الصعداء ويُنحي تفاجئه من وجودهن جانبًا أمام ما واجهه وما فعله!!

-يا رفاق أنا....

توّقف ليلتقط أنفاسه أمام نظراتهم المترقبة ورغبتهم بمعرفة ما حدث، أخذ مارك نفسًا عميقًا حاول معه مواجهة ذعره وخوّفه وارتباكه واستنكاره أثناء بصقه للحقيقة بطريقة مباشرة لعلهم يساعدونه:

-أنااا ..... قتلت جاستون!!

الفصل السادس (مغامرة جديدة)

سيأتي اليوم الذي تُدرك فيه أن أبسط الأشياء في هذا العالم، بدونها ستتدهور الحياة....

كان الليل قاتمًا والسكون مخيِّمًا، السوّاد غلّب السماء الصافية وجعلها سماءً ملبدة بالشرور والأزلام، يحمل الخنجر بيدٍ مُرتجفة، لا يسمع فؤاده الذي يدفعه إلى الهرب، ولا يتحكم بقدميه اللتان تخشبتا على الأرض، فقط يقف متصلبًا يدّعي الثبات بينما بداخله نيران تعتمر الكوّن بأكمله، كانت نظرات جاستون جحيمية وهو يتقدم نحوه بقميصه الأحمر وشعره الأسوّد الناعم، يتقدم نحو مارك بشرور العالم عازمًا على قتله والتخلص منه حتى تعود الجميلة إلى أحضانه.

يتقدم نحوه بحركة مباغتة عازمة على انتزاع الخنجر من بين يدي مارك المرتجفة وغرزها بُعنقه، كان يُفكر بذلك قبل أن ينقض على مارك ويستقبل مارك انقضاضته بحركة مفاجئة سببتها غريزته للبقاء، وجد يداه تغزران الخنجر بصدر جاستون الذي انبثقت الدماء من صدره وتقاطرت على قميص مارك الذي تشنج جسده من هوّل المنظر وبقيت عيناه جاحظتان حتى هوّى جسد جاستون وتركه مارك ليغوص في مياه البحيرة ويطوف جسده الفاني على السطح.

وقع الخنجر من يد مارك وظنٌ أنه سيفقد الوعي، تسارعت نبضات قلبه المذعور ووجد قدماه تهرولان حيث وجهتها، تمنى في تلك اللحظة أن يضحى هذا كابوسًا مروّعًا وأنه في منزله الهاديء وعالمه الخاص به، ليس ذاك العالم الذي يكاد يُفقده صوّابه.

-أه .... كيف لي أن أنام بعد الآن .... أهٍ منك يا مارك .... أصبحتٌ قاتلًا بعد أن كُنت عالمًا يسطع اسمه في كل مكان...

قالها مارك بانتحابٍ وهو يجلس على أريكة متهالكة يُغطي رأسه بيديه ويتحدث بحسرة أمام نظرات ميليندا المُشتعلة وكاتي الصامتة وغيّد البلهاء، وحكيم الذي جلس بجواره يُربت على ظهره بمواساة:

-لا تقلق مارك .... هذا دفاعٌ عن النفس .... لن تقوم الشُرطة بسجنك

تدخلت غيّد لتُعلق منبهة:

-لا أعتقد أن هناك شرطة ونحن في عصور الظلام

انتحب صوّت مارك وبدأ يضرب على فخذه متفوّهًا:

-عن أي شرطة تتحدثان .... أنا قتلت نفسًا بشرية...

عدّل من حديثه بعد أن انتبه إلى خطئه:

-حسنًا لا أعرف حتى إن كان بشريًا .... لكنني قتلت نفسًا

أنهى الحديث بنبرة متحسرة مرتفعة تابع بعدها بانتحاب:

-أه ..... كيف سأشاهد التلفاز بعد الآن ...... ما الذي سيقوله عني الأطفال .... أه ... الأطفال سيحبونني وسأضحى بطلهم الذي يقتل الأعضاء ..... أه ... ضاعت هيّبتك يا مارك

واصل بكاءه ونحيبه ليبجذبه حكيم نحوه ويُربت على ظهره بمواساة قال معها:

-لا بأس عزيزي مارك ..... لا بأس

أخذ يعامله وكأنه طفلٌ صغيرٌ أضاع لعبته حتى تدخلت ميليندا بنظراتٍ غاضبة:

-ما الذي فعلته أيها الأخرق !! .... جاستون هو أملنا الوحيد للرحيل من هنا .... والآن سنعلق بسببك إلى الأبد

تدخلت كاتي لتُهدئها كي يبدؤوا التفكير بحكمة في هذه المُعضلة:

-لا وقت للوم الآن .... يجب أن نفكر في حلولٍ عملية

كانت لهجتها حادة نسبيًا مما جعل ميليندا تدفعها بعيدًا عنها وهي توّبخها:

-لمَ توّبخينني يا هذه ؟ ... أأصبحت المُخطئة الآن .... أم لأنني فتاةٌ سوّداء ستجعلينني سبب كوّارثكم

تنهدت كاتي بخيبة أملٍ من تلك التي تقلب الجدالات إلى جدالاتٍ عُنصرية لا صحة لها، وما كادت تجابه هجماتها وتبدأ الشُحنات بالاشتعال في المكان لولا تدخل سامي الذي حافظ على هدوءه وتفكيره طوال هذا الفترة إلى أن قال:

-توٌقفوا عن الجدال .... لدي خُطة

عمٌ الصمت بينهم وهم يلتفتون صوٌب سامي الذي طالعهم بنظراتٍ جادة قال معها:

-بمَ أن جاستون كان السبب في آخر معركة، وهو قد رحل الآن .... فلن يبقى سوى شيءُ واحدٌ فقط

توٌقف عن الحديث ليُبادل نظراته الجادة بينهم ثم يبصق فكرته مرة واحدة:

-سنفعل ما فعله جاستون

لم تُعجب ميليندا بهذه الفكرة لذلك اندفعت بوٌجهه:

-ولمَ سنفعل ما فعله جاستون ونُعرض أنفسنا للخطر ..... في حكاية الجميلة والوحش الأصلية التي كتبها الأخوان جريم، لم يكن يوجد بها شخصية تُدعى جاستون

قطعت كاتي حديثها بحكمة:

-لكننا لسنا بتلك الحكاية الهادئة التي كتبها الأخوان جريم .... نحن الآن داخل الحكاية المُحرفة ... لذلك يجب أن نسير على قوٌاعدها

تقدم سامي بضع خطواتٍ حسم معهم الجدال بثقة:

-بالضبط، لذلك سنعوٌض شخصية جاستون.... سننتظر بضعة أيام .... ثم نبدأ الخطة.....

شُعلة من النيران تتحرك في تلك المدينة الساكن أهلها التي تحتوي على البُسطاء والفقراء وبعض النفوس الضغينة والأخرى المغلوب على أمرها، عمُ السكون طيات المدينة لأسبوعٍ كامل تحسٌر فيه والد بيلا على فُقدان ابنته العزيزة وكان جميعهم

يراقبون ما يحدث في القصر من خلال هذه المرآة التي احتفظت بها ميليندا وكان لها جُزءًا كبيرًا في خطتهم، فبعد أن مرّ أسبوعٌ كامل ما بين التيه والضياع والرغبة الجامحة للعودة، أتى هذا اليوم الذي ستنتهي به هذه الرحلة، وسيعود الجميع إلى موّطنه سالمًا غانمًا ينام على فراشه بهدوءٍ دون الخطط والمكائد والانتظار والمصائب.

-يا أهل القرية .... إن لم نتحدّ سويًّا .... سيتخلص منا هذا الوحش الثائر

هتف سامي بتلك الكلمات المُتعصبة وهو يقف على تلة عالية بعد أن جمع أهل القرية وآراهم صوّرة الوحش عن طريق المرآة، وما كان منهم سوى الشهقات المذعورة والتمتمات الخائفة بينما واصل سامي خطبته المُحضرة والتي تمرّن عليها جيدًا:

-إذا تركناه سيغور على مدينتنا ..... سيلتهم أطفالنا، سيُدمر بضائعنا .... سيُبدد أمننا وسكينتنا .... يجب أن نقضي عليه قبل أن يقضي علينا

رفع شعلة النيران إلى أعلى وهو يختم الحديث بنبرة صارمة قيادية مُقررة جعلت الدماء تتغلغل في جوّف الجميع والعزيمة تتقض بداخلهم لرغبتهم الجامحة للقضاء على ذاك الوحش، وكان حكيم يُمرر المرآة على أهل القرية حتى يروا صوّرة الوحش المُفترس ويعرفوا أنه خطرٌ عليهم، وما هي إلا لحظاتٌ وجيزة حتى تعالت أصوات الهتاف واشتعلت عزيمتهم وهُم يتحركون وينتشلون الرماح والخناجر والسيوف والشعلات النارية ويستعدون للمعركة، وكان صوّت غنائهم يتعالى وهم يستعدون مما جعل مارك يُعلق بسُخرية:

-ألا يوجد وقتٌ هنا لا يُغني فيه أهل القرية ؟

كانت غيّد تقف بجواره وتُعلق على حديثه بسُخرية:

-أعتقد أنه وقت النوم .... أو لا أعرف، هل يُغني هؤلاء في أحلامهم أيضًا .... ثم كيف لأهل المدينة أن يجتمعوا على أغنية واحدة ويغنونها في نفس الوقت ؟؟

ارتفعت أصوات الهتافات الغاضبة وأصبحت تلك الليلة القاتمة شديدة السواد يُضيئها تلك الشُعلات النارية ويجعلها أشبه بالجحيم، قطع أهل القرية جذع الشجرة وحملوه على أكتافهم وهم يتحركون في الغابة كرجلٍ مغوارٍ جعل الذئاب تختفي من المنطقة من شدة الخوّف، حتى أن سامي اعتقد لوهلة أنهم سيخوضون معركة مع الذئاب أولًا.

اهتز الباب الخشبي الخاص بالقصر إثر ضربات جذع الشجرة المتوالية عليه ونظرات أهل القرية التي تكاد تُحرق القصر وما يحتويه، وكان والد الجميلة مكلومًا على أمره لا يهمه سوى الوصول إلى ابنته وإنقاذها من براثن الوحش المُفترس، بقيوا يضربون ويضربون حتى انفتح الباب مرة واحدة واستطاع أهل القرية أن يتوّغلوا إلى الداخل بنظراتهم المتوّعدة وأقدامهم الحادة، آرادوا سرقة القصر والتمتع بثرواته، وآرادوا قتل الوحش ليعود لهم أمنهم وسلامهم.

توّقف سامي وبقيتهم عن الحِراك عندما استطاعوا اقتحام القصر وتفاجئوا من تصلُّب الأدوات مكانها رغم أنهم يعرفون جيدًا أن هذه الأدوات مُتكلمة.

-لا أحد يتحرك .... لا يُهمنا الآن سوى الوحش

بسط سامي ذراعيه وهو يُحذرهم من هجوم الأدوات المفاجيء مما جعلهم يلوذون بالهدوء حتى أطلق لومبير صيحة من جوفه كانت إعلانًا مباشرًا عن بدء المعركة، حيث هجمت الطناجر الحديدية على أهل القرية وبدأوا يتقاذفون على رؤوسهم، والتهم الصندوق المعدني أحد الرجال وتجشأ بعد التهمامه، كما أخذت الكؤوس الحديدية تُطلق اليقطين على الرجال يليها الإبريق الذي أمر فناجين القهوة بإسكاب القهوة الساخنة على رؤوس المُعتدين مما يجعل صرخاتهم المتألمة تتعالى، والخزانة تقفز من أعلى السُلم وتُحطم ظهر واحدٌ من الرجال، أما لومبير فكان يختبيء في أحد الأركان خائفًا من ذاك المُعتدِ الذي يحمل شُعلة نارية ويُقربها منه بابتسامة شيطانية تابعت جسد لومبير وهو يذوب وينصهر بفعل النيران حتى فاجئه المنبه بضربة مباغتة بسكينه الصغير جعلت الرجل يصرخ من الألم ويطير جسده أمام كاتي وميليندا اللتان وقفتا جانبًا تُراقبان هذا الهرج والمرج بذهول:

-هذه أول معركة أرى فيها فناجين القهوة تُقاتل بهذه البسالة

قالتها غيّد بسُخرية علّقت عليها ميليندا:

-معكِ حق .... لا أعرف كيف سأشرب القهوة بعد الآن

لاح بينهما فترة من الصمت ولازالت المعركة شاغرة وتزداد جنونًا حتى وجدا رجال القرية يتطايرون ويتساقطون على أوضاعٍ غريبة والخزانة تلتهم أحدهم وتُخرجه من داخلها بعد أن جعلته يرتّدي ثياب الفتيات.

-ماذا سنفعل الآن .... هل نهرب ؟ أم نقاتل مع الجماد أو البشر ؟

لم تكد غيّد تُجيبها حتى وجدا رجلٌ يتطاير في الهواء ويسقط أمامهما على وضعية غريبة، فكان ينام على بطنه وقدماه مطبقتان للوراء حتى وصل كاحله إلى رأسه، وكان يُتمتم بألمٍ رغم قوة الضربة؛ وجدت غيّد يديها تدفعان ميليندا بعيدًا وهي تُجيبها بذعر:

-أمازلت تُفكرين .... سنهرب بالطبع.....

تجاهل أصوات الشجار والعراك السافر والمجنون في ذاك القصر الذي تحوّل إلى مهرجانٍ شعبيٍ بإحدى المناطق العشوائية، حذا حذوه نحو الدرجات الشاهقة ليصعدها وينتفض جسده مرة واحدة إثر الأكواب المعدنية التي بدأت تتقاذف نحوه، كان يسير بوجهة مُحددة، وعزيمة تدفعه للخلاص من هنا ، لا يجب أن يضحى في ذاك العالم المجنون أكثر، عليه أن يرحل بأي ثمن، وبأية طريقة!!

دفع سامي أحد الأبواب بنظراتٍ مُشتعلة ويدٍ تحمل عصا خشبية غليظة، لم يجد أحدًا في هذه الغُرفة فأشار بيده نحو مارك وحكيم حتى يتبعانه لإنهاء هذه المُهمة.

هرول مارك وراءه يليه حكيم الذي أخذ يتلفت حوّله في كل حينٍ وآخرٍ تجنبًا لهذه الأطباق المتطايرة، وجد سامي حُجرة ذات بابٍ عريضٍ ونقوشٍ ملكية، دفع الباب بقدمه بقوة كادت تجعله يتطاير ويتهدم، فُتح الباب على مصراعيه ليُقابلهم الوحش بنظراته المتحدية وأنيابه الحادة، كان صوّت زمجرته يُعادل صوّت دبٍ في العصور الوُسطى، ومع ذلك تماسك سامي جيدًا وهو يقبض على العصا ذات المسامير المعدنية الشائكة، رسم على وجهه نظراتُ شريرة وهو يتقدم نحو الوحش نابسًا:

-لن تسجننا هذه المرة أيها القبيح

تعمد إغاظته بحديثة حتى يظهر الغضب على وجه الوحش مما يساعدهم على تنفيذ خُطتهم، فما كان من سامي أن تقدم نحوه حتى داهمه الوحش بدفعة قوية جعلت جسد سامي يطير في الهواء ثم يرتطم بخزانة عتيقة جعلها تتحطم، هرول كلًا من حكيم ومارك وهما يهتفان بحرارة ويرفعان عصييهما نحو الوحش استعدادًا للهجوم لتتعالى زمجرات الوحش ويزداد غضبه من ذاك الهجوم المفاجيء.

أطلق حكيم صرخة مرتفعة عندما دفعه الوحش بذراعه الثقيل ليرتطم حكيم بالحائط ويجعله يتشقق، الأمر الذي جعل حكيم يهتف بسُخرية:

-هو القصر دا بلاستك ولا إيه ؟

ثم تأوه بعدها بألمٍ وهو يتحسس ظهره الذي يشعر وكأنه تحطم إلى مئة قطعة، أما عن مارك فكان يتلوّى بين قبضة الوحش الذي رفعه لأعلى وكاد يُلقيه لولا مداهمة سامي المفاجئة التي جعلت الوحش يترك مارك على الأرض ويتحسس رأسه بعد أن هوّي سامي عليها بعصاه الخشبية.

التفت الوحش نحو سامي بآلية أضاف عليها نظراته الحادة وعيناه اللتان أضحتا حمراوتان، كان يرميه سامي بنظراتٍ غاضبة ويتمسك بعصاه الخشبية بحدة، وما كاد يرفعها مجددًا حتى وجد يد الوحش تُحاوط عُنقه وتجعل أنفاسه تضيق، كان سامي يتلوّي بين يده ويضرب ذراع الوحش بعشوائية قبل أن ينفد الهواء ويسقط صريعًا، ارتفع بضع أمتارٍ عن الأرض ليرى مخالب الوحش ترتفع أمام عينيه ويظهر حدتها التي جعلته يزدرد ريقه في هلع، فهو سيموت هنا حتمًا، سيموت ويختفي عن عالمه الحقيقي.

أطلق حكيم صرخة مُرتفة وهو يهرع نحو سامي ليُساعده لولا زمجرة الوحش التي داهمته ومخالبه التي آدارها في حركة مباغتة صوّب حكيم الذي تأوه بألمٍ إثر حوافر الوحش التي نحرت كتفه مع دفعته التي جعلته يبتعد بضع أمتارٍ مضرجًا بدماءه!!

-حكيـــم!!

صرخ مارك بتلك الكلمات وهو يثب عن الأرض ويهرع نحو حكيم الذي كان يتأوه بصوّتٍ مكتومٍ ويتحسس ذراعه المليء بالدماء، كان يتلوّى على الأرض محاولًا

عدم البكاء من كثرة الألم؛ خلع مارك سترته وضغطها على جرح حكيم حتى يتوّقف النزيف، بينما كان الآخر يرفع إصبعه ويردف بطريقة درامية بين أنينه:

-إتركوني هنا .... هذا هو قدري .... أخبر والداي أنني أحبهما، أخبر شقيقتي أنني .... أنني سأشتاق إليها .... أرجوك، نفذ وصيّتي

قطب مارك حاجبيه بتهكمٍ وهو يحاول إسعافه:

-يا صاح .... أنا لا أعرف أحدًا من عائلتك....

بينما كان سامي في الجهة الأخرى يواصل عراكه غير المتكافيء مع الوحش ويطالع رفيقيه بحسرة، فقد ظنٌ لوهلة أن عراك الوحش سيضحى أسهل من ذلك، فقد أخبرتهم كاتي أنه كان ضعيفًا مهزومًا حينما تعارك معه جاستون وكاد يرديه صريعًا، لكنه تذكر أن في الحكاية الأصلية كان الوحش فاقدًا لنصفه الآخر، نصفه الذي يستمد منه قوّته، والآن، لن يستطيعوا مجابهته وهوهكذا، حيث كان يرفع مخالبه أمام سامي ويكاد يهوّي بها عليه حتى يقتله ويتخلص منه، كاد يقترب بمخالبه حتى جحظت عينا الآخر ذعرًا وبدأ يُرتل ما يعرفه من الأدعية والصلوات حتى يتخلص من تلك المحنة، رأى النيران تتقاذف من عيني الوحش والغضب يطغي على يده التي ترتفع وترتفع ثم....

-توّقف .... توّقف أرجوك

أوقف الوحش يده في الهواء إثر هذه الكلمات الرقيقة التي اخترقت آذانهم، أرخى قبضته عن عُنق سامي الذي بدأ يسعل في محاولة جاهدة لاستعادة أنفاسه، التفت الوحش ببطء ليجد الجميلة تقف خلفه برداءها الأصفر وعيناها الحمراء المغرورقة بالدموع، ملامحها الجميلة وبرائتها الطاغية جعلت قوّته تتلاشى وغضبه ينمحي تدريجيًا، كانت كاتي تقف على بُعدٍ منها تراقب ما يحدث من بعيد وتُرسل إشاراتٍ صوّب سامي حتى يُنفذ ما تبقى من المهمة.

اقتربت الجميلة نحو الوحش تضع يدها المُرتجفة على ذراعه لعلها تبثه بعض الهدوء، وكان الوحش مُستكينًا بين ذراعيها يُطالعها بنظراتٍ تحمل من الاستسلام ما تحمله من بقايا الغضب، وكان سامي يراقب ما يحدث من بعيدٍ ويلتقط إشارات كاتي التي تجعله أكثر ارتباكًا، لم يعُد يثق في حظه بعد الآن، ماذا إن كانت ضربته

للوحش كفيلة بإنهاء حياته للأبد، ماذا إن كانت النهاية مختلفة، ماذا إن أصبح الشر هو المُنتصر هنا ؟؟ بقيت هذه الخواطر تداعب عقله وهو ينحني ليلتقط العصا من الأرض ويبادل نظراته ما بينها وبين الوحش في ترددٍ، وبعد القليل من الثوانٍ كان الجميع يستمع إلى صوّت العصا وهي تهوي على الأرض كي يُحرك سامي يده صوّب جعبته، فهو قد قرر أن يُغيِّر الخطة، قرر أن يسير على نهج هذه المهمة، لكن بطريقة مُختلفة!!

كان يعلم أنه سيستخدم ذلك الإكسير العجيب، وأن ظهوره أمامه لم يكن بلا فائدة، فكل شيءٍ هنا له مكنونه وحكايته حتى ولو لم يُلاحظها أحد، قبض على الإكسير بنظراتٍ حادة انتهز معها فتور الوحش واستكانته بين ذراعي الجميلة حتى ينقض هو عليه ويسكب قطرتين من الإكسير جعلت جسد الوحش يتشنج مرة واحدة والجميلة تُطلق شهقة مذعورة تلتها ببكاء ودموعٍ مُنهمرة وهي تركع أمام الوحش الذي أخذ يتلوّى وينتفض حتى استكانت حركته تمامًا!!

-لاااا....

صرخت الجميلة بتلك الكلمات وهي لا تتوّقف عن البكاء وتتحسس جسد الوحش الذي بدا مفارقًا للحياة، هرعت كاتي صوّب سامي لترميه بنظراتٍ جحيمية لأنه لم يُنفذ الخطة، بل يكاد يقتل الوحش أيضًا، طفقت تهمس بأذنه بنظراتٍ جحيمية:

-ما الذي فعلته ؟

طمأنها سامي بهمسه ومراقبته لذاك المشهد:

-لا تقلقي .... سيعود إلى الحياة .... فالقطرة الواحدة تجعله يفارقها ... وقطرة ثانية تجعله يعود إليها .... وأنا وضعت قطرتين متتاليتين

لم تفهم كاتي حديثه وبقيت تطالعه بجهلٍ حتى شعر الجميع برياحٍ عاتية كادت تُطير خصلاتهم، وجدوا الأثاث يتحرك مرة واحدة وجسد الوحش يطوّف في الهواء مع إناراتٍ تُحيطه وتزيد من عوالم الدهشة في وجوههم، كان مارك يرمق ما يحدث بنظراتٍ جاحظة، وحكيم يجلس على الأرض وقميص مارك يلتف حوّل ذراعه المجروح، أما غيّد وميليندا فقد أتيتا من مخبئهما ليشهدا على تلك المعجزة التي تحدث أمام أعينهم، فها هو الوحش القبيح يتحوّل مرة واحدة وهو في الهواء، ثم

يعود إلى الأرض وقد أصبح أميرًا وسيمًا بأعينٍ خضراءٍ وخصلاتٍ ذهبية، عاد إلى الحياة وكأنه لم يُفارقها، بل عادت معه جميع الأدوات وتحوّلت معالم القصر المقفهرة إلى أخرى مليئة بالبهجة والسعادة.

اتسعت ابتسامة كاتي وهي تشاهد ما يحدث من بعيد، وكان سامي يُقابلها بابتسامة فخورة مُنتصرة، ومارك يُساعد حكيم على الوثوب ليلتفوا جميعهم حوّل بعضهم، اقتربت غيّد وميليندا نحوّهم لتُلاحظهما كاتي وتسأل:

-أين كُنتما ؟. .... لمَ لم تساعداننا ؟

سألتهما كاتي ببعض الحدة لأنهم اتفقوا على معاونة بعضهم في تلك المهمة، وكان الارتباك والتوتر يلوّح على كلٍ من غيّد وميليندا اللتان تبادلتا النظرات ولم تكونا تعرفان كيف يُخبرانهم أنهما اختبئا كالفئران في جحورها:

-إييه .... وأين سنكون يا هذه .... بالطبع كُنا نحارب

قالتها غيّد بثقة زائفة لتطالعها كاتي بتكذيب وميليندا تخفي نظراتها وتُؤكد على حديث غيّد بكلماتٍ مُختصرة تبعها فترة طوّيلة من الصمت حتى وجدوا الأمير يلتفت إليهم بنظراتٍ غاضبة كاد معها يأمر حراسه باعتقالهم لولا تدخل كاتي التي رفعت يدها نحوهما واقتربت وهي تقول باعتذار:

-نعلم أننا وضعناكما في خطر .... لكنني أقسم أننا لم نكن نقصد .... نحن نعتذر عمَ بدر منا من متاعب .... ونتمنى أن ننال سماحكما

قالتها بأدبٍ وبطريقة أرستقراطية جعلت الأمير يُبادل نظراته مع الجميلة وكاد يعترض حديثها لولا تذكره أنه تغيّر:

-حسنًا .... أسامحكم

ابتسمت كاتي بانتصارٍ وأخذت تتراجع نحوّهم بينما كان حكيم يهتف بتهكمٍ وسُخرية :

-إيه ده !! .... بالسهولة دي !!... طب على فكرة بقى أنا مش مسامح في كتفي اللي اتخرشم ده

قالها بصوّتٍ مُرتفعٍ آشار معه على كتفه المصاب وتعمّد الحديث بالعربية حتى يستطيع الإعراب عمَ بداخله....

عمُت السعادة في المكان أخيرًا وانتهى عهد هذه الزهرة ليبدأ معه عهدٌ جديد، عهدٌ لا يخلو من السعادة والاستقرار، رغم أن الاستقرار لا يعرف سبيلًا إلى عالمنا الحقيقي، لكن بما أننا في عالم الرسوم المُتحركة، فلا يوجد هنا سوى النهايات السعيدة والوردية.....

موسيقى كلاسيكية تتغلغل جُدران هذا القصر الكبير الذي أصبح الآن مُلتقًا للأرستقراطيين والملوك، كانت حفلة زفافٍ راقية يرتدي فيها النساء فساتينًا متحضرة ذات القفازات والألوان المُبهجة المتناسقة، والرجال يرتدون بزاتٍ فيكتورية يتنوع ألوانها ما بين الأصفر الباهت والأزرق والأحمر والبُني وغيرها من الألوان التي تختلف تمام الاختلاف عن ألوان البزات في عالمنا.

يجلس سامي على طاولة مُستديرة يُراقب الحفلة الهادئة من بعيدٍ ينتظر أن تأتي الراقصة وتُلطف من تلك الأجواء المُملة لكنه يعود إلى الواقع_ أو إلى الخيال_ ويُدرك أن هذا العُرس هو من أمل الأعراس التي يحضرها بحياته، فأين توجد التسلية بتلك الموسيقى الكلاسيكية الرتيبة وهذه الرقصات الآلية التي تُذكره بالدُمى التي ترقص بصندوق الموسيقى. كان يجد مُتعته فقط في تدخين خابوره وتناول هذه المقابلات الموضوعة على الطاولة.

كان حكيم يجلس على مقربة منه يربط ذراعه المُصاب ويتحدث مع غيّد بلهفة:

-بس إيه رأيك وأنا عامل فيها شرير ؟

اتسعت بسمة غيّد بسُخرية قالت معها:

-كُنت بتبكي

قهقه حكيم بتعالٍ قال معه:

-للدرجادي كان شكلي شرير

أخذ يُهندم ملابسه بتعالٍ بينما كانت غيّد تُعدل حديثها بضحكاتٍ رنانة:

-مو قصدي هيك .... قصدي إنك كُنت بتبكي من الضحك

ارتفع صوّت ضحكاتها وهي تتذكر حديثه الدرامي بعد أن أصيب وألقي على الأرض رغم أن إصابته سطحية، وكان حكيم بجوارها يُطالعها بغضبٍ على سُخريتها ويشاكسها بالحديث مُذكرًا إياها أنها اختفت عن المكان ولم تُساعدهم، بل قررت الهرب هي وميليندا وهو يعرف ذلك رغم تكذيبهما....

كانت كاتي في عالمٍ آخرٍ تتابع رقصات الجميلة مع الوحش الذي أصبح أميرًا وسيمًا يرمقها بكل حبٍ وحنان، تمنت في تلك اللحظة أن يضحى عالمها ورديًا كهذا العالم، عالمٌ ينتصر فيه الخير دائمًا مهما كانت الأزلام، أخذت تتابع حبهما وتتخيّل نفسها مكان الأميرة وهناك رجلٌ وسيمٌ يرقص معها ويُغرقها في بحور عشقه، حتى أن الهيام بدأ يرتسم على ملامحها ويجعل الابتسامة تشق ثغرها ورأسها يميل حتى يستند على باطن كفها بشجنٍ قطعه صوّت ميليندا التي طفقت تهرول نحوهم هي ومارك.

-رفاق .... الجُهاز يُطلق إشارة

انتبه الجميع نحو ميليندا التي كانت تقوم بتعديل الخوارزميات مع مارك حتى وجدا الجهاز الصغير يُطلق ضوءًا متتابعًا نبههما أن الوقت قد نفد ولحظة العوّدة قد جاءت أخيرًا....

ترك الجميع قاعة العُرس وتحركوا خارج القصر إلى أن توّقفت أقدامهم ببقعة نائية تخلو من المعازيم، كانت ميليندا تمسك الجهاز تساعد مارك في ضبطه والجميع يلتفون حوّلهم في استعدادٍ وترّقب، وفجأة .... بدأ الجهاز بإطلاق العديد من الأصوات الخافتة المصاحبة لضوّء صغيرٍ يتكرر.

-استعدوا جيدًا

قالها مارك بتحفزٍ جعل الجميع يقف منتصبًا ويقترب نحو الجهاز قبل أن تضغط ميليندا على أحد أزراره.

-كانت هذه مغامرة جيدة ..... لا أتمنى أن تتكرر أبدًا

خرجت هذه الكلمات من سامي تبعها حديث مارك الصادق:

-وأنا أيضًا ..... أتمنى ألا آرى وجوهكم مرة أخرى

أكد الجميع على حديثه تزامنًا مع اللحظة التي ضغطت فيها ميليندا على الجهاز _قبل فوات الأوان_ لينفجر ضوءٌ ساطع يليه رياحٌ عاتيه دفعت أجسادهم وجعلتهم يشعرون وكأنهم يطيرون لأعلى ثم يهبطون على الأرض وكأنهم يقفزون من الطائرة...!!

فتح عينيه بوهنٍ ليجد جسده مُتسطحًا على الأرض والألم في ذراعه قد تزايد أضعافًا إثر هذه الدفعة، بات يُفكر في كذبة يقولها لوالديه عن هذه الإصابة، فأما يُخبرهما أن سيارة اصطدمت به أو سقط على جذع شجرة آصابته بهذا الجرح العميق، فلن يُصدقه أحدٌ إذا أخبره أن هناك وحشٌ قام بنبش ذراعه بحوافره.

عدّل حكيم من هندامه وهو يثب عن الأرض يتفقد ذراعه المُصاب ويكتشف أن الجهاز قد نقلهم بالفعل!!

-يا فرج الله .... أخيرًا هرجع لفنزاتي

قالها بسعادة بالغة ونفسٍ مُطمئنة قبل أن يتلفت حوّله ويُلاحظ هذه الأشجار الكثيفة:

-إيه ده ... غابة تاني !! .... هو الجهاز نزلنا مكان غلط ولا إيه

تلفتت ميليندا حوّلها وهي تهتف باستنتاج:

-هل هذه يوتا ؟ .... ألم نكن بكاليفورنيا ؟؟

وكان مارك يُنفض الأتربة عن جسده وهو يُجيب ميليندا بثقةٍ وتعالٍ:

-لا تقلقوا .... لقد عُدنا في سلام .... ربما الجهاز يحتاج إلى بعض التعديلات حتى ينقلنا إلى المعمل، لكنني سأفعلها حالما أرحل من هذه الغابة

أما عن غيّد فكانت في وادٍ آخر تُقطب حاجبيها بغرابة وهي تُشير على أرنبٍ رماديٍ صغيرٍ يركض مع العصافير:

-إييه .... منذ متى والأرانب والعصافير على وفاق ؟

انتبه الجميع إلى حديثها وازدادوا تعجبًا حينما وجدوا غزالة صغيرة تتجوّل بأريحية دون وجود أية لافتاتٍ أو صيادون أو محميات طبيعية، الأمر الذي جعل كاتي تثب عن الأرض ويبدأ الشك يساورها وهي تقول:

-لا أعتقد أننا عُدنا

لاحت عوالم التجهم على وجه سامي وهو يتجوّل ببطءٍ في تلك الغابة متفوّهًا:

-أين نحن بالضبط ؟

آجابه حكيم وهو يُشير بإصبعه نحو فتاةٍ تتجوّل في الغابة ترتدي ثوًبًا بسيطًا وتدوّر حوّل ذاتها وهي تُغني بصوّتٍ عذبٍ جميلٍ والعصافير والآرانب تتجوّل حوّلها وتبدو وكأنها تُغني معها:

-يا رفاق .... هناك فتاة هنا .... دعوّنا نسألها أين نحن ؟

قالها بلهفة وكأنه وجد حلًا لمُعضلتهم؛ أخذ الجميع يتلفت صوّب هذه الفتاة حتى تيبست أقدام كاتي على الأرض ليسقط فكها في صدمة قالت معها:

-لا .... لا أحد يذهب إليها .... أنا أعرف أين نحن ؟

بدأت الحديث بتحذير بسطت معه ذراعيها حتى لا يختلطوا بذاك العالم مُجددًا، اقترب نحوها كلًا من ميليندا وغيّد وسامي الذي سأل:

-أين نحن ؟ .... ومن هذه الفتاة ؟

آجابته كاتي وهي لا تزال تتطلع إلى تلك الفتاة والحيوانات التي تجاورها:

-إنها سنووايت!!

الفصل السابع (سنووايت)

يوجد تشابهٍ كبيرٍ ما بين الرمال الساخنة والكوارث الُمدمرة، كلاهما يأتياننا بشكلٍ أو بآخر، وهما بالتالي يصعب عدُّهما وحصيهما....

المصاب تتوالى على رؤوسهم الواحدة تلو الأخرى، ألم يتخلصوا من تلك الكارثة ؟ ألازالوا بذاك العالم المجنون ؟ ألا يوجد خلاصٌ من هذا العالم أبدًا ؟ لكن الآن .... المغامرة من نوعٍ آخر، مغامرة لا يعرفوا كيف ستنتهي، لكنهم يُريدونها فقط أن تنتهي، بشكلٍ أو بآخر.

-ما معنى هذا الحديث ؟ .... ألم تقولا أننا سنعود بعد انتهاء الفيلم ؟

قالها سامي بنظراتٍ حادة غاضبة وكلماتٍ كالسيف وجهها نحو ميليندا التي أطرقت برأسها نحو الجهاز الصغير ومارك الذي طفق يُبرر بارتباكٍ ويُعدل من عوِّيناته التي تنزلق على أنفه:

-ربما حدث خللٌ ما_

-لا تُهمني هذه التبريرات .... أعدنا إلى ديارنا فوٌرًا

صرخ سامي بوجههم وكانت الشرارات تتقاذف من عينيه وتجعل ميليندا تزداد ارتباكًا وتحاول الضغط على الجهاز لعله يستجيب ويُعيدهم، لكن محاولاتها تبوء بالفشل، فالجهاز متوٌقفٌ عن إطلاق الإشارات، أي أنهم مسجونون هنا!!

-لا يعمل الجهاز ..... وربما لن يعمل أيضًا حتى نهاية الفيلم

قالتها بصوٌتٍ متزبزبٍ جعل سامي يضيق ذرعًا ويضع يده على رأسه وكأنه يجاهد حتى لا يُحطم رأسيهما، كانت غيٌد تتابع ما يحدث بخيبة أمل وكاتي تتلفت حوٌلها وتُقرر تهدئة المؤٌقف بحكمتها المعتادة:

-لا وقت للجدال الآن .... سُنعيد الكرة بعد الانتهاء من ذاك الفيلم .... لكن أولًا .... يجب ألا نتدخل بالأحداث حتى لا نعلق هنا

أنهت حديثها بتحذيرٍ ويدانٍ مبسوطتان أمامها حتى ينتبه الجميع إليها، تقدمت غيٌد نحوهم متسآلة:

-وما العمل إذا ؟ .... ما هي الحكاية ؟ .... لم أشاهد هذه الأفلام، ولم أعرفها سوى معرفة سطحية .... هلا أخبرتني عمَ يجب أن نفعله

وجهّت سؤالها نحو كاتي التي أدركت للتو أنها الأكثر معرفة بحكايات الأطفال، وهذا لأنها تقضي أغلب الأوقات بينهم، لهذا السبب كانت تقول بثقة:

-تتحدث الحكاية عن أميرة جميلة تُدعى بياض الثلج، ستلوذ بالفرار من خالتها إنجرد، الساحرة الشريرة التي تُريد قتلها بسبب غيرتها الطاغية وبسبب أيضًا رغبتها العارمة في توّلي الحُكم....

اختصرت الحكاية ببضع كلماتٍ ثم توّقفت عن الحديث لتُحذرهم:

-كل ما علينا فقط هو ألا نقترب من قصر الساحرة الشريرة .... وألا نقترب من سنووايت .... أبدًا

اتكأت على آخر كلماتها حتى ينتبه الجميع لها، وما كادوا يُنفذون حديثها حتى لاحظ سامي اختفاء حكيم عن الساحة، حتى أنه لم يكن ينصت إلى ما قالته كاتي من الأساس؛ طفق يتلفت حوّله في تيه سأل معه:

-أين هو حكيم ؟

بدأ الجميع يتلفت حوّله بحثًا عن حكيم لعل مكروّهًا قد آصابه، لكنهم يتصلبون مرة واحدة حينما تداهمهم صيحة حكيم وصوّت أقدامه التي بدأت تهرول:

-ابتعد عنها أيها الحقير!!

سقط فك كاتي في قلق، بينما تجهمت عوالم سامي وهو يهرول بأقصى ما لديه نحو هذا المجذوب الذي يضرب بتعليماتهم عِرض الحائط، فهو قد ترك مجلسهم ومصيبتهم وطفق يتأمل الأميرة البيضاء بانتشاء حتى وجد حارسًا ضخمًا يرفع خنجره ويكاد يهوّي به على ظهر الأميرة عازمًا على قتلها، الأمر الذي لم يتحمله حكيم فأخذ يركض باتجاه الحارس ليوّقفه بأي طريقة.

-حكيم لا تذهب إليها

صاحت ميليندا بتلك الكلمات وهي تتحرك صوّب حكيم ويسبقها سامي بهرولته المُسرعة قبل أن يُفسد حكيم الأمر ويتسبب بعلقهم هنا، لكن يبدو أنه لا يوجد حياة لمن تُنادي، فحكيم لا يستمع إلى صيحاتهم، كل ما يرغب به فقط هو إنقاذ هذه الأميرة الجميلة بطبيعته الشهمة، فهو لا يعرف أن ذلك جزءٌ من الأحداث، بل كاد يتناسى حتى أنهم في عالمٍ آخر.

وجد سامي هروّلته تتباطيء فجأة وجسده ثقيلٌ ثقل الفيل، وكان حكيم أمامه يركض بحركة ثقيلة متباطئة وجسده يُحركه بصعوبة، حتى أن سامي حاول الصياح به حتى يتوّقف لكنه وجد الكلمات تخرج من فمه ببطءٍ وثِقل:

-حكيـــم .... إستنـــى

التفت حكيم صوّبه ليجده يهرول بنفس طريقته البطيئة، الأمر الذي جعله يسأل بحيرة:

-إحنا بنجري براحة كدة ليه ؟

آجابه سامي وهو يهرول خلفه ببطءٍ شديد:

-تقريبًا كدة ... ده السلو موشن

انتهت فقرة التصوّير البطيء أخيرًا ووجد حكيم أقدامه تتحرك كالفراشة ويداه ممسكتان بحجرة كبيرة قد التقطها قبل محاولاته لإنقاذ الأميرة، كان يرفع هذا الحجر ويُطلق العديد من السبات وهو يهوي به فوق رأس الحارس لتنفجر الدماء من رأسه وتُطلق الأميرة شهقة مذعورة غطت معها وجهها في خوّف.

توّقف حكيم عن الركض وهو يلهث ويترك الحجارة على الأرض رامقًا هذا الحارس الوغد بنظراتٍ مُزدرية، الأمر الذي جعل سامي يزداد غضبًا ويبدأ بزجره :

-إنت عملت إيه ؟

خفض سامي جذعه ليتحسس نبضات الحارس المتوّقفة وتجحظ عيناه في هلع، فحكيم قد تسبب بقتله دون أن يلحظ، تسبب بقتله دون أن يُنهي دوّره في الفيلم!!

وكان حكيم يتنفس الصُعداء ولازالت عوالم الشهامة تطغي على وجهه وتمتزج مع خوٌفه ورهبته من المؤقف:

-كان معاه سكينة وعايز يقتلها .... الحق عليا يعني عشان بدافع عن بنت غلبانة

ازداد غضب سامي وهو يثب عن الأرض متفوٌهًا:

-هي بنت خالتك عشان تدافع عنها .... مش كاتي قالت محدش يتدخل في الزفت إللي احنا فيه

ارتبك حكيم وبدأ العرق يتصبب على جبينه إثر نبرة سامي المُتجهمة وشعور الذنب الذي بدأ يطفو على اليابسة:

-هـ..هو مات ولا إيه ؟ .... أنا مضربتهوش أوي يعني

تصلُّب جسد غيٌد بعد أن رأت جثة الحارس مُضرجة بدماءها وحجارة بجواره تحمل بقعة من الدماء، كان الذعر يلوح على عينيها وهي تهتف بخوٌف:

-أو لا .... هل قتلتم الحارس!!

باتت تشعر الآن أنها بين مجموعة من القتلى، فأولًا كان جاستون، والآن هذا الحارس، ولا تعلم أي من الشخصيات الخيالية سيقتلونها مرة أخرى.

-تبًا لكم ..... ما الذي فعلته أيها المُجرم ؟

صرخت ميليندا بتلك الكلمات المؤجهة نحو حكيم الذي طفق يزدرد ريقه بهلعٍ ولا يعرف كيف يُخلص نفسه من هذه المصيبة، بل يشعر أن والداه إذا علما بفعلته فسوف يتبرأا منه للأبد.

-لـ... لم أقصد أن أقتله .... كـ..كنت فقط أحمي الفتاة

قالها حكيم بتقطعٍ وصوٌتٍ أقرب للبكاء جعل كاتي تقول بحكمة:

-هذا الحارس لم يكن ليقتل سنووايت .... كان فقط سيُخبرها أن الملكة الشريرة تُريد قتلها وأن عليها الفرار

تدخل مارك بالحديث ليدلي حله بثقة:

-حسنًا إذا .... سنُحذر نحن الأميرة .... وننتهي بعدها من هذا الأمر

أثنى سامي على حديثه بقوله:

-هذا صحيح .... الأميرة كانت_

بتر كلماته وهو يتلفت حوّله على أمل أن يجد الأميرة تتجوّل في بقعة من البقاع، لكنه يتفاجأ من الفراغ الكامن بجواره وكأن الأميرة لم تطيء بقدميها الغابة يومًا.

-أو لا .... أين الأميرة ؟

قالها بذعرٍ تلفت معه حوّل نفسه وطفق يدور في كل مكانٍ بحثًا عنها، الأمر الذي جعل نظرات كاتي تحتد ولسان حالها يقول:

-هذا ليس جيدًا .... قد تعود الأميرة إلى القصر وتتقابل مع الملكة الشريرة .... وقتها ستحاول التخلص منها هناك .... يجب أن نُحذرها فوّرًا

بان الذعر على ملامحها وهي تتحدث وتتلفت نحو الفتيات مُقررة:

-سأذهب أنا والفتيات إلى القصر للبحث عنها وتحذيرها .... وأنتم ابقوا هنا وحاولوا التخلص من هذه الجُثة.....

تحركت برداءها الأسوّد كسوّاد قلبها نحو مرآة عريضة من يراها يعتقد أنها بوابة لعالمٍ آخر، بوابة لعالمٍ لا يوجد به سوى الشر والخداع، كانت تقف بخيلاءٍ أمام هذه المرآة تُهندم ثيابها وتتأمل نضارة بشرتها وملامحها الخالية من البثور والحبوب رغم كهالتها، فهي ساحرة بارعة، لن تغلبها البثور والحبوب وتجاعيد الزمن.

وقفت أمام المرآة تسألها سؤالها المُعتاد:

-يا أيتها المرآة .... من هي الأجمل في هذا العالم ؟

سرعان ما سطع ضوءٌ بنفسجيٌ و أخضر من المرآة وتشكل على هيئة قناعٍ أخضرٍ يعلوه الشر والمُكر، كانت تعتقد الملكة أن المرآة ستُخبرها أنها الأجمل والأروع في

هذا العالم، فهي قد أرسلت الحارس ليقتل بياض الثلج ويأتيها بقلبها النقي حتى تدعسه بين قدميها، لكنها تفاجأت من كلمات المرآة الصادقة حتى الوقاحة:

-سنووايت هي الأجمل

تجهمت ملامح الملكة وبان الغضب عليها وهي تقول:

-سنووايت لم يعد لها وجود

-بلى يا مولاتي .... سنووايت لا تزال على قيد الحياة

أكدت المرآة على كلماتها بطريقة كادت تجعل الملكة تفقد صوابها، كيف نجت الأميرة ؟ ومن الذي أنقذها وأين هي الآن حتى تتخلص منها، لكنها لم تكد تُنهي تساؤلاتها حتى استمعت إلى همسات سنووايت من بعيدٍ وهي تتحرك خارج القصر تشكي همومها وذعرها للعصافير بالقُرب من البئر، الأمر الذي جعل الملكة الشريرة تقبض على صوّلجانها وتضرب به الأرض في مكرٍ ودهاء، فعليها أن تتخلص من الأميرة بأية طريقة، وفي أقرب وقت!!

لم تكن هذه الغابة كغيرها من الغابات، بل كانت مُفعمة بالحيوية والنشاط عكس الغابة الأخرى المليئة بالذئاب، كان يحمل أقدام الجثة ويُساعده حكيم بحمل الأكتاف وعلامات الاشمئزاز على وجهه، فهو لم يتخيل أن يتسبب بمقتل أحدهم بل ويدفن جُثته أيضًا، ربما هذا العالم قد أخرج المجرم الكامن بداخله، ولا يعرف كيف سيواصل حياته الطبيعية بعد أن جرّب القتل، رغم أنه يعلم جيدًا أن ضربة كهذه في عالمه الحقيقي لن تتسبب في الوفاة.

كان مارك يساعدهما بالتوّجيه والبحث عن بُقعة نائية لدفن هذه الجثة الثقيلة، وأحيانًا ما يحملها بدلًا من سامي أو حكيم إذا أُستنزفت قوّاهما، وبعد فترة من السير الطوّيل بين الحشائش والورود والحيوانات التي تتوّارى خلف الأشجار وتراقبهم بنظراتٍ غاضبة.

ارتخت عضلات حكيم وهو يهوّي بهذه الجُثة على الأرض يُحرك كتفه المجروح وقد شعر في تلك اللحظة أنه فقد الإحساس به، بدأ يُحرك كتفه للوراء والأمام

محاولًا تجنب هذه الجثة ذات الوجه الشاحب ومعاني الحياة المُختفية، كان على شفا جرفة من التقيؤ لكن رائحة الجثة لم تكن كريهة كالجثث بعالمهم، ربما لأنها شخصية خيالية لا وجود لها.

كان يُحدق في الحارس بتبلمٍ قطعه مارك الذي هوّى بيده على كتف حكيم ليواسيه بحكمة نابعة عن تجربته:

-لا بأس يا صاح ..... سنواري أخطائنا خلف الستار، وستنسى مع الأيام

لاحت عوالم الغرابة على وجه حكيم وهو يلتفت صوّب ملامح مارك الجامدة والتي جعلته يقول باستنتاج:

-لمَ أشعر أننا تحوّلنا إلى مُجرمين ؟

أبعد نظراته عن مارك ليواصل بحسرة:

-ما الذي سأقوله لوالداي .... ابنكما أصبح قاتلًا يقتل شخصياتٍ لا وجود لها !!

آضاف سامي على حديثه بسُخرية وتهكمٍ ألقى معهم أقدام الحارس على الأرض:

-لا ... أخبرهما أن ابنكما أصبح مختلًا عقليًا

تحرك صوّب جذع شجرة لينتشله من الأرض عازمًا على استخدامه كالجرافة، رفع الجذع عاليًا وهو يقول بإقرار:

-هيا بنا .... لنتخلص من هذه الجُثة قبل أن يراها أحد

أخفض الجذع وبدأ يُدثره في الرمال العطبة يحاول إحداث فجوة عميقة تسع هذا الجسد الضخم، بينما كان حكيم لا يزال يُراقب ما يحدث باشمئزاز ويُريد النفاد بجلده لكنه السبب فيما حدث، وعليه أن يتحمل الأمر، كان يتعجب حتى ثبات سامي غير المفهوم لكنه يستنتج أن سامي لا يأخذ هذا العالم على محمل الجد، ولا تُحركه عواطفه مثله، ففي حينٍ أن حكيم يرى نفسه قتل رجلًا حقيقيًا، كان سامي يسخر من الأمر ويعد هذا العالم ضربًا من الخيال أو حلمٌ سيفيقوا منه فيما بعد.

تلفت حكيم حوّله باحثًا عن جذع شجرة آخر بينما أمسك مارك معدته وأردف مُستئذنًا:

-سأذهب لأقضي حاجتي وأعود مجددًا

لم ينتظر إجابتهما وأخذ يُهرول نحو إحدى الأشجار قبل أن تنفجر مسانته، بينما انتشل حكيم جذع شجرة آخر وبدأ يُساعد سامي في الحفر متفوّهًا:

-تفتكر حد هياخد باله إننا قتلنا الحارس ؟

قالها بصوّتٍ هامسٍ جعل سامي يُصححه:

-قصدك إنت إللي قتلته

لوّح حكيم بذراعه بوّجهٍ مُقطبٍ لا يُريد أن يُصدق هذه الحقيقة:

-يا عم بقى هو أنا قصدت اقتله ؟ .... أنا كُنت بحمي المهلبية إللي كان عايز يقتلها

أخذ يتذكر بياض الثلج ليعلو وجهه ابتسامة شجية جعلته يتوّقف عن الحفر ويركع على رُكبتيه ساندًا رأسه بباطن كفه وساهمًا بعينيه في بقعة شاردة وهو يقول:

-يااه .... دي كان عليها حتة عيون .... ولا شعرها القُصير .... مسم...

حرّك رأسه بهيامٍ واصل معه الحديث داخل أحلامه:

-دا أنا حبيت الشعر القُصير لما شوفتها ...

تنهد بعُمقٍ وهو يواصل شجنه:

-يااه لو بس تلاحظ وجودي

توّقف سامي عن الحفر ليُطالعه بنظراتٍ مُقتضبة قال معها:

-مش لما تكون موجودة هي الأول !! .... يا سطا دي شخصية خيالية

تذمر حكيم وهو يُلقي جذع الشجرة على الأرض متفوّهًا:

-الله !! ... ما تسيبني يا عم أعيش في الخيال شوية، مش كفاية قتلت شخصية مش موجودة عشان شخصية مش موُجودة!!

طالعه سامي بغرابة ثم حاول تجاهله ليواصل الحفر قبل انحدار الشمس وحلول الليل، فهو لا يضمن هذه الغابة، يكفيه ما حدث بالغابة التي وجدوا بها أنفسهم قبل هذه.

تنهد حكيم بصبرٍ نافدٍ ثم التقط جذع الشجرة وعاود الحفر بضجر، لاح بينهما فترة من الصمت تعجبا فيها من تأخر مارك غير المفهوم وقررا أن يلوذا بالصمت حالما ينتهي الأمر ويتخلصا من هذه الجثة، كان ذلك قبل أن يُداهمهما صوّت حفيف الأشجار وضغيب الأرانب.

شُحب وجه حكيم وهو يتلفت حوله في ذعرٍ قال معه:

-إيه الصوّت ده ؟

ارتبك سامي وتوّقف عن الحفر ليلتفت حوله في ترقبٍ وضع معه إصبعه بمُنتصف فمه ليُحذر حكيم من التفوّه بكلمة:

-وطي صوّتك

قالها بصوّتٍ هامس يكاد يُسمع تزامنًا مع زيادة حدة الأصوات وزيادة الحركة بين الأشجار؛ وثب سامي بهدوءٍ عن الأرض يرقب ما خلف الأشجار بترقبٍ يليه حكيم الذي وثب هو الآخر بفؤادٍ يتضارب في هلع، تحرك سامي خطوة تجاه مصدر الصوّت مادًا ذراعه استعدادًا للدفاعٍ عن ذاته إن لزم الأمر، كانا قد تناسيا الجُثة في هذه اللحظة وبات الخوّف والرغبة في النجاة تعتريهما.

تحرك خطوة أخرى وقلبه يزداد تحفزًا رغم نبضاته المتسارعة، ظن لوهلة أن ما خلف الأشجار هو مجرد أرنبٍ وديع، لكن فجأة، داهمتهما العصافير من كل حدبٍ وصوّب وبدأت تُحلق فوّق رأسيهما كسربٍ متناسقٍ غاضب؛ أطلع حكيم صيحة مستنجدة وهو يلوّح بيديه ليبعد نقرات العصافير الغاضبة عنه كما فعل سامي بالضبط، فيبدو أن الحيوانات الأليفة هنا، ليست أليفة كما يتوّقعان، أو هي أليفة مع من تستسيغهم فقط.

انقض عليهم أيضًا مجموعة من الأرانب والراكون وبدأو الانقضاض على جسد سامي وحكيم حتى أوقعا سامي على الأرض وجعلاه يسبهما بغضب، أما حكيم فكان يقع على الأرض بسبب دفعاتهم ثم يثب مجددًا ويتحرك بذعرٍ ليهرب من هجوم الحيوانات هذا، حتى أن الغِزلان الوديعة كانت ترميهم بنظراتٍ غاضبة وتُهددهما بقرونها الشائكة.

أطلق سامي صيحاتٍ مُستنجدة غاضبة وهو يفرّ من جيش الحيوانات ويليه حكيم الذي طفق يهرول بلا اكتراثٍ لهذه الجُثة الميتة، بقيا يهرولان مع انحدار الشمس واختفاء أشعتها، بقيت أقدامهما تهرب من هذه الحيوانات حتى انطلقت صراختهما في كل مكانٍ بعد أن سقطا في تلك الحُفرة العميقة!!

يُدندن مارك بأغنية أجنبية وهو يغلق سحابه ويستعد للعودة لهما بعد قضاء حاجته، حتى أنه أخذ راحته وادعّى البطء حتى لا يساعدهما في أمرٍ كهذا، فكيف يساعدهما في دفنٍ جثة داخل عالمٍ خيالي، يقسم أن الأطفال إذا شاهدت شيئًا كهذا فسيتم وضع الرقابة على الفيلم ويُمنع ظهوره من العرض نهائيًا.

كان يُفكر في طريقة للتهرب وهو يعود إليهما لكنه واصل السير حتى لا يشكا به، ففي النهاية، هو الذي اخترع ذاك الاختراع العجيب رغم جهله التام بهذا العالم، فهو لم يشاهد الرسوم المتحركة يومًا، بل كان ناضجًا مُنذ نعومة آظافره ولم يشاهد التلفاز سوى بعُمرٍ كبير، طفق يُفكر في حياته الرتيبة وطفولته القاسية حتى قطعه صوّت دندنة يأتي من مكانٍ سحيق.

لوهلة شعر أن هذه الدندنة تُصدرها معدته طلبًا للطعام، لكن مع ارتفاع صوّت الدندنة، يتأكد أنها ليست معدته، فمعدته ليست أوبرا وينفري على أي حال.

توّقف عن السير ليلتفت نحو هذا الأصوات ويبدأ بالتحرك نحوها خطوة تلك الأخرى ليزداد الفضول بداخله أكثر، ربما هناك أشخاصٍ غيرهم يقطنون هذه الغابة!!

وجد قدماه تتحركان وتتحركان دون التحكم بهما، فقد اكتشف لوهلة أن هذه الأصوات صادرة من كهفٍ غامضٍ يقع ببقعة نائية بجوّف هذه الغابة، كان التردد والهلع يعتريانه لكنه لم يتوّقف عن السير بالقُرب من هذا الكهف، فطبيعته العلمية

تجعله فضوليًا يُحب الاستكشاف، كما أنه يُريد أن يفهم من بداخل هذا الكهف، لعلهم أناس طيبون يأوونهم في منازلهم حتى لا يضطروا المبيت في غابة كالمُشردين.

تصلب جسده مرة واحدة حالما وطأت أقدامه هذا الكهف المُقفهر لتجحظ عيناه بذهولٍ من تكوينه، كان الكهف مُظلمًا يحمل لمعة لا يعرف مصدرها بالضبط، فالجدران تلمع وكأن وراءها مصباحٌ كهربائي، أخذ يتحسس الجدران بذهولٍ استحضر معه روحه العلمية، طفق يحفر بأظافره ليخترق تلك الطبقة التي تفصله عن هذا الجسد اللامع حتى تصلبت أهدابه مرة واحدة.

اتسعت حدقتيه في ذهولٍ وهو يرمق هذه الجوهرة الكامنة خلف الصخور، سقط فكه في دهشة وإعجاب وهم فوٌرًا بالتقاط الجواهر وإخفاءه داخل جعبته، فقد يضحى غنيًا في تلك الأيام التي سيقضيها في هذا العالم الخيالي، سيبتاع القصر الذي يحلم به وسيُقيم حفلًا كبيرًا يقوم فيه بعزيمة الأمراء والملوك، ربما أيضًا يبتاع الجواري والحريم ويُسخرهم لخدمته بسبب مقته للنساء، يعلم جيدًا أنه لن يستطيع أخذ هذه المجوهرات إلى عالمه الحقيقي، لكن لا بأس بالحياة الزهية في عالمٍ خيالي.

توّقفت أفكاره وهو يلتقط المجوهرات ويضعها داخل سُترته بنظراتٍ منتشية والزبد يسيل من لعابه بشغف، فالجواهر أشبه بالممنوعات في تلك اللحظة، يُطيٌر العقول ويجعلها تسير خلفها كالخراف المتغيٌبة.

طفق يجمع المجوهرات حتى امتلأت جعباته وأصبحت الكتل ظاهرة للعيان، حتى أن وزنه أصبح يزن أطنانًا ولا يعرف كيف سيتحامل عليه، لكن كل ذلك هيٌنٌ إن كانت هذه الغنيمة هي مكافئته.

ابتسم بانتشاء مع آخر خواطره وما كاد يتلفت حوٌله هربًا بهذه الغنيمة حتى داهمه صوٌتٌ غاضب غريب:

-توّقف أيها اللص!!

انقبضت أوزار مارك وهو يتلفت ببطء نحو ذلك الصوّت القريب من أذنه لتتصلب عيناه في صدمة مما يراه أمامه .... مباشرة!!

تخطت أقدامهن الأشجار الكثيفة وتلك الغابة الممتلئة بالزهور والحيوانات، كانت كاتي تسير بخطواتٍ مترقبة حذرة وغيِّد تتبعها بنظراتٍ فضولية تتلفت حولها بينما كانت ميليندا في عالمٍ آخرٍ تُفكر في شطيرة كبيرة من اللحم والجُبن مع زجاجة كبيرة من المياه الغازية، توّقفت كاتي عن السير لتلتفت نحوهما متفوّهة:

-يجب أن نفترق .... أنا وميليندا سنبحث عنها داخل القصر .... وأنتِ ستبقين هنا وتبحثي عنها خارجه

وجهّت حديثها نحو غيِّد التي أومأت رأسها إيجابًا ووافقت على البحث خارج القصر كما قصمتهما كاتي بعشوائية، وكانت ميليندا بين ذلك كله تتحسس معدتها الخاوية وتتمنى أن تجد الطعام بالداخل، فما إن وطأت أقدامها القصر حتى أخذت تتلفت حولها في وجومٍ وفضولٍ، فالقصر كان خاويًا، لا توجد به من الفخامة ما تؤهله ليضحى قصرًا، حتى أن جُدرانه الحجرية جعلتها تعتقد أنها دلفت أحد الكهوف.

أطلقت زفرة سائمة من جوفها وهي تتجوّل بإنهاكٍ متفوّهة:

-ألا يوجد هنا حُجرة للطعام ؟

تحركت بخطواتٍ وئيدة تناست معهم أنها تبحث عن الأميرة، فقد قررت أن تبحث عن الطعام أولًا ليمدُّها ببعض الطاقة وهي تبحث عن الأميرة.

أحاطتها الجُدران الحجرية البيضاء الباهتة من كل حدبٍ وصوّب، وكان لبعض التماثيل الرومانية وجودٌ في الأركان، لكن ما لفت نظرها، هو هذه الحُجرة ذات البوابة العريضة!!

اقتربت ميليندا صوّب الباب تحسب خطواتها واحدة تلو الأخرى حتى لا يُداهمها أحد، كانت حُجرة واسعة، خالية من ساكنيها، وكان يوجد سراحة صغيرة تحتوي على ممشط شعرٍ وبعض أدوات الزينة، لوّت ميليندا فمها في حيرة وهي تتفحص هذه الأدوات ثم تتجوّل مجددًا داخل الحُجرة حتى....

قطبت حاجبيها في حيرة وهي ترمق هذا الوشاح الأحمر العريض الذي يبدو وكأنه يُغطي شيئًا ما، وبسبب فضولها، لم تتردد أبدًا وهي تنزع هذا الوشاح لتجحظ عينيها في ذهولٍ وإعجاب.

وجدت أمامها مرآة كبيرة يتعدي طوّلها العديد من الأمتار، لم تكن قد رأت مرآة بهذا الحجم في عالمها، فالمرآة يتقلص حجمها حتى أصبحت توّضع في جعبات الملابس، حركت ميليندا يدها ببطءٍ وترددٍ صوّب هذه المرآة التي تعكس صوّرتها، كانت تُريد إزاحة الغُبار من عليها، لكنها أطلقت شهقة مدوّية حينما وجدت صوّرتها المُنعكسة تختفي عن الأنظار ويشع مكانها ضوءٌ بنفسجيٌ يختلط مع الأخضر!!

اتسعت حدقتا ميليندا في ذعرٍ أخذت معه تتراجع للوراء وهي ترمق هذا الوجه الذي ينظر إليها .... من المرآة!!

تتلفت يمينًا ويسارًا وهي تتجوّل داخل القصر الخالي من البشر، فلا وجود للحراس أو العساكر أو حتى كلاب الحراسة، فقط قصرٌ خالٍ مقفهر لا وجود للحياة به، لا عجب أن الملكة الشريرة تقطن في مكانٍ كهذا، فعالم الرسوم المتحركة دائمًا ما يمزج بين المنازل وصاحبها، فتجد الأشرار منازلهم مقفهرة رغم ثرائهم، والطيبون منازلهم تشع حيوية رغم بساطتهم، وهي تعرف ذلك خير المعرفة، لذلك لم تتعجب من الجدران السوّداء، ولا حتى هذا الباب الصغير الذي دلفته بحذر وأخذت تطالع بعدها الشُعلات النارية على الجانبين وتمثال صغيرٌ يحمل شكل رجلٌ عارٍ ذو جناحين يضمهما كما يضم نفسه نحو جسده، وهي تعرف ذاك التمثال جيدًا، فهذا التمثال موّجود في أغلب الأفلام التي تنتجها شركة ديزني خاصة فيما يتعلق بالشخصيات الشريرة، فهو تمثال يخص الماسونية وعبدة الشياطين، حتى لو لم يُلاحظها الأطفال.

تحركت كاتي داخل الممر الحجري العريض تعرف أنها لن تجد بياض الثلج هنا، فهي تعرف أن الأميرة لن تعثر على مكانٍ كهذا، لكن بما أن قدميها ساقتها إلى هنا، فعليها أن توّقف مخططات الملكة الشريرة قبل أن تقضي على بياض الثلج فجأة وتتدمر خطتهم ويبقوا عالقون هنا للأبد، الأمر الذي جعلها تطؤ الحجرة المُقفهرة بشجاعة وتتحرك بعدها بحركاتٍ بطيئة تبعت معها الأدخنة المتصاعدة من بعض المحاليل الكيميائية، وكذلك الكتب التي تكوّن حوّلها شباك العناكب، مع بعض الأدوات الغريبة ذات الحديد الصديء والتي لم تتبين ماهيتهم، فهناك قِدرٌ كبيرٌ أسوّد وجهاز يُشبه المسقاة.

توّقفت أقدامها نحو الكُتب الكبيرة تطالعهم بفضولٍ وتتحسسهم بأناملها ثم تتحرك داخل الحجرة وتنتبه لوجود بعض الجماجم على الأرض، وما كادت تتحرك لتكتشف المزيد من عناصر الحجرة، حتى داهمها صوّت مقبض الباب وهو يتحرك!!

الأمر الذي جعل فؤادها يتوّقف عن الحراك، وصدرها يعلو ويهبط خوّفًا من القادم !!

الفصل الثامن (غضب الساحرة)

أصبحنا في زمنٍ لا نعرف فيه إن كُنا نؤثر على هذه الحياة، أم أن الحياة هي التي تؤثر بنا....

صوّت صرصور الحقل يضرب آذانها وهي تتجوّل وسط هذه الظُلمة تتلفت يمينًا ويسارًا بحثًا عن ضالتها، لا تعلم لمَ واتتها الشجاعة وأخبرتهما أنها توافق على البحث خارج القصر، فقد اعتقدت أن القُصر يُشكل خطرًا عليها خاصة بعد ما حدث في قصر الوحش، لكنها الآن تعرف أن الخطر يحوم حولهم أينما كانوا، فحفيف الأشجار باجتماعها مع صوّت البومة وهمسات الرياح، تجعل فؤادها يتضارب في سرعة، والبرد يهفو على جسدها.

تحركت غيّد في فناء القصر وعيناها تبحثان عن مخرجٍ من كل هذا، أخبرتهم كاتي ان الساحرة الشريرة ستعاود إرسال أحدهم لقتل الأميرة، وإذا نجحت مخططاتها هذه المرة، سيضحى هذا العالم عالمهم من الآن فصاعدًا.

حاولت نفض الأفكار السلبية عن ذهنها وهي تتجوّل بحركاتٍ منتظمة قطعها صوّت دندنة هامسة ذات صوّتٍ رقيق؛ التفتت غيّد حولها حيث مصدر الصوّت لتجد هذه الفتاة ذات الثوب الأزرق والأصفر تجلس بالقُرب من البئر تُمسد برقة على ظهر حمامة بيضاء لا تعرف غيّد كيف كانت ثابتة بين يديها لكنها على كلٍ، خطت نحو الأميرة بخطواتٍ مرتبكة حاولت معهم ترتيب كلماتها حتى لا تهرب الأميرة مجددًا.

وقفت غيّد على مقربة منها تُحمحم حتى تنتبه لها بياض الثلج التي ما إن أدركت وجودها حتى انتفض جسدها هلعًا وابتعدت عن البئر لتُطالع غيّد بنظراتٍ حائرة.

-أعتذر .... أنااا .... أتيتُ لتحذيركِ

أنهت الحديث بجدية اقتربت معها نحو بياض الثلج التي تصلُّب جسدها على الأرض وبدأت تُطالع غيّد بحيرة وتُخبرها بصوّتٍ عذبٍ رقيق:

-تُـ... تُحذرينني!!

إقتربت غيِّد أكثر حتى باتت تقف قبالة بياض الثلج مباشرة، أخذت تُحدق بمُنتصف عينيها وهي تواصل بجدية وتحذير:

-نعم أحذركِ ..... يجب أن تهربي من هنا في أسرع وقتٍ ممكن .... الملكة تُريد قتلك .... وقد حاولت من قبل، لكن هناك شابٌ أنقذكِ

كانت تريد أن تسبه على تلك الحماقة التي ارتكبها لكنها ادعت الثبات قدر المُستطاع أمام بياض الثلج التي شُحب وجهها وبات الخوف يكتنف جنباتها مع دقات قلبها المتسارعة.

-هيا ... هيا .... يجب أن تهربي من هنا

بدأت تدفعها غيِّد صوِّب الغابة وقد ازداد الذعر في صوِّتها حتى شعرت أنها ستجعل الأميرة تبكي من الخوف، وكانت الأميرة تستجيب لحركاتها بحيرة والتساؤلات تحوم حول رأسها بعدم تصديقٍ لمَ يُتلى على مسامعها، كان ذلك قبل أن يقطعهما أصوِّات أقدامٍ تتحرك خلف الأشجار!!

-أو لا ..... فعلتها الساحرة مُجددًا .... يجب أن تهربي بُسرعة

تعالت دقات قلب غيِّد وهي تواصل دفع الأميرة مع زيادة حدة الحركة خلف الأشجار والتي تدل على وجود أحدهم يستعد لقتل الأميرة، ازداد الذعر على بياض الثلج وبدأت تُطلق شهقاتٍ مذعورة وهي تستجيب لتحركات غيِّد وتهروِّل معها بأقصى ما لديها صوِّب الغابة وكانت غيِّد تركض وراءها، ليس لتتأكد من تنفيذهم للخطة، بل بسبب خوِّفها من تلك الحركة وما يُمكن أن يحدث لها هنا...

ما إن هربت الفتاتين حتى تناثرت أوراق الشجر إثر ظهور حيوان الراكون الذي طفق يتلفت حوِّله في حيرة، فهو قد آراد فقط أن يلهو مع الأميرة، ولا يفهم سبب هربهما بعد استماعهما إلى صوِّت مجيئه!!

أطلق تأوهًا حادًا وهو يحاول الاعتدال في جلسته واضعًا يده على ظهره الذي تحطم إثر هذه السقطة العنيفة، يقسم أنه إذا عاد إلى بلدته، فسيعود حُطامًا، فأولًا هذا الجرح الذي لم يندمل، وثانيًا هذه السقطة التي جعلت عظامه تتحرك من مكانها.

-يبوووي .... إيه يا سطا ده

قالها حكيم بتذمرٍ وهو يعتدل على الأرض يتحسس الكدمة التي اعتلت رأسه إثر السقطة ويُطالع سامي الذي تمزقت ثيابه إثر هذا العراك وأصبح مليئًا بالأتربة مع أوراق شجرٍ تتغلغل بين خُصلات شعره الذي بدأ يُحركه ليُنفض عنه هذه القاذورات.

اعتدل سامي عن الأرض يتحامل على كاحله بصعوبة أطلق معها تأوهاتٍ مكتومة، فهو يشعر أن كاحله قُد شُرخ بسبب هذه السقطة التي جعلته يتحرك على قدمه بصعوبة، حتى أنهما غابا عن الوعي لفترة ولا يدريان ما حدث بعد ذلك، كل ما يتذكره هو محالاتهما للهرب في تلك الغابة المُظلمة حتى وقعا بتلك الحُفرة.

-قوم يلا ندوّر على الباقيين

قالها سامي بتقريرٍ أخذ معه يتحرك بصعوبة على كاحله متخطيًا الأشجار الكثيفة والورود النائمة، وكان حكيم يثب عن الأرض هو الآخر يتحرك كالأموات الأحياء، ما يُريده فقط هو صحنٌ كبيرٌ من المعكرونة مع دجاجة كاملة وكوبٍ كبيرٍ من الشاي بالنعنع ويستلقي بعدها على فراشه الوثير دون أن تشوبه شائبة، ليست هذه الغابة المقفهرة التي يبقى فيها بلا طعامٍ أو شرابٍ أوحتى راحة.

تحرك خلف سامي بخطواتٍ بطيئة مليئة بالإعياء وطفقا يتحركان لعدة سويعاتٍ تخللها العديد من الوقفات والعديد من التذمرات النابعة من حكيم.

-يا سطا أنا مش قادر ..... ما تخلينا هنا ونبقى ندوّر عليهم الصُبحية

ضاق سامي ذرعًا وهي يُجيبه بحدة:

-وانا جايب معايا ابن اختي .... ما تنشف ياه .... كلها شوية وهنلاقيهم ....

أطلق حكيم زفراتٍ سائمة متذمرة من جوٌفه وواصل السير خلف سامي وهو يحني رأسه ويتمنى أن يفيق من هذا الحلم الذي لا ينتهي، وكان سامي يحاول الثبات قدر الإمكان رغم رغبته الجامحة بالانفجار، هل حقًا سيُعاني في عالمٍ خيالي !! ألا يكفي ما عاناه في عالمه الطبيعي ؟

كانا يُفكران في مارك وما حلٌ به هو والفتيات، فقد افترق شملهم في أقل من دقيقة، وكل ذلك بسبب خطيءٍ واحدٍ بسيط، واصلا السير بإرهاقٍ جعل الإعياء يتكاثر عليهم ورأسهم تزن أطنانًا، أصبح من يراهم لا يستطيع أن يُحدد إذا كانا حقيقين أم من المؤتى الأحياء.

توٌقف حكيم عن السير مرة واحدة لتتسع حدقتيه بذهولٍ، ليس لأنه رأى زملاءه، بل لأنه رآى ما هو أعظم:

-يا فرج الله .... الحق ياض يا سام

أمسك بكتف سامي حتى يتوٌقف ويرى يده المبسوطة باتجاه هذا المنزل الصغير الذي يُشير عليه حكيم، منزلٍ يبدو أقرب إلى الكوخ لكنه ذا قبة مثلثية والعديد من النوافذ والأبواب الصغيرة، تطلع سامي إلى ذاك المنزل من بعيدٍ بنظراتٍ حائرة والعديد من علامات الاستفهام تطغي على ملامحه، وبسبب اعياءه ورغبته الجامحة في الحصول على أي مصدرٍ للراحة، وجد قدماه تتحركان صوٌب ذاك المنزل رغم شكه.

-تعالى نشوفه

تحرك سامي أولًا يليه حكيم الذي طغي الحماس على وجهه وبدأ يُصفق كالأطفال، توٌقفا أمام المنزل الذي اكتشفا حجمه الصغير، حتى أنهما اضطرا للانحاء حتى يستطيعا الولوج من فتحة الباب، كان المنزل متوٌسط الحجم يطغى عليه اللون الرمادي من كثرة الأتربة والقاذورات، فشباك العناكب تُغطي على المكنسة اليديوية وعلى أطراف الأسطع، وكومة من الصحون المتسخة تتناثر في كل مكانٍ مع العديد من الملابس صغيرة الحجم المترامية في الأطراف.

تلفت حكيم حوٌله في حيرة وهو يتفحص المنزل مستنتجًا:

-هو احنا كل ما نخُش مكان يطلع مسكون ولا إيه ؟

تجاهل سامي سؤاله وأخذ يتجوٌل داخل المنزل حتى صعد الدرجات المتهالكة بينما توٌجه حكيم صوٌب حُجرة الطعام الأقرب إلى مهجعٍ للخرداوات من كثرة الصحون

والأوعية المُتسخة، لكن ما لفت نظره هو سلة الفاكهة المؤضوعة على الطاولة مما تؤكد لهما أن هناك من يقطن هذا المنزل:

-الحق ياه ... ده في أكل هنا

قالها بسعادة وهو ينتشل موزة من السلة ويتناولها بشهية ثم يُلقي قشرتها على الأرض بإهمال، فلن يلاحظوا قشرة الموز وسط هذه الفوضى على أي حال، بقي حكيم يتناول الفاكهة بشراهة بينما صعد سامي الدرجات وبقي يتفحص الحُجرة الصغيرة ذات الأسرة السبعة، كان الفراش الواحد منهم لا يتعدى البضع سنتيمترات، حتى أنه تعجب من وجود شخصٍ طبيعيٍ ينام على أسرة كهذه.

تحرك داخل الحُجرة أكثر حتى لاحظ النقوش التي تحمل أسماء من يقطن هذا المنزل، حيث وجد " جرامبي، دوك، باشفول، دوبي " وغيرهم من الأسماء الأعجمية ذات المدلول، ورغم الأتربة التي تكتنف الحُجرة، إلى أنه تأكد أن وجودهما هنا يُشكل خطرًا على حياتهما، فإذا تدخلا مجددًا في الأحداث، سيتدمر الفيلم بأكمله!!

ترك سامي الحُجرة بسرعة عازمًا على الرحيل من هنا قبل أن يأتي أصحاب المنزل؛ انسل الدرجات ليضحى بالبهو يُراقب حكيم الجالس على أريكة مُهترئة يضع سلة الفاكهة على ركبتيه ويتناول منها بشراهة، الأمر الذي جعل عوالم الحدة تجتاح سامي وهو يقترب منه هاتفًا بتقرير:

-يلا نمشي من هنا

حاول دفعه حتى يستجيب إلى تعليماته لكن حكيم آبى أن يتحرك وطفق يهتف برجاء:

-ما تستنا طيب خلينا نريّح شوية

-مينفعش .... البيت ده مش مسكون، في ناس عايشة هنا، واحتمال يكونو شخصيات من الفيلم

امتنع حكيم عن الحراك ليسأل باستفسار:

-ده مين إللي عايش في المخروبة دي ؟

آجابه سامي باستنتاج:

-في سبع رجالة عايشيين هنا .... شوفت سرايرهم فوق، وكان مكتوب عليها أساميهم .... يلا نمشي قبل ما يرجعوا

أمسك بمرفقه مجددًا ليدفعه خارج المنزل لكن حكيم آبي أن يتحرك وبقي يهتف برجاء:

-طب بالله عليك لنستني نريّح شوية .... أنا رجلي ورمت من المشي .... على الأقل ناكل لقمتين ونتكل

بقي يُطالعه بنظراتٍ بريئة مترجية جعلت سامي يتوّقف عن إلحاحه ويلتفت إلى صوّت معدته التي تطالبه بتناول الطعام وجسده الذي يُطالبه بالراحة، فهو لا يفعل شيئًا مُنذ جاء هذا العالم _خاصة هذا الفيلم_ سوى السير والفرار...

وما هي إلا بضع دقائق حتى أصبح سامي يسترخي بظهره على الأريكة المتهالكة يُدثر حبات التوت داخل فمه وجواره حكيم ينام على ظهره يُقشر البرتقال ويتناوله بشراهة.

-الفاكهة هنا حكاية .... إبقى فكرني ألف الغابة دي أقطفلنا اتنين كيلو موز قبل ما نمشي من هنا

قالها حكيم بشهية وضع معها فص البُرتقال في فمه وقد غرق وقتها في عالمٍ آخرٍ وتناسي محنتهم، وكان سامي قد غرق معه في نفس ذاك العالم وبان على وجهه الراحة وهو يقول:

-عارف ياض يا حكيم .... القعدة دي ناقصلها إيه ؟

آجابه حكيم بانتشاء:

-ناقصلها كوباية شاي بالنعناع

أكد سامي على حديثه ثم آضاف:

-وجحرين تُفاح

-وأغنية لرضا البحراوي

هكذا آضاف حكيم ليغرق كلاهما في هذا العالم الوردي الذي اشتاقانه وكادا يذهبان في سُباتٍ عميقٍ متغافلان عن كوّنهما في منزلٍ غريبٍ يتناولان الطعام بأريحية وكأنه منزلهما، حتى أنهما تناسيا كليًا أنهما في ذاك المنزل لأكثر من ساعتين.

وفي ظل انتشائهما وسعادتهما اللامتناهية، إذا يقطعهما صوّت الباب الذي يُفتح ببطء مع ضجة خفيفة تُصدر من خلفه يصحبها همهمة غير مفهومة والعديد من أصوات الحركة.

انتفض حكيم هلعًا وهبٌ من مكانه كما فعل سامي الذي ترك ما يحمله من الفاكهة وبدأ فؤاده يتضارب في هلع، فلا يجب أن يراهما أحدٌ هنا، لا يُجب أن يفسدوا الحكاية أكثر من ذلك!!

انعكس بريق الجواهر على عينيه من شدة لمعانها، كاد يضع قطعة المجوهرات في جيبه ليضمها مع غنيمته التي ستجعله من أثرى الشخصيات الخيالية، لكنه يتصلب مكانه فجأة حينما يرى هذا الفأس مرفوعًا أمام عينيه مع نظراتٍ غاضبة جحيمية أخرجها رجلٌ قصير القامة يصل حتى رُكبته، مع أنفٍ أحمرٍ كبير وحاجبان مقطبان في غضبٍ، لا يعرف مارك إن كان ذلك بسبب ما فعله أم أنها طبيعة هذا القزم.

ازدرد ريقه في هلعٍ أدى إلى سقوط قطعة المجوهرات من يده حتى يرفعهما باستسلام، فهو إن تحرك خطوة واحدة سيهوي هذا القزم بذاك الفأس على رأسه ويُلقيه صريعًا، أو ربما يجعله يحيا بعاهة مُستديمة.

-أترك ما سرقته وإلا قضيتُ عليك

هكذا هدده هذا القزم لتتسارع دقات مارك حالما وجد المزيد من الأقزام يقتربون نحو صديقهم، فمنهم من كان بدينًا يبدو عليه الرزانة بنظارته المستديرة ومنهم من كان يتثائب في كل ثانية، وآخرٌ يحُك أنفه ويبدو عليه الإعياء، ومن كان يبتسم ويُصفق ببلاهة، ومن يتوارى خلف الأنظار منعًا للظهور، وقزمٌ يرتدي قُبعة بنفسجية يُراقب ما يحدث ببلاهة.

-لم أكن لأسرق شيئًا ..... أنا فقط كُنت .... كُنت أستعيرها

قالها مارك بنبرة مُتقطعة مرتبكة حاول معها التبرير بثقة زائفة:

-أنا عالمٌ عبقري .... أُجري اكتشافاتٌ على هذه الجواهر .... أتعرفوا أن الشقوق الدقيقة بالجواهر تُشتت زواياها الضوء المُنعكس من سطحه على هيئة مهرجانٌ من الألوان الجذابة ؟ .... إنظروا إلى ذلك

استغل ذكاءه وطبيعته العلمية وهو يشرح لهم ما تفعله الجواهر مخرجًا لقطعة منهم من جعبته ليتحرك بضع خطواتٍ للأمام ويتابعه بقية الأقزام في ذهولٍ وهو يُحرك الجوّهرة بالقُرب من ضوء الشمس لينعكس عليها ويُخلف وراءه مزيجًا من الألوان كقوز القُزح، الأمر الذي جعل الأقزام يلتفون حوّله ليشاهدوا هذه الألوان الجذابة بذهولٍ وأفواهٍ مفتوحة جعلت مارك يواصل:

-أرأيتم .... هذه الجواهر هي مصدرٌ للثراء .... يُمكنكم أن تُصبحوا أغنياء وتتحرروا من هذه الغابة

بدأت كلماته تؤثر بهم وتجعلهم يرمقونه بذهول فيما عدا هذا القزم الغاضب الذي قبض على فأسه واقترب نحو مارك متفوّهًا بحدة:

-اترك مجوهراتنا وارحل من هنا أيها المخادع اللعين ... إرحل وإلا_

كانت كلماته غاضبة رفع معها فأسه وكاد يهوّي به على مارك الذي رفع يديه تلقائيًا لحماية جسده لولا تدخل واحدًا آخرًا من الأقزام وأمسك بيد القزم الغاضب متفوّهًا:

-اهدأ جرامبي ..... لا يجب أن نعامل ضيوفنا بهذه الطريقة

-هذا ليس ضيفنا ..... إنه دخيل، ويحاول خداعنا أيضًا

أنهى حديثه بتهكمٍ ربط معه ذراعيه بغضبٍ بينما اقترب القزم البدين ذو اللحية البيضاء نحو مارك ليرفع يده مصافحًا:

-مرحبًا بك .... أنا دوك

اقترب نحوهما قزمٌ آخر يتحرك بثيابٍ مهلهلة ويمد يده نحو مارك دون أن يتفوّه بكلمة واحدة رغم أن مارك أدرك أنه يُريد التعرف عليه هو الآخر فصافحه بالمقابل تزامنًا مع قوّل دوك:

-أه .... وهذا دوبي...

صمت بُرهة عن الحديث ليواصل بحكمة:

-هلا أخبرتنا لمَ أنت هنا بالضبط ؟

حمحم مارك وبدأ يُعدل من عويناته وملابسه أثناء تفكيره في إجابة تحميه مما قد يحدث، فهو لن يُخبرهم بالطبع أنه أتى لسرقتهم، لكن يُمكنه أن يتحجج بحُجة أخرى :

-جئتٌ إلى هنا حتى أنتشلكم من العراء ..... وأساعدكم في بناء منزل الأحلام

اقترب نحوهم أحد الأقزام ويدأ يحُك أنفه الأحمر متسألًا:

-وكيف سنبني هذا الـ... هذا الـ...

تعالت شهقاته مرة واحدة وتعجب مارك من نظرات الأقزام التحذيرية التي أدركها فور إطلاق هذا القزم لعطسة كبيرة انطلق معها رياح عاتية دفعت أجسادهم بضع أمتارٍ للوراء وجعلت مارك يترنح ويسقط على الأرض لتتساقط المجوهرات من جعبته، وكان سنيزي_ من أطلق العطسة_ يحُك أنفه متفوّهًا:

-آسف

وثب مارك عن الأرض يُعدل من هندامه ويتحرك بضع خطواتٍ للأمام حتى يهتف بخيلاء:

-إنه منزل الأحلام يا أقزام ....

بدأ يستمع إلى مؤسيقى لا يعرف مصدرها لكنها تنطلق خلف أذنه وتتماشى مع حديثه، الأمر الذي جعله يُدرك أنه الآن فوق المسرح ولن يستطيع التأثير بهم سوى بشيءٍ واحدٍ فقط .... الغناء!!

-أوه .... لا أحب هذا

همس بها بتذمرٍ تزامنًا مع ارتفاع حدة الموسيقى والتفاف الأقزام حوله في لهفة وترقب، الأمر الذي جعله ينصب قامته ويتحدث بطريقة غنائية:

-منزل الأحلام ... تخيلوا يا أقزام .... سنكون فوق الجميع

بدأ يُحرك يديه باستعراضية صعد معها فوّق الحجارة ليجد إضاءة غريبة لا يعرف مصدرها لكنها تُسلط على جسده مع الموسيقى التي أخذت تتعالى:

-سنكون بين السحاب .... وحياة بلا صعاب ...

وجد كعكة صغيرة تسقط بين يديه ليتناولها وهو يواصل الغناء:

-وكل ما لذ وطاب...

تحرك عن الصخرة وبدأ يُشير لهم بيديه وهو يواصل الغناء بكلماتٍ لا يعرف كيف انتقاها وكيف تتماشى الموسيقى معها:

-هيا يا أقزام ... فلتربطوا الحُزام .... ولننطلق حول العالم

أمسك قطعة من المجوهرات وقذفها بطريقة استعراضية واصل معها الغناء:

-بهذه المجوهرات ... وبأقل المجهودات ... سننشيء المُعجزات

تثائب واحد من الأقزام قبل أن يسأله بنبرة ناعسة تماشت مع الموسيقى:

-هل يوجد سرير ؟

ليقترب مارك نحوه مجيبًا إياه بطريقته الغنائية:

-واسع وكبير .... والعديد من المكتبات .... في شتى المجالات

أنهى الغناء وهو يتطلع نحو دوك الذي بدت الحماسة على وجهه ليقف بعدها مارك في المُنتصف فاتحًا ذراعيه بشرحٍ واستعراضية:

-وغرفة بحجم الفيل

صعد مجددًا على الحجارة وبدأ يتمايل ويُحرك المجوهرات باستعراضية جعلت الأقزام يقلدونه وينصتون لغناءه بلهفة:

-هيا يا أقزام ... فلتربطوا الحزام، ولننطلق حول العالم ... بهذه المجوهرات وبأقل المجهودات ... سننُشيء المعجزات....

قفز من الصخرة وواصل الغناء باندماجٍ لا يعرف من أين أتاه:

-هيا يا أقزام ... فلتربطوا الحزام وتعالوا معي في سلام .... سنُصبح أغنياء، ونعيش في رخاء، وننسى هذه الأعباء...

آشار نحو الأقزام بيديه وهو يتحرك بعيدًا عن الكهف مواصلًا الغناء:

-هيا يا رفاق ... فلنُبرم الاتفاق ... وليبدأ عصرنا الجديد .... سنعيش فوق الغيوم، في عالمٍ بلا هموم ... وبأمنٍ وسلام ... فنحن سنُصبح في....

توّقف عن الغناء ليقف في المنتصف رافعًا من نبرة صوّته بطريقة أوبيرالية أنهى معها أغنيته:

-منزل الأحلاااام.....!!

هرعت كاتي نحو الخزانة لتختبيء أسفلها خوّفًا من انكشافها، فلن تضحى هي السبب في كارثتهم هذه المرة، خاصة وهي تعرف مكنون هذه الحكاية وأحداثها، لكنها مع ذلك لا تستطيع أن تمنع نفسها من التدخل، ففضولها يدفعها في كل مرة...

حاولت الحفاظ على صوّتها وهي تحني جذعها لأسفل وتراقب هذه الملكة الشريرة وهي تدلف الحُجرة وإمارات الغضب والشر يلوحان على وجهها، وكان غرابها الأسوّد الكبير يقف فوق إحدى الجماجم بالقُرب من شعلة نارية، بدأت الساحرة تتحرك داخل الحُجرة تتمتم بكلماتٍ لم تسمعها كاتي لكنها وجدتها تقترب نحو الكتب وتنتشل كتابًا أحمرًا ثم تضعه على الطاولة لتُقلب بين صفحاته متفوّهة:

-التجربة في السحر الأسوّد الذي سيحوّل جمالي إلى قُبحٍ شديد

قالتها بشيطانية حرّكت معها أصابعها داخل الكتاب وبدأت تتحسس ملامحها الجميلة _ من وجهة نظرها_ ثم تقترب من جهازٍ غريب بُني اللون أصدر العديد من الأصوات والأدخنة لتتنشل الساحرة كوّبًا زجاجيًا يحتوي على سائلٍ شفافٍ لا تدري كاتي إن كان مياهًا أو شيئًا آخرًا، هذا لأنها كانت تتابع في صمتٍ وضربات قلبٍ متصاعدة خوّفًا من انكشافها.

-إن تراب المومياء .... سيجعلني عجوز قبيح، وستتغير ملابسي إلى أخرى تُثير الرُعب .... وسيتحوّل صوّتي إلى نبرة متهالكة....

ابتسمت ابتسامة شيطانية وهي تسكب بضع قطراتٍ على ذاك السائل الشفاف ليتحول لوّنه إلى أسوّدٍ قاتمٍ كسوّاد فؤادها، ثم تقترب بعدها نحو الجهاز الذي ينبعث منه الأدخنة وتضع الكوب ذو السائل الأسوّد أسفله لتتدفق بعض الفقاقيع من الجهاز ثم ينسكب سائلٌ أخرٌ في نفس ذاك الكوّب لينتقل لونه من الأسود القاتم إلى الأحمر الدامي.

كل ذلك يحدث أمام كاتي التي تشاهدها بإمعان وتتصلب مكانها حتى لا يُلاحظها الغُراب، وجدت الساحرة تقترب من النافذة ومعها هذا الكوّب الذي رفعته عاليًا لتقول بلكنة آمرة:

-هبي يا رياح ... واعصفي يا سماء .... وأشعلي في صدري نار الانتقام....

ارتجت الحُجرة فجأة وبدأت السماء تُصدر أصواتًا رعدية جعلت فؤادها ينقبض خاصة مع هذه الرياح العاتية التي هبُت فجأة وحركت محتوّيات الحُجرة وجعلت الغراب ينتفض ذعرًا ويختبيءٍ داخل الجمجمة.

تحوّل السائل داخل الكوب إلى اللون الرمادي لتبتسم الساحرة ابتسامة شيطانية وهي ترمق السائل وكأنه غنيمتها، كادت تُقرب هذا السائل من جوّفها حتى تتجرعه وتتحوّل إلى عجوزٍ شريرة لولا هذه الضجة وأصوات التحطيم التي قطعت حركتها.

زمجرت الساحرة في غضبٍ التفتت معه وراءها تزامنًا مع صوّت الحطام الذي ينبعث من داخل القصر، الأمر الذي جعل كاتي تنتفض ذعرًا وهي تراقب الساحرة تضع السائل على الطاولة وتتحرك خارج الحُجرة متفوّهة:

-من الذي تجرأ واقتحم قصري!!

بدأ الخوّف يطغي على ملامح كاتي وهي تراقب الساحرة تنطلق مع شياطينها صوّب هذا الصوّت وكل ما كانت تُفكر به هو شيءٌ واحدٌ فقط .... ميليندا!!

لاح الانبهار على وجه ميليندا وهي تطالع هذه الأضواء البنفسجية والخضراء المنبثقة من تلك المرآة الكلاسيكية التي لا تراها عادة في عالمهم، وما زاد انبهارها أكثر هو ذاك القناع الذي طفق يتحرك داخل المرآة مما جعل فك ميليندا يسقط في ذهول.

-ماذا تُريدين أيتها الدخيلة ؟

قالتها المرآة بنبرة عميقة جعلت ميليندا تزداد ذهولًا رغم أنها كانت تتحدث مع خزانة في حكاية أخرى، بقيت تتحسس المرآة بأصابعها ثم تأخذ خطواتٍ للخلف لتُعدل من هندامها متذكرة بعض المقتطفات من تلك الحكاية التي سمعتها من قبل داخل مدرستها.

-وما الذي سأريده أيتها المرآة ... أريد أن أعرف .... من هي الأجمل في هذا العالم ؟

قالتها بشموخٍ رفعت معه قامتها مقلدة نبرة الساحرة الشريرة، بينما كانت المرآة تراقبها باستهزاءٍ قالت معه بصدق:

-سنووايت هي الأجمل

اشتعلت نظرات ميليندا غضبًا وهي تهتف بوجه المرآة:

-سنووايت !! .... أنتِ تعملين مع الملكة الشريرة وتُخبرينها أن سنووايت هي الأجمل !! .... لمَ لم تتخلص منكِ هذه الملكة الغبية ؟

غضبت ميليندا من هذه المرآة الوقحة التي لا تعرف كيف لم تعاقبها الملكة، والذي زاد من غضبها أكثر هو نبرة المرآة الباردة وهي تقول لها:

-لم تعاقبني الملكة لأنني أقول الصدق .... سنووايت هي الأجمل في هذا العالم، ولن يتغير هذا أبدًا

رفعت ميليندا حاجبيها وهي تُشير على ذاتها متفوّهة:

-إذا أنا لستُ جميلة ؟ .... أم لأن سنووايت بيضاء البشرة ستجعلينها الأجمل في ذاك العالم

حركت المرآة رأسها وهي تُجيب ببرود:

-نعم ... أنتِ لستٍ جميلة

صكت ميليندا على أنيابها بغضبٍ قد تفاقم في تلك اللحظة وجعلها ترفع كاحلها لتنزع نعلها وهي تقول بغضبٍ جحيمي:

-أيتها المرآة العُنصرية الوقحة .... أقسم أن ألقنكِ درسًا وأخلص الملكة الغبية من وقاحتكِ هذه

ودون أن تدري وجدت يداها تقذفان بنعلها على المرآة بكل ما أوتيت من قوة مما جعل صوّت الحُطام يتعالى بين جنبات القصر، والمرآة الكلاسيكية التي كانت مبهورة برؤنقها، أصبحت الآن لا تُصلح حتى لأن تُصبح مرآة عادية في المرحاض.

كانت ميليندا كالمغيبة وهي تُحطم المرآة بسبب غضبها الذي لا تستطيع التحكم به، فتلك المرآة كانت تبثها عدم الثقة في نفسها وتُخبرها أنها ليست جميلة، تلك الكلمات التي ذكرتها بطفولتها المليئة بالتنمر والمضايقة مما جعلها تتحوّل إلى وحشٍ كاسرٍ وتُحطم هذه المرآة الوقحة، لكنها لم تكن تعرف أن نتائج غضبها وتهوّرها سيقعان على رأسها في وقت ما .... بل الآن.

-من الذي يعبث بممتلكاتي ؟

داهمها هذا الصوّت الغاضب الذي جعلها تزدرد ريقها في ذعرٍ وينقبض فؤادها وهي تبادل نظراتها المرتبكة ما بين المرآة المُحطمة والأقدام التي تقترب والتي تعلم جيدًا أنها أقدام الساحرة .... أي أنها الآن، في ورطة كبيرة!!

الفصل التاسع (التفاحة المسمومة)

أحيانًا يتعيَّن علينا التعاون مع الأشرار، لمُساعدة الأخيار....

ليلة طويلة قاتمة ازدادت وحشية بسبب أصوات الحشرات الليلية وعويل الذئاب، كانت تركض غيِّد وسط الأشجار الكثيفة في الغابة المُظلمة لا تخشى الذئاب أو الضباع، أو لا تعرف إن كان لهم وجودٌ هنا أم لا، فقط تركض لتنفد بجلدها وتتخلص من الرجال الذين يُريدون قتل الأميرة وبالتالي قتلها تباعًا، أو أنها تتوّهم ذلك، فقد عاشت هذه الأيام الأخيرة في خطرٍ كفيل بإزاحة النوم عن جفونها وإرهاق جسدها في كل ثانية، أيامًا كادت تبعث بداخلها هالة من الجنون حتى أنها تتعجب من ثباتها حتى هذه اللحظة..

تزداد خطواتها سُرعة دون أن تتلفت يمينًا ويسارًا مما جعل قدمها تلتوي وتتعركل في إحدى الغصون!!

أطلقت غيِّد تأوهًا عاليًا وهي تحاول الاعتدال عن الأرض متجاهلة شعرها الذي أضحى أقرب إلى شجرة برتقال خاصة بأوراق الشجر التي علقت بين خصلاتها، ناهيك عن ملابسها المهترئة المليئة بالأتربة، حاولت الوثوب عن الأرض بثقلٍ نفضت معه ثيابها وحاولت ضبط خصلات شعرها بلا فائدة وكأن الجميع اجتمع عليها الآن، أخذت تتنفس الصُعداء وتضع يدها على صدرها لتُدرك فيما بعد أنهما ابتعدا عن القصر تمامًا ولن يستطيع هذا الحارس_ الوهمي _ أن يقتل الأميرة:

-لا تقلقي ... نجوّنا

قالتها بأريحية وهي تلتفت وراءها حيث كانت تركض سنووايت لكن عيناها تتسعان في ذعرٍ عندما يفاجئها هذا الفراغ!!

-سنووايت .... سنووايت

أخذت تنادي بخوّفٍ وهي تتلفت حوّلها في تلك الغابة الموّحشة، واصلت النداء على سنووايت لكنها لا تلقى سوى الصمت المهيب، والوحدة الطاغية، تسارعت دقات قلبها في هلعٍ، وبدأت الدموع تتجمع على عينيها، فهي لا تعرف أين هي الآن!!

-يالله شو عم يصير معي أنا

تكاثرت دموعها وهي تضع يديها على رأسها وتتلفت حوّلها بخيبة أمل، لقد ضاعت تمامًا في هذه الغابة، ضاعت وهي وحيدة!!

حطام المرآة كان أمامها مما يجعل فؤادها يتحطم تباعًا، ما الذي فعلتِه أيتها الحمقاء ؟ كيف ستهربي من غضب الساحرة ؟ هذا كل ما كانت تحادث به نفسها وهي تطالع الحطام بفؤادٍ تتسارع دقاته وأنفاسٍ تختنق خاصة وهي تستمع إلى خطواتٍ رعدية تقترب من الحجرة يليها صوّت صياحٍ غاضبٍ تقسم أنه كاد يقتلها حية.

ارتفعت حرارة جسدها وبدأ العرق يتصبب من جبينها وهي تتحرك يمينًا ويسارًا بحثًا عن أي مخرج ينجدها من هذا الأمر، لكن مع الأسف، المخرج الوحيد هو البوابة التي ستأتي الساحرة من خلالها، بدأت أطرافها ترتجف وأنفاسها تتسارع حتى ظنّت لوهلة أنها ستنفجر بالبكاء.

-من الذي هناك ؟

ارتفعت حدة الصوّت أكثر حتى جعل فؤادها يتوّقف عن النبض لثانية كادت تجعلها تموت، فهي الآن في ورطة لا نجاة من بعدها، ازداد ذعر ميليندا وهي تستمع إلى الخطوات وهي تقترب وتقترب .... حتى وجدت يداها تنتشلان الوشاح الأحمر عن الأرض وتُغطي به المرآة المحطمة في أقل من ثانية حتى لا تراها الساحرة.

ما هي إلا ثوانٍ قليلة حتى وجدت من يُظلل عليها ويجعلها تلتفت ببطءٍ شديدٍ صوّب نظرات الملكة الجحيمية، ازداد العرق تصببًا على جبهتها وجعلها توّلي ظهرها للمرآة المُحطمة وهي ترمق الملكة ببسمة بلهاء مرتبكة قالت معها:

-مـ... مرحبًا

لفحتها أنفاسٌ حارقة إثر صوّت الساحرة الرعدي:

-من أنتِ أيتها الدخيلة ؟

ازدردت ريقها في هلعٍ وهي تتراجع للوراء نابسة بتلجلج:

-أ..أ..أ..أنااا .... أنا الخادمة

أنهت حديثها بارتباكٍ جعل الغرابة تلوح على وجه الملكة وهي تحاصرها بسؤالها:

-لا يوجد خدم هنا

ازداد ارتباك ميليندا مما جعلها تقول بكذب:

-أنا الخادمة التي ليست موجودة

قطبت الملكة جاحبيها بحيرة جعلت ميليندا تُدرك حماقتها وتحاول تداركها بارتباك:

-أقصد أنني الخادمة الجديدة

بقيت نظرات الشرٌ تنبثق من عيني الملكة إنجرد وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى أزاحت ميليندا بعيدًا عنها متفوٌهة:

-ابتعدي عن وجهي .... ولا تدخلي هذه الحُجرة مجددًا

كادت تسقط ميليندا إثر الدفعة لكنها اعتدلت فوٌرًا حالما وجدت إنجرد تقترب نحو المرآة عازمة على إزاحة الوشاح الأحمر، الأمر الذي جعل دقاتها تتسارع وقدماها تهرولان نحو الملكة حتى وثبت أمام المرآة مباشرة باسطة ذراعيها حتى لا تقترب إنجرد من الوشاح:

-عفوًا مولاتي .... المرآة مريضة ... إذا اقتربتي نحوها ستُصيبكِ بالعدوة

طغيٌت عوالم عدم التصديق على وجه الملكة وهي تعترض:

-لا يوجد مرآة تُصاب بالعدوة يا هذه

-ولا يوجد أيضًا مرآة تتحدث

هكذا تهكمت ميليندا بحدة بسيطة جعلت الغضب يتطاير من عيناي الساحرة، كيف علمت هذه المتطفلة أن المرآة تتحدث ؟ هذا ما زاد من شكوك الملكة وهي تصطك على أنيابها بغضب وتدفع ميليندا عن وجهها متفوٌهة:

-إغربي عن وجهي

حاولت ميليندا الثبات ومحاولة منعها مجددًا لكن لا حياة لمن تنادي، ها هي ترى الملكة تزيح الوشاح ويتصلب جسدها أمام المرآة المُحطمة، المرآة التي كانت تستمد منها شرور العالم، وبحركة بطيئة سينمائية، بدأت تلتفت نحو ميليندا التي وجدت أقدامها تتخشب على الأرض وقلبها يكاد يتوّقف عن العمل، آرادت حقًا الفرار، لكن الغراب يرميها بنظراتٍ متوّعدة من جهة، ونظرات الساحرة الشيطانية تحاصرها من جهة أخرى، وهي بين ذلك كله تكاد تنصهر من الخوّف والهلع.

-أ..أ..أنا ... فعلت ذلك حتى أحميكِ منها

اصطكت الساحرة على أنيابها وهي تقترب من ميليندا ببطء والأخرى تتراجع تباعًا وتدعو ربها أن تتخلص من كل ذلك، كانت ترفع يديها لعلها تحمي وجهها والدموع تتجمع على مقلتيها من شدة الرُعب، بينما رفعت إنجرد صوّلجانها وكادت تهوّي به على رأس ميليندا متفوّهة:

-أقسم أنني سأتخلص منك أيتها الدخيلة

رفعت ميليندا يديها لتحمي بهما جسدها وهي تُطلق صرخاتٍ مصدومة تزامنًا مع زيادة غضب الساحرة وعزمها على قتل هذه الدخيلة بأية طريقة، لكنها قبل أن تقبل على أية حركة استمعت إلى صوّتٍ واثقٍ يداهمها من خارج الحُجرة.

-ابتعدي عنها وإلا تخلصتُ من إكسيركِ

قالتها كاتي بصوّتٍ حادٍ مهددٍ وهي تقتحم الحُجرة ومعها كوب السائل الرمادي الذي كادت الساحرة تتجرعه لولا ما حدث، كان الغضب يتطاير من عيني كاتي، لا تعرف إن كان غضبها بسبب الساحرة التي تُريد الفتك بصديقتها مؤخرًا، أم بسبب ميليندا التي أدركت للتو أنها حطمت المرآة بغباءها وهي التي أكدت عليهم مرارًا ألا يتدخلوا بأحداث الحكاية.

أخفضت الساحرة صوُلجانها وبدأت تطالع كاتي بنظراتٍ متوّعدة تجاهلتها كاتي وهي تواصل تهديدها:

-إذا اقتربتِ نحوها ... سأتخلص من اكسيركِ هذا

بقيت تطالعها في صمتٍ حتى انطلقت ضحكاتها الشيطانية مرة واحدة لتردف بعدها :

-وهل تعتقدي أنني لا أستطيع القيام بإكسيرٍ آخر ؟

ارتسمت بسمة شيطانية على ثغرها وهي تتحدث مما جعل كاتي تحافظ على صلابتها وهي تواصل بتهديد:

-لا، لن تستطيعي .... لأنك لا تملكي مكوٌناته، ولن تملكينها إلا بعد فترة من الآن .... أي أنكِ لن تستطيعي التخلص من بياض الثلج

احتدت نظرات الساحرة بسبب صدق كلماتها، فهي لا تستطيع القيام بهذه التعويذة في أي وقت، ولن تقدر على الانتظار مجددًا، الأمر الذي جعلها تطالع كاتي بنظراتٍ جحيمية ثم تقترب نحوها متفوٌهة بأمر:

-أعطني هذا الإكسير أيتها الصغيرة

قالتها بتحقيرٍ لم يؤثر على كاتي التي لا تعرف كيف واتتها هذه القوة، فهي تحاول حجب نيرانها قدر الإمكان حتى يهربا من هذا المأزق، وكانت ميليندا تبادل حدقتيها ما بين الساحرة الغاضبة وكاتي الواثقة المرتبكة وهي تشعر بالضياع رغم أنها السبب في كل ذلك.

-لن أعطيكي إياه قبل أن تسمحي لنا بالرحيل

اصطكت الساحرة على أنيابها بغضبٍ إثر ثبات كاتي مما جعلها تستخدم القوة وهي تنقض على كاتي عازمة على انتشال إكسيرها بأية طريقة.

-أخبرتكِ أن تُعطيني هذا الإكسير

مدٌت يدها صوٌب كاتي لتتراجع الأخرى بدوٌرها وتقبض على الكوٌب الذي بدأ يهتز بسبب تعاركهما سويًا، فكانت الساحرة تحاول أخذ الكوب وكاتي تمنعها وتحاول التحرر من قبضتها حتى....

استمع الجميع إلى صوٌت حطامٍ آخرٍ سببه هذا الكوب الذي سقط على الأرض لتتناثر محتوياته ويتهشم إلى مئة قطعة، تسارعت دقات ميليندا وازدادت توٌترًا بينما

تصلُّبت أهداب كاتي وقد شعرت أن ثباتها ونظراتها المُهددة ما كانت سوى أكذوبة كبيرة، فهي الآن تقسم أنها تكاد تتبول على نفسها من شدة الرُعب.

انتفض جسديهما في ذعرٍ إثر صياح الساحرة الغاضب ونظراتها التي تحوّلت إلى نظرات وحشٍ مُدمر، ابتلعت ميليندا ريقها وبدأت أنفاسها تتصاعد وهي تتشبث بيد كاتي الباردة التي طغي الارتباك على جنباتها.

التصقت الفتاتين بجوار بعضهما وأخذتا تتراجعان للوراء أمام نظرات الساحرة الجحيمية التي أنهتهم بنبرة مهددة:

-سأقضي عليكما

وما هي إلا لحظاتٌ وجيزة حتى وجداها تلوّح بعصاها في الهواء لينتشر بعدها صوّت الغربال وتخترق نوافذ القصر، تصاعدت مخاوفهما أكثر وهما ترمقان الغربال تتكاثر وتلتف حول الساحرة_ زعيمتهم_ التي كانت تُشير على كاتي وميليندا حتى يقضوا عليهما ويلتهموا أحراشهما.

تراجعت ميليندا للوراء وبدأت تختنق وهي تقول باستسلام:

-أو لا .... لقد هُلكنا...!!

أزيز الباب بدأ يضرب آذانهما لينتفض جسد سامي هلعًا ويدفع حكيم حتى يختبيء كليهما خلف الأريكة، فلا يجب أن يراهما أحدٌ هنا، لا يجب أن يتدخلا بأحداث الحكاية ويحدث كما حدث سابقًا!!

تحرك سامي بخطواتٍ انسيابية لا تُصدر صوّتًا وبدأ يدفع حكيم بروية حتى أصبحا خلف الأريكة المتهالكة ينتظران فرصة مناسبة للهرب.

-هنمشي إزاي ؟

سأل حكيم بحيرة قابلها سامي بنظراتٍ رعدية حثه معها على الالتزام بالصمت، كانت الشمس قد بدأت بالشروق والرياح العاتية تغلغلت من الباب لينطلق بعدها دندنة خافتة مُحببة للأنفس مع العديد من الأصوات المتناغمة، رفع سامي جزعه

ليرى صاحب المنزل ويتفاجأ بتلك الفتاة البريئة التي تدلف المنزل بهدوءٍ يصحبها مجموعة من الحيوانات ما بين العصافير والآرانب وسلحفاة والغزلان الصغيرة والكبيرة وبعض السناجب، كانت تتحدث معهم كما لو أنهم يسمعونها ثم تُعلق على نظافة المنزل وتُخبرهم بضرورة التنظيف.

تابع سامي تحركاتها في صمتٍ قطعه حكيم بهيامٍ:

-عليها صوت .... يصحي التخين من أجدعها نومة .... ولا ضحكتها .... ياه

ضربه سامي على كتفه حتى يصمت ولا يكشف أمرهما، ثم أخذ يدفعه مجددًا حتى يختبأ خلف الأريكة رغم تذمر حكيم ورغبته الجامحة بمشاهدة الأميرة الفاتنة.

انتشرت الأصوات أكثر عندما بدأت العصافير بانتشال الملابس عن الأرض والسناجب تُحمل الأواعي المُتسخة بينما كانت هناك غزالة كبيرة تزيح الأتربة عن المقاعد الخشبية المتهالكة، وبياض الثلج بينهم تُغني بصوّتها الرقيق وتُنظف الأرض بالمكنسة اليدوية والحيوانات تستجيب لأوامرها وتشاركها الغناء بمرح.

-إيه يا سطا ده .... هو في حيوانات بتغني!!

علّق حكيم بحيرة ليُضيف سامي بصدق:

-يعني هو في حيوانات بتنضف!!

لم ينبس ببنت شفة وبقيت الغرابة تُحيط به وهما يشاهدان السلحفاة تحمل العديد من الأوعية على ظهرها والأرانب تشاركها بينما كانت السناجب تُجفف الصحون والغزالة تلعقها مما جعل عوالم الاشمئزاز تلوح على حكيم ليتفوّه:

-إبقي فكرني منجيش ناحية الطباق دي تاني

استمر التنظيف للعديد من الساعات وكان يتحرك سامي على الأرض زحفًا هو وحكيم حينما تلتفت الأميرة ويتبعها الحيوانات، خاصة عندما وجدا مجموعة من الأرانب تقترب نحوهما عازمة على تنظيف الأريكة وإزاحة ما يتكوّم حوّلها من أتربة.

دفع سامي جسد حكيم وهما يتحركان على الأرض بخطواتٍ متسارعة قطعها اصطدامهما بسنجابٍ بدأ يُطالعهما بغرابة، ظنٌ حكيم لوهلة أن أمرهما قد كُشف ليُخبره سامي أن يتحلًى بالصمت ويواصلا التحرك ببطءٍ أمام السنجاب الذي أخذ يرمقهما بغرابة ثم تجاهلهما ليعود إلى بياض الثلج ويواصل مساعدتها في التنظيف.

أطلق سامي زفرة مرتاحة من جوفه أزاح معها قطرات العرق التي أخذت تنساب على جبهته بسبب حرارة الطقس واعتقاده بأنهما قد كُشفا، وثبا أمام المنزل الصغير عازمين على الرحيل لكن حكيم تصلب على الأرض ولم يكن يُريد الابتعاد:

-بقولك إيه .... ما تخلينا قاعدين .... كدة كدة البيت مش بتاعها

بان على نبرته بعض الغيرة من بياض الثلج التي استوّلت على هذا المنزل الذي وجداه، وعلى بعض الهيام من رغبته الجامحة بالبقاء بجوار الأميرة.

لكن سامي كانت الصرامة تطفو على جنباته وهو يدفع حكيم متفوّهًا:

-مينفعش نبات معاها في نفس المكان .... ده غير إن السبع رجالة اللي عايشين هنا شوية وهييجو

لاح الاعتراض على صوّت حكيم وهو يقول:

-يعني هي هتقعد مع سبع رجالة عادي .... وأنا وإنت مينفعش نقعد معاها!!

ضربه سامي على كتفه حتى يفهم حديثه ولا يتهكم كالأطفال:

-يا بني افهم .... كاتي قالت محدش يقرب من الأميرة .... وإنت بتقولي عايز أقعد معاها !!.... إنت عايز تبات هنا ولا إيه ؟

بدأا التحرك بعيدًا عن المنزل رغم اعتراض حكيم وقوله الحالم:

-يا لو بس تلاحظ بوجودي ونتجوز ونعيش في تبات ونبات ... والله كنت هعيشها ملكة

دفعه سامي للأمام ليستيقظ من أحلام اليقظة التي تهمه بأنه سيتجوز بياض الثلج وينجب منها بنينًا وبناتًا، لا يُريد أن يُصدق أنها ليست حقيقية وأنها فقط شخصية مُتخيلة.

-ولا ... اتحرك وبطل ملاوعة، عايزين نخلص من الحوار ده

أفأف حكيم وهو يستجيب لدفعات سامي الحادة الفاقدة للصبر ليتحرك كلاهما في تلك الغابة الموّحشة ويتوّقفا مرة واحدة بسبب تلك الأطياف التي اقتربت نحوهما، فكان هناك مجموعة من البشر لم يتبين ماهيتهم لكنهم تبينوا شخصًا واحدًا فقط، شخصًا كان يقود هذا الجمع من البشر.

جحظت عينا حكيم في ذهولٍ أخذ معه يُحرك كتف سامي ويحثه على رؤية هذه الغرابة، فكان يُشير بيديه صوّب جمع الرجال متفوّهًا:

-الحق ياه .... ده الواد مارك أهو....!!

توّرمت قدماها من كثرة المشي والحبو على حشائش تلك الغابة المقيتة، فرغم أشجارها وورودها وحيواناتها الأليفة، إلا أنها تبعث بداخلها الشعور بالضياع والتيه، كيف لا وهي تتحرك لأكثر من خمس ساعاتٍ بلا فائدة، حتى أنها خلعت حذائها وبدأت تسير حافية القدمين لتعلق الأتربة على قدميها كما ملابسها وشعرها المُشعث والهالات التي تكوّمت أسفل عينيها.

كانت تتحرك غيْد في هذه الغابة بيأسٍ قد تملك منها، تسب نفسها لأنها ركضت في تلك الغابة من البداية بسبب جُبنها وحماقتها، وحظها السيء، فلطالما كانت ذات حظٍ سيءٍ مُنذ موّلدها، وها هي الآن، أصبحت وحيدة مُشردة وضائعة و...

توّقفت عن التفكير لتتراجع خطواتٍ للوراء إثر الصدمة التي اعتلتها، فركت عينيها جيدًا للتأكد مما تراه أمامها وتتأكد أن الله لم يتركها وحدها كما ظنّت، فها هي ترى مجموعة من الظلال تتحرك قبالتها وأصوات الأغاني تنبعث منها، كانت ظلالًا قصيرة لم تتبين ماهيتها، لكنها أدركته هو ... فمن غيره يرتدي هذه العوّينات ويتحرك بهذا الخيلاء.

-مارك!!

قالتها بصدمة سُرعان ما تبددت ليحل محلها ضروبًا من الأمل وهي ترفع رداءها الممزق المليء بالأتربة وتتحرك صوّب مارك لعله ينجدها من هذا الضياع، فما إن اقتربت حتى ضرب أذنها هذه الكلمات التي يتغنون بها:

-هاي هو ... هاي هو ... من عملنا قادمون .... هاي هو هاي هو....

وكان مارك يقود المسيرة بعد أن ارتدي سُترة زيتية تُشبه ملابسهم مع قبعة بنُية جعلته أشبه بالقزم الكبير، هروّلت غيّد نحوهم باستنجادٍ لم تُصدق أنها عثرت على أحدٍ منهم، فهي تبحث عنهم لساعاتٍ حتى كادت تتيقن أنها ستُسجن في هذا العالم للأبد.

-مارك ...مارك...

بقيت تنادي بصوّتٍ مُستنجدٍ جعلهم يتوّقفون عن السير ويطالعونها بنظراتٍ متُعجبة مترقبة فيما عدا مارك الذي انتفض ذعرًا ليتراجع بضع خطواتٍ خوّفًا من هيئة غيّد الأشبه بمن خرج من القبر توًا.

-عفريت .. عفريت !! ... اهربوا بسرعة

صرخ مارك بتلك الكلمات المذعورة وهو يحثهم على الهرب لولا تشبث غيّد بذراعه حتى يتوّقف ويستمع إلى استنجادها:

-لستُ عفريتًا .... أنا غيّد

هدأت ملامح مارك وبدأ يتفحص معاني وجهها بحيرة وحاجبان مقطبانٍ ثم ما هي سوى بضع لحظاتٍ حتى تراجع خطواتٍ للوراء هاتفًا:

-ياإلاهي .... هل ماتت غيّد وأنتِ عفريتها ؟

ضربت غيّد جبهتها من شدة حماقته التي جعلتها تتمتم بالعربية:

-دخيلك يا الله ... شو ما كان عالِم هاد ؟

لم يفهم مارك تمتمتها فبقي يطالعها بتحفزٍ ويرفع الفأس نحوها بترقبٍ حتى وجدها تشرح ببعض الحدة:

-لم أمت أيها الأحمق .... فقط داهمني الإرهاق .... ثم أنني أبحث عن بقيتهم .... هلا أخذتني معك ؟

أنهت الحديث برجاءٍ دعمّته ببراءة طفولية جعلت ملامحه تستكين ويخفض الفأس عازمًا على مواصلة الطريق وتجاهلها، فهو لم يكد يُصدق أنه تخلص من النساء أخيرًا، حتى أتت هي.

-ابتعدي عني أيتها المُشردة ....

هندم ملابسه مجددًا وعاود التحرك للأمام مُشيرًا على الأقزام حتى يتبعونه أمام عوالم غيِّد الحائرة التي انقلبت إلى الرجاء مجددًا وهي تتحرك وراءه هادرة برجاء:

-مارك أرجوك .... أقسم أنني لن أصدر صوّتًا .... ثم أننا نُريد أن نرحل من هنا سويًا

تجهمت عوالم مارك حتى توّقف عن السير ليرمقها بنظراتٍ جحيمية حثها معهم على الصمت عن طريق وضع يده على فمها واليد الأخرى رفع إصبعها وقربه نحو فمه هامسًا:

-هشش ... إصمتي أيتها الغبية ..... أنا أخبرتهم أنني سأجعلهم أغنياء، لا تُخبرينهم أنني أريد الرحيل من هنا

أبعد يده عن غيِّد ليجدها توميء برأسها بطاعة ثم تقول بتهديدٍ هامس:

-حسنًا لن أخبرهم، لكن اسمح لي بمرافقتكم

أطلق زفرة حانقة من جوفه وافق بعدها مُرغمًا:

-حسنًا .... لكن لا تُصدري صوّتًا، لا نريد المزيد من المشاكل

أومأت رأسها ببلاهة وبقيت تسير خلفه تُردد معهم أغنيتهم رغم أنها لا تفقه عنها شيئًا، لكن مع ترديدهم للكلمات بدأت تحفظها عن ظهر قلب، كانت متدثرة خلف

مارك ووراءها الأقزام يتحركون بانتظامٍ ويحملون معهم أمتعتهم وأدواتهم حتى اقتربوا من منزلٍ متوّسط الحجم يقبع في مُنتصف هذه الغابة...

إختبأ سامي خلف المنزل ببقعة نائية حالما وجد مارك يتقدم ومعه هذا الجمع من الأقزام وخلفه غيِّد التي لم تكن ظاهرة في بادئ الأمر، لم يشأ أن ينقض عليه سامي ويُبرحه ضربًا لأنه يتحدث مع شخصيات الحكاية_بل ويقودهم أيضًا_ لأنه ببساطة لا يُريد أن يزيد الطين بلة، فيكفي ما فعله هذا العالم الجليل الذي يشُك الآن إن كان بالفعل عالمًا، فهو لا يصلح سوى أن يكون بائعًا للبطاطا.

-احنا واقفين كدة ليه ؟ ... ما نروحلهم

قالها حكيم بفُقدان صبرٍ أوقفه سامي بهمسٍ:

-لأ مينفعش .... الأقزام دول جزء من الحكاية.... مينفعش يشوفونا ... كفاية إللي مارك بيعمله

صمت حكيم ولم يُعلق ليلوح بينهما برهة من الصمت تابعا فيها مارك وهو يتحرك مع الأقزام عازمًا على دخول المنزل.

-هنعمل إيه ياسطا ؟

سأله حكيم بتيهٍ آجابه سامي رغم أنه لا يملك خطة محددة:

-هنفضل هنا مستخبيين .... ولما مارك وغيِّد يبعدوا هنشدهم معانا ونمشي من هنا....

فُتح باب المنزل ليدلفه الأقزام بخطواتٍ واثقة تبعهم مارك وغيِّد على إثرها وطفقوا يتحركون في الداخل عازمين على نيِّل سُبل الراحة بعد فترة طويلة من الجُهد والشقاء، لكنهم يتوّقفوا عن السير مرة واحدة حالما تداهمهم هذه الغرابة، فهذا المنزل أنظف من أن يكون منزلهم، الأمر الذي جعل الأقزام يرمقون ما يحدث بحيرة ويتلفتون حوّلهم في ترقب.

-ما الذي حدث للمنزل ؟

قالها جرامبي بغضبٍ عهده وهو يتجوّل في المنزل النظيف الذي لا يعهده أبدًا، بينما كان هابي_ القزم السعيد_ يتجوّل في كل مكانٍ متفوّهًا بمرح:

-المنزل لم يكن نظيفًا

-هل هناك من اقتحم المنزل ؟

سأل باشفول بنبرة خجلة زادتهم ارتباكًا لتتعالى بعدها الأصوات ويبدأو بالتحرك داخل المنزل والغضب يكتنفهم، بينما كانت غيّد تُعلق ببلاهة:

-هل اللصوص تُنظف المنزل ؟.... هذا جديد

وكان مارك على جهة أخرى يُقلد الأقزام ويبحث معهم عن ذاك اللص وإمارات الغضب تلوّح على وجهه، وما هي إلا لحظاتٌ حتى وجدوا عوالم الخوّف تلوح على دوبي وهو يُشير صوّب الحُجرة دون أن يتحدث، الأمر الذي جعلهم ينطلقون صوّب إشارة دوبي ويقتحمون الحُجرة ومعهم أدواتهم ونظراتهم الغاضبة.

وجدوا فتاةً جميلة تضم أسرّتهم وتستلقي عليهم في هدوءٍ وملائكية، لم تكن تنتبه لوجودهم فكانت تتمطأ بأريحية جعلتهم يتراجعون للوراء في حيرة وتردد، فجمالها وبراءتها لا يدلان على كوّنها لصًا، حتى أنهم بدأوا يتابعونها من خلف الباب بانتشاءٍ وهيامٍ قطعه مارك الذي هروّل صوّب الحُجرة متفوّهًا بصوّتٍ مرتفع:

-ما الذي تفعلينه أيتها اللصة ؟

انتفضت الأميرة إثر صوّته وبدأ الحرج يطفو على وجهها وهي تثب عن الفراش هادرة:

-أنا ... أنا أسفة

قالتها بصوّتٍ خافتٍ بريءٍ لم يُحدث شيئًا بمارك الذي بقيت عوالمه متجهمة وهو يصيح بوجهها:

-على ماذا تتأسفين أيتها السارقة .... ما الذي تفعلينه بمنزلٍ غير منزلك ؟

كادت الدموع تتلألأ على وجنة الأميرة وهي تزداد ارتباكًا وخوّفًا من نظراته الجحيمية وغضبه الذي انتقل تباعًا للأقزام لأنه أصبح قائدهم بالفترة الأخيرة.

-أيها الأقزام .... يجب أن نُعاقب هذه اللصة

قالها مارك بصوّتٍ قيادي جعل غيِّد تهروّل نحوه متفوّهة بتردد:

-مارك ... لا أعتقد اننا يجب أن نفعل ذلك

حاولت منعه عمَ ينوّي فعله مُذكرة إياه أن هذه ربما تكون الأميرة التي لا يتذكر ملامحها، لكنه يلقاها بنظراتٍ جحيمية مليئة بالاصرار وكأنه ينتهز الفرصة لينتقم من النساء، الأمر الذي آراده طوال حياته.

-ابتعدي عني يا هذه .... أتريدينا أن نسامح هذه الدخيلة التي اقتحمت منزلًا ليس منزلها ونامت على الأسرة وكأنها على وشك طردنا !! .... هذا مُستحيل

هكذا قال بغضبٍ تدخل معه جرامبي مضيفًا وهو يرفع مجرفته:

-نعم ... هذا صحيح، إنها لصة

سرعان ما انتشرت الأحاديث الغاضبة بين الأقزام والتي أشعلها مارك مما زاد من ارتباك غيِّد وشعورها أنهما يفعلان شيئًا خاطئًا، خاصة بعد أن أنهى مارك الحديث بنبرة قيادية رفع معها فأسه:

-هيا أيها الأقزام .... قيِّدوا هذه اللصة....!!

فتحت عينيها بوهنٍ لتُطالع هذه الأدخنة التي تعبق بالأجواء مع تلك الروائح الكريهة التي تمتزج مع بعضها لتخلق أجواءً كارثية على أصحابها، فقد كانت ميليندا تجلس على رُكبتيها بشعرٍ مُشعث وخدوشٍ تعتلي وجهها بسبب هجوم الغربال التي كادت تُفتك بها هي وكاتي، لكن لحُسن حظهما، لم تكن الساحرة تُريد قتلهما بتلك الطريقة الهينة، كانت تُعد لهما ما هو أكثر فظاعة.

التفت ميليندا صوّب كاتي ذات الحالة المزرية والأطراف المُقيدة مثلها بالضبط، لم تكن قد استعادت وعيها بعد لذلك حاولت ميليندا التحرك صوّبها مناديةً:

-كاتي ... كاتي أفيقي

أصدرت بعض الهمهمات وهي تحاول فتح عينيها بوهنٍ لتكتشف أنهما الآن مُقيدتان داخل هذه الحجرة التي تُعد فيها الساحرة سحرها الأسوّد، وكانت انجرد تقف أمام جهازها العجيب الذي يُطلق الأدخنة وباتت تُحضر وصفة أخرى تعتقد كاتي أنها وصفة موّتهما، أو ربما تُعد لهما سُمًا من أفتك أنواع السموم، فهي لم تكن تتوّقف عن قوّل:

-قطرة من دموع العقارب .... ستجعلهما يتلوّيان في بحرٍ من النيران....

قالتها بشيطانية وهي تسكب أحد السوائل داخل كوّبٍ زجاجي لتراقب تفاعل موّاده الكيمياوية أمام ميليندا التي كانت تُعلق ببلاهة:

-مهلًا .... هل العقارب لها دموع ؟

وجدا الساحرة تقترب نحوهما ومعها هذا الكوّب وإمارات الشرّ تلوّح على وجهها أثناء حديثها المتوّعد:

-سأدفعكما ثمن ما فعلتماه غاليًا .... سأجعلكما_

كادت ترتفع طبقات صوّتها بشيطانية قطعتها ميليندا بنفاد صبر:

-لمَ لا تقتلينا وتتخلصي من هذه الخُطبة اللعينة

صكت على أنيابها بغضبٍ ونظراتٍ متوّعدة وجهتها نحوهما بينما كانت كاتي تطالع ميليندا بنظراتٍ متوّعدة جعلت الأخرى تسبل بعينيها وتسب تهوّرها للمرة التي لا تعلم عددها، وجدا الساحرة تضع الكوّب على الطاولة وتجذب كوّبًا آخرًا لتُعيد الكرة حتى تتخلص من هاتن الوغدتين، وما كادت تقبل على حركة أخرى حتى داهمتها كاتي بسؤالها الحكيم:

-ما الذي سيعود عليكِ من قتلنا ؟ .... ستهدري موادكِ بلا فائدة

توٌقفت الساحرة عمَ تفعله والتفتت صوٌبها متفوٌهة بغضب:

-يُجب أن تعاقبا على فعلتكما

-لكنكِ لن تستفيدي شيئًا من معاقبتنا....

تجهمت معالم الساحرة وبدأت الحيرة تلوح على ميليندا وهي تلتفت برأسها صوٌب زميلتها محاولة استرفاد ما تفُكر به، وجدا الساحرة تقترب نحو كاتي رامية إياها بنظراتٍ جحيمية قالت معها:

-أتريدينني أن أعفو عنكما بعدما حطمتما مرآتي ؟!

نفت كاتي حديثها بثقة:

-لا .... لكننا نستطيع مساعدتكِ .... ألا تُريدين قتل الأميرة ؟

بدأت عوالم الحيرة تلوح على وجه الساحرة لأنها لا تعرف كيف علِمت هذه الفتاة بمَ تريده، انتهزت كاتي حيرتها وأخذت تقنعها بثقة:

-لن تستطيعي قتلها وأنتِ بهذه الهيئة .... ولن تستطيعي إرسال شخصٍ أخرٍ لهذه المهمة، لأنها محمية ..... لكننا نستطيع فعل ذلك بدلًا عنكِ....

حرٌكت أنظارها صوٌب ميليندا ثم عادت تواجه الساحرة بقولها:

-لسنا مصدرًا للشكوك .... لن يشك أحدهم أننا سنأذيها

بدأت عوالم الاقتناع تكتنف الساحرة وهي تعود بضع خطواتٍ للوراء في حالة من الصمت والتفكير قطعتها كاتي لتزيدها إقناعًا:

-نحن أيضًا نُريد قتل الأميرة ..... فهي جميلة، والجميع يُحبها، ولا أحد يهتم بنا

حاولت صبغ كلماتها ببعض الغيرة حتى تقتنع الساحرة التي بدأت تُمعن التفكير في كلماتها حتى اقتربت نحوٌهما مُجددًا لتسأل:

-وما الذي ستفعلانه ؟

فكرّت كاتي هنيهة وبدأت تتلفت بنظراتها صوّب الحجرة إلى أن وقعت عينيها على تلك التفاحة التي أعدتها الساحرة لتسميم الأميرة، الأمر الذي جعل ابتسامة منتصرة تلوّح على ثغر كاتي وهي تقول بثقة:

-سنُعطيها التفاحة المسمومة!!

الفصل العاشر (ضياع الفُرصة الأخيرة)

البشر ينقصمون إلى الأخيار والأشرار، لكن .... هل جرّبت يومًا أن تضحى الاثنين ؟؟

هكذا كان مارك وهو يتجوّل يمينًا ويسارًا داخل منزل الأقزام الذي أضحى نظيفًا، يتحرك بقيادية كما لو أنه ملكهم، يطغي التبهنس على جنباته حتى يجعلك تظن لوهلة أنك تحادث إمبراطورًا عظيمًا.

كانوا قد اتفقوا على حبس الأميرة بالحجرة حتى يعثروا على عِقابٍ مناسبٍ لها، وبالطبع حدث ذلك وفقًا لمشورة مارك، فلو لم يكن مُوجودًا لعاملها الأقزام بكل لينٍ ولُطف، لكن يبدو أن مارك خالف جميع القواعد وقرر أن يبسط سلطته بسبب طبيعته المتبهنسة وانتهازه لهذه الفرصة، فهو يشعر بالانتشاء حينما يُعظمه أحد.

-سنُقطع جسدها قطعًا صغيرة .... وسنُلقي كل قطعة في نهرٍ مختلفٍ حتى لا يعثر أحدٌ على أشلائها

قالها بسادية ونظراتٍ غاضبة أمام الحيرة والارتباك الطاغيان على الأقزام حتى تدخلت غيّد لتحاول إنقاذ الموقف للمرة التي لا تعلم عددها:

-مارك هذا فيلمٌ للأطفال .... لا يجب أن يضحى بهذه السادية

اقتنع مارك بحديثها فأطلق زفرة سائمة من جوّفه قبل أن يُعدل من خطته:

-أه ... حسنًا .... سنُقطعها فقط، وسنُلقي أشلاءها في نهرٍ واحد

ضربَت غيّد رأسها وحركته بخيبة أمل، ثم أخذت أدراجها بعيدًا عن هذا الاجتماع السادي الذي يُجريه مارك بكرهٍ يتقاذف من عينيه، تكاد تتيقن أنه مُختلٌ عقليًا، فهو يُريد أذية النساء بأية طريقة.

صعدت الأدراج المتهالكة النظيفة وحاولت التحرك بانسيابية حتى وصلت إلى حُجرة الأميرة، آرادت فقط أن تُخلصها من قبضة مارك حتى يأتي بقيتهم ويحاولوا إعداله عن الأمر، فهي لا تستطيع إقناعه أن هذه هي الأميرة، هو لا يُصدقها ولا يستمع إليها، وهذا فقط لأنها فتاة.

طرقت الباب بضع طرقاتٍ ثم فتحته بهدوءٍ ليخترق أذنها صوّت بكاءها الذي يكاد يُمزق نُياط قلبها، شعرت لوهلة بالشفقة على تلك الشخصية الخيالية التي تتكوّم على نفسها بالفراش وتبكي بحرارة، فحتى الخيال لم يسلم من الشرور والقسوة.

تحركت ببطءٍ صوّب الأميرة لتجلس بجوارها على الفراش ترفع يدها بترددٍ لتُربت على ظهرها متفوّهة:

-لا تقلقي .... لن يفعل لكِ شيئًا .... صحيحٌ أنه معتوه، لكنه لا يقدر على قتل أحد ...

تذكرت بعدها ما فعله مارك مع جاستون فعدّلت حديثها:

-حسنًا، فعلها من قبل .... لكنه كان بالخطأ

رفعت الأميرة عينيها المغرورقة بالدموع ورغم بكاءها إلا أنها لم تفقد شيئًا من نضارة بشرتها وملامحها الملائكية، حتى أن غيّد كانت على شعرة من سؤالها عمَ تستخدمه من منتجاتٍ للعناية بالبشرة.

-لماذا يحدث معي هذا ؟.... لماذا تُريد الملكة قتلي ؟

انفجرت بالبكاء بعد حديثها لتضمها غيّد نحو صدرها كي تبدأ مواساتها بربتات خافتة على ظهرها تبعتها بكلماتٍ حنونة حكيمة:

-لا تؤرقي عقلكِ بهذه الأسئلة .... فليست جميع الأسئلة تحمل إجاباتًا

كانت نبرتها صادقة نابعة من فؤادها وكأنها تتحدث مع نفسها وليس مع الأميرة، فهي أيضًا في نفس وضعها، لا تعرف ما الذي أتى بها إلى هنا، ولا تعرف لماذا وجدت نفسها وحيدة فجأة، لا تعرف شيئًا، لكنها تواصل رغم جهلها، توّقفت مُنذ زمنٍ بعيدٍ عن العثور على تلك الإجابات التي لا وجود لها.....

حاولت مواساة الأميرة قدر الإمكان رغم أنها بحاجة ماسة لهذه المواساة، بحاجة لمن يُربت على ظهرها ويُخبرها أن تلك الأزلام ستنتهي يومًا وستعود إلى حياتها المسالمة الهادئة، أو ستحصل على حياة جديدة مليئة بالبهجة والسكينة، لكن ما صلُّب جسدها مرة واحدة هو هذا الطيف الذي كان يحوّم حوّل المنزل، الأمر الذي جعلها

تبتعد بروية عن الأميرة ونظرات الحيرة تلوح على وجهها، ظنُّت لوهلة أنها تتوّهم بسبب قلة النوم وجسدها المُرهق، لكن لا، هي لا تتوّهم، ها هي تراهم أخيرًا أمامها !!

حاول سامي اختراق المنزل بنظراته ليتفقد ما يحدث، ففضوله يجعله يكاد يخترق النافذة بنظراته، لكنه يحافظ على سكينته قدر المُستطاع، فلا يجب أن يظهر قبالتهم، يكفيهم مارك الذي يُفسد الحكاية على الرغم من أنه هو الذي ابتكرها وأوّقعهم في هذا المأزق من البداية.

تركه حكيم بسبب شعوره بالضجر وبدأ يحوّم حوّل البناية دون أن ينتبه سامي، فسامي يعامله كالطفل الرضيع الذي لا يجب أن يتحرك دون موافقة والدته، وهو قد سأم هذا التحكم ويُريد أن يُخبره أنه كبيرٌ بمَ يكفي لألا يتسبب لهم بالفوّضى، صحيحٌ أنه الأصغر سنًا بالنسبة للرجال، إلى أنه ليس صغيرًا لهذه الدرجة، فهو قد أتم عقده الثالث منذ ثلاثة أشهر.

قطع تفكيره صوّت هرولة هامسة تقترب من النافذة التي يقف بجوارها؛ لوهلة شعر أنه سيُكشف وأن سامي سيبرحه ضربًا، أحنى جذعه حتى لا يُكشف لكنه وجد أحدهم يحاول فتح النافذة مع همسٍ يعرفه جيدًا:

-حكيم .... حكيم

قطّب حكيم حاجبيه وهو يستمع إلى اسمه ويرفع جذعه لأعلى ببطءٍ وترّقب وما هي إلا ثوانٍ حتى اتسعت بسمته وهو يقول:

-إيه ده ... البت التُركية!!

صكت غيّد على أنيابها بسبب إصراره على كوّنها من تركيا، بل ويُثير حنقها بهذا الأمر، فهو لا يُناديها سوى بهذا اللقب وكأنه يشعر بالانتشاء حينما يرى نظراتها الغاضبة:

-أوف ياه .... لك والله راح إضربك بالشحاطة إذا ما بطلت تناديني بهاد الاسم

أطلقت زفرة من جوّفها لتُبدد غضبها وتعوّد إلى هدوءها وجديتها:

-خلينا بالمُهم ....لازم تلحقنا بسرعة .... هاد إللي اسمه مارك طاقة فيوزاته .... راح يموّتا للأميرة وراح نعلق هون كلنا

اتسعت حدقتي حكيم في ذهولٍ وصدمة من حديثها وكل ما أخذ يُفكر به في تلك اللحظة هو شيءٌ واحدٌ فقط .... الأميرة!!

-إيه .... هيقتل المهلبية !!... قصدي سنووايت

أومأت رأسها إيجابًا وهي تواصل بنفاد صبر:

-حاولت أكتر من مرة قوله إنو هي الأميرة .... بس ما عم يسمعني هالأجدب

بدأ الارتباك يطغي على حكيم وهو يتلفت حوّله متفوّهًا:

-احنا لازم نلحقه بسرعة....

استجابت الأميرة لتعليمات مارك بخنوعٍ وطفقت تتحرك معه صوّب البهو والأقزام يحاوطونها بأدوات حفرهم التي استخدموها كأسلحة، بينما كان مارك يقف في المُنتصف وعلى وجهه إمارات الغضب والصرامة، فهو لا يتهاون في معاقبة المجرمين، خاصة إن كانوا من النساء.

-اسمعي أيتها اللصة ..... المُذنب يُعاقب على جريمته .... وأنتِ اقتحمتي منزلًا ليس منزلِك ..... بل ونظفتيه وجعلتيه على هواكِ أيضًا

أحنت الأميرة رأسها وهي تعتذر ببراءة:

-آسفة .... أردتُ فقط أن أجد لي مأوى

ازداد غضب مارك وهو يواجهها بطبيعته العلمية:

-هذا ما قاله الأمريكان حينما احتلوا القارة وطهروها من الهنود الحُمر .... قالوا أيضًا أننا نبحث عن مأوى .... وتعرفي ما الذي حدث ؟

قطبت الأميرة حاجبيها بحيرة ولم يبدو أنها تفهم حديثه أبدًا، لكنه مع ذلك واصل:

-بنوا المدينة على أهوائهم .... وأخبروا الجميع أنهم أتو لإصلاح الأرض وتعميرها .... لكنهم كانوا يقضون على أهلها الأصليون بالتدريج .... أتعرفي كم شعبًا فعل هذه الحركة ؟ ..... أتعرفي كم دوٌلة بُنيت على التطهير العرقي والحروب فقط لأن أهلها كانوا بلا مأوى ؟؟

ازدادت البلاهة على وجوههم لكن مارك أكمل حديثه بصرامة انتشل معها مجرفة كان يحملها باشفول ولم يكن يفعل بها شيئًا بسبب طبيعته الخجولة، رفع مارك المجرفة عاليًا وهو يقول بنبرة حادة مقررة:

-لهذا السبب يجب أن تعاقبي

ارتعدت أوصال الأميرة وكانت على وشك البكاء لولا اقتحام المنزل من قِبل سامي وحكيم، الأمر الذي جعل أجسادهم تنتفض بذعرٍ والغرابة تلوٌح على وجوههم، بات بيت الأقزام أشبه بالفُندق الذي يأوي الغُرباء.

لم يتحرك مارك وبقي ساكنًا يطالعهم بذهولٍ حتى وجد سامي يهرول نحوه وإمارات الحِدة تلوح على وجهه:

-ما الذي تفعله ؟ .... ألا تعرف من هذه ؟

ابتسم مارك باستخفافٍ قال معه:

-ومن هي ؟ .... أستخبرني أنها الأميرة كما كانت تقول هذه الفتاة العربية

زم سامي شفتيه بغضبٍ ثم أكد على حديث غيٌد بنبرة متجهمة هامسة:

-إنها الأميرة بالفعل أيها الأخرق .... هذه هي سنووايت

آشار على بياض الثلج مع نهاية حديثه مما جعل مارك يخفض المجرفة ويزدرد رمقه بتوٌتر، أكان سيضحى السبب في سجنهم هنا للأبد ؟

بدأ العرق يتصبب على جبهته وهو يبادل حدقاته ما بين الأميرة والأقزام حتى وجد أقدامه تقترب نحوها متسائلًا:

-هل ... هل أنتِ سنووايت ؟

سألها بارتباكٍ فوجدها تومىء له ببراءة يعرفها جيدًا، هذه هي براءة الأميرات، نفس البراءة التي عهدها مع الجميلة في الحكاية الأولى، وكان حكيم يطالع ردة فعله بذهول، ألم يكن هو صاحب هذا الاختراع، كيف لا يعرف الشخصيات الخيالية التي يعمل عليها ؟

-أيها الزعيم .... ما الذي سنفعله ؟

سأله دوك بهدوءٍ جعل مارك يزداد توّترًا ويبادل نظراته بين الأقزام السبعة، سيشتاق هذه الدقائق القليلة التي نصب نفسه فيها زعيمًا عليهم، لكن الآن، يجب أن يبتعد، فهو لا يُريد أن يعلق هنا للأبد، لذلك ألقى المجرفة على الأرض وطفق يقول باستسلامٍ لم يخلو من تبهنسه:

-السماح هو صفة حميدة مستخلصة من الشهامة .... ولأنني قائدٌ شهمٌ مغوار .... سأعفو عن الأميرة ... وسأصفح عنها

قالها بطريقة درامية متبهنسة جعلت اللهفة تلوّح على الأقزام فيما عدا جرامبي الذي بدا متضايقًا من هذا الأمر، كان مارك يشعر بثقل الكلمات وهي تخرج من جوّفه لرغبته الشديدة بمعاقبة إحدى الفتيات، حتى أنه وجد هابي يهرول نحوه متسائلًا بطبيعته المرحة ونظراته التي بادلها مع الأميرة التي كانت تبتسم له بلُطف:

-هل نترك الأميرة بمنزلنا ؟

سأله بلهفة وابتسامة طفولية جعلت عوالم الغضب تلوح على مارك وهو يهتف بإصرار:

-بالطبع لا .... هذه لصة لعنية لا يجب أن_

تلقي ضربة قوية على كتفه من سامي الذي باتت نظراته متوّعدة وهو يوجهها صوّب مارك حتى يعدل عمَ يقول، فما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى زفر مارك بسأمٍ ليُعدل بعدها حديثه باستسلام:

-حسنًا .... ستبقى هنا

هلل هابي بمرحٍ بينما اتسعت بسمة الأميرة وأخذت ترمقه بنظراتٍ ممتنة حاول مارك تجاهلها قدر الإمكان قبل أن يشعر بالغثيان، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى غمرّت البهجة المكان وبدأت الأقزام تتراقص وتحوّم حوّل الأميرة ليتعرفوا عليها وتبادلهم هي بمعاملة لطيفة وكأنها تتحدث مع الأطفال....

اسدلت السماء ستارها وتلألأت النجوم في عتمة الليل الساحرة والقمر المُنير، كان المنزل الصغير الخاص بالأقزام بعد أن كان كئيبًا يطغي عليه الجفاء، أصبح الآن نظيفًا دافئًا يعمه المرح والسكينة، أعدّت لهم الأميرة حساءً طازجًا يُصمت أصوات أمعائهم ويجعل الدفء يتغلغل في طياتهم، أكل الجميع بنهمٍ حتى مارك الذي عاند في باديء الأمر لكن بسبب جوعه وقرقرة معدته استجاب لندائاتهم وتناول الطعام معهم حتى امتلأت معدته ليغتسل الجميع بالمياه وتنُظف غيٌد ما علق على ثيابها من أتربة.

كان الهدوءٍ يعم المكان والأقزام السبعة يلتفون حول الأميرة التي تقص عليهم حكايتها مع الأمير تشارمينج الذي يسكن فؤادها ويُطيب روحها، فهي تنتظر انتهاء هذه المحنة حتى تعود إليه وتحيا معه في سلام.

أما في الخارج، كان يجتمع أربعتهم حوّل طاولة خشبية متهالكة خارج المنزل حتى يبتعدوا قدر الإمكان عن الأحداث، صحيحٌ أنهم اخترقوها وقُضي الأمر، لكنهم لا يزالوا بمُنتصف الحكاية، سيحافظوا على ثباتهم وعدم تدخلهم حتى يرحلوا من هنا سالمين، فيكفي ما حدث حتى الآن.

-كيف تجهل صورة الأميرة وأنت الذي اخترعت هذا الجهاز ؟

وجه حكيم سؤاله الفضولي صوّب مارك الذي كان يرتشف من الشاي لكنه يتوّقف عن الحراك ليعلو وجهه إمارات الارتباك وهو يقول:

-حسنًا .... أنااا ... هناك شيءٌ لم أخبركم به

انتبهت جميع النظرات صوّبه ليواصل بتردد:

-لم أجد ما يكفي من الوقت لخلق عالمٍ افتراضيٍ يُشبه الرسوم المتحركة كما أنها كانت نُسخة تجريبيةً....

أخذ نفسًا عميقًأ قبل أن يُفجر قُنبلته:

-لهذا السبب .... استعنت بالقصص الحقيقية للرسوم المُتحركة

لاحت البلاهة على وجوههم بسبب جهلهم بما يتحدث عنه مارك، الأمر الذي جعل مارك يتردد أكثر قبل أن يشرح:

-هذا يعني أننا في النسخة الأصلية من الأفلام .... وما يحدث هنا ..... سينعكس على عالم الطفولة بأكمله

سقطت فكوكهم في صدمة من حديثه الذي جمدهم مكانهم، الآن يعرفوا أنهم قضوا على عالم الطفولة بهذين الفيلمين اللذان اخترقاهما، لكن حكيم كان على عكسهم جميعًا، حيث كان يبتسم ببلاهة ويقول:

-هل تمزح معي .... هل يرونني الأطفال الآن ؟

ازدادت بسمته وبدأ يتلفت حوّله بحثًا عن جهاز التصوير الوهمي الذي يلتقطه، بينما كان سامي يضرب جبهته بنفاد صبر وغيّد لا تزال في حالة من الصدمة لا تُصدق حديث مارك ولا تُصدق أنها الآن أصبحت بمثابة شخصية خيالية، باتت تتخيل حياتها بعد رحيلهم من هنا، هل ستجد صورتها مُلصقًا يُعلق على جدار الصغار ؟؟

بعد فترة من الصمت والتفكير فيما قاله مارك، حاول سامي تدارك المؤّقف عن طريق التقدم بجذعه للأمام ووضعه لكوب الشاي على الطاولة حتى يقول بجدية:

-دعونا نُفكر بمَ نحن فيه أولًا .... يجب أن نعثر على طريقة لإنهاء هذه الحكاية بأسرع ما يُمكن

اعتدلت غيّد في جلستها وأخذت تتلفت حوّلها ثم تتوّقف بنظراتها صوّب سامي حتى تسأله بجدية:

-حسنًا .... لكن أين كاتي وميليندا ؟؟.....

تهيمان في الشوارع وسط عُتمة الليل وأصوات الضباع، تتحرك كاتي بين الحشائش ومعها سلة صغيرة تحمل أنواعٌ عدة من الفاكهة، لكنها لا تحمل سوى ثمرة تفاح واحدة، الثمرة التي ستُعطيها للأميرة بدلًا من الساحرة، لا تُصدق حقًا أنها تلعب أدوّار الشر دائمًا، فلطالما كانت فتاةٌ حنونة يُحبها الجميع، أما الآن، هي في طريقها لتسميم أميرة بريئة بسبب غيرة ساحرة شريرة، وكل ذلك بسبب تدخلهما بالأحداث وإقحامهما بتلك المشكلة، لم يكن يجب أن تُدمر المرآة، الآن لن تتركهما الساحرة وشأنهما.

أطلقت ميليندا زفرة سائمة من جوّفها وهي تتوّقف عن السير بإعياء، فهما تسيران لأكثر من ثلاث ساعاتٍ بلا فائدة، ولا يبدو حتى أن هناك بصيصًا من الأمل يحثهما على السير والعثور على منزل الأقزام.

-تعبتُ من السير .... هل يُمكن أن نرتاح قليلًا ؟

سألتها بإرهاقٍ لتتوّقف كاتي عن السير وتُخبرها بجدية:

-لن نجد المنزل إذا بقينا نتلكأ هكذا

تجمع الهواء داخل جوّف ميليندا قبل أن تطلقه على هيئة نيرانٍ غاضبة قالت معها:

-لكننا لا نجده في جميع الأحوال

أطرقت كاتي برأسها ولم تُعلق بكلمة، ميليندا على حق، لقد طالت مدة بحثهما أكثر من اللازم ولا يستطيعان إيجاد هذا المنزل، الأمر الذي جعلها تتلفت حوّلها في تفكيرٍ وشرودٍ أوقفته بسبب حركة خافتة تُصدر من شجيراتٍ كثيفة متجمعة:

-وجدتها

ابتسمت كاتي وهي ترفع إصبعها بثقة أمام نظرات ميليندا المستفهمة، اقتربت كاتي نحو هذه الشجيرات لتجد سنجابًا يقرض حبة كبيرة من البندق ويطالعهما ببلاهة، أحنت جذعها بابتسامة حنونة رُسمت على شفتيها وهي تحادث السنجاب برقة:

-مرحبًا أيها الصغير ..... أنا صديقة بياض الثلج، أتيتُ من بلدة بعيدة، وأريد أن أعطيها هدية .... هل تعرف أين هي ؟

توّقف السنجاب عن قرض البُندق وبدأ يطالعها بحيرة ثم أومأ برأسه حالما استشف هدوءها وحنانها، الأمر الذي جعل ابتسامة كاتي تتسع وتزداد رقة وهي تسأله:

-هلا أخذتنا إليها ؟؟.....

تمددت غيّد على الفراش الصغير تُطالع السقف محاولة قدر الإمكان أن تحدَّ من حركتها حتى لا تسقط من الفراش الذي تتشاركه مع الأميرة، تتمنى لو كانت طفلة صغيرة حتى تُخبر أصدقاءها أنها تجلس بالقُرب من أميرة خيالية، بل وتتحدث معها أيضًا، تقسم أنها حتى الآن تشعر أنها داخل حُلمٍ طوّيل وستفيق منه عمَ قريب، تنهدت تنهيدة عميقة وهي تتخيّل هذا الأمر وتُفكر في حياتها التي تغيّرت مئة وثمانون درجة، فبعد أن كانت مراسلة إخبارية في قسم المنوّعات، أصبحت الآن في عالمٍ أبعد ما يكون عن الواقع.

-سنووايت

نادت الأميرة بصوّتٍ هاديء بسبب شعورها بالضجر، فالنوم لا يُجافيها الآن، كما أن الفراش ليس مريحًا.

وجدت الأميرة تتململ في نوّمتها وتفتح عينيها بهدوءٍ لتُطالع غيّد ببسمة هادئة قالت معها:

-أتريدينني أن أفسح لكِ ؟

سألتها بهدوءٍ لتنفي غيّد برأسها متفوّهة:

-لا أنا فقط ..... لا أشعر أنني أريد النوم .... هلُا تحدثنا قليلًا ؟

اعتدلت الأميرة في جلستها لتنتبه لغيّد وتستعد لسماعها، وغيّد لم تتمالك نفسها وهي تقول بتفكير:

-لماذا الأميرات دائمًا وحيدات ؟ ... لا يوجد لهن والدة، ولا أصدقاء .... ويتحدثن دائمًا مع الحيوانات ؟

أسبلت الأميرة أهدابها بحُزن ولم تكن تعرف الإجابة، فهي حتى لا تعرف عن أي أميرات تتحدث، لكنها انتبهت إلى نعتها بالوحيدة مما جعلها تُكذب هذه الحقيقة بنبرة متفائلة:

-لستُ وحيدة .... فالحيوانات هم أصدقائي

ابتسمت غيِّد بسمة متهكمة وأدتها بملامح ذابلة مليئة بالضيق وكأن أوجاعها قررت زيارتها في هذه الليلة:

-معكِ حق ..... فمن ييأس من قسوة البشر .... يلجأ إلى حنان الحيوانات

طالعتها الأميرة بإبهامٍ ولم تُعلق بينما واصلت غيِّد الحديث بمَ يجيش بصدرها:

-أتعرفي .... لطالما تمنيتُ أن يفهمني الحيوانات كما يفهموننا هنا .... فأنا أيضًا وحيدة .... ليس لدي أصدقاء .... وليس لدي عائلة

تلألأت الدموع بعينيها وهي تتذكر حياتها ووحدتها أمام الأميرة التي بدأت تطالعها بشفقة وفضول، فيبدو أنها ليست الوحيدة التي تعاني بهذا العالم، أو ربما الوحيدة التي تعاني بعالمها فقط.

-هل مات أبويكِ ؟

سألتها الأميرة تزامنًا مع انحدار الدمعات الشاردة من عينيها لتزيحهم بأناملها الباردة وتعتدل في نوّمتها لتضحى على إحدى الجوانب، فإذا سلمّت عقلها لأحزانها فلن تتوّقف عن البكاء أبدًا، وهي لا تُحب أن تشعر بالضعف، ولا تحب نظرات الشُفقة التي يطالعها بها الجميع مُنذ فقدت عائلتها.

-نعم .... تركانني وأنا يافعة

أجابتها بثباتٍ تُحسد عليه قبل أن تعتدل في نوّمتها لتجابهها الأميرة بسؤالها الفضولي البريء:

-كيف توّفيا ؟

لم تكن تعرف ماذا تُجيب، كيف تشرح لها الحروب وهي لا تعرف سوى الحياة الوردية ؟ كيف تُخبرها عن الصراعات الحقيقية في عالمها والتي تختلف تمام الاختلاف عن صراعات هذا العالم، فمهما كانت حدة الشرّ هنا، لن يضحى شيئًا بالنسبة لشرور العالم الحقيقي، حيث الظُلم والاستغلال والحروب التي يذهب الأبرياء ضحيتها.

اكتفت بالصمت وهي تُدثر وجهها أسفل الغطاء محاولة إنهاء الحديث قدر الإمكان:

-لا يُهم .... لن تهتموا في جميع الأحوال .... إنسي هذا الأمر...

لم تفهم الأميرة حديثها وبقيّت تطالعها في حيرة وشفقة حتى أغلقت غيّد عينيها وأوّهمتها بالنوّم حتى لا تتحدث أكثر من ذلك، فلا يُجب أن تفصح عن معاناتها أمام الغرباء، خاصة الغربيون، اكتفت بدفن وجهها داخل الوسادة تتمنى أن تبتلعها وتختفي عن هذا العالم، فما الذي سيحدث لها أكثر من ذلك ؟....

وعلى الجهة الأخرى حيث الرجال، كان الأقزام ينامون بطُرقٍ عشوائية في كل ركنٍ بالمنزل الصغير، فمنهم من ينام داخل الطنجرة ومنهم من ينام داخل خزانة الصحون وحوّض الغسيل وعلى المقعد الخشبي وبأدراج الخزانة، وكان مارك يتكوّم على الأرض في إحدى زوايا المنزل الصغير يلوح على وجهه إمارات الغضب وهو يتململ يمينًا ويسارًا ويسبهم، بينما كان حكيم ينام على الأرض واضعًا يده أسفل رأسه وقد غاص في أحلامه الوردية دون ضجر، أما سامي فكان يتمدد بجواره على ظهره يرمق السقف بشرودٍ ويضع كلتا يديه خلف رأسه ليسهد في عالمٍ آخرٍ قبل أن يجافيه النوم.

-اللعنة عليكم وعلى هؤلاء النساء....

لم يتوّقف مارك عن السُباب وهو يتحرك يمينًا ويسارًا وبجواره سامي الذي سأم تذمره وطفق يقول بنفاد صبر:

-نَم أيها العالم الجليل .... يجب أن ننال قسطًا من الراحة قبل أن نرحل من هنا غدًا

رفع مارك سبابته أمام وجه سامي ليُهدده بتذمر:

-لا تتحدث معي يا حثالة المُجتمع .... يكفي أنني سأنام على أرض عطبة في منزلٍ صغيرٍ كهذا

زفر الهواء من فمه بضيق وتمدد على الأرض ضامًا رُكبتيه نحو صدره محاولًا أن ينام في هذه الليلة بأية طريقة، حاول أن يغلق عينيه ويُصفي ذهنه من أفكاره وذكرياته وبجواره سامي يطالعه ببرودٍ ويتعجب تذمره وغضبه من هذه النومة، لكنه تجاهله وقرر مواصلة تأمله حتى استمع كلاهما إلى صوّت حكيم الذي طفق يقول في سباته:

-خلاص ياما هقوم ... هقوم أهو خلاص ... قولي لحكمت متاخدش الشوكولاتة إللي في التلاجة

رفع مارك جسده ليُطالع حكيم بحيرة بينما ابتسم سامي بسُخرية وبدأ يقهقه بصوّتٍ مكتومٍ أمام سؤال مارك:

-ما الذي يقوله هذا ؟

-ياما اقفلي mbc 2 مش عارف انام من الأجنبي...

قالها حكيم مجددًا بلا وعيٍ وهو يُجفف العرق عن جبهته ثم يُهمهم ويواصل النوم أثناء قهقهات سامي التي تعالت ونظرات مارك الحائرة حتى ادرك أن حكيم يتحدث وهو نائم، الأمر الذي جعله يستلقي مجددًا على الأرض بوّضعية الجنين ويُغلق عينيه بابتسامة هادئة ساخرة من حكيم وأفعاله ومن سامي الذي ترجم له ما يقوله وهو نائم....

انقضت ليلتهم بهدوءٍ وسكينة حتى حلّ عليهم الصباح بشمسه المُشرقة وعصافيره المُغردة، كانت الأميرة تُعد شطيرة التوت بحُجرة الطعام وغيّد تساعدها بصدرٍ

رحبٍ وتتبادل معها الحديث، فتارة تتحدث عن وصفة الشطيرة وتارة تحادثها عن طفولتها وعن عالمها الذي ظنّت الأميرة أنه في مدينة أخرى، لكنها لم تسألها من أين هي، أو كانت تسألها وغيّد تتهرب من الإجابة بقدر الإمكان.

كان الأقزام قد ذهبوا إلى عملهم ومارك استأذن ليبقى مع " أصدقاءه " وحكيم يقف على مقربة من حُجرة الطعام يطالع الأميرة من النافذة وينتهز ابتعاد غيّد عنها ليقترب بجذعه من النافذة متفوّهًا:

-هل أنتِ بحاجة إلى مساعدة ؟

رفعت الأميرة وجهها نحوه نافية بأدب:

-شكرًا .... انتهيت

صمُت لبُرهة ليُفكر في حديثه وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى تقدم بجذعه ليرفع ذراعه ويستند بذقنة على باطن كفه متفوّهًا:

-أتعرفي أنني أعاني من مرضٍ نادرٍ بعيناي ؟

قطبت الأميرة حاجبيها متسائلة:

-حقًا !؟

-نعم .... فأنا لا أرى شيئًا بهذه الحياة سواكِ

هكذا قال بهيامٍ وهو يتأمل عينيها اللؤلؤية السوداء وبشرتها الحليبية تزامنًا مع ظهور غيّد فجأة وهروّلتها نحو حكيم متفوّهة بارتباك قهقهت معه قهقهة زائفة:

-إنه يمزح...

بقيت تُقهقه بزيفٍ مما جعل الأميرة تتدرج في حُمرة الخجل وتواصل أعمالها المنزلية، بينما كانت غيّد تجذب ذراع حكيم وتطالعه بنظراتٍ مؤّبخةً إياه بهمس:

-شو عم تسوّي إنت .... مفكر حالك راح تتزوّجا ؟

لاح التذمر على وجه حكيم وهو يتحرك مع غيّد مُرغمًا لأنها أفسدت عليه اللحظة، فكان على شفا جرفة من الحديث معها ونيل حنانها:

-إركني إنتِ على جنب محدش دخلك .... بعدين الُحب مش حرام

رفعت غيُّد حاجبيها بسُخرية أردفت معها:

-بالله جد .... لاكان روح اتزوٌجا شو مستني ؟

دفعته صوٌب الأميرة دفعة بسيطة واصلت معها بتهكمٍ وسُخرية:

-بس لا تنسى تعزم بطوط وميكي على العُرس حتى ما يضايقو

قهقهت بسُخرية على حديثها مما جعل حكيم يزداد غضبًا ويبعدها عنه ليرد على سخريتها بصفاقة:

-دمك مش خفيف على فكرة

توٌقفت عن الضحك وكادت توٌاصل السير لولا ملاحظتها لهذين الفتاتين اللتان تقتربان من المنزل، هاتين الفتاتين التي تعرفهما جيدًا!!

سُرعان ما تبدلت ملامحها إلى الذهول وهي تُشير عليهما متفوٌهة:

-لك شوف مين إجا....!!

يقولون أن المصائب تتجمع في يومٍ واحد، لكنهم لم يُخبروننا أنها تتجمع على طاولة واحدة، فها هو فريقهم يجتمع أخيرًا ليباشروا مهمتهم الجديدة للخلاص من هذه الورطة، لكن المُهمة الآن أصبحت أكثر شيطانية، أكثر مُكرًا وخداعًا، فقد أخبرتهما كاتي أنهما توٌرطتا مع الساحرة والآن عليهما تسميم الأميرة بتلك التفاحة.

كانت تجلس كاتي على الطاولة الخشبية بعد أن وضعت السلة على الأرض وبدأت تتحدث معهم عن خطتها التي أرغموا عليها:

-لا وقت لدينا ..... يجب أن نُعطي هذه التفاحة للأميرة .... وبنفس الطريقة التي أعطتها إياها الساحرة .... وإلا سنعلق جميعنا هنا

أنهت حديثها بجدية جعلتهم ينتبهون إليها في تيهٍ فيما عدا حكيم الذي كان الضيق يطغي على ملامحه وهو يقول باعتراض:

-تريدوننا أن نقتل روٌحًا بريئة .... يالكم من أوٌغاد

اقتربت ميليندا بجذعها وهي تدافع عن نفسها هي وكاتي:

-لا تقلق .... لا يموٌت الأخيار بالحكايات .... ستموت فقط لفترة وجيزة

قطبت غيٌد حاجبيها من غرابة حديثها مما جعلها تُعلق:

-كيف ستموت لفترة وجيزة ؟

تدخلت كاتي بالحديث لتُجيبها كوٌنها الأكثر عِلمًا بتلك الأفلام:

-ستموت حتى تُزهر ورود الربيع .... ويأتي الأمير تشارمينج ليُقبلها قبلة الحياة .... ويتزوجها

ازدادت عوالم غيٌد اشمئزازًا وهي تعترض على هذا الهراء:

-يُقبل ماذا !! .... أمتأكدون أن هذه الأفلام يشاهدها الأطفال !؟

قطع سامي شجارهما بطريقة عملية مفادها أنه لم يعُد يطيق البقاء هنا، يريد أن يرحل بأية طريقة ليباشر صفقاته وأعماله التي انقطع عنها، لذلك تقدم بجذعه وهو يقول:

-لا وقت لهذا الآن .... علينا تنفيذ الخطة والانتهاء من هذا الأمر

آضاف مارك على حديثه باندفاعٍ لا يعرفوا إن كان سببه هو الرغبة في العوٌدة أو الرغبة في أذية الأميرة التي لمٍ يطيقها منذ رآها، بل هو لا يطيقهم جميعًا من الأساس:

-نعم سُنسمم هذه الأميرة .... أعطني هذه التفاحة

مدٌ يده ليأخذ التفاحة ويتوٌلى هو هذه المُهمة؛ التفتت كاتي حوٌلها صوٌب السلة لترفعها عن الأرض وتبدأ بالعبث داخل محتوياتها أمام نظراتهم المتلهفة، بقيت تُمرر أناملها بين الفواكه المتنوعة وتجوب بعينيها داخل أركان السلة حتى طال بحثها لأكثر من ثلاث دقائق، ارتفعت أصوات الفاكهة وهي تتضارب مع بعضها

داخل السلة وبدأت ضربات كاتي تتصاعد تباعًا، متأكدة أنها وضعت التفاحة هنا، لكنها لا تعلم أين هي الآن!!

-ماذا ؟ .... أين هي ؟

سألها سامي بنظراتٍ مترقبة زادت من نبضات قلبها وبدأت أصابعها ترتجف وهي تعاود البحث مرارًا وتكرارًا وتجيبه بنبرة أقرب للبكاء:

-لا أعرف .... وضعتها هنا .... أنا متأكدة

بدأ الغضب يطغي على وجوههم وكاتي تواصل البحث بتوّترٍ وتساعدها ميليندا وغيّد حتى كادوا يُخرجن محتويات السلة ويُعيدن ترتيبها بعد أن يعثرا على هذه التفاحة، لكن نظرات حكيم الجاحظة وإصبعه الذي آشار على بقعة بعيدة جعلتهم يتوّقفون عن البحث ويطالعون إشارته:

-هل تقصدوا هذه التفاحة ؟

التفت الجميع حيث يُشير حكيم ليجدوا أرنبًا رماديًا ذو رتوشٍ بيضاء يحمل معه هذه التفاحة ويطالعهم ببلاهة، الأمر الذي جعل الذعر يطغي على كاتي ويجعلها تضع السلة على الطاولة وتثب متفوّهة بذعر:

-أو لا .... خذوها منه بسرعة

لا تعلم كيف غفلت عن كوّن الحيوانات هنا تفهمهم، لكنها تعلم الآن أنهم في ورطة، سرعان ما هبُّ سامي من مّوضعه وتبعه حكيم ومارك متجهون صوّب الأرنب الذي ما إن رآهم حتى هروّل بخطواته الرشيقة السريعة وبدأ يتقافز في كل مكان، وجميعهم يلاحقونه حتى يأخذوا منه هذه التفاحة التي سرقها من السلة.

-أمسكتك أيها الوغد

قالها مارك وهو يقفز على الأرنب الذي هرب تباعًا وجعل مارك يرتطم بجسده على الأرض في بركة من الوحل جعلته أشبه بمن خرج من أسفل الرمال، وكان الأرنب يواصل الهرولة برشاقة ويتقافز من بقعة إلى الأخرى ومعه هذه التفاحة التي يريدونها، كان يركض نحو الملابس فهرول حكيم خلفه حتى تعركلت أقدامه بحبال

الغسيل وسقط على وجهه وكوّمة الملابس فوقه، أما غيْد فكانت تحمل وعاءً خشبيًا في اعتقادها أنها ستضعه فوق الأرنب وتسجنه بداخله حتى تُكبل حركته ويستطيعوا أخذ التفاحة منه، إلا أن الأرنب كان الأذكي في تلك المعركة وجعلها تُهروِّل خلفه حتى سقطت في كوّمة في القش وأصبحت أشبه بشخصية يخاف منها الأطفال.

كان بقيتهم يهرولون خلفه ويتعركلون ومع ذلك لا يكفون عن الركض حتى سُلبت أنفاسهم وبات الوصول إلى ذاك الحيوان الشقي أمرًا مُستحيلًا، فيما عدا سامي الذي لا يعرف طريقًا للاستسلام، فكان يركض خلف الأرنب حتى وجده يقفز ليقف على حافة البئر، وقتها تصاعدت وتيرة الحذر لدى سامي وبدأ يتحرك حول البئر باسطًا ذراعيه يرمي الأرنب بنظراتٍ مُترقبة وجد معها لسانه يقول وكأنه يحادث إنسيًا:

-أعطني هذه التفاحة ..... سأعطيك ما تُريده

طالعه الأرنب بنظرات بلهاء وبدأ يرفع التفاحة بيديه الصغيرتين حتى زادت ضربات قلب سامي وبدأ يمدٌ يده ويقول بتحذير:

-إياك أن تتحرك .... أعطني إياها

بدأ الأرنب يُثير حنقه ويُقرِّب التفاحة من فجوة البئر ليزداد الغضب لدى سامي ويباشر ببسط يده حتى يلتقط التفاحة بأسرع ما يُمكن، فهو قد أخبرهم ألا يقترب منه أحد حتى لا يفرٌ الأرنب ويواصلوا مطاردته إلى ما لا نهاية، فهذا الأرنب لا يُصيبه الإرهاق مثلهم.

تحرك الأرنب بضع خطواتٍ على حافة البئر وأخذ يُقرب التفاحة من فجوة البئر ليتفاقم الغضب داخل سامي مما يجعله يتنحّى عن صبره ويمدٌ جذعه للأمام ليلتقط هذه التفاحة بأية طريقة:

-أخبرتك أن تُعطيني إياها

كانت حركته السريعة أشبه بحركة الرماح حينما يُسددها الفارس على عدوّه، وكانت حركة الأرنب مثل العدو الذي يجذب عدوّه ليُقتل بدلًا عنه، وكان القتيل هذه المرة هي التفاحة، فما إن انقض عليه سامي حتى أفلتها الأرنب من يده ولم يستطع سامي اللحاق بها مما جعلها تنزلق من بين يديه وتسقط .... تسقط داخل البئر!!

الفصل الحادي عشر (ليس مجددًا)

تجاهد وتثابر آملًا بالوفاق، لكنك في المقابل، لا تجد سوى الفُراق، تجوب وتبحث طوال الوقت عن الحميم، لكنك في النهاية، تجد ذاتك داخل الجحيم....

سقطت التفاحة بجوف البئر، وسقط معها آخر أملهم في النجاة، باتوا يتبادلون النظرات في تيهٍ وضياع، لا يعرفوا ما العمل، لا يعرفوا أي طريقة أخرى للرحيل عن هذا العالم المجنون، أصبحت وجوههم أشبه بمن فقد فقيدهم، وفقيدهم في هذه اللحظة هو الأمل.

-هل سنعلق هنا للأبد ؟

سألت غيِّد بخيبة أملٍ بعد رحيل الأرنب وتجمعهم حوّل بعضهم في حلقة لمناقشة هذا الأمر، بالطبع تشاجروا وألقوا التهمة على بعضهم وتوّعدوا لهذا الأرنب، لكنهم في النهاية جلسوا على الأرض والطير يُحلق فوق رؤوسهم، يجاورهم اليأس والضياع وكأنهما أصدقائهما الجُدد.

-لا يُمكن أن تضحى هذه هي النهاية ..... متأكدة أن هناك طريقة أخرى ونحن لا نعرفها

قالتها ميليندا ببعض الأمل بينما تبادلت نظرات حكيم بينهم، وكان على عكسهم تمامًا، نظرات الرضا والراحة تلوحان على وجهه لأنهم لن يُسمموا الأميرة، أو قطعة الحلوى كما يُسميها داخل عقله.

-ماذا بكم يا رفاق ..... ها نحن هنا نجلس بأريحية

رسم بسمة بلهاء على ثغره وهو يتابع الأميرة من بعيد وهي تتمايل داخل المنزل وتحادث العصافير كعادتها، صك سامي على أنيابه من برودته مما جعله يجذب حكيم من ياقة ثيابه ليعتدل ويعود إلى أرض الواقع، فما إن استجاب حكيم لتحركاته بتذمرٍ حتى تلاشت بسمته البلهاء وبات يستمع إلى حديث سامي مُرغمًا:

-لن نستسلم بعد كل هذا .... سنحاول تسميمها بطريقة أخرى ... حتى لو اضطررنا لوضع السُم بشطائر التوت التي تصنعها

جحظت عينا كاتي فجأة وكأنها توّصلت إلى فكرة ما كان سامي هو السبب بها رغم حديثه العفوي الحاد، غرقت في وحلٍ من الصمت لفترة قصيرة أخذت معها تُتمتم بصوّتٍ خافت:

-شطيرة.... !!

رفعت نظراتها نحوهم لتُخبرهم بحماسٍ وسبابة رفعتها لأعلى:

-وجدتها....!!

عليك أن تعرف يا قارئي العزيز أن أكثر الأشرار خطورة، هم من كانوا أخيارًا ودفعتهم الحياة لهذا الاتجاه الأسوّد، فأصبح قلبهم رماديًا يمتزج فيه الأبيض والأسود، الخير والشّر، ورغم أنهم يلعبون الآن دوّر الأشرار، إلى أننا لا يُمكن وصفهم بذلك أبدًا، بل أن وصفهم بالأشرار يُعد إهانة لعالم الشرّ بأكمله...

تركوا الغابة بسرعة وانسيابية ساروا معها خلف كاتي وميليندا اللتان على علمٍ بقصر الساحرة، عازمون على العثور على وصفة جديدة لتسميم الأميرة، كانت كاتي تتلفت حوّلها بحثًا عن النافذة التي تطل على معمل الساحرة، فما إن وجدتها حتى تبعها الجميع ليتسلقوا هذه النافذة ويقتحموا هذه الحُجرة المليئة بالأتربة والكُتب والهياكل العظمية، كان مظهرها يقبض الأنفاس، ورائحتها تبعث الرهبة في النفوس، ومع ذلك واصلوا الطريق دون الالتفات يمينًا أو يسارًا، فلا يوجد لديهم سوى هدفٌ واحدٌ فقط.

-عثرت على الكتاب

قالتها ميليندا وهي تمسك كتابًا أحمرًا كانت كاتي قد أخبرتهم عنه لأنها وجدت الساحرة تلتقطه وتُنفذ به سحرها، بدأت ميليندا تُقلب بين الصفحات والوصفات، وحكيم وسامي ومارك يقفون أمام الباب للمراقبة والتحذير، بينما كانت غيّد تُسلط نظراتها على الكتاب مع ميليندا التي توّقفت فجأة لتُطلق شهقة منتصرة:

-وجدتها!!

التفتت كاتي صوّبها بتحفزٍ سألت معه:

-وجدتي وصفة السُم ؟

نفت ميليندا برأسها وهي تطالع ما كُتب بالوصفة بإعجاب:

-لا ... وجدت وصفة للقضاء على حب الشباب

اتسعت حدقتي غيّد في إعجابٍ قالت معه برجاء:

-هلا بحثتي عن وصفة لإنقاص الوزن ؟

بدأت ميليندا تُقلب في صفحات الكتاب تنفيذًا لأوامر غيّد ببلاهة قطعتها كاتي بنظراتٍ صارمة:

-هلا توّقفتما عن هذا العبث ؟

تلاشت اللهفة عن وجه ميليندا وعادت ترسم عوّالم الجدية وهي تعثر على الوصفة المطلوبة حتى وجدتها أخيرًا، مدّت الكتاب نحو كاتي لتلتقطه وتقرأ مكوّنات الوصفة بينما أخرجت غيّد شطيرة التوّت من السلة ووضعتها على الطاولة وبدأت تجمع المكوّنات بصعوبة نظرًا لجهلها بتلك الأمور، فما ساعدهم في هذا الأمر هو الكتابات والإرشادات فوق كل إكسير.

بدأت الفتيات بإعداد السُم وسط أجواءٍ من الفوّضى والانفجارات، بينما كان حكيم يلتقط جمجمة من الأرض ويتفحصها بإمعانٍ قال معه:

-غير معقول .... تبدو كالجماجم الحقيقية بالضبط

وجه قوّله نحو مارك الذي طالعه باحتقارٍ قال معه:

-بل إنها حقيقية أيها الأبله

انتفض حكيم عقب حديثه الصادم وألقى الجمجمة على الأرض وبدأ يفرك يديه في اشمئزازٍ لا يُصدق أنه أمسك بجمجمة حقيقية، بل لا يعرف حتى أن كانت لشخصٍ حقيقيٍ أم لا، بينما كان سامي بجوارهما يُخرج الخابور من جعبته ويُشعله بالقُرب من مارك الذي اشتعل غضبه وهو ينقض عليه لانتزاع هذا السُم منه:

-ألم أخبرك ألا تُشعل هذا السُم بجواري ؟

حاول انتشال خابوره من بين يديه ليشتعل الغضب بأودجة سامي ويبدأ الدفاع عن نفسه من ضربات مارك العشوائية لينقلب شجارهما إلى شجار الصبية بالروضة، وكان حكيم يتابعهما في صمتٍ أحيانًا ويتدخل بالكلمات لتهدئتهما، فهو يعرف أنه إذا تدخل في عراكهما سينل ضرباتهما العشوائية، هو لا يعرف حتى لماذا يشعر مارك بالغضب حينما يُشعل سامي لفافة التبغ بجواره وتبدأ رائحة الأدخنة بالتصاعد، ولا يعرف حتى لماذا يتعمد سامي إثارة حنقه دائمًا أم أنها طبيعته الاستفزازية.

أثناء شجارهما وارتفاع أصواتهما إذا يقطعهما صوّت غيّد وهي تقول بلهفة:

-رفاق .... انتهينا من صُنع السُم

قالتها ببسمة بلهاء تلوح على وجهها الذي أصبع رماديًا بفعل الأتربة وشعرها الذي تحوّل إلى كوّمة من القش وكأن مسًا كهربائيًا قد مسها، فبسبب شجارهما، لم يستمعا إلى أصوات الانفجارات والفوّضى التي أصدرتها الفتيات أثناء إعدادهن لهذا السُم.

-سلامٌ قولٌ من ربٍ رحيم ..... هي روح الجمجمة إللي مسكتها طلعت ولا إيه

قالها حكيم بذعرٍ وهو يتأمل هيئة غيّد المزرية والتي انقلبت بسمتها المتلهفة إلى أخرى غاضبة طفقت تقول معها:

-عن أيا عفريت عم تحكي .... أنا غيّد

-البت التُركية!!

صكت على أنيابها وهي تضربه على كتفه مؤّبخة:

-لك قلتلك مو تركية

سخر حكيم من حديثها ليزيد حنقها أكثر رغم حديثه الصادق:

-ما طبعًا مش تركية .... ده إنتِ آخرك من قبائل آكلي لحوم البشر

رفعت غيّد حاجبيها بتهكمٍ وهي ترد عليه:

-لكان دير بالك حتى ما إجي آكلك

كاد حكيم يرد عليها لولا يد سامي التي بُسطت أمامه مع نظراته التي أوقفته عن الحديث:

-ما تُسكت يلا خلينا نخلص

كاد يوجه الحديث صوّب غيّد ليسألها عن بقيتهن لكنه ما كاد يتحدث حتى وجد كلًا من كاتي وميليندا يأتيان من الداخل بحالة مزرية لا تختلف عن حالة غيّد، فكانت ميليندا أشبه بوحش الكهف خاصة بشعرها المجعد المشعث وثيابها الممزقة المليئة بالبقع الملوّنة مع بعض الخطوط على وجهها التي تجتمع مع جروحٍ قديمة سببها الغربال، وكاتي مثلهما تلوح الأتربة على وجهها وثيابها لكنها مع ذلكَ لم تتخلّى عن نظراتها الحكيمة الجادة وهي تقول:

-يجب أن نرحل فوٌرًا

ثبت سامي نظراته صوّب كاتي يحاول استشفاف برائتها وحنانها اللذان وجدهما في أول مغامرة معها، لكنه لا يجد سوى الأتربة والحالة المزرية، الأمر الذي جعله يهتف بشكٍ:

-هل كنتم تصنعون سمًا أم قنابلًا ؟

ارتبكت ميليندا قبل أن تفرك بأصابعها وهي تُجيبه بصدق:

-يمكنك أن تقول أننا صنعنا الاثنين

ما كاد يتدخل مارك بالحديث حتى استمع جميعهم إلى أصوات الأقدام تقترب من الحُجرة، الأمر الذي جعل الذعر يغتابهم والارتجافة تسري في كيانهم، فهذه الأقدام لا تخص سوّى شخصٌ واحدٌ فقط .... الساحرة!!

-أو لا .... تحركوا بسرعة

قالتها كاتي بفؤادٍ ينبض من الخوف وأقدامٌ تهروّل صوّب النافذة التي دلفوا منها، تجاهلوا الفوّضى التي تعمٌ الحجرة والآلات المهدمة التي ينبعث منها الأدخنة السوّداء وواصلوا المضي قِدمًا وتسلق النافذة حتى ينتهوا من هذا الأمر، نزل مارك أولًا ليؤمن الطريق، وهبطت كاتي بعده يليها ميليندا ثم غيّد ثم حكيم، وكان سامي

آخر الهاربين ليتزامن سقوطه من النافذة مع فتح باب الحجرة وتوّغل الساحرة داخلها، يعرفوا أنهم سيستمعون إلى صياحها وزمجرتها فيما بعد، لكن هذا لا يُهم الآن، فالأهم هو تنفيذ المُهمة وتسميم الأميرة.

ركضوا بأقصى ما لديهم بعيدًا عن القصر حتى لا تلتقطهم الغربال ويُخبروا الساحرة عمَ فعلوه، ركضوا دون الالتفات يمينًا أو يسارًا حتى توّغلوا الغابة مجددًا وتوّقفوا ببدايتها ليحنوا جذعهم لأسفل ويلتقطوا أنفاسهم ويُهدئوا من نبضاتهم المتسارعة، كانت كاتي تمسك بصدرها وتتحدث بين لهيثها:

-يجب ألا نتأخر ..... سننقسم إلى فريقين .... غيّد وحكيم ومارك .... سيتوّلوا مهمة تسميم الأميرة

قطبت غيّد حاجبيها بتذمرٍ قالت معه:

-ماذا !! .... ولماذا أذهب إلى هذه المُهمة ؟

رفعت كاتي رأسها وهي تحاول إقناعها:

-لأن سنووايت تعرفكِ أنتِ .... أنتِ فقط من تستطيعين خداعها

أطلقت زفرة متضايقة من جوّفها أخذت تتمتم معها بتذمرٍ وقلة حيلة، فهي لا تُصدق أنها ستخدع أحدهم وتقوم بأذيته، هي لم تفعل ذلك في عالمها الحقيقي ولو مرة واحدة:

-لا أصدق أنني سأفعل ذلك

بينما كانت الحدة تلوح على نظرات سامي وهو يوّجه الحديث نحو كاتي مُستفهمًا:

-وما هي المهمة الثانية ؟

أخذت كاتي نفسًا عميقًا ثم أطلقته لُتهديء من أنفاسها وهي تُسلط نظراتها نحو ميليندا وسامي اللذان سيُساعدانها في تلك المهمة التي من شأنها مساعدتهم على الرحيل، أنهت نظراتها وهي تقول بقيادية باتت بالنسبة لهم نبرة شيطانية مليئة بالانتقام:

-المهمة الثانية هي .... قتل الساحرة...!!

صوّتها العذب الرقيق يشق الجدران ويجعلها تذوب من نعومة صوّتها ورقتها، كانت الأميرة تتغني كعادتها وهي بحُجرة الطعام تتوّلي إعداد الغداء قبل عوّدة الأقزام من عملهم، تُقطع الجزر واللُفت وتضعهم في طنجرة كبيرة ثم تلتف باستعراضية لتلتقط الأونية الصغيرة الخزفية مع ملعقة صغيرة تملأها بالبهارات وتنثرها بنعومة على الطعام وكأنها تنثر حُبها وحنانها، وأثناء انغماسها بالطهي إذا يقطعها حمحمة غيّد التي كادت تنصهر من شدة الخوّف، تشعر بالوضاعة لدرجة تجعلها تكاد تقتل ذاتها.

-مرحبًا...

جاهدت حتى تبتسم ابتسامة هادئة أخفت معها خوّفها أمام الأميرة التي ابتسمت لها برقة توّقفت معها عن الطهو، كانت غيّد تحمل معها شطيرة التوت المسمومة تُغطيها بقطعة من القماش ثم تضعها على أقرب طاولة لتكشف عنها متفوّهة:

-أعدتُ هذه الشطيرة .... بالطريقة التي أخبرتني إياها

قالتها بلهفة أمام نظرات الأميرة الحائرة، فهي بحُجرة الطعام طوال النهار ولم تراها تُعد أي شيء، كما أنها أعدت شطيرة التوت هذه بالصباح ولم تجدها أبدًا.

-أين طهوّتها ؟

سألتها الأميرة بفضولٍ جعل غيّد ترتبك وتزداد خوّفًا حتى قالت:

-في مكانٍ آخر ..... استعنتُ ببعض المكوّنات من المنزل .... ثم طهوّتها في مُنتصف الغابة ..... هلا تذوّقتها وأخبرتني برأيِك

مدّت نحوها الشطيرة بأصابع مرتجفة وقلبٍ يكاد ينخلج من شدة الرهبة، بينما كانت الأميرة ترميها بابتساماتٍ عذبة وهي تمدّ يدها لتلتقط الشطيرة وتشتم رائحتها الغنية :

-تبدو جيدة .... أحسنتِ

ابتلعت غيّد غصتها وهي تستمع إلى كلماتها المُشجعة، كانت على وشك الهرب والتخلّي عن دوّرها، فهي لا تقدر على تسميم فتاةٍ بريئة، حتى ولو كانت خيالية، لم

يُعلمها أحدهم أن تقتل بريئًا أو تأذيه حتى، بقيت الأفكار تعصف برأسها وتجعلها تتردد عمَ ستقبل عليه لكنها في أقل من ثانية، نفضت هذه الأفكار عن ذهنها وحافظت على صلابتها وهي تقنعها:

-كيف ستعرفين أنها جيدة دون أن تتذوقيها ؟

لم ترد الأميرة وبقيت تُبادل نظراتها ما بينها وبين الشطيرة حتى تقدمت غيِّد نحوها متفوهة بإلحاح:

-هيا .... ألسنا صديقتين ؟ .... أريدكِ أن تتذوقينها وتُخبريني رأيكِ بصدق

أومأت الأميرة إيماءة بريئة موافقة أخذت معها الملعقة الخشبية من يد غيُّد وبدأت تُدثرها داخل الشطيرة دون ملاحظة هذه العصافير التي تنقر على الزجاج وتنفي برأسها وكأنها تسمعهما.

راقبت غيُّد الأميرة وهي تُدثر الملعقة بجوّفها وتلوّك الشطيرة بطريقة راقية جعلت قلبها يتفتت لمئة قطعة، كادت تتوّقف عند هذا الحد لكن غيُّد أصرّت عليها لتواصل وإلا ستعتقد أنها فاشلة بالطهي وأن الشطيرة سيئة؛ استجابت الأميرة لطلبها وأخذت ملعقة أخرى وبدأت تلوّكها ببطءٍ لتجد جسدها يتراخى مرة واحدة وعيناها تُغلقان ببطء، سقطت الملعقة الخشبية من بين يديها وسقطت معها الشطيرة لتتناثر على الأرض وتهوّي الأميرة بجوارهم بعد أن أغلقت عينيها وتوّقفت أنفاسها.....

كان مارك وحكيم يقفان على مقربة من منزل الأقزام يطالعان غيُّد من بعيدٍ حتى وجداها تتقدم نحوهما ناكسة رأسها لأسفل تكاد الدموع تترقرق على وجنتيها، فهي حتى الآن لا تُصدق أنها بهذه الوضاعة، حتى أنها بصقت بوجيههما بحدة:

-أكرهكم...

هروّلت أمامهما عازمة على الرحيل والعوّدة إلى القصر كما اتفقوا، بينما هروّل حكيم وراءها يبدو على وجهه الضيق الشديد وهو يسألها:

-هل ماتت سنووايت ؟

تدخل مارك ليرد عليه بتهكم:

-وما دخلك بها .... فلتتركها تذهب إلى الجحيم هي وجميع النساء

رمقته غيُّد بنظراتٍ مغتاظة بينما نهره حكيم بقلبٍ يكاد ينفطر من عشقٍ ليس حقيقي :

-لا تقل هذا عن الأميرة ... إنها_

بتر كلماته بعوالم متجهمة سببها هذا الجمع من الحيوانات الذين ظهروا قبالتهم فجأة؛ تراجعت غيُّد للوراء بخوٌف بينما التصق حكيم بمارك الذي لم يقل عنه خوٌفًا وهو يرى نظرات الغضب تطاير من أعين الغزلان والآرانب والسناجب وحتى السُلحفاة، حتى أن مارك بدأ يتراجع عمَ قاله بخوٌف:

-لـ.... لم أقصد ما قُلته أقسم

وما هي إلا لحظاتُ وجيزة حتى وجدوا الحيوانات تنقض عليهم كالسهام المارقة، تُريد الفتك بهم بأية طريقة....!!

يُراقب سامي تلك الساحرة من خلف الجدار بنظراتٍ حادة كالصقر، وكاتي تقف بجواره تتابعها تتحرك بخيلاءٍ أمام مرآتها المُحطمة تتحدث بشرٍ وتوّجه الحديث نحو غرابها الذي يبدو على وجهه الشر هو الآخر رغم أنه لا يتحدث، كانت ترفع يدها باستعراضية أثناء حديثها:

-الآن سأصبح أنا الملكة .... سأصبح الأجمل في هذا العالم....

علُّقت ميليندا عقب حديثها بسُخرية:

-أمتأكدون أننا يجب أن نقتلها .... هذه يجب أن توٌضع بمشى للأمراض العقلية .... إنها تتحدث مع نفسها أكثر مما تتحدث مع البشر .... يكفي أنها كانت تأخذ التعليمات من مرآة

تدخلت كاتي لتتطرق إلى الموضوع المُهم:

-لا وقت لهذا الآن .... يجب أن ننتهي من الأمر قبل أن تفرض سيطرتها أكثر

كان سامي في حالة من الصمت يراقب الموٌقف من بعيد ويُحلل القصر بعينيه حتى قال بحكمة:

-يجب أن نباغتها على غفلة .... حتى لا تجد ما يكفي من الوقت لتستعد لهجماتنا

-وكيف سنفعل ذلك ؟

سألته ميليندا باستفهامٍ فآجابها بعد برهة من التفكير وبطريقة غامضة:

-جائتني فكرة.....

تقف الساحرة أمام مرآتها وغرابها يجلس أعلى كتفها يتلقى منها الأوامر كعبدٍ مُطيع، وفي خِضم خيلاءها إذا تجد كاتي وميليندا يقتربان نحوها بهدوءٍ ونظراتٍ مُطيعة تحمل غيرة زائفة، توٌقفت الساحرة عمَ تفعله لتلتفت نحوهما بابتسامة شيطانية، فقد أخبرها غرابها أنهما نفذا المُهمة على أكمل وجه، فهو كان يراقبهما وهما في الغابة وحتى عندما أتوا إلى المعمل، لكنه لم يُخبر الساحرة لأنه استمع إليهم وهم يُخططون لقتل الأميرة بطريقة أخرى، الطريقة التي تم تنفيذها مؤخرًا.

-أحسنتما صُنعًا أيهتا الفتاتين .... سأعطيكما ما تطلبانه من الذهب والجاه مكافئة لكما

رفعت كاتي قامتها بثقة قالت معها:

-لكننا لا نُريد المال والجاه .... نُريد ما هو أكبر من ذلك

طالعتهما الساحرة بحيرة حتى وجدت كاتي تتقدم نحوها محافظة على ثباتها وهي تقول:

-نريدكِ أن تُصبحي ملكة عظيمة .... يركع لكِ الجميع

قهقهت الملكة قهقهة شيطانية أكدت معها حديثها:

-سيركع لي الجميع بعد موٌت الأميرة

اعترضت ميليندا حديثها متدخلة:

-لا ... ليس صحيح، لا تزال قلوبهم متعلقة بوجهها البريء .... ولن يرضخ لكِ أحدٌ أبدًا

كادت الملكة تُعنفها بغضبٍ من وقاحتها لولا تدخل كاتي بحكمة:

-لكننا نملك الحلّ .... لدينا تعوّيذة تستطيعي من خلالها السيطرة على عقول البشر

قطبت حاجبيها بحيرة أكثر خاصة بعد حديثها عن تلك التعوّيذة التي تعلم جيدًا أن لا وجود لها، فهي من تأليف كاتي وسامي الذي آشار عليها بهذا الأمر.

-وكيف أصنع هذه التعوّيذة ؟

ابتسمت كاتي ابتسامة خبيثة وهي تبادل نظراتها مع ميليندا وتعوّد إلى الساحرة متفوّهة بمُكر:

-في المعمل....!!

انتشرت صراختهم في الأجواء وهم يهرولون في الغابة والطيور تُحلق فوق رؤوسهم وتنتف خُصلات شعرهم وتنقر على أجسادهم وملابسهم، كان يلوّح مارك بيديه ليدافع عن نفسه بينما حكيم يلتقط الرمال عن الأرض ويقذفها عليهم وغيُّد تهرول ولا تلتفت لكليهما حتى وجدت غزالة كبيرة تهروّل نحوها بنظراتٍ غاضبة كادت تدفعها معهم صوّب هذا النهر حتى تسقط فيه غيُّد، حيث كانت تقف بتيهٍ وتُغطي وجهها مطلقة العنان لصراختها بأن تنطلق وتُعبق الأجواء، شعرت وقتها أنها النهاية وأن مصيرها الآن كمصير الساحرة التي سممت الأميرة وقتلها الحيوانات، كانت تقول الشهادة في سرها ودموعا تنهمر على وجنتيها حتى....

وجدت من ينتشلها بعيدًا عن النهر ويهروّل معها في الغابة، كانت تُغطي عينيها وهي تستعد لموّتها ولا تهتم لمن قام بانتشالها وإنقاذها، لكنها وجدته يقول بطبيعته المرحة التي تعرفها جيدًا:

-إجري يا بت هنتعمل بوفتيك

استجابت غيّد لكلمات حكيم المذعورة رغم مزحته وبدأت تهروِّل معه ويتشبث هو بذراعها بقوة حتى تتبعه ولا يحدث لها شيء، بينما انتشل مارك جذع شجرة وبدأ يلوِّح به أمام العصافير حتى يزداد ذعرهم ويبتعدوا عن ناظريه، كان هذا قبل أن يطلق جميعهم صيحة مدوِّية عقب وقوعهم في تلك الحفرة الكبيرة!!

استجابت الساحرة لطلبهما دون أن تُعلق، فهي لا تريد سوى السُلطة والسيادة، وبما أنهما نفذا تعليماتها وقتلا الأميرة، فقد يستطيعا أن يمنحاها السُلطة التي تُريدها، دلفت معملها الصغير بخيلاءٍ وعنجهية، أقنعتها كاتي أنها لا يجب أن تصطحب غرابها بسبب خطورة التعوّيذة عليه، وبسبب كلماتها بدأ الغراب يزوره الخوّف ويتراجع وحده عن دخول المعمل، فما إن دلف ثلاثتهم حتى سبقهم سامي بإغلاق الباب راميًا كلًا من كاتي وميليندا بنظراتٍ يفهمانها جيدًا.

-هيا أيتها الملكة .... لنقُم بهذه الوصفة .... كل ما علينا فقط، هو إحضار دماء إنسيٍ بريء ... ونخلطها مع_

بترت حديثها حالما وجدت سامي ينقض على الساحرة ويُحيط رقبتها بحِزامٍ كان يلفه حوّل خصره وقد أخذه من الأقزام سلفًا، بدأت الساحرة بإطلاق زمجراتٍ غاضبة وسامي يُشدد من قبضته حوّل رقبتها حتى اختنقت أنفاسها، بينما كانت كاتي تهروِّل في كل مكانٍ بحثًا عن أخطر تعوّيذة فعلتها الساحرة لتتخلص منها أسرع، وميليندا تقف في حالة من الصدمة لا تعرف ماذا تفعل، فهي الآن تشعر أنها بين مجموعة من القتلى، تقسم أن هذا الفيلم لم يعُد مناسبًا أبدًا للأطفال.

-وجدته!!

قالتها كاتي بلهفة وهي ترفع إكسيرًا أحمر اللون عاليًا وتهروِّل صوّب سامي الذي يُشدد الخناق على رقبة الساحرة والتي كانت بدوّرها تحاول التملص من قبضته وتسبهم بصوّتٍ مبحوح، كادت تتملص من قبضة سامي لولا ميليندا التي آفاقت من صدمتها وتحركت صوّبها لتُكبل حركتها بينما كانت كاتي تفتح الإكسير وتقترب نحو الساحرة ببطء، سكبته داخل جوّفها بإرغامٍ جعل القطرات تنساب من شفتيها وعينا ميليندا أصبحتا جاحظتين من الصدمة بينما كاتي كادت تنفطر من الخوّف، فما هي

إلا لحظاتٌ وجيزة حتى وجدوا جسد الساحرة يتراخى رويدًا رويدًا حتى تراخى تمامًا.

خفف سامي قبضته عليها ليجد جسدها خائرًا يسقط على الأرض ووجهها يتحوّل إلى اللون الأحمر، كانت تمسك رقبتها وتُمسد على صدرها بأنفاسٍ تتصاعد وتتباطيء حتى .... توّقفت تمامًا.

-هل ماتت ؟

سألته ميليندا بخوّفٍ فآجابها سامي:

-لو كانت حقيقية ... لمَ ماتت مرتين

خفضت كاتي جذعها لتقترب صوّب الساحرة تتحسس أنفاسها المتوّقفة ثم ترفع جسدها متفوّهة:

-أعتقد أنها ماتت .... لنتركها في هذه الحُجرة ونرحل

رفعت جذعها مجددًا وبدأت تتحرك بعيدًا عن الحُجرة ليتبعها كلاهما والخوّف يضرب قلوبهم، تأكدا من غلق الباب جيدًا وتجاهلا الغراب الذي كان يطالعهما بشكٍ ثم يتجاهل الأمر ويرحل بعيدًا.

كانوا يتحركون في ردهة القصر بأكتافٍ مُتهدلة ونظراتٍ مليئة بالندم والشعور بالذنب، كانت هذه حالة ميليندا التي لم تتوّقع يومًا أنها ستشارك في إحدى الجرائم، وكاتي التي لم تكن أكثر رهبة منها حتى أنها كادت تذرف الدموع من عينيها، أما سامي، فلم يكن مباليًا بالأمر وكان يتقدمهما وكأن شيئًا لم يكن، اجتمع ثلاثتهم ببهو القصر وجلسوا على الأرض في حالة طويلة من الصمت والصدمة حتى أردف سامي:

-ما بكم يا فتايات ... إنها ساحرة شريرة، كان يجب أن تموت منذ البداية

ضربت ميليندا على فخذها بضيقٍ كاد يتحوّل إلى البكاء:

-لكنني لم أرد أن أقتل أحدًا

احتدت نظرات سامي بلا سببٍ واضحٍ وكاد يسبها وهو يتحدث ببعض الغضب:

-توقفي عن هذه المبالغة .... ليست حقيقية على أي حالٍ حتى تبكي عليها

طالعته كاتي بشكٍ لغضبه المبالغ به والذي تعلم جيدًا أنه بسبب أسرارٍ كامنة يخفيها سامي، بقيت تطالعه في صمتٍ حتى لاحظ نظراتها وحاول التهدئة من غضبه المفرط عن طريق يديه التي مررها على وجهه وكلماته الهادئة التي حاول معها تغيير الحديث:

-يجب أن نعثر على البقية...

وما كاد يُنهي الحديث حتى استمع ثلاثتهم إلى أصوات أقدام ولهيثٍ يجتمعان سويًا ويقتربان نحوهم، وثب سامي عن الأرض ليتفقد صاحب الأقدام ويجد بقيتهم يقفون أمامهم في حالة مزرية، فكانت وجوههم مليئة بالخدوش والكدمات، وملابسهم مليئة بالأتربة وأوراق الشجر، ولهاثهم لا يتوّقف وكأنهم قادمون من سباق.

كان مارك يتحرك على قدمه بصعوبة حتى هوّى على الأرض متفوّهًا:

-أنهينا المُهمة .... متى سنرحل من هنا ؟

جلس حكيم وغيّد على الأرض بالقُرب من مارك أمام نظرات بقيتهم الحائرة والتي قطعها سامي بصرامة:

-نحن أيضًا انتهينا

رفعت غيّد رأسها بإرهاقٍ لتوّجه سؤالها نحو كاتي:

-ما العمل الآن ؟ .... ألن تنتهي هذه الحكاية، لم أعد أتحمل المزيد .... أقسم أنني أصبحتُ كالغول بعد هذه الحكاية

تقدمت كاتي نحوهم لتقص عليهم آخر مشاهد الحكاية:

-لم يتبقى سوى مشهدٌ واحد .... هذا المشهد سيأتي مع فصل الربيع

زفرت ميليندا بسأمٍ لأنهم لا يزالوا بالصيف وسينتظروا لعدة أشهرٍ حتى يأتي فصل الربيع، مما يعني أن بقائهم هنا سيطول مدته:

-هل سنبقى هنا لأشهرٍ أخرى !! .... هذا مُستحيل

غطت وجهها بيديها وبدأت تتحسر على حالها وتسب هذا الجهاز الذي لا يعمل قبل النهاية، تدخل حكيم هو الآخر محاولًا أن يعثر على طريقة للرحيل قبل أن تستنزف هذه الحكاية ما تبقى من طاقته:

-ألا توجد مهمة أخرى لتعجيل هذه النهاية ؟

احتدت نظرات كاتي وهي تنفي حديثه بإصرار:

-لا .... لن نتدخل مجددًا في الأحداث ... ثم أننا في الرسوم المتحركة، أي يوجد هنا اختزالٌ زمني، أي أن الشهور هنا، لا تتعدي بضعة أيام ... ولن تشعروا بهم حتى

-وما الذي سنفعله في هذه الأيام ؟

سألها سامي باستفهامٍ آجابه مارك بثقة:

-وماذا سنفعل برأيك في هذا القصر.... !!

مرّت الأيام عليهم لينتهي معهم شهرٌ كاملٌ وهم بذاك القصر ينعمون بالراحة بعد العناء، يتمتعون ببهوه الواسع رغم جثة الساحرة التي تناسوها بالمعمل، يقتاطوا على ثمرات الفاكهة من الحديقة الواسعة وينصتون إلى أصوّات العصافير يوميًا، انتهى فصل الصيف وبدأ معه فصل الشتاء ثم الخريف وها هُم الآن يوّدعونه في أيامٍ معدودة لم تزد عن شهرٍ واحد، وهذا بسبب وجودهم داخل عالمٍ خيالي يعتمد على الاختزال الزمني.

يجلس سامي على الأرض أمامه طاولة خشبية صغيرة وخلفه نافذة عريضة يستند على سورها وهو ينفث الأدخنة من خابوره، أتت كاتي لتجلس بجواره كما تفعل يوميًا منذ مجيئهم في هذا القصر، فهي لا تعلم لماذا تشعر بأنه الأقرب إليها من بينهم.

-لمَ لا تجلس معنا ؟

حاولت دعوّته للجلوس معهم في تلك الحلقة لكنه أعرض عن طلبها بقوله:

-أريد أن أدخن الغليون .... ومارك تضايقه رائحة الأدخنة

ابتسمت بغير تصديقٍ قالت معه ببعض السُخرية:

-مارك يغضب من كل شيء .... ثم مُنذ متى وأنت تكترث له من الأساس ؟

نفث الأدخنة من فمه ثم قال :

-لا أكترث له ... لكنني أريد أن أختلي بنفسي

همهمت دون أن تُعقب وبقي هو شاردًا بملامحها البريئة وكأنه يريد أن يخبرها العديد من الأمور، لكنه بدلًا من ذلك يبقى صامتًا وكأن لسانه يتمرد عليه ويُرغمه على الصمت والتلوّي بنيران التردد.

-لماذا أشعر دائمًا أنك تخفي شيئًا ؟

سألته كاتي بفضولٍ تذكرت معه بعض المواقف التي تراه فيها يتجهم بوجوههم ويحتد فجأة مما أوقد خللًا بعقلها، هذا الخلل ازداد أكثر حينما رأت الألوان تختفي عن وجهه ويحل محلها ضروبٌ من التردد والارتباك أثناء قوله:

-و .... وما الذي أخفيه ؟

لوّت فمها بجهلٍ وهي تُجيب:

-لا أعرف .... أشعر أن حياتك غامضة .... كما أنك لا تتحدث كثيرًا .... وعندما تتحدث يضحى حديثك ساخرًا أو عمليًا .... ليس صادقًا أبدًا

أسبل بعينيه للأسفل وبقي صامتًا لا يعرف ماذا يقول، يعرف أنه يتجنب دائمًا الحديث عن حياته، خاصة أمامها، ربما لأنه لا يريدها أن تعرف ما يخفيه بداخله، لا يريدها أن تنصدم بحقيقته، لذلك يكتفي بالمعاملة الجافة حتى لا يتعلق بهم، أو يتعلق بها.

-لا يوجد ما أخبركم به ..... حياتي مملة .... ثم أنكِ أيضًا لم تُخبريننا عن ماضيكِ

قالها بكذبٍ دعّمه بابتسامة هادئة ونظراتٍ فضولية جعلت الضيق يتلوّى على وجهها وهي تقول:

-ليس لدي ماضٍ يمتليء بالتعقيدات .... وُلدتُ وترعرعت بدوُر الرعاية، كُنت أتنقل من المنزل للآخر حتى أتممت عامي السادس عشر، وقتها ذهبت إلى منزل العمة ليمبر وزوجها جوش ..... عاملانني كإبنة لهم، وعندما توٌفي العم جوش وتدهوٌرت صحة ليمبر، قررت مساعدتهما في رعاية الأطفال .... قررتُ أن أكرس حياتي لخدمة الأيتام، وأقتات الأموال من الدولة

أنهت حديثها ببسمة راضية رغم الغصة التي تعتلي صدرها، فهي لم تعرف والديها أبدًا، ولا تعرف كلمة أمي وأبي، فقط تقولهما للأغراب، لكن ذلك لم يمنعها من الشعور بالسعادة، فهي تجد سعادتها في اللهو مع الأطفال والاهتمام بهم، وجهٌت بعدها نظراتها صوٌب سامي لتسأله بلهفة:

-وماذا عنك ؟

توٌتر سامي أكثر ليضع خابوره على الطاولة ويمُرر يده على خُصلات شعره لعلها وسيلة لاجحام التوتر:

-لـ... لا يوجد في حياتي ما يدعو للفضول .... حياة مملة فقط

طالعته بنظراتٍ مُتشككة لم تُصدق معها حديثه، توٌتره وقلقه يُرغمانها على التأكد من أنه يُخفي سرًا كبيرًا، أو ربما يدفن ماضيه أسفل الثرى حتى لا تستطيع الوصول إليه، نظراته المتوٌترة بدأت تنقلب إلى الارتباك وعدم الارتياح، هذا ما جعلها تومىء رأسها بهدوءٍ وتُقرر الرحيل بقولها:

-حسنًا .... سأذهب إلى ميليندا ومارك قبل أن يُدمرا القصر

كانت قد انتبهت إلى عراك ميليندا مع مارك وهما يُصلحان الجهاز حتى يستطيعوا العودة، العراك الذي يتكرر يوميًا ولا ينتهي قبل أن يُدمرا القصر، انتهزت كاتي هذا الأمر وهروٌلت نحوٌهما تحاول التلطيف من الأجواء ليأتي حكيم بعدها وقد كان في هذه اللحظة يتجوٌل في الحديقة.

-مالك يا دنجوان ؟

سأله بمرحٍ حالما وجد الوجوم يطغي عليه خاصة وهو لا يتوّقف عن التحديق بكاتي، الأمر الذي جعل حكيم يردف باستنتاج:

-ما تقولها يا عم وتريّحنا ..... دا انت عينك مبتتشالش من عليها من ساعة ما جينا هنا

تنهد سامي بضيقٍ وبقي صامتًا يطالع الأرض بحسرة ويقول بقلة حيلة:

-مينفعش .... هي متستاهلش واحد زيي

قطب حكيم حاجبيه بغرابة وتشككٍ سأل معه:

-ليه .... وإنت عملت إيه ؟..... ولا، لا تكون مُجرم واحنا مش عارفين

ابتسم بسُخرية على حديثه وما هي إلا لحظاتٌ قصيرة حتى تلاشت بسمته ليحل محلها ضيقٌ عارمٌ قال معه:

-لا متقلقش مش مُجرم ولا حاجة .... الفكرة بس إني_

كاد يُخبره بما فعل ليُخفف القليل من العبء عن كاهله لولا اقتحام غيّد مجلسهم ومعها وعاءٌ خشبي يحتوي على العنب الطازج، كانت تلوّك العنب في فمها وتجلس أمامهما على الطاولة متسآلة:

-ليش عم يتخانقو هدول ؟

آشارت بسبابتها صوّب مارك الذي يُطلق السبابات بوجه ميليندا والتي كانت تحاول التهجم عليه لولا تدخل كاتي ومنعهما بصعوبة، الأمر الذي جعل حكيم يُجيبها بسخرية:

-لأ إنتِ المفروض تستغربي لو متخانقوش

مدٌ يده ليلتقط حبّات العُنب من صحنها ويُدثرهم بجوّفه ليستمع بعدها إلى حديثها المُشتاق:

-إمتى راح نروح من هون ؟.... لك والله اشتقت لدوّلتي

ابتسم حكيم بتهكمٍ قال معه ليُثير حنقها:

-وَحشتِك تُركيا ولا إيه ؟

أطلقت الهواء من فمها بنفاد صبرٍ قالت معه ردًا على إثارته لحنقها عمدًا:

-أوف ياه .... لك كيف عم تقول إنه عم تسافر وتلف العالم وما بتعرف من وين أنا!!

أرخى حكيم ظهره للوراء بخيلاءٍ قال معه:

-أيوة طبعًا بسافر وبلف العالم كمان ..... دا إللي قدامك ده لافف أوروبا والقارات المجاورة كلها وكله متصوَّر صوّت وصورة .... الفكرة بس إني معدتش لسة على تُركيا

ضربت جبهتها بخيبة أملٍ وقررت تجاهله والاستمتاع بحباتٍ العنب الطازجة أمام سامي الذي لم يكترث لصبيانيتهما وبقي شاردًا أمامه يُحدق بها وعقله يعصف به ويُعذبه أكثر، ماذا ستفعل إذا أدركت أنه مُجرد خائنٌ وضيع ؟ ماذا ستفعل إذا أدركت ما الذي فعله!!

-أقسم أنني سأفصلكِ عن العمل

قالها مارك بتهديدٍ وهو يجلس أمامهم على الطاولة يُوجه حديثه لميليندا التي كانت تُقطب حاجبيها بغضبٍ وتردُّ على تهديداته:

-وكأنني أتلهف للعمل معك .... هناك الكثير من المعامل والشركات يتمنوا وجودي معهم فقط .... سأذهب إليهم وأتركك تتعفن في معملك الصغير .... هذا إن لم يرفدك السيد إيجر

ربطت ذراعيها بتذمرٍ ليتدخل سامي بالحديث كي يسألهما:

-هل أنهيتما التعديلات ؟

عقب حكيم على حديثه ببعض السُخرية الصادقة:

-رفاق أرجوكم .... يجب أن نرحل من هنا، نحن لا نفعل شيئًا سوى قتل الأشخاص الخيالية .... أقسم أننا أصبحًا سفاحو ديزني

طمأنهم مارك بنبرته الهادئة المتعالية:

-لا تقلقوا .... الجهاز أصبح جاهزًا .... سننتظر الإشارة فقط وسنرحل من هنا

اتسعت حدقتي كاتي وبقيت تُحدق بالنافذة بإمعانٍ وكأنها وجدت شعاع الأمل، فقد كانت تُشير بسبابتها على النافذة متفوّهة:

-إنظروا !! ..... هذه أزهار الربيع!!

التفت الجميع للوراء حيث النافذة التي يظهر الورود والأشجار الكثيفة خلفها، تجتمع السماء الصافية مع تلك النسمات العليلة والورود الملوّنة، الأمر الذي يجعلهم يتأكدون أن فصل الربيع المُنتظر قد أتى أخيرًا.

وثبت كاتي عن الأرض بسرعة ليثب البقية وراءها ليجدونها تتحرك صوّب باب القصر عازمة على الرحيل، الأمر الذي جعل سامي يسألها:

-ماذا سنفعل ؟ .... ألا يُمكن أن ننتظر الإشارة ونحن هنا ؟

توّقفت عن السير قبالة الباب لتُجيبهم بعجالة:

-يجب أن نتأكد أن النهاية تسير على ما يُرام....

عادوا إلى ذاك المنزل الصغير الذي رغم ضئالته إلا أنه يحمل دفء العالم أجمع، فحتى هذا الدفء لم يعثروا عليه وهُم في قصر الساحرة الكبير، اختبؤوا خلف الأشجار جيدًا حتى لا يراهم أحد، حاولوا اختراق الحواجز ورؤية الأقزام تلتف حوّل فراش الأميرة الساكنة التي أصبحت محاطةً بالزهور، لا يعرفوا لماذا لم يدفنونها رغم موّتها، فهذا ما يحدث عادة، أم أنهم يعرفون أنها ستفيق يومًا، هذا ما جال بخاطرهم وهم يرمقون الأميرة بنظراتٍ متناقضة، فكان حكيم يطالعها بحنينٍ يتمنى أن تعود إلى الحياة ويوّدعها قبل أن يرحل، وغيّد تراقب ما يحدث بفؤادٍ ينبض من الندم، فهي لا تزال تتذكر حديثها مع الأميرة وهما نائمتان على فراشٍ واحد، وكانت نظرات مارك متشفية ربما كان يتمنى حتى ألا تفيق أبدًا، وميليندا

تطالع الأمر بقلقٍ عارمٍ هي وكاتي، وسامي بين هذا كله يرمق ما يحدث بلامبالاة يتمنى فقط أن ينتهي الأمر ويرحل من هذا العالم.

توّقفت نظراتهم المتأملة حينما لمحوا طيّف الأمير يقترب من المنزل وخلفه الحيوانات والعصافير تُشجعه على التقدم، رأوه يتأمل الأميرة ووجهها البريء استعدادًا لإعادتها للحياة بالطريقة المدوّنة في الحكاية، انتبه حكيم إلى ما يفعله الأمير فرفع يده بسُرعة ليُغلق عيّن غيّد الواثبة بجواره تطالع ما يحدث بنظراتٍ مصدومة، لا تُصدق أن هذا ما يشاهده الأطفال، لكنها تُزمجر حينما تجد يد حكيم توّضع أمام عينيها وكأنه يحمي ابنته الصغيرة من تلك المشاهد الخاصة بالكبار.

-رفاق .... الإشارة!!

أيقظتهم ميليندا بكلماتها المتلهفة وهي تحمل الجهاز الذي بدأ يُطلق أنوارًا متكررة، الأمر الذي جعل الحماس يتغلغل بأوردتهم ويُقرروا التحرك بعيدًا عن هذه البُقعة استعدادًا لتشغيل الجهاز، لكنهم لم يلحظوا دوبي_ القزم الصامت_ وهو يلاحظ وجودهم من بعيد وتتحوّل ملامحه للغضب، فهو يعلم أنهم السبب بتسميم الأميرة، وكان يُريد الانتقام منهم، لذلك بدأ يتحرك صوّبهم بخطواتٍ سريعة غاضبة لا يعرف أنهم سيقوموا بتشغيل الجهاز في تلك البُقعة!!

التف الجميع حوّل بعضهم في بقعة نائية وسط الأشجار الكثيفة بأفرعها الطويلة، أخذت ميليندا نفسًا عميقًا قبل أن تضغط على الجهاز وينطلق شعاعٌ كبيرٌ مع رياحٌ عليلة دفعت أجسادهم إلى الداخل، تكرر الأمر مُجددًا ووجدوا أنفسهم يرتمون على الأرض وكأنهم وقعوا من النافذة، كان حكيم يمسك ظهره الذي يؤلمه إثر هذه الدفعة ثم يُنفض الأتربة التي وجدها تملأ ثيابه، وكان الجميع حوّله يثبون عن الأرض يُطلقون تأوهاتٍ متألمة ويُنفضوا ثيابهم مثل حكيم.

-يا فرج الله .... أخيرًا رجعنا

قالها حكيم كعادته كلما فتحوا هذا الجهاز، لكن هذه المرة، أخذ يتلفت حوّله ليصطدم بحقيقة أكثر مرارة، فهم الآن في حديقة واسعة في خِضم الظلام، الأشجار مُجذبة بعناية والورود تتوّزع بانتظامٍ كأن مهندسًا هو الذي قام بزراعتها وترتيبها، كانت

حديقة خلابة، ساحرة، لا توجد على أرض الواقع عادة، الأمر الذي جعل حكيم يقول بتمني:

-يارب نكون نزلنا في حديقة الأزهر

بدأ الجميع يتلفت حوّله في تيهٍ ويتسآلوا عن هذا المكان الغريب، بينما كان سامي في حالة من الغضب العارم يُريد الفتك بميليندا ومارك بسبب هذا الجهاز.

-هل .... هل عُدنا ؟

سألت غيّد بشكٍ وكانت ميليندا تعبث بالجهاز بتيهٍ تحاول أن تضغط عليه ليعمل مجددًا لكن محاولاتها تبوء بالفشل، وكان مارك في عالمٍ آخرٍ يُحدق في قصرٍ كبيرٍ مليءٍ بالخدم والحشم بوجهٍ أصفرٍ كحبة الذرة وعرقٍ يتصبب على جبينه بغزارة، لا يعرف كيف يُخبرهم الحقيقة، لكنه بصقها على أي حال:

-أعتقد أننا .... في فيلمٍ آخر!!

الفصل الثاني عشر (حفلة مُنتصف الليل)

لم يعُد يوجد مفرٌ من وحل الخطر الذي غرقوا به، يبدو أنهم هذه المرة عالقون، فإن كانوا قد تحلُّوا بثوْب الشرّ آخر مرة حتى يستطيعوا النجاة، ما الذي سيفعلونه الآن ؟ هل يختبؤوا حتى يُعطيهم الجهاز إشارة أخرى ؟ أم يتدخلوا مجددًا ويعلقوا هنا في نهاية الأمر ؟ أم يقتلوا بعضهم من شدة الغضب!!

فها هو سامي مُجددًا ينقض على مارك ليمسكه من تلابيبه، هذا الذي يظن نفسه مارك زوكربيرج وهو في النهاية لا يجب أو يوّصف سوى ببائع البطاطا، يسبه بنظراتٍ جحيمية غاضبة وكاد يُهشم رأسه وينتهي من ذكاءه المُتقض حتى نهاية الرحلة، الرحلة التي لا يبدو أنها تنتهي أبدًا.

-هلا توّقفتم عن الشجار ؟.... نُريد أن نفهم أين نحن ؟

قالتها غيد بنفاد صبرٍ بسبب القذائف المتبادلة بين سامي ومارك وحكيم الذي يتدخل ببلاهته وينتهي به الأمر متشاجرًا مع كليهما وميليندا التي تتدخل بطبيعتها العصبية لتزيد الطين بلة.

اقتربت كاتي نحوها لتُربت على كتفها حتى تنتبه إلى هذا القصر الكلاسيكي الكبير ذو الحرس بثيابهم الراقية ووقفتهم الصارمة، كانت ترى الفتيات من كل حدبٍ وصوّب يرتدين أجمل الفساتين ويترجلن من عرباتهن ليدخلن القصر بخطواتٍ راقية.

-هل يوجد مناسبة هناك ؟

سألت غيّد بفضولٍ وهي تتابع القصر من بعيدٍ وتستمع إلى إجابة كاتي:

-نعم .... أعتقد أننا في فيلم سندريلا .... فهذا الاحتفال يُشبه الاحتفال الذي آقامه الأمير ليختار زوجته

-حفل !! .... هل قُلتم حفل ؟

قالها حكيم ليقطع حديثهما بنظراتٍ متحمسة، أخيرًا لم يهبط في فيلم حيث يُطارده الذئاب والحيوانات والقتلى، فيلم يوجد به حفلٌ وأميراتٌ فاتناتٌ وحديقة واسعة

خلابة، توّقف شجارهم لبرهة لينتبهوا إلى حديث كاتي وهي تقص عليهم بنبرة تحذيرية حتى لا يقعوا في شُرزمة من الأخطاء مرة أخرى:

-انتبهوا أرجوكم ... لا نُريد أن نتدخل مرة أخرى .... نريد الرحيل من هنا في سلام

ابتسم حكيم بسمة متشفية قال معها بثقة:

-لا تقلقي يا فتاة .... مُنذ متى ونحن نفتعل الكوارث .... ثم أننا فقط سنمرح في هذا الحفل ولن يُلاحظنا أحد

أنهى الحديث بحماسٍ طفوليٍ رغم نظرات كاتي القلقة التي لم تستطع حتى إيقافه، حيث وجدته يهرول صوّب القصر ويهرول البقية خلفه، فلا أحد يرغب في البقاء ببقعة نائية خاصة في هذه الظلمة الحالكة.....

تحرك الجميع صوّب القصر دون أن يلحظوا هذا القزم الصغير ذو القبعة البنفسجية التي طفق يهندمها ويتلفت حوّله في تيه، فهو لا يعرف كيف أتى هذا العالم!!

قصرٌ فسيحٌ يتعدي حجمه مدينة صغيرة خالية من المباني، كان نظيفًا لدرجة اللمعان، رائعًا لدرجة تخطف الأنفاس، حتى أنهم وقفوا يُطالعونه برهة من الوقت يتأملون جماله وجاذبيته، فهذا أفضل قصرٍ قد مرّ عليهم مُنذ بدؤوا هذه الرحلة، أفضل من قصر الوحش المسكون وقصر الملكة الخالي من معاني الحياة، وقف الرجال يحُدقون بالقصر ويتحركون بخطواتٍ متمهلة بينما هروّلت غيّد بحماسٍ طفولي اتبعت معه الأميرات الذين يرتدين ثيابًا راقية ويتحركن بأرستقراطية عكس حركاتهن السريعة التي لوهلة تعتقدها خطواتًا ذكورية.

أوقفهم حارس القصر ومعه دفتره ليُسجل أسمائهن فأخبرته غيّد باسمها الثلاثي كما لو أنها ستستخرج بطاقة هوّيتها وميليندا التي قلُّدتها وكأنها ستحصل على مكافئة باليانصيب، وكاتي آجابته بهدوءٍ فقط حتى تبقى بجوارهما ولا تجعلهما يرتكبان أي من تلك الحماقات التي يرتكبونها سلفًا، باتت تعتقد أنها والدتهم من كثرة ما تنتبه عليهم وعلى أفعالهم.

تسمر سامي ومارك وحكيم بسبب الحارس الذي منع دلوفهم القاعة بقوله:

-معذرة .... هذه الحفلة للعذروات فقط

تهكم وجه حكيم ولوّى ثغره باعتراضٍ خالطه الشك، بينما تجهمت ملامح سامي وكاد يُبرح هذا الحارس ضربًا، ليس لأنه يمنع دخولهم، بل لأن غضبه لم يُمحى بعد، وكان الحارس يدفعهم بنظراته خارج القصر لكن سامي آبى أن يتحرك وحافظ على صلابته متفوّهًا:

-ومن قال أننا أتينا لنحتفل .... نحن...

بادل نظراته بينهم ثم آعادها أمام الحارس ليُخبره بكذب:

-نحن أتينا لخدمة الأمير

قطّب الحارس حاجبيه بعدمٍ تصديقٍ قال معه:

-لكن الأمير لم يُخبرنا

حافظ سامي على ثباته وهو يبتسم بوّدٍ قال معه:

-هذا لأننا أتينا بأمرٍ من الملك .... ربما لم يُخبرك هو بذلك

لاح الصمت على وجه الحارس وهو يتأمل هيئتهم التي لا تدل أبدًا على كوّنهم أفرادًا من الخدم، لكن على أي حال، هو يعلم أن القصر في هذا الوقت بحاجة لمن يتوّلى خدمة الحضور، لذلك لم يجد ضررًا بإدخالهم خاصة وهم لا يحملون أي نوّعٍ من الأسلحة، كما أن هيئتهم مسالمة لا تدُل على أنهم مصدرًا للخطر.

-حسنًا .... تفضلوا

قالها وهو يفسح لهم الطريق بُرقي ليدلف كلًا من سامي وبقيتهم ويتبعهم الحارس حيث حُجرة صغيرة ليجبرهم على تبديل ثيابهم بأخرى تخص الخدم، وعلى عكس العادة، كانت ملابس الخدم راقية ربما لو كانت في عصرهم لما تعدّى سعرها الآلاف، عدّل سامي من هندامه قبل أن يترك الحُجرة ويليه حكيم الذي طفق يسأله عن سبب ما يفعله ويُخبره سامي أنه لا يريد المبيت بالحديقة والفتيات يحتفلن بالقصر، الأمر الذي جعل حكيم يرميه بنظراتٍ متشككة، فهو يعلم لماذا أصرٌ على

مجيئهم هنا، يعلم أنه لا يستطيع أن يتركها وحيدة دون أن يُشبع نظراته بوجهها الفاتن وملامحها الرقيقة، فمن غيرها مُعذبة قلبه التي تجعله شاردًا يتمنى ألا تنتهي هذه الرحلة رغم إظهاره عكس ذلك.

-بقولك إيه ياسطا .... أنا حاسس إن الحفلة دي شمال .... دا بيقولك للبنات العذراء!!

زادت كلمات حكيم الهامسة من غضبه وجعلته يصطك على أسنانه باحثًا عنها بعينيه، بات يشك بهذه الحفلة أكثر من اللازم، بات خوّفه يتعدي ناطحات السحاب في علوها وضخامة حجمها، يجوب بعينيه في كل مكانٍ يريد العثور عليهن، وعليها هي خاصة، وبسبب كثرة الفتيات لم يستطع التفرقة بينهن، ترك مارك وحكيم يتسامران فيما بينهما وبدأ يخطو خطواته داخل القاعة يتفرّس ملامح الحضور وتزداد خطواته سُرعة خاصة بعد أن استمع إلى صوّت يدعو الفتيات بالوثوب في هدوءٍ وسكينة حتى تبدأ مراسم الحفل.

اصطدم برجلٍ يحمل صينية من المشروبات عازمًا على توّصيلها للحضور؛ تعركلت حركة سامي وكادت الكؤوس تتساقط على ثيابه وتجعل الرجل يرميه بنظراتٍ حادة أخبره معها:

-ما الذي تفعله هنا ؟ .... هيا إذهب وفرّق هذه المشروبات

وجد الصينية توُضع بين آصابعه وطيف الحارس يختفي من أمامه بعد أن أصرٌ عليه لتلبية الأوامر وإلا طُرد من القصر، وجد نفسه مُرغمًا على توّصيل الطلبات وعيناه لا تزالان تجوّبان القصر بحثًا عنها!!

-أين هي الأميرة سندريلا ؟ .... أريد أن آراها ولو من بعيد

قالها حكيم بلهفة بادل معها نظراته بين الفتيات لعله يرمق الأميرة، بينما كان مارك يستند على طاولة المشروبات رافعًا قامته بشموخٍ قال معه بطريقته العلمية الواثقة:

-اسمها ليس سندريلا يا صاح .... فكما قرأتُ سابقًا، سندريلا هي كلمة لاتينية تعني الرماد المُتبقي من الأشياء المُحترقة، أو رمادٌ من أشياء لا قيمة لها،

والأخوان جريم، اللذان كتبا هذه الحكاية .... لم يضعا اسمًا للأميرة، فكانوا يصفونها بهذا اللقب كناية عن قيمتها المتدنية

رفع حكيم حاجبيه بإعجابٍ أرخى معه ظهره للوراء وطفق يُهمهم ويقول:

-حقًا .... لم أكن أعرف ذلك .... حسنًا لم أكن أعرف سندريلا على أي حال

وُضعت كؤوس المشروبات أمامهما حتى يحملونها ويُفرقونها على الحضور، لكن حكيم مدٌ يده ليأخذ كأسًا من المشروب باعتقاده أنه مجرد عصير يُلطف على حلقه الجاف، حيث أنه أخذ الكأس وبدأ يتجرعه على مرة واحدة حتى امتلأ فمه بهذا السائل سيء المذاق، والذي اعتقد أنه مشروبٌ غازيٍ عادي، ربما يشعر بهذه اللسعة والمزاق الحاد بسبب تجرعه على مرة واحدة، كان هذا قبل أن يُطالعه مارك بنظرات جاحظة خاصة وهو يعلم أن حكيم يعتنق الإسلام:

-مهلًا .... ألم تقل أنك لا تشرب الكحول .... كيف تشرب هذا المشروب ؟

بصق حكيم ما يتجرعه مرة واحدة وعوالم الصدمة تلوح على وجهه، هل قال أنه يحتسي المشروب ؟

-ماذا !! .... كحول !! .... ما الذي تفعله المشروبات الكحولية بأفلام الأطفال ؟

وضع الكأس على الطاولة بحدة قابلها مارك بقهقهة ساخرة لا يعرف حكيم إن كان يسخر من طريقته في بصق المشروب على الأرض أم من الموٌقف برمته، فقد كان يقول بسُخرية صادقة:

-يبدو أنك لم تشاهد أورل مورل أو حفلة النقانق

قطب حكيم حاجبيه بغرابة وهو يطالع مارك ولا يفهم حديثه، لا يفهم أنه يتحدث عن أسوأ أنواع الرسوم المتحركة وأكثرهم وضاعة وقذارة، وما كاد مارك يواصل الحديث معه حتى قطعهما صوٌت مؤسيقى عالية وظهور الأمير بحلته الرائقة وملامحه الجذابة، كان يتحرك على بعُد خطواتٍ منهما يقترب صوٌب فتاةً يعرفونها جيدًا .... وهذا ما آصابهما بالصدمة!!

كانت غيِّد تضم كفيها بلهفة صبيانية وهي تستمع إلى الخادم الذي يقرأ الأسماء من القائمة، حذرتهما كاتي من التقدم خطوة حتى بعد أن يتم النداء على أسمائهن، فلا يجب أبدًا أن يظهرن أمام الأمير، لكن غيِّد لم تكن تنتبه لحديثها وكانت تتقدم صوِّب الأمير بعد أن قرأ اسمها وكأنها تتسلم جائزتها الجامعية لولا كاتي التي بسطت ذراعها حتى تمنعها من الحِراك كي لا تُفسد الأمر.

-هل سنبقى هكذا ؟.... ما هذه الحفلة المملة ؟

قالتها غيِّد بسأمٍ زفرت معه الهواء من جوِّفها وتلتها ميليندا بكلماتها الحانقة:

-معكِ حق .... سأذهب لأتجوِّل قليلًا

رحلت بعد حديثها لتتجوِّل بأرجاء القصر وتبعتها غيِّد بحركاتٍ طفولية ودُّت لو كان هاتفها يعمل واستطاعت التقاط العديد من الصوِّر هنا، لكنها تذكرت أنهم في النسخة الحقيقية من الأفلام، أي سيبقى معها ذكرى لأمدٍ بعيد.

تنهدت كاتي بعد رحيلهما تنهيدة تحمل ضروبًا من الراحة والاستكانة، وأخيرًا ستختلي بنفسها وتتمتع بهذا العالم الخيالي دون أن يُزعجها مصائبهم التي لا تنتهي، فمن بين جميع الناس بالعالم، تقع هي مع مجموعة من مرتكبي الكوارث، حتى أنها باتت تعتقد أن المصائب جزءٌ لا يتجزأ من شخصيتهم.

وجدت خادمًا يقترب نحوها ويُعطيها كأسًا من المشروب وردي اللون لتلتقطه هي بابتسامة هادئة وإيماءة خافتة برأسها وجدت الكثير من الفتيات هنا يفعلونها، أخذت رشفة صغيرة من المشروب وبدأت تتحرك بعدها خطواتٌ هادئة شاردة لم تحسب حسابها، ولا زالت الأسماء تُنادى بمُكبر الصوِّت والفتيات يتقدمن واحدة تلو الأخرى لتقف أمام الأمير وتنحني له ثم تبقى أمامه ليتأمل ملامحها البريئة ويرى إن كانت تناسبه أم لا، كم وُّدت إفساد هذا الحفل ولكم هذا الأمير المُتغطرس على وجهه، هي لا تعلم حتى كيف يعرض الفتيات أنفسهن بهذه الطريقة أمام الأمير وكأنه ينتقي ثوِّبه الجديد.

حاولت كبت غضبها ومواصلة سيرها الشارد دون أن تنتبه لشيء، لكن يبدو أن للقدر رأي آخر!!

سرعان ما وجدت خطواتٌ تقترب نحوها مما جعلها تتوّقف عن السير لترى صاحبها، ازدردت ريقها في هلعٍ واتسعت حدقتيها حتى كادا ينخلجان من محجريهما، وجدت الأضواء تُسلط نحوها وابتسامة الأمير تتسع قبالتها، بدأ العرق يتصبب على جبينها وعيناها تتلفتان في كل مكانٍ بحثًا عن السندريلا، لكنها للأسف لا تجدها أبدًا، يبدوا أنهم أتوا الحفلة باكرًا، جاءوا قبل ظهور السندريلا!!

-هل تسمحي لي بهذه الرقصة ؟

مدٌ يده نحوها لتزداد ارتباكًا وينساب العرق على جبهتها، كان الأمير يتأمل ملامحها بهدوءٍ ونظراتٍ مُعجبة جعلت أنفاسها تتسارع في هلع، تصلبت أقدامها على الأرض ولم تعد تعرف ماذا تفعل، وجدت الجميع ينظر لها نظراتٍ تتبادل ما بين الغيرة من الفتيات، والفرح من الخدم والراحة من الملك ومعاونيه، ازدردت ريقها في هلعٍ حاولت معه العثور على مخرجٍ من هذا، فما تفعله خاطيء، لا يجب أن يُعجب بها الأمير!!

حثها الأمير بنظراته الجذابة ويده الممدودة قبالتها برقي مما جعلها ترفع يدها بآلية وتضعها بين راحتي الأمير، وجدت واحدٌ من الخدم ينتشل كأس المشروب عن يديها ليدفعها الأمير داخل القاعة بابتسامة متسعة شبك معها أنامله بأناملها ووضع يده على خصرها ليتمايل معها مع نغمات الموسيقى وتُقلده كاتي في حالة من الصدمة والآلية.

-ما هذا !! .... أليست هذه كاتي ؟

قالها مارك بذهولٍ وهو يتابع ما يحدث بينما سقط فك حكيم وأخذ يفرك عينيه أكثر من مرة، فكل ما يُفكر فيه الآن هو شيءٌ واحدٌ فقط... سامي!!

صك على أنيابه بحنقٍ وهو يراها تتمايل مع الأمير على نغمات الأغنية، لوهلة كاد ينقض عليهما ويبرح هذا الأمير ضربًا، ثم يعترف لها ويتزوجها ويرحلا من هنا، لكنه تماسك، فلا يجب أن تتدهوّر الأمور، خاصة وهي لا تعرف حتى بمشاعره اتجاهها، كاد ينفجر كقنبلة نووية من شدة الغضب، حتى أن وجهه قد تحوّل إلى اللون الأحمر، وأعضاءه تتقاتل بداخله لتُخلف وراءها دمارًا يعادل الدمار الذي ينشب بعد أقوة الزلازل.

استسلمت كاتي لرقة الأمير وبدأت تتمايل معه بلهفة ويجعلها تدوٌر حوٌل نفسها لتنشب السعادة بداخلها، تعلم أن ما تفعله خاطيء، لا يجب أن تضحى هنا، لا يجب أن تسرق دوٌر الأميرة، حتمًا سيعلقوا بسببها هذه المرة، لكنها لا تعرف كيف تتحكم بجسدها، تشعر بالانتشاء وهي بين ذراعيه ترقص معه تلك الرقصات الكلاسيكية الهادئة ويبادلها هو ابتسامته العذبة التي تُذيب قلبها، تشعر أنها في حلمٍ من أحلامها التي لا تريد أن تفيق منها، فلطالما تمنت هذا الأمير الذي سينتشلها من حياتها البائسة ويعاملها كأميرة تتربع على عرش فؤاده، وعندما أتتها الفُرصة، تخبرونها أن تتركها!!

اشتد الغضب داخل سامي وهو يتابع ما يحدث لينقلب غضبه من الأمير إلى غضبه من كاتي، كيف تجروء على الرقص معه بهذه الطريقة ؟ ألا تشعر بقلبه الذي يتعذب يوميًا بسببها ؟ ألا تشعر أنه يتمنى فقط نظرة من عينيها تُلطف حياته السوداء القاحلة ؟ كوٌر قبضته في غضبٍ من ذاك الأمر وآراد الرحيل قبل أن ينفجر بهم، لكنه للحظة، فكر أن يطعنها بصدرها مثلما تفعل، قرر أن يُذيقها من نفس الكأس الذي تُذيقه إياه.

سرعان ما بدأ يتلفت حوٌله بحثًا عن فتاةٍ جذابة يدعوها للرقص حتى يُثير حنقها، وقعت عيناه على فتاةٍ جميلة برداءٍ أزرقٍ كالياقوت تتلفت حوٌلها بتيهٍ ووجوم، لديها ملامح بريئة تدوٌي الجروح، ونظرات ذابلة تحمل ضروبٌ من الحطام والخُذلان؛ ابتسم بسمة مُنتصرة وهو يتابع هذه الفاتنة من بعيدٍ ورأى أنها الأنسب من بينهن، فجمالها الآخاذ سيجعل كاتي تشطاط غضبًا، ألم تُقرري الرقص مع الأمير ؟ إذا سأريكي كيف يضحى إثارة حنقي أيتها المتغطرسة!!

اقترب سامي نحو هذه الفاتنة يمدٌ يده نحوها ويبتسم لها ابتسامة عذبة زادت من جاذبيته وهو يقول:

-مرحبًا بكِ .... هلا شاركتني هذه الرقصة ؟

ابتسمت له ببراءة وأخذت ترمقه بنظراتٍ ظنٌها لوهلة نظراتٍ مستنجدة، وكأنها تعتبره طوٌق نجاتها من هذا العالم، وسامي يستقبل هذه النظرات بابتسامته العذبة

حتى مدُّت أناملها الرقيقة نحوه فانتشلها ودعاها للرقص في ركنٍ من القاعة دون أن يعرف أنها الأميرة .... سندريلا!!

أصبح قلبها الآن سيِّد الموِّقف، وهي التي تعلم أن القلوب الساذجة لا تُخلف وراءها سوى الكوارث، وقلبها الساذج هذا يجعلها تتحرك في تلك الحديقة الشاهقة والأمير بجوارها يتحدث معها بشتى المواضيع ويرميها بابتسامته العذبة في كل حينٍ وآخر، بدأت تشعُر أن ابتسامته كقيودٍ حديدية تُكبل حركتها وتجعلها تسير بجواره مُرغمة، لا تعرف ما الذي تفعله، لكنها تعرف عواقبه جيدًا، كم فكرٌت أكثر من مرة أن تلوذ بالهرب، لكن قدماها تأبيان التحرٌك، ينتشي جسدها أمام جاذبيته الآخاذة وحنانه المُفرط، حتى أنها آرادت اختطافه من هذا العالم.

-أتعرفي ما هو الحُب ؟

سألها الأمير لتخرج من شرودها على صوٌته وسؤاله النابع من فؤاده، كانا يتحركان فوق جسرٍ عريضٍ وحوٌلهما منظرٌ بديعٌ من الورود وبحيرة صغيرة ينام البط على ضفافها.

-الحب هو حالة تُصيب قلبان ضائعان ... فتجعلهما كيانٌ واحد، حيث يجد كل منهما ضالته، وينعم في سكينة وراحة

توٌقف عن السير ليُحدق بعينيها ويجذبها بإجابته المُنمقة التي آضافها على إجابتها التي أبهرته:

-أن تجد من تأسر فؤادك بكلماتها .... من تجعلك تطوٌف في العالم رغم أنك لا تقدر على الطيران .... الحب لا يُصيب القلوب فقط، بل يُصيب سائر الأعضاء

ابتسمت بإعجاب على فصاحة حديثه ثم واصلت السير ليتجوٌل بجوارها متسائلًا بفضول:

-من أين أنتِ ؟ .... لم أراكِ من قبل ؟

ارتبكت كاتي قليلًا قبل أن تُجيبه بكذب:

-لستُ من هنا .... لستُ من هذه المدينة

قطب حاجبيه بحيرة من حديثها وقد توّقف بُرهة عن السير ليسألها:

-هل ستبقي هنا ؟

أسبلت بعينيها لأسفل حتى تهرب من نظراته التي تأسرها، فهي لا تُريده أن يتعلق بها، تريد فقط أن تهرب لكنها لا تعرف كيف، وكأنها فقدت القُدرة على التحكم بأعضاءها:

-لـ... لا أعرف

ترددت قليلًا قبل أن تُجيبه هذه الإجابة المُختصرة حتى لا يطول الحديث بينهما، الأمر الذي جعل الأمير يرمقها بضيقٍ ويبقى صامتًا حتى قرر الانصياع لرغبات فؤاده الذي يُخبره أن ينتهز هذه اللحظة، رفع رأسه مرة واحدة ليُشبك يديه بيديها ويتحرك معها صوّب القصر متفوّهًا:

-إذًا هيا ... اتبعينني

لم تُجيبه كاتي لكنها استجابت لدفعاته الحانية وهو يجذبها صوّب القصر حيث الشُرفة الواسعة التي تطل على مجموعة من الأزهار مُختلف ألوانها وأشكالها، أجلسها على حافة سوّر الشُرفة وبدأ يتأمل عينيها العسليتين وملامحها التي لم يرها أبدًا هنا، وكأن اختلافها هو ما جعله ينجذب لها.

بقي يتأملها في حالة من الصمت والهيام مما جعل ارتباكها يزداد وتبدأ بالنظر حولها لعلها تعثر على واحدٍ من رفاقها لينجدها من هذه الورطة، لكنها مع الأسف، تكتشف أنها وحيدة كُليًا، وحيدة أمام نظرات الأمير التي تحصرها في الزاوية وتجعلها تذوب بسبب جماله المُفرط وحنانه الزائد، حتى أنها آرادت أن تختطفه من هذا العالم وتحظى به وحدها.

وجدته يرسم ابتسامة هادئة على ثغره ويرفع أنامله ليتحسس وجنتها ليرتجف جسدها وتبدأ السخونة تجتاحها، خاصة مع كلماته الرقيقة:

-لا أريدكِ أن ترحلي أبدًا .... أريدكِ أن تبقي بجواري للأبد

أبعد يده عن وجنتها ليقترب بجسده نحوها وتتراجع هي تباعًا حتى اصطدم ظهرها بالحائط، وجدته يقبض على أناملها الباردة ويتأمل عينيها بعُمق حتى ظنَّت لوهلة أن سهامه ستُصيبها وترديها صريعة، بدأت ضربات قلبها تتصاعد وأنفاسها تكاد تختنق، لا يجب أن تبقى معه ... يجب أن ترحل من هنا، كل ذلك يدور بخلدها أمام الأمير الذي طفق يقول بنبرة صادقة:

-صحيحٌ أنني لم أعرفكِ سوى لحظاتٌ قليلة .... لكنني فُتنتُ بكِ من أول نظرة .... لم أرى فتاةٌ مثلكِ من قبل .... أنتِ هي الفتاة التي أبحث عنها طويلًا

تسارعت دقات قلبها وحلٌ الوجوم على وجهها، تُريده أن يتوّقف لكن لسانها التصق بحلقها ليمنعها عن الحديث، تريد الهرب لكن قدميها تخشبتا على الأرض بسبب نظراته القاتلة، وجدته يترك يديها الباردتان ويبتعد عن جسدها المُرتجف ليجلس على ركبتيه ثم يرفع إحداهما ليستند بمرفقه عليها كحركة سينمائية رأتها أكثر من مرة، أمسك يديها الاثنتين وقربهما سويًا وكأنه يُرسل لها أنها أصبحت تسكن فؤاده الآن، وأكد ذلك بقوله:

-أريدكِ زوجة لي أيتها الفاتنة!!

الفصل الثالث عشر (الحذاء السحري .... ليس سحريًا)

ضعف البدن يختلف عن ضعف العقل، فضعف البدن يجعلك لقمة سائغة للوحوش والأوغاد، وضعف العقل يجعلك واحدًا منهم....

شُل جسدها ولم تعد تقدر على الحركة، انسالت قطرات العرق على جبهتها وكأنها شلالاتٌ أو مدينة حدث به تسونامي عظيم، ضاقت أنفاسها وشعرت أنها تُريد أن تتبخر، تُريد العوّدة إلى الوراء لعلها تجد مِلكة الرفض وعدم الانصياع، قلبها الرقيق جعلها تنساق خلف الأمير لتعوّض نواقصها، وها هي الآن، وضعت نفسها في ورطة.

بقي يرميها بابتسامته الهادئة التي تُصيبها بالانتشاء حتى أنها بدأت تتخيّل نفسها في ثوّب الأميرة يتم عقد قرانها على الأمير في جوٍ مليء بالبهجة والسعادة، تتخيّل واحد من أحلامها التي لطالما تمنت تحقيقها على الأرض الواقع، لكن على الواقع وليس الخيال، فلا يجب أن تضحى الأميرة، لا يجب أن تضحى سببًا بتدمير حكاية من أفضل حكايات الأطفال وأكثرها تأثيرًا بهم، رغم أنها دائمًا ما كانت تعتقد أن سندريلا فتاةٌ ضعيفة تستسلم لحياتها وعذابها، لكن هذا ليس سببًا بأن تأخذ مكانها.

سُرعان ما آفاقت من انتشاءها ووثبت عن الأرض بعد أن وصل ارتباكها إلى ذروٌته، تذكرت أنها لم تُخبره باسمها حتى، فهو لم يسألها، كما لم يسأل السندريلا بالضبط قبل أن تلوذ بالهرب، طغي الارتباك على جنباتها وهي ترفع ردائها عن الأرض ويثب الأمير قبالتها يتعجب توّترها الزائد، كان يعتقد أنها ستطير فرحًا كبقية الفتيات، لكنه يجدها عكسهن تمامًا، تتلفت حوّلها كما لو أنها مطاردة.

-إيبه ... يجب أن أرحل

بصقت هذه الكلمات بترددٍ قبل أن تهرول بأقصى ما لديها والأمير يطالعها بغرابة ويتحرك خلفها فتزيد هي من سرعتها حتى لا يعثر عليها.

-انتظري .... لم أعرف اسمكِ حتى

صاح بهذه الكلمات وهو يحاول اللحاق بها وتتجاهله هي، فهذا بالضبط ما حدث مع بطلة الحكاية الحقيقية، بقي معها لساعاتٍ بعد الحفل ولم يسألها عن اسمها إلا عندما قررت الفرار.

كانت تهروِّل ولا تلتفت وراءها، تنسل الدرجات بسرعة ظنُّت معها أنها ستتعركل، تخشى أن تلتفت وراءها فتأسرها وسامته وينتهي الأمر بعلقهم هنا، حتما سيقتلها رفاقها إذا علموا ما تفعله الآن، وهي التي ظنُّت أنهم من يُفسدوا الأمور دائمًا....

وعلى ذكر إفساد الأمور، كان سامي بوادٍ آخر في ركنٍ من هذه الحديقة، بعد انقضاء الحفل ومعرفته باصطحاب الأمير لمعشوقته التي لا تعرف عن حبه شيئًا، كاد يشطاط من الغضب كلما فكر في هذا الأمير وهو يمسك آناملها ويُخبرها قصائد عن الحُب والغرام، ودٌ لو يمسك سيفًا حادًا ويُمزقه إربًا ثم يجعل أشلاءه طعامًا للكلاب، ودٌ لو يقتلها هي الآخرى بسبب خيانتها، رغم أنها لا تعرف عن حبه شيئًا، فهو لا يُظهره أمامها، يكتفي بمعاملتها بجفاء كما لو أنه يظن أنه لا يستحق هذا الحُب، ولا يستحقها هي، وعندما شعر أنها ترحل، غلُت المراجل بداخله، أصبح يُريد أن ينتشلها ويختلي بها في عالمٍ آخر، عالمٌ لا يوجد به سواهما فقط.

وبدلًا من أن يُنفذ أي مما يخطر على باله، نجده يتسامر مع الأميرة ذات الشعر الأصفر والعينان الزرقاوان، ظنٌ أنه بذلك سيُقلل إحساسه بالغُضب ويعوِّض رجولته التي أُهدرت بسبب فتاةٍ خائنة كما يظنها، وهو حتى لا يعرف أن من يتجوِّل بجوارها هي الأميرة!!

-من أنت ؟

هكذا سألته بصوِّتٍ هاديءٍ رخيمٍ جعل الشقوق داخل فؤاده تُرمم وحدها، يقسم أنه لم يرى في رقتها وحنانها مُسبقًا، أم أن جميع الفتيات في هذا العالم يحملن هذه الرقة.

-وما المُهم في معرفة من أنا ..... ربما أكون سبب ضياعكِ في العالم، أو ربما طوِّق نجاتك

لم يكن يُريد أن يكشف هوٌيته حتى لا يقع في مشاكل هو في غِنى عنها، فأهم ما تعلمه بتلك الرحلة، هو عدم كشف هوٌيتك إلا للضرورة القسوة، وإلا سيعلق هنا للأبد .... حسنًا في جميع الأحوال سيعلق.

وجدها ترميه بنظراتٍ حائرة من إجابته الغامضة وتلوذ بالصمت وهي تتجوٌل بجواره في تلك الحديقة الواسعة.

-كم تمنيتُ أن يأتي الأمير فينتشلني من حياتي البائسة .... لكنني لم أتوٌقع أن أجدك أنت

كانت تُلمح لوجوده فجأة مما جعله يرتبك، لا يزال يجهل حقيقتها لكنه ظنها كبقية فتيات المدينة، يتمنون فقط نظرة من الأمير حتى يحيين في ثراء وخيلاء.

-ولِمَ أنتِ بحاجة إلى من ينتشلكِ من حياتكِ من الأساس ؟ ..... يمكنكِ أن تفعلي ذلك بنفسكِ .... دون تدخلِ من أحد

توٌقفت عن السير لتذبل بعينيها لأسفل وتتنهد تنهيدة عميقة تحمل كمًا من الهم يكفي لتغطية مدينة بأكملها.

-لكنني لا أعرف

هكذا أنهت حديثها بنبرة ضعيفة جعلته يتأملها لفترة قبل أن يتقدم نحوها محاولًا التحديق بمُنتصف عينيها لعله يستطيع نصيحتها، ليس لأنه أحبها وأحب رقتها، بل لأنه يشعر أنها فتاةٌ صغيرة لم يتسنى لها فرصة الحصول على نصيحة من والدها.

-لا يوجد ما يُسمى بلا أعرف ..... فجميعنا نستطيع، نستطيع التغلب على القهر والظلم، حتى ولو كانت الظروف تدحضنا

تنهد ليستجمع كلماته ثم واصل بنبرة حكيمة صادقة يظن أنها هذه الكلمات التي تؤرق لياليه:

-أعرف أن السيئيون دائمًا ينتصرون في معارك الحياة، هذا لأنهم يُسيطرون على الجيدون وينغصون عليهم حياتهم .... ولأن الجيدون جيدون، لا يقدرون على

مواجهة السيئيون خوّفًا من التحوّل إلى واحدٍ منهم .... لذلك ينتهي بهم الأمر كلقمة سائغة في فوهة الأوغاد

تبدلت كلماته إلى النُصح وهو يواصل:

-لكن اسمعي .... يُمكنكِ أن تضحي الاثنين معًا.. سيئة مع السيئون، وجيدة مع الجيدون .... هكذا ستتحقق عدالة السماء

بقيت في حالة من الصمت والصدمة من حديثه الذي لم تستمع إليه من قبل، فعن أي سيئون يتحدث، هي لا تعرف سوى الخير والحُب والسلام، رغم ما تفعله زوجة أبيها وبناتها بها، فهي حتى لم تكن تكرههن وتُنفذ تعليماتهن بصدرٍ رحب، كيف يُخبرها أن تعالمهن بنفس طريقتهن حتى تتحقق عدالة السماء، هي لا تعرف حتى كيف تفعل ذلك.

-كلامك أعجبني .... لكن_

تهجم وجهها فجأة بعد أن بترت حديثها وتعالت دقات قلبها، دقت الساعة ودق معها ناقوس الخطر، وجد أطرافها ترتجف فجأة لسببٍ لا يعلمه، حتى أنه بقي يتأملها بنظراتٍ مقطبة ورغبة جامحة بمعرفة ماذا ستقول.

-يـ... يجب أن أذهب

بصقتها بسرعة ورفعت ردائها لتهروّل فوق الحشائش ويتحرك سامي خلفها رغبة بمعرفة ما الذي آصابها، لم يكن يُريد الإمساك بها وإجبارها على العودة، فهو لا يحتجزها على أي حال، فقط آرادها أن تُخبره لماذا ترحل الآن، وبهذا التوّقيت!!

-انتظري...

هروّل خلفها حتى يفهم أين تهرب لكن خطواتها السريعة كانت حائلًا دون ذلك، أبطأ من حركاته ما إن لاحظ اختفائها كليًا وكأنها تبخرت، حتى أنه ظنها محض خيالٍ ليس أكثر، أو ربما هي جنية، فأي شيءٍ قد يحدث بعالمٍ كهذا.

كاد يعود أدراجه ويتجاهل أمرها بحثًا عن بقيتهم، لكن قدمه تصطدم فجأة بشيءٍ على الأرض جعله يتوّقف عن السير ليُطالع هذا الحذاء اللامع صغير الحجم؛

أخفض جذعه بفضولٍ صوّب هذا الحذاء الذي على الأحرى يخص هذه الفتاة " الغريبة " كانت نظرات التيه تلوح على وجهه بسبب هذا الحذاء، فهو لم يرى حذاءً زجاجيًا من قبل، يتعجب حتى ارتدائها حذاءٌ كهذا دون أن يتهشم ويجرح قدميها، لكنه في نهاية الأمر، قبض على الحذاء ووضعه في جيب معطفه، ربما تضحى ذكرى من هذا العالم!!

يحمل صوّرة صغيرة بين راحتيه تجمع ما بينه وبين فتاةٍ جذابة ذات خُصلات بُنية وبشرة ناصعة البياض، يتأمل هذه الصوّر بنظراتٍ مُحطمة وكأنها ليست مُجرد صورة فحسب، بل هي سُياطٍ ينهش في عظامه، فكانت صوّرة بالية عفا عليها الزمن، ولا يزال مُحتفظًا بها، لا يُريد التخلص منها رغم أنها تُعذبه، فهو يتأملها يوميًا فيزداد غضبه من العالم ويزداد غضبًا من هذا الجنس الناعم سبب عذابه وحطامه.

انتفض مارك إثر هذه الأصابع التي انتشلت تلك الصورة من بين يديه ليزداد غضبًا، فكان وجهه أحمرًا وهو يثب عن الأرض عازمًا على الانقضاض على حكيم وتلقينه درسًا، بينما كان حكيم يتأمل هذه الصوّرة بابتسامة ساخرة وكلماتٍ مُشاكسة:

-هو هو .... أراك عاشقًا موّلعًا يا كاره النساء

صك مارك على أنيابه وهو ينقض على حكيم يحاول انتشال الصورة من بين يديه متفوّهًا:

-أعطني هذه الصوّرة وإلا ضربتكُ حتى الإغماء

وبسبب جسد حكيم الرياضي وقامته الطويلة التي تختلف عن مارك القصير نسبيًا ذا الجسد الهزيل مما يجعله الأضعف في هذا العراك، فدائمًا ما يضحى الطرف الأضعف في العراكات بسبب جسده الهزيل ومع ذلك ينتهز الفرصة ليتعارك مع أي شخصٍ يقابله.

-لن أعطيك إياها قبل أن تُخبرني من هذه .... هل هذه زوّجتك ؟ ... عشيقتك ؟ ... يا إلاهي، لن يُصدق سامي هذا

غلّت المراجل بوّجه مارك وعلِم أنه لن ينتصر بهذه المعركة، فحتى لو استطاع الحصول على صوّرته، ستبقى عالقة في ذهن حكيم الذي سينتهز الفُرصة حتى يُثير حنقه، وحكيم لن يتوّقف حتى يفهم حقيقة الأمر.

-حسنًا ..... هذه حبيبتي .... السابقة

قالها مارك بنفاد صبرٍ بعد أن توّقف عن العراك وبدأ يلتقط أنفاسه بحدة، لا يُريد أن يتحدث عن الأمر، لكن ليس أمامه خيارٌ آخر، ربما يُخفف القليل مما يعانيه، وما إن استمع حكيم إلى كلماته المُحطمة، توّقف عن مشاكسته وبدأ يُطالعه ببعض الشفقة والفضول، فنظرات مارك توّحي بأنه سينفجر، بأنه لا يتحمل الكُتمان ولا يتحمل إخفاء أوجاعه أسفل ستارٍ من الجمود والعصبية الزائدة.

-السابقة !! ... وأين هي ؟

أسبل بعينيه لأسفل مانعًا هذه الدمعة الشاردة من الهبوط وافتضاح أمره، حسنًا، لقد أصبح عاريًا أمامه في جميع الأحوال، فهو لا يُريد نسيانها، لا يُريد عقله أن يُصدق ما حدث له، لذلك يُعيد عليه هذه الذكريات الأليمة حتى يزداد غضبًا وانعزالًا.

-رحلت .... تركتني

قالها بصعوبة ونبرة خافتة لم يكن يُريدها أن تخرج، وما كان من حكيم سوى الاقتراب منه والتربيت على ظهره بمؤاذرة، كان يرمق نظراته المُنكسرة لأول مرة، فدائمًا ما يرى نظراته الجامدة المتبهنسة، أول مرة يرى هذه النظرات المخذولة.

استنشق مارك مخاطه وأزاح دمعة شاردة كادت تنسل على عينيه ليواصل الحديث بغضبٍ زائف ورغبة في العودة إلى جموده مرة أخرى، فالجفاء أصبح أفضل من البكاء على الأطلال، على الأقل يجعله أكثر راحة، أو هكذا يظن هو.

-كُنت أحبها، ولم أحب غيرها، أعاملها كالأميرات .... وأفعل ما تريده دون اعتراض .... لكنها في النهاية .... تركتني من أجل هذا الحقير براندي

تنهد حتى لا يعود إلى نبرته المنكسرة ومدٌ يده لينتشل الصوّرة من حكيم الذي كان يرمقه في حالة من الصدمة، حتى أنه أعطاه صوّرته بلا اعتراض:

-ولمَ تحتفظ بصوٌرتها إن كانت قد آذتك لهذه الدرجة ؟

لم يُجيبه مارك وفضل أن يبقى صامتًا، فهو حتى لا يعرف الإجابة، لا يعرف لماذا يتأمل صوٌرتها يوميًا، لا يعرف لماذا لا يزال يتتبعها على وسائل التواصل رغم أنه يعرف أنها عقدت قرانها مع هذا الحقير براندي وأنجبت منه ولدًا، لا يُعرف لماذا يُعذب نفسه دائمًا بهذه الذكريات، سواء كانت ذكرياتها أم ذكريات طفولته الأليمة، يقسم أنه حاول أكثر من مرة أن يتناسى الأمر، يتناسى ربيكا حبيبته الأولى، ويتناسى طفولته الأليمة، لكنه لا يستطيع، وكأنه لا يزال عالقًا في هذه الذكريات، وكأنها تُكبله بالأغلال وتجعله بهذا الجمود والجفاء، ألم يقولوا أننا يجب أن نبتعد عمَ يؤذينا، كيف نبتعد عنه وهو قد آذانا بالفعل ؟

ما إن طالت فترة صمته وجد حكيم يقترب نحوه ويُحيط رقبته بذراعيه كحركة أخوية كان يتذمر منها مارك مُسبقًا، لكنه الآن، كان كالصنم الجامد، لا يُبدي أي ردة فعل، فقط يستمع إلى كلمات حكيم الناصحة:

-إن كانت هذه الصوٌرة تجعلك تكره النساء ... فانتظر حتى نعود من هنا، فلدي العديد من الصوٌر التي قد تجعلك تُفتن بهن وتتناسى هذه الصورة

أنهى حديثه بمرحٍ جعل مارك يبتسم ابتسامة خافتة على دعابته الوقحة، لكنه وأد بسمته بسرعة وأبدلها بملامح جليدية، فهو قليل الابتسام والضحك، حتى أن هذه من المرات القليلة التي يراه حكيم فيها مبتسمًا حتى:

-يا رجل .... كفى تفكيرًا في مشكلات الماضي .... فنحن الآن في مُشكلة أكبر

بقي مارك في حالة من الصمت وقد كان شاردًا لا يهتم بذراع حكيم الذي يحاوط عُنقه ولا يهتم إلى تلك المُشكلة التي هم بصددها، أو الذي يحدث لهم بالفترة الأخيرة، كل ما كان يقوله هو كلماتٌ صادقة نابعة من القلب:

-أقسم أنني أحاول النسيان ... لكن عقلي لا يسمح لي بذلك ... يجلعني_

توٌقف عن الحديث ما إن لاحظ نظرات حكيم البلهاء وذراعه الذي يحاوط عنُقه وهو الذي لطالما كره الالتصاق بالآخرين، فسرعان ما تناسى ما كان سيقول ليتلطخ وجهه بالاشمئزاز ويبدأ بدفع حكيم بعيدًا عنه متفوٌهًا:

-إبتعد أيها اللزج عني .... أتعتقد أنك حكيمٌ بالفعل .... أنت حتى لا تستطيعي نصيحتي

زمجر مارك في وجهه بحدة مما جعل حكيم يُقهقه بحرارة ويبتعد عنه متفوّهًا:

-هذا هو مارك الذي أعرفه....

وعلى جهة أخرى، كانت غيِّد تتسامر مع ميليندا إلى أن قطعهما طيفٌ عابرٌ وصوّت هرولة على الحشائش اصطكت بأذهانهما.

-من هذا ؟

سألت غيِّد بحيرة وهي تتلفت صوّب مصدر الصوّت حتى فتحت عينيها على وسعهما، فقد ظهرت أمامهما كاتي بوّجه أحمرٍ ووجنتان متوّردتان مع قطرات العرق التي تنساب بغزارة على جبهتها وأنفاسها المتلاحقة وكأنها في سباق، توقفت عن الركض لتلتقط أنفاسها وتضع يدها على صدرها لعلها تُهديء من نبضات قلبها، بينما كانت ميليندا تطالعها بحيرة وتسأل:

-أين اختفيتِ يا فتاة ؟.... ثم ما الذي كُنتِ تفعلينه مع الأمير ؟

أخذت كاتي أنفاسها وبدأت تردف بكلماتٍ متقطعة تحمل حسرتها على حالهم:

-لم يكن يجب أن يحدث ذلك .... لم يكن يجب أن يحدث ذلك...

كادت تبكي مع كلماتها مما أوّقد بداخلهما نارًا من القلق والحيرة.

-ما الذي حدث ؟

سألتها غيِّد باندفاعة لتلتقط كاتي أنفاسها وترمق كلتاهما ثم توّجه نظراتها صوّب مارك وحكيم اللذان أتيا بعد أن رأيا طيفها، فهما أيضًا قد رأاها مع الأمير، ويريدان أن يفهما ما الذي حدث، وهل رأت سامي أم لا، فهو أيضًا قد اختفى بعد هذا الحفل.

استسلمت كاتي لنظراتهم الفضولية القلقة وقررت أن تُفجر قنبلتها أمامهم ليحاولوا أن يعثروا على طريقة لإصلاح الأمر، تعرف أن ما حدث بسببها، لكن لا يجب أن تبكي على الأطلال الآن، يجب أن يعثروا على حلٍ قبل أن يعلقوا هنا.

- هناك كارثة .... الأمير_

قطع حديثها صوّت سامي الذي ظهر فجأة من مكانٍ بعيدٍ وطفق يقترب نحوهم بخطواتٍ هادئة رعدية، فكان يرمق كاتي بنظراتٍ متجهمة غاضبة لا يعلم إن كان سببها قلبه الذي تعذب أم لأنها أفسدت عليهم الأمر.

-ماذا أيتها الأميرة الفاتنة .... هل أمتعكِ الرقص مع الأمير ؟

زمت كاتي شفتيها بحنقٍ من نبرته الساخرة المُستحقرة، لكنها حافظت على ثباتها وهدوءها حتى تنحل هذه المحنة، وقتها ستنفجر فيه وتُفرغ طاقتها:

-لا يُهم ذلك الآن ..... الأمير لم يتقابل مع السندريلا .... وهذا لا يجب أن يحدث، يجب أن يتقابلا وتترك له حذاءها الزجاجي الصغير .... وبعدها يبحث عن صاحبة الحذاء ويعثر عليها مجددًا ويتزوّجا .... يجب أن نتدخل فوْرًا

أنهت حديثها بارتباكٍ وجسدٍ يرتجف من التوّتر، تعلم جيدًا هذه الحكاية، لكن قلبها الغبي جعلها تتحرك خلف نظرات الأمير الجذابة، هي لم تقصد حتى أن تلفت نظره، لم تقصد أن تجعله يمدٌ يده الرقيقة نحوها ويدعوها للرقص، لم تكن تُريد هذا، لكنه حدث على أي حال.

ساد الوجوم والصدمة بينهم، باتوا يظنون أن الكوارث تصطحبهم أينما ذهبوا ولا يُمكن أن تتركهم أبدًا، فهم الآن في كارثة جديدة، ولا يعرفوا كيف يجدوا طريقة مناسبة للانتهاء منها، بقيوا يرمقون بعضهم في حيرة فيما عدا سامي الذي غزا الشك نظراته وبدأ يُفكر في تلك الفتاة الغامضة، والتي ربما ليست غامضة كما يظن هو:

-مهلًا .... هل هذه السندريلا ذات شعرٍ أصفرٍ ورداءٌ أزرقٌ كعينيها

قطبت كاتي حاجبيها بحيرة من حديثه ووصفه للأميرة وكأنه يعرفها، وهي التي تعلم أنه لم يشاهد فيلمها أبدًا ولم يكن مُغرمًا بحكايتها، فهو صبيٌ على أي حال، لم يكن يشاهد هذا النوع من الأفلام في صغره.

-نعم ... هل تعرفها ؟

سألته كاتي ببعض الشك فما كان منه سوى أن وضع يده في جعبته وأخرجها بحذاءٍ لامعٍ زجاجي جعل نظرات الذهول على وجوههم والصدمة على كاتي خاصة، فكان سامي يعرض الحذاء أمامهم متفوّهًا:

-هل هذا هو حذائها ؟....

الزفرات تنطلق من فمه وهو نائمٌ على فراشه الفسيح بشاربه الأبيض العريض وتلك الابتسامة المُرتسمة على شفتيه، ليست ابتسامة تنم عن السعادة أكثر مما تنم عن الأبوة والشعور بأنه أدى وظيفته على أكمل وجهٍ مُمكن، فهو الآن يحلم بأنه يتحرك فوق الغيوم وهناك طفلان صغيران يجلسان على ظهره والضحكات المرحة تنطلق من أفواههما الصغيرة، يشعر بالانتشاء وهو يتحرك بهما فوق الغيوم دون أن يكترث لعمره الكبير ولا لوزنيهما حتى، فقط يبتسم ويتمتع بهذه اللحظة التي لن تعوُض، لحظة مرحه مع أحفاده!!

صوّت طرقاتٍ على الباب أيقظت الملك وجعلته يسقط من الفراش ملتحفًا بالشرشف الأحمر، حاول إزاحة هذا الشرشف عن وجهه ليهروِّل نحو الطارق بنبضاتٍ مُتلهفة، ينتظر حارسه أن يُنبئه بأن ابنه أخيرًا قد وجد فتاة أحلامه وسيُعلن زفافه عمَ قريب، كان حارسه يقف متصلبًا رغم ارتجافة جسده، يضع ذراعه خلف ظهره ويبسط الذراع الآخر محاولًا أن يُحيي الملك كعادته، لكن الملك لم يسمح له بذلك وطفق يجذبه للداخل كطفلٍ صغيرٍ أتى والده أخيرًا من العمل حتى يلهو معه بألعابه.

هروِّل الملك صوّب مقعدٍ أحمرٍ كلاسيكيٌ وأخذ يدفعه صوّب حارسه ولسانه لا يتوّقف عن الأسئلة:

-هيا أخبرني .... هل طلب الزواج منها ؟ .... من هي ؟ كيف تبدو ؟ ما هو اسمها ؟... هيا أخبرني ... هل اسمها ماتروشكا ... أهو فيونا ؟_

قطع الحارس أسئلته المتلهفة بعد أن ازدرد ريقه وقرر القاء قنبلته مرة واحدة:

-هربت

-أو ... ياله من اسمٌ عجيب .... مـ..ماذا!!

لم يكن ينتبه إلى ما قاله الحارس في البداية لكنه ما إن انتبه حتى تحوّل وجهه إلى اللون الأحمر وتدريجيًا إلى اللون البنفسجي حتى نزع سيفه وقرّبه من رقبة الحارس الذي انهمرت قطرات العرق على وجنتيه:

-ماذا قُلت ؟

وسرعان ما تفاقم غضب الملك مما دفعه إلى الرغبة بإطاحة رأس هذا الحارس، ماذا يعني هربت ؟ هل تمزح معي ؟ أبعد كل هذا تهرب ؟ ... هذا ما قاله الملك في قرارة نفسه وهو يهوّي بالسيف على الحارس فيهروِّل الآخر بدوِّره ويتمزق المقعد إلى نصفين إثر هذا السيف الحاد.

تسارعت دقات الحارس وأصبحت ضرباتها تعادل ليثًا جائعًا يركض خلف فريسته، لو يتوقف الملك عن التلويح بسيفه وكأنه تحوّل إلى وحشٍ كاسرٍ، فكان يركض خلف الحارس حول الطاولة ويقذفه بكلماته الحانقة:

-هل اتفقت مع الأمير على فعل ذلك ؟

-لا يا مولاي .... أقسم أنني لم أكن أعرف

قالها الحارس بتوّسلٍ وهو يخفض جذعه ليحبو أسفل الطاولة هربًا من براثن الملك، أخذ يهروِّل بعيدًا حتى قفز على الفراش قفزة كادت تجعله يصل إلى سقف الحُجرة، والملك لم يتركه وشأنه وبقي يهروِّل وراءه ويقفز خلفه على الفراش حتى أضحى الإثنان وكأنهما يطيران، تعلق الحارس على المصابيح الكلاسيكية فتعلق الملك قبالته بوجهٍ لا يزال أحمرًا لا يُصدق أن حلمه أصبح سرابًا، فكان ينوّي قتل حارسه لأنه سمح لهذه المجهولة بالهرب.

-يا مولاي ... الأمير أقسم أن يعثر عليها ويتزوّجها

ما إن بصق هذه الجملة حتى استمعا إلى أزيزٍ تصدره المصابيح قبل أن تسقط بهما على الفراش بسبب وزنيهما الثقيل، وعلى عكس ما يحدث بالواقع، لم يُصيبهما ولو خدشٌ بسيطٌ واحد، ما حدث فقط أنهما اخترقا الفراش وأحدثا به فجوة تناثر الريش على إثرها، لم يعد الفراش الآن صالحًا للاستعمال أبدًا، لكن هذا لا يُهم الآن، فما

المُهم فقط أن الحلم البعيد بدا قريبًا للغاية، خاصة وأن الأمير قد عثر على نصفه الآخر أخيرًا، أو هكذا يظنان.

-ماذا !! .... هل قال الأمير هذا ؟

سأله الملك بعدم تصديقٍ ليخرج الحارس من كوّمة الريش يُعدل من عدسته الزرقاء متفوّهًا بثقة:

-نعم يا مولاي .... قال أنه سيعثر عليها

شقت البسمة ثغر الملك وهو يثب عن الفراش متجاهلًا الريش المتراكم على كتفيه وهو يقول بثقة:

-طالما أنه أقسم .... إذا سيفي بقسمه

أنهى الحديث باطمئنانٍ لأنه يعرف الإصرار داخل ابنه الوحيد، لكنه لا يعرف أن ما يتحدث عنها وما يُريدها زوجة لإبنه لم تكن الأميرة، بل كانت كاتي!!

-ماذا تفعل بحذاء الأميرة ؟

-حقًا !!.... وما الذي كُنتِ تفعلينه مع الأمير ؟

تعالت أصوّات العراك بين سامي وكاتي وهما يتقاذفان الكلمات وتعتليهما ملامح الوجوم والغضب، كلاهما يقذف التُهمة بوجه الآخر، كلاهما لا يُريد أن يعترف بخطأه، لا تستطيع كاتي أن تُخبره أنها انجذبت للأمير بسبب النقص الذي تعاني منه منذ الصغر، وهو لا يستطيع إخبارها أنه فقط آراد إغاظتها، وأنه لم يكن يعرف أنها الأميرة من الأساس، فبدلًا من أن يُفكرا بحلولٍ جدية لهذه الورطة، بدأا بتقاذف الكلمات بوجه الآخر حتى لا يحملا عبءٍ هذه الورطة على أكتافهما، وهي على أكتافهما بالفعل.

-أنتِ التي ورطتنا بهذا الأمر .... كان يُمكن أن تنهريه وتدفعيه بعيدًا عنكِ لكنكِ لم تفعلي ذلك

رفع سامي سبابته أمامها وهو يوّبخها بحدقتينٍ تتقدان شرًا، وكانت كاتي مثله وهي تصرخ بوجهه بحنجرة كادت تتمزق، فهي لسببٍ مجهولٍ تجد الغيرة تنهش أحراشها:

-على الأقل لم أذهب إليه وأدعوه إلى الرقص والتجوّل

بدت الغيرة واضحة على نبرة صوّتها وعيناها اللتان تشتعلان من الغضب، وما كاد سامي يبصقها بالحديث حتى وجدا ميليندا تتدخل بالعراك هادرة بصوّتٍ مُرتفعٍ يكاد يوّقظ العصافير ويجعلها تنقر رأسهم من الصُداع.

-هلا توّقفتما عن العراك الآن .... نُريد أن نعثر على حلٍ لهذه الورطة

توّقفت الأحاديث مرة واحدة وعمّ الصمت لفترة، ربطت كاتي ذراعيها وهي تبادل سامي نظراتٍ حانقة يُقابلها هو بمثيلتها رغم الألم الذي ينهش صدره، يعرف أنه أخطأ، لكنه ظنّ أنه سيشفي القليل من جرحه الغائر بارتكابه هذا الخطأ، وكانت هي تضع المبررات لنفسها رغم أنها تعرف ما أقحمتهم به، لكنها فقط أحبت ما قدمه الأمير لها بتلك الساعات القليلة، كانت تظن أنها فرصة لن تستطيع تعوّيضها، وها هي الآن تدفع ثمن هذه الفُرصة...!!

التف جميعهم في حلقة تفصل ما بين القصر وحافة الحديقة، فكان البعض يجلس على سور الحديقة الجيري والبعض الآخر يجلس على الحشائش، تجلس كاتي على ركبتيها بعد أن هدأت نيرانها واستعادت حكمتها وهدوؤها، هذه المرة لن تحاوّل إصلاح ما أفسده الآخرون، بل ستحاول إصلاح ما أفسدته هي.

-تقول الحكاية الحقيقية أن الأمير سيبحث عن الأميرة .... عن طريق هذا الحذاء، فمن كان على مِيقاسها، سيتزوجها

علقت غيّد على حديثها بحاجبين مُقطبين ونبرة حائرة:

-ماذا !! .... الحذاء لن يأتي إلا على مِيقاس الأميرة ؟ .... من أين تبتاع أحذيتها هذه السندريلا ؟

تدخل مارك بحديثها ليُجيب رغم جهله بتلك الحكاية المتعارف عليها، لكنه يُمارس طبيعته العلمية التي تدفعه للإجابة على جميع الأسئلة مهما كانت ساذجة، ومهما جهل إجابتها:

-لم تكن تبتاع الأحذية ... كانت فقيرة

-هل كانت تسير حافية القدمين ؟

سألته غيِّد مُجددًا وما كاد يُجيبها مارك حتى تدخلت ميليندا لتُنهي هذا العبث:

-هلا توّقفتما أرجوكما ... نُريد أن نفهم الخطة

عمّ الصمت لفترة فتنهدت كاتي لتستجمع هدوءها قبل أن تواصل:

-كان من المفترض أن يسقط الحذاء من الأميرة وهي تهرب من الأمير قبل أن_

قطعتها غيِّد مجددًا لتسأل أسئلتها البلهاء:

-مهلًا !!.... ألم تقولي أن الحذاء على مِيقاس الأميرة ؟.... كيف سقط منها وهي تركض ؟

قطبت كاتي حاجبيها ببعض الجهل وهي تُجيب:

-لا أعرف .... ربما تعركلت في شيءٍ ما .... هذا لا يُهم على أي حال .... المُهم الآن هو أن نبحث عن الأمير ونُعطيه هذا الحذاء ونُخبره أن يعثر على الأميرة....

كان حكيم في وادٍ آخر ينصت إلى حديث كاتي بلا اكتراث ويُسلط عيناه صوّب سامي الذي كان يحمل الحذاء ويُدثره بين راحتيه، كلاهما يجلس على السور يتابعان كاتي وهي تقول المهمة التي بدت بسيطة بالنسبة لهم، فبعض الخداع والتنازل قد يُجديا نفعًا، على الأقل لن يتعيُّن عليهم ارتكاب كارثة أخرى، وهذا ما ظنوه حتى الآن.

-بقولِك إيه يا سطا .... ما توّريني الجذمة دي كدة عايز اشوفها

همس حكيم بتلك الكلمات بأذن سامي بعد أن ربت على كتفه وآشار بعينيه صوّب الحذاء اللامع الذي لن يراه مرة أخرى بحياته.

-لأ

آجابه سامي بنبرة قاطعة حتى لا يلح على الأمر وهم بحاجة جامة لهذا الحذاء، لكن حكيم بدى كالطفل وهو يحاول أخذ الحذاء من سامي متفوِّهًا:

-ياض بقولك هات مش هعمله حاجة

وبحركة سريعة كان حكيم قد انتشل الحذاء من راحتي سامي مما جعل الآخر يُزمجر ويلوح الغضب على وجهه، فكان يحاول استعادة الحذاء وحكيم يحاول إزاحته بذراعيه حتى يتركه وشأنه، فهو لن يلتهم الحذاء على أي حال، فقط آراد أن يراه ليُشبع فضوله ولهفته التي تعادل لهفة طفلٍ صغيرٍ وجدٍ لعبة غريبة على الأرض وأصرٌ على أن يلتقطها رغم أنها لا تخصه.

-ولا ... هات الجذمة

بدأ القلق يسري بوجه سامي وهو يحاول استعادة الحذاء خوٌفًا من أن يحدث له شيئًا، فنجاح المُهمة يتوٌقف عليه، وإن لم ينجحوا سيعلقوا هنا للأبد.

التقط حكيم قلقه الجام فأخذ يدفعه برفقٍ حتى ابتعد سامي باستسلامٍ واستماعٍ لحديث حكيم المُطمئن:

-متخافش مش هيحصلها حاجة .... دي جذمة سحرية

كان قد استمع مُسبقًا إلى حديث كاتي وهي تُخبرهما أن هناك جنية أعطت هذه الملابس والحذاء للأميرة حتى تساعدها على الذهاب إلى الحفل، لكن نظرات الشك بقيت تلوح على وجه سامي وهو يطالع حكيم بمزيج من القلق والغضب، وكان حكيم لا يزال يحاول طمئنته بأن لا شيء سيحدث للحذاء لأنه ببساطة .... سحريًا.

-بقولك متخافش .... مش هيحصلها حاجة، دي سحرية يعني أكيد مش هتتكسر .... حتى بُص

أنهى الحديث وهو يُلقي الحذاء بقوة على الأرض حتى يثبت صحة حديثه، فما إن ألقى الحذاء حتى علُت شهقاتهم وانقبضت أوزارهم، اتسعت حدقتي حكيم وهو يرمق ما فاجئه، يرمق الحذاء الذي تفتت مئة قطعة وأصبحت شظاياه تتناثر في كل مكان.

عمٌ الصمت مرة واحدة، لكنه الصمت الذي يسبق العاصفة، بدأت وجوههم تتحوٌل إلى الأحمر وتتخذ من العديد من الألوان وشاحًا لها، وجهوٌا نظراتهم ببطءٍ شديدٍ صوٌب حكيم الذي ازدرد ريقه في هلعٍ وظنٌ لوهلة أنه سيُقتل هنا، وعلى أيديهم **!!** ارتجف بدنه وتوٌقفت الكلمات بحلقه، فهو لم يتوٌقع أن الحذاء سيتهشم.

طفق يزدرد ريقه وهو يطالع نظراتهم الجحيمية ثم يوجه نظراته صوٌب الحذاء المحطم كأملهم بالضبط في النجاة، وما كان منه سوى أن قال جملة واحدة كانت كالفتيل الذي سيُفجر قذائفهم بوجهه:

-مـ..مـ..مطلعتش سحرية تقريبًا!!

الفصل الرابع عشر (لوسيفير)

حياتنا ظالمة لدرجة تجعل المسالم يتحوَّل إلى ظالم، والظالم يتحوَّل إلى مهزوم، أما الأحمق، فهو لا يتم وضعه في هذه الحِسبةِ من الأساس...

يرتجف بدنه وهو يطالع نظراتهم الجحيمية التي كادت تقتله وتُرديه صريعًا، ابتلع ريقه وهو يثب بهدوءٍ عن مقعده عازمًا على الفرار، سينشطر إلى نصفين إذا بقي لثانية أخرى أمام نظراتهم الجحيمية، لكنه لم يحسب حساب ثوّرتهم التي انفجرت بوجهه كما انفجرت قُنبلتي هيروشيما وناجازاكي، هروَّل حكيم بأقصى ما لديه داخل الحديقة وهروّل بقيتهم وراءه والسبابات تنطلق من أفواههم، وكان حكيم يهرول كفريسة تهرب من صيادها.

-ظننتها مسحورة ... أقسم أنني ظننتها مسحورة...

بقي يُرتل هذه الكلمات المتوّسلة وهو يهرول في الحديقة حتى أمسكه سامي من تلابيبه وكاد يُمزق ثيابه وهو يدفعه للأمام والخلف راميًا إياه بنظراتٍ رعدية كادت تُذيب الآخر رعبًا، بقي حكيم يعتذر لهم بتوّسلاتٍ عِدة جعلتهم يتحلوّن بالهدوءِ تدريجيًا لتبقى نظراتهم الحادة فقط هي ما تصوّب نحوه كالسهام المارقة.

تركه سامي وشأنه واكتفى بسبه بصوّتٍ خافتٍ ثم وضع يده على خصره هاتفًا بتذمر:

-ما الذي سنفعله الآن ؟

حاول حكيم ضبط ملابسه التي كادت تتمزق بينما تنهدت كاتي وغرقت في تفكيرٍ عميق أنهته بسبابة مرفوعة وكلماتٍ واثقة:

-لدي فكرة أخرى .... لكنها ستتطلب بعض الجُهد

انتبه الجميع لحديثها فرفعت ذراعها لأعلى وأخذت تلوّح به وهي تشرح خطتها:

-سننقسم إلى ثلاثة فرق .... أنا وسامي، سنذهب إلى الأمير ..... غيّد وميليندا، سيذهبان إلى الأميرة ..... وحكيم ومارك، سيذهبان إلى الملك ..... علينا أن نُعيد الحكاية من بدايتها، لكن على طريقتنا!!

ساد الصمت بينهما أثناء طريقهما إلى قصر الأمير، لا تعرف لماذا اختارته ليرافقها في مهمة كهذه، كان يُمكن أن تختار ميليندا أو غيِّد لكنها خشت من تعلق الأمير بإحداهما ويتدهوَّر الأمر أكثر، كان من الممكن أيضًا أن تصطحب حكيم أو مارك لكنها لا تجدهما مناسبان لمهمة كهذه، ربما لأنها تشعر بالراحة أكثر وهي مع سامي، أو ربما لأن سامي هو أكثر من يفهمها، أو لأنها تُريد إخباره عن سبب ما فعلته مع الأمير ولماذا استسلمت له وهي تعرف عواقب ما تفعل، لا تعرف حتى لماذا تُريد إخباره، لكنها تشعر بالرغبة في فعل ذلك، كما تشعر أيضًا أنه يحمل كنزًا من الأسرار يخشى إظهارها أمام الجميع، وما أكد شكوكها هو تلك النظرات المُترددة في عينيه، نظرات من يُريد أن يبوح بشيءٍ ما لكنه لا يعرف، أو لا يجد الفُرصة، لذلك قررت أن تبدأ الحديث أولًا قبل أن يظهر أمامهما الأمير، فهما يقفان على مقربة من القصر يتابعان الشرفة من بعيدٍ حتى يقف الأمير داخلها ويبدأا الخطة.

-أتذكر حينما أخبرتك أنني أشعر أنك تُخفي شيئًا ؟

انتبه سامي على سؤالها فالتفت نحوها بنظراتٍ مُترقبة اكتفى معها بالصمت ليُتابع استرسالها بالحديث:

-كُنت أقول ذلك لأنني وجدت تلك النظرة بعينيك .... النظرة التي تترجى صاحبها للحديث....

أسبلت عينيها لأسفل وهي تواصل بصدق:

-تلك النظرة كُانت تُصاحبني دائمًا .... ولا تزال تصاحبني حتى الآن

تنهدت تنهيدة عميقة وبقيت فترة في حالة من الصمت وكان سامي يراقبها بنظراتٍ مبهمة ودٌ معها لو يستطيع البوّح عمَّ يكنيه بداخله لكنه لسببٍ ما يشعر أن لسانه قد عُقد وفقد القُدرة على النُطق.

-وأنا مراهقة .... كانت الفتيات بعُمري يتسكعن مع رفاقهن ويتمتعن بزواخر الحُب والغرام .... لكنني...

لاحت بوادر الحُزن على وجهها وهي تواصل:

-كُنت وحيدة .... لم يشأ أحدهم أن يرافقني، حتى الفتيات، كُنت أكتفي بأخواتي ببيت الرعاية، لكنهم كانوا مختلفون، وكانت معاملتهم معي وكأنه واجبٌ عليهم .... اكتفيتُ بمراقبة الفتيات من بعيد، مراقبتهن مع فارس أحلامهن، مع من يُبدل حياتهن للأفضل ..... كان الضيق ينحر فؤادي كلما تذكرت أنني لن أضحى مثلهن أبدًا .... فأنا مُجرد فتاةٍ يتيمة .... لم يُحبها والديها، فكيف سيُحبني الأغراب ؟

صمتت بعد حديثها وكأنها أفرغت ما بجعبتها، أخبرته لماذا انجذبت لحنان الأمير، ولم تُخبره أنها تعلقت به هو الآخر، يكفيها خُذلانًا بعد الآن، لا تزال تتذكر حينما كانت بالمراهقة واعترفت بحُبها لفتى يكبرها بعام دراسي، لا تزال تتذكر كيف افتضح أمرها بالمدرسة وكيف سخر منها هذا الفتى وعبث بمشاعرها حتى باتت حديث الصباح والمساء بالمدرسة، تحطم فؤادها وتحطمت كرامتها، لم تُعد ترى نفسها جديرة بهذا الحُب والحنان، ليست جديرة بأن يُعجب بها أحد، دائمًا ما تنظر إلى نفسها نظرة دونية مُستحقرة، تكتفي بحُب الأطفال لها بسبب براءتهم التي تختلف عن قسوة العالم، لكن لا يزال هناك جزءٌ بداخلها يتمنى تلك اللحظات القليلة التي قضتها مع الأمير، وتتمنى أن تضحى حقيقية.

-ربما يُحبونكِ وأنتِ لا تعرفين ذلك

لا يعرف كيف انبثقت هذه الكلمات من جوّفه، لكنه يُدرك أنها من المرات القليلة التي يصدق فيها مع نفسه، فكان يتأمل ملامحها البريئة ونظرة الحُزن في عينيها، يُريد حمايتها من شرور هذا العالم لكنه يخشى أن تتطلخ بشروره هو.

انتبهت لحديثه العفوي فاستدارت نحوه بنظرات مُبهمة قطعها هو بكلماته الصادقة:

-أنا أيضًا أخفي شيئًا .... بل أخفي شيئين

زادت عوالم التيه على وجهها بينما كان الارتعاد يُصيب جسده وهو يتحدث:

-وُلدت في مدينة بسيطة، ودولة تخلو من الفُرص ..... لسنواتٍ طويلة كُنت أحاول إثبات أنني شيئًا قيِّمًا .... لكن مع الأسف، يبدو أن القيمة لا تقاس بالاجتهاد والمثابرة .... بل تُقاس بأشياءٍ أخرى، لم أعرفها سوى بعد فترة طويلة

كانت كلماته تحمل شيئًا من الغموض والاعتراف، وكان الارتجاف والقلق يزدادان أكثر في كلماته ليتلطخ صوّته ببعض الحرج وهو يواصل:

-لم أكن أبحث عن الحُب مثلكِ .... بل على العكس تمامًا، كنت أزيح الجميع من حوّلي، طالما لن يفيدني هذا الشخص، فلا داعي من وجوده في حياتي .... هذه كانت قاعدتي بالحياة .... القاعدة التي أفقدتني جميع أصدقائي، حتى خطيبتي السابقة .... تركتني لأنها علِمت أنني أستغل مكانة والدها .... اعتقدتُ أنني على وشك العثور على طريقي، لكن الأمر كان يزداد تدهوّرًا .... أضفتُ على نقمة الفشل، نقمة الوحدة .... فأصبحتُ وحيدًا وفاشلًا

لاح الجمود على وجهه وهو يواصل بنبرة تحمل القليل من الغضب:

-ضِقتُ ذرعًا من هذه الحياة .... ضِقتُ من الوظائف المُتدنية التي لا تتوافق مع شهاداتي الجامعية، ضِقتُ من رؤية زملائي بالجامعة وقد ارتقو إلى المناصب العُليا رغم أنهم أفشل مني، فقد وصلوا إلى هذه المكانات بسبب وسائطهم .... أما أنا .... كُنت من عائلة أقل من عادية، ليس لدينا وسائط، والدٌ يعمل موظفٍ في الضرائب العامة، ووالدة عاطلة عن العمل تكتفي برعايتي والاهتمام بالمنزل.... لم يكن أمامي سوى اختيارين فقط، أحدهما أن أبقى وأكتفي بالفُرص القليلة التي أتيحت لي .... والأخرى تتلخص في الهرب من البلاد والعثور على فرصة في دوّلة أخرى....

وجه بصره نحوها ليطالع اهتمامها بحديثه ويواصل رغم ما يعتمره من الخوف:

-اخترتُ الفرصة الثانية .... لكن لكي أختارها، تعيّن علي التضحية بأهم ما أملك

أخذ نفسًا عميقًا ثم أطلقه ليُفجر قنبلته أمام حدقتيها المتسعتان وعوالم الترقب التي تلوح على وجهها:

-والداي!!

عمُ الصمت بينهما بعد ما قاله سامي وما أفشاه من أسرار، تبلم وجه كاتي وتحوّل تدريجيًا إلى السُخط والحنق، ثم الانكار وعدم التصديق، أو الجهل، ما الذي يقصده بوالداي ؟ ... هل قتلهما ؟ هل باع أعضائهما لتُجار أعضاء ؟ هل تسبب بسجنهما ؟

كل تلك الأسئلة تلوح في ذهنها وتزيدها خوّفًا وقلقًا، خوّفًا من سامي وقلقًا عليه، لكنه أوقف تعذيبها الذهني بكلماته المُفسرة والتي كانت تحمل حطامًا يُشبه حطام منزلٍ تم تفجيرة بقذيفة من أقوة القذائف:

-أخبرتهما أنني أريد السفر ... وأنني بحاجة للأموال وبحاجة إلى حسابٍ بنكيٍ ضخم .... لكن والدي لم يوافق، لم يُريدني أن أبتعد، أخبرني أن بلدتك أولى بهذا الجُهد الذي ستبذله في بلدة غربية ... وأنا أخبره أن دوّلتي لا تحتاجني ولا تعتبرني موّجودًا من الأساس.... لكنه لم يوافق أيضًا ورفض إعطائي أموالًا حتى ... لذلك هاجرت دون علمهما .... وبالنسبة للأموال....

اسبل عينيه لأسفل وهو يواصل:

-إضطررت لسرقتهما!!

جُمدت أطرافها وتخشب جسدها أمام حديثه الصادم، حتى أنها لا تعرف كيف استطاع أن ينطقه، كيف يُخبرها أنه سرق أبويه بهذه البساطة، ألم يقل أن والديه من البُسطاء، هذا يعني أنه سرق جميع أموالهما، جميع ما ادخراه للمسُتقبل، أو ما يُبقيهما على قيد الحياة، أخبرها سامي أيضًا أنه اضطر لسرقة الذهب الخاص بوالدته وراتب والده كاملًا، أخبرها أنه وضيعٌ لدرجة جعلته يطعن والديه بصدريهما ويتركهما على الحضيض من أجل مصلحته الشخصية، كانت تُريد لكمه في تلك اللحظة، تُريد الانفجار بوجهه وتلقينه درسًا يُعلمه كيف يحترم أبويه ويُقدرهما، والأغرب أن الأحاديث تنطلق من جوّفه بصورة عادية تتحوّل تدريجيًا إلى الغضب وكأن والداه هما من دفعاه لسرقتهما.

-سرقتهما !! .... سرقت والديك!!

انفجرت بوجهه بتلك الكلمات التي جعلت الغضب يحاوطه أثناء تبريره:

-نعم سرقتهما .... كان من المُفترض أن يُعطياني المال مُنذ البداية_

-لكن لم يكن يجب أن تسرقهما .... كان يجب أن تستمع لحديثهما جيدًا، وإذا آردت السفر لهذه الدرجة كان يجب أن تفعل ذلك بعيدًا عنهما

زم شفتيه باعتراضٍ على حديثها الذي لم يرضي رغباته، فكان يعتقد لوهلة أنها ستواسيه وأنها ستُخبره أن الحياة هي السبب وليس هو، فهذا الذي يقوله لنفسه دائمًا، الحياة هي السبب، هي التي دفعته لذلك، هي التي مهدت طريقه ليضحى بهذه الوضاعة.

-أنتِ لا تفهمي شيئًا .... لم يكن لدي خيارٌ آخر

ارتفع صوّته وهو يُهاجمها بكلماته الحادة، وكانت هي تشطاط غضبًا من تبريره وتدحضه بقولها:

-كان لديك وأنت لم تُفضله .... أتعرف كم شخصًا في هذا العالم يتمنى فقط أبوين ؟

أطلق النيران الحارقة من جوّفه بعد حديثها وقد قرر في هذه اللحظة أن يلوذ بالصمت، ربما لأنه لا يريد العراك معها، أو ربما لا يُريدها أن تؤثر به ويشعر بالذنب فيتحطم فؤاده ويزداد احتقارًا لنفسه، ولّى نظراته بعيدًا عنها دون أن ينبس ببنت شفة، شعرت هي في تلك اللحظة أنها زادت جرحه وأنه لن يتحدث معها حتى نهاية الرحلة، لذلك لم تشأ أن تواصل الحديث كي لا ينفجر بوجهها مرة أخرى، اتخذت من الصمت ثوُبًا لها وبقيت تُراقب شُرفة الأمير تارة ونظراته الحانقة تارة أخرى.

ما هي إلا لحظاتُ حتى ظهر الأمير قبالتهما ليستند على سور الشرفة ويتمتع بتلك الطبيعة الخلابة، لم تلتفت كاتي نحو سامي وهي تتقدم صوّب القصر متفوّهة بتقريرٍ وجفاء:

-هيا لنذهب....

هذه المنازل البسيطة ذات الحجارة العتيقة ذكرتها بتلك المنازل التي كانت موجودة بمدينة الجميلة والوحش، لكن هذه المرة، كانت القرية تنطق بالكآبة، لا يوجد بها حياة، حتى أن سكان المنطقة نادرًا ما يلتقون بشوارع المدينة، فلا يوجد سوى الحمام والعصافير وكلاب الصيد، تتجوّل ميليندا في أعقاب هذه المدينة تُفكر في

حكاية الأميرة ومدى قُربها من حكايتها هي، فوالدتها أيضًا قد توّفت وهي بعُمرٍ صغير، وزوجة أبيها تعاملها معاملة الأعداء حتى وهي فتاةٌ صغيرة، كما أن زوجة أبيها لديها فتاةٌ بنفس عُمرها، ودائمًا ما تسرق أمتعتها وتعاملها بالسوء كوالدتها، الفرق الوحيد أن أبيها لم يكن مُختفيًا، بل كان على قيد الحياة، ولا يزال كذلك، الفرق أنه كان يتجاهل الأمر، يكتفي بملاطفتها ببعض الكلمات ولا يكترث بمَ تفعله زوّجته، وهذا ما يجعل حكايتها أكثر قسوة من حكاية السندريلا.

-أتعرفي .... هذه السندريلا تُذكرني بنفسي ... فأنا أيضًا لدي زوجة أبٍ شريرة

بدت نبرتها طفولية وهي تربط ما بين الواقع والخيال أمام غيّد التي طالعتها ببعض الشفقة لأنها تعرف هذه الحقيقة، فلطالما أفشت ميليندا عن بعض أسرارها وهما يتسامران سويًا، ولطالما انتهى الحديث بينهما في حالة من البكاء والحسرة، وكانت تعلم غيّد أنها ستتعمق في الذكريات حتى تترقرق دمعاتها، وهي لم تكن تُريد ذلك.

-وأنا أيضًا أشبه السندريلا ..... فأنا كذلك أتحوّل إذا عُدت إلى المنزل بعد مُنتصف الليل .... لكن الفرق أن والداي هما اللذان يحوّلانني

قطبت ميليندا حاجبيها بحيرة من حديث غيّد المبهم والذي جعلها تسأل:

-والداكِ !.... إلى ماذا يحوّلانكِ ؟

-إلى فتاة ليل

هكذا آجابتها غيّد بنبرة مازحة آشارت معها على طبيعتها الشرقية التي تمنعها من العوّدة إلى المنزل في وقتٍ كهذا وإلا سيعتقد والداها أنها تعمل بإحدى الملاهي الليلية، لم تكن تفهم ميليندا حديثها في باديء الأمر لكن سُرعان ما انفجرت بالضحك لتُشاركها غيّد ويضحك كلاهما ضحكاتٌ مازحة تناسيا معها ما يحدث حوّلهما من كوارث لا تنتهي.

توّقفت أقدامهما أمام منزلٍ فسيحٍ بُني من الطوب العتيق الذي استحال لونه إلى الرمادي، آشارت غيّد بإصبعها صوّب نافذة عالية يبدو عليها القِدم، كانت على خِلاف جميع نوافذ القصر النظيفة والأنيقة، وما لفت انتباههما أكثر هو هذا الطيف

الذي يتحرك خلف النافذة والعصافير التي تقف على الحافة وكأنها تتأمل صاحبة هذه الحُجرة النائية.

-إنظري .... أعتقد أن هذه هي الأميرة

قالتها ميليندا وهي تُشير بإصبعها صوّب النافذة فتنتبه غيّد وتتحرك بخطواتٍ هادئة تبعتها ميليندا وهي تتلفت يمينًا ويسارًا بحثًا عن أي منفذٍ لهذا الباب.

-كيف سنتحدث معها ؟

سألت ميليندا وهي تقترب أكثر نحو القصر حتى بات جسدها ملاصقًا له، وغيّد تتبعها وتتلفت حوّلها في حيرة، أخذت حدقاتها تتلفت يمينًا ويسارًا إلى أن وقعت عينيها على حجرة صغيرة ملقية على الأرض؛ سُرعان ما لمعت الفكرة برأسها لتبتسم ابتسامة هادئة وترفع نظراتها صوّب ميليندا متفوّهة:

-جائتني فكرة.....!!

حافظ على أملك حتى ولو لم يكن موّجودًا، فأغلب الآمال تأتي من العدم، هذا ما يُفكر به كلًا من مارك وحكيم وهما في طريقهما لتنفيذ المُهمة، خطواتهما مُترددة وجسدهما محفوفٌ بالخوّف والقلق، لا يعرفان ما الذي سيواجهانه، لكن عليهما المواجهة أيًا كانت النتيجة، فهما لا يُريدان البقاء هنا كبقيتهم.

-هل تعتقد أننا سننجح ؟

سأل حكيم ببعض الشك وهو يسير بجوار مارك الذي قهقه بخفة قبل أن يُجيب بثقة:

-هل حقًا تسألني ....!! بالطبع لا أعتقد

أومأ حكيم باستسلامٍ وبعض من المزاح:

-كم طمأنني حديثك

توّقفا قبالة القصر يتصنعان الرُقي والتحضر وهما يُخبران الحرس برغبتهما برؤية الملك وأن هذا له علاقة بالأمير، الأمر الذي جعل الحُراس يراقبونهما بحيرة لفترة

ثم يفسحون الطريق لهما ويتبعونهما داخل القصر صوّب حُجرة الملك، تحركا على الممر الطويل والتماثيل الكلاسيكية التي تجعلك لوهلة تعتقد أنك عُدت إلى الوراء، حيث عصر الملوك والأمراء، فكانت العساكر الحديدية تقف بشموخٍ على الأطراف والذهب المُرصع في كل مكانٍ آضاف جاذبية فوق جاذبيةً القصر.

عدّل مارك من هندامه وحاول المحافظة على شموخه قبل أن يطرق الحارس باب القصر ويأخذ الإذن من مولاه قبل أن يسمح لهما بالدخول، تنحنح حكيم وهو يدلف الحُجرة أولًا يتبعه مارك الذي بقي في حالة من الكِبر والاستعلاء لعله بتلك الطريقة سيجذب الملك، لكن على عكس ما حدث، كان الآخر يتناول طعامه ويتجرّع نبيذه ثم يضع كأسه على الطاولة برزانة قال معها بعد أن تفحصهما لوهلة:

-من أنتم ؟

طغى الارتباك على جنبات مارك وحكيم وهما يقتربان من الطاولة التي تفصل بينهما ويحاولا تنظيم الأحاديث حتى لا يُفاجئا الملك:

-نحن أصدقاء الأمير

هكذا قال حكيم بعفوية دون أن يحسب لها حسابًا؛ زادت عوالم الملك حيرة وهو يُقطب حاجبيه متسائلًا:

-أصدقاء !! .... عجيب !!... هل كان للأمير أصدقاءٌ هنا ؟

ظنّ مارك أن أمرهما سيُكشف فحاول إنقاذ المؤقف بكلماته المتلجلجة:

-لسنا أصدقاءه بالمعنى الحرفي ... نحن فقط .... أصدقاء الفتاة التي رقص معها بالحفل

بصقها بُسرعة وكأنه لا يُريد للملك أن ينتبه إلى ما قاله، لكن الآوان قد فات، فما إن بصق هذه الكلمات حتى تحوّل الملك من الشخص الرزين إلى الذئب الذي يسيل الزبد من فمه أمام لقمة سغية، نزع المحرمة التي كانت يُدثرها داخل ملابسه ووضع راحتيه على طاولة ليرفع جسده عليها متفوّهًا:

-ماذا !!.... أنتم تعرفونها ؟...إذا أين هي ؟ ما هو اسمها....

سرعان ما تحوّلت لهفته إلى حماسٍ صبيانيٍ جعله يزحف نحوهما على الطاولة ويُحرك يديه بأملٍ وسعادة:

-هل أتيتم لتُخبرونني أين هي ؟ ..... هل سيتزوجها الأمير أخيرًا ... يا إلاهي كم أنا سعيدٌ بهذا الخبر....

بقي يتحدث بهيستيرية وسعادة بالغة أخذ معها يتحدث عن الزفاف والحفل الباهر ثم عن أحفاده ولعبه معهما طوال النهار أمام حكيم ومارك اللذان زاد ارتباكهما وبدأا يتبادلان النظرات في حيرة، كيف يُخبرانه أنهما أتيا ليُخبراه أن الأمير يجب أن يبتعد عن هذه الفتاة!!

-يا مولاي .... نحن ... نحن أتينا لنُخبرك أن هذه الفتاة لا تصلح للأمير

قالها حكيم بُسرعة وارتباكٍ جعل الملك يتوّقف عن الحديث لتتسع حدقتيه في صدمة تتحوّل تدريجيًا إلى الغضب:

-ماذا!!

بدأ وجهه يتحوّل إلى اللون الأحمر وصوّت الزمجرة ينطلق من فوهه، هل أتا هذين الأحمقين لتدمير مُستقبل ابنه الوحيد ؟ هل يُريدان أن ينغصا عليه حياته ؟ يقسم أنه لن يتركهما على قيْد الحياة!!

أمسك سكينًا كان موّضوعًا على الطاولة وطفق يلوّح بها أمام مارك وحكيم اللذان انكمشا وتراجعا للوراء لينقض الملك عليهما ويحصرهما بزاوية الحُجرة:

-ما الذي تعنيانه بأنها لا تصلح ؟. ... هل تُريدان إفساد الزيجة ؟

صك على أنيابه بغضبٍ وكاد يهوّي بالفعل بالسكين عليهما مما جعل حكيم يلتصق بمارك موّلولًا:

-هذا الملك مجنون!!

انهمرت قطرات العرق على وجه مارك وهو يزدرد ريقه أمام الملك الغاضب الذي لم يتوّقف عن تهديدهما وسبهما حتى قال مارك بارتباك:

-يا مولاي .... نحن نُريد مصلحة الأمير

آضاف حكيم على حديثه ليُحيك كذبتهما:

-فهذه الفتاة مريضة بمرضٍ خُطير ..... تعاني من السرطان

قالها حكيم بثقة جعلت الملك يُقطب حاجبيه بحيرة وتيه، فهو لم يسمع حتى عن هذا المرض، الأمر الذي جعل مارك يضرب حكيم بكتفه حتى لا يتفوّه بالمزيد من الحماقات ويكشف أمرهما:

-لا يوجد هذا المرض هنا أيها الأحمق

همس بهذه الكلمات الحانقة بأذن حكيم الذي آجابه بهمس:

-وما الذي سنقوله ؟

آجابه مارك بنظراته الواثقة التي وجهها صوّب الملك وهو يقول:

-عفوًا يا مولاي .... هذه الفتاة التي أحبها الأمير .... ليست من الفتيات

ازداد التيه على وجه الملك بينما لاحت الغرابة على وجه حكيم من حديث مارك الذي كاد يُترجمه بطريقة خاطئة لولا ما قاله مارك:

-أقصد أنها ملعونة ..... ليست من البشر، فقد حوّلتها الجنية إلى الفتاة .... وأخبرتها أنها إذا تزوّجت من إنسيٍ .... ستعود إلى حقيقتها .... ولن يستطيع الأمير أن يُنجب منها

بدأ الملك يقتنع بحديثه غير المنطقي تمامًا، بينما كان حكيم يطالعه ببلاهة ولا يعرف من أين أتته الفكرة:

-وما هي حقيقتها ؟

سأله الملك بفضول وما كان من مارك سوى أن آجابه بسرعة ودون تفكير:

-حِمار .... كانت حِمارًا .... وحوّلتها الساحرة إلى فتاة

اقترب حكيم من أذن مارك ليوّبخه بهمس:

-حِمار !! .... كاتي ستقتلك إذا استمعت إلى هذا الحديث

تدارك مارك ما قاله وما ستفعله كاتي إذا علِمت تلك الحُجة الحمقاء التي يبدو أنها انطليت على الملك، فما هو غير منطقي في واقعهم، يضحى منطقيًا هنا، حتى أنه بدأ يُفكر في اللحظة التي ستعود فيها تلك الفتاة إلى أصلها ويضحى ابنه متزوِّجًا من حمارٍ، الأمر الذي جعل غضبه يتلاشى ويحلُّ محله حُزنٌ عميق، فهو قد فشل مجددًا في العثور على زوجة جيدة لابنه الوحيد، وما يشغل باله أكثر هو قلب وحيده الذي على الأحرى سيتحطم إذا علِم أن الفتاة الوحيدة التي ابتغاها لم تكن سوى حمارًا متحوِّلًا ملعونًا.

-هذا يعني أن الأمير لن يعثر على نصفه الآخر ؟

قالها بحُزنٍ عميقٍ وأكتافٍ مُتهدلة جعلت حكيم ومارك يرمقانه في حالة من الصمت القصير حتى تدخل حكيم:

-بالطبع لا .... نحن نعرف الأميرة المناسبة .... الأميرة التي ستأسر الأمير من أول نظرة .... نُريد مساعدتك فقط حتى نُقربهما سويًا

عادت السعادة تغزو ملامح الملك ليعود معها الجنون ويبدأ بالتلويح بسكينه والانقضاض على ملابسهما مما جعل كلاهما يلتصقان بالحائط ويُفكران جديًا بإيداع هذا الملك المجنون بمشفى للأمراض العقلية، فهو يلهو بالسكين وكأنه طفل صغير.

-أين هي هذه الأميرة ؟ .... كيف سنصل إليها ؟ ما هو اسمها ؟ ما هو لقبها ؟ هل هي جميلة ؟ ... هل هي فاتنة ؟ هل تستطيع الانجاب ؟...

لم يتوّقف عن أسئلته المتلهفة وهو يُحركهما من ياقة ثيابهما ويجعلهما يحنيان ظهريهما إجباريًا لتتقابل عينيهما المصدومة مع عينيه، الأمر الذي جعل مارك يعود إلى طبيعته الحانقة ويدفع الملك عنه بهدوءٍ ثم يُهندم ملابسه ويقول:

-ويحك يا مولاي .... سنُخبرك بكل شيء ... لكن عليك أن تُنفذ ما نريده أولًا

تركهما الملك واكتفى بإيماءة متلهفة مُطيعة وهو يسألهما بعينيه عمَ يُريدان، هذا ما جعل حكيم يُجيبه بما اتفقا عليه:

-نُريدك أن تحضر لنا فستانًا....!!

وضع راحتيه على سور الشُرفة يتأمل أزهار الحديقة ويُطرب لصوّت العصافير المُغردة، يُفكر بليلة البارحة وما حدث بها، يُفكر بتلك الفتاة التي أسرت قلبه من اللحظة الأولى، ملامحها الفريدة من نوّعها استطاعت أن تستكين على عرش فؤاده وتمنعه من رؤية ما هو أجمل منها، لكن متى سيراها مُجددًا ؟ متى سيلمح طيفها ولو من بعيد ؟ هو حتى لا يعرف اسمها، لا يعرف سوى عينيها العسليتين وملامحها الهادئة التي يستطيع استخراجها من بين ملايين الفتيات، فهي فريدة من نوّعها، لا يوجد ما يُشبهها هنا، ولا يعتقد أنه سيعثر عليها بهذه السهولة، لكنه سيحاول، سيحاول حتى ولو كان ذلك آخر ما يفعله بحياته.

استمع إلى أقدامٍ هادئة تقترب نحوه يبدو أنها تصعد الدرجات؛ استدار ببطءٍ صوّب هذه الخطوات ليتيبس جسده على الأرض وتجحظ عيناه، هل يراها أمامه أم أنها من وحي خياله ؟ هل عادت من أجله أم أنه فقط يتوّهمها ؟

-مرحبًا

أردفت كاتي بهدوءٍ جعلت نبضات قلبه تزداد سرعة وبسمة هادئة تُرتسم على شفتيه وهو يقول بعدم تصديق:

-هل عُدتِ ؟

سألها بلهفة طاغية جعلتها ترتبك وتتوتر، لكنها مع ذلك حافظت على صلابتها وهي تتحدث:

-لم أرحل من البداية ... أنا فقط...

توّقفت عن الحديث لتستجمع كلماتها أمام الأمير الذي وجدته يقترب نحوها ويرميها بلهفته التي زادته جاذبية، حتى أنها شعرت بالضعف لوهلة لكنها تماسكت وواصلت كلماتها:

-أعرف أن ما سأقوله سيبدو قاسيًا .... لكن لقائنا سويًا لم يكن صائبًا .... نحن من عالمين مختلفين، لا يجب أن يتلاقيا_

قطع الأمير حديثها وهو يُحدق بعينيها ويمدُّ يده ليلتقط أناملها مما جعل سامي يستشيط من الغضب أثناء مراقبته لمَ يحدث من بعيدٍ وفق تعليمات كاتي، فهي قد أخبرته أن يتدخل في اللحظة المناسبة فقط، ويتركها تُمهد الطريق للأمير أولًا.

-وما الضير في ذلك ..... الحُب لا يعرف العوالم، ولا يعرف المسافات .... سأجعلك هنا ملكة، سأفعل ما تريدينه وما تتمنين .... إسمحي لي فقط بأن أبقيكِ هنا .... في القصر، وفي قلبي

آشار على فؤاده مع آخر كلماته مما جعلها تزداد ارتباكًا وتوّترًا، تُريده أن يتوّقف عن الحديث حتى لا تسقط صريعة في هذا الحُب الخاطيء، كادت تقع في حفرته مرة أخرى، كادت تقع أمام كلماته الجذابة ووسامته ورقته المُفرطة، لكنها تماسكت، حاولت أن تتماسك قدر الإمكان حتى تصبب العرق على جبهتها، وبدأ جسدها بالارتجاف تباعًا:

-لا يجب ... أنا آسفة .... لا يُجب أن نتزوٌج

-لماذا !! ... لماذا لا يجب ؟

سألها ببعض الاندفاع الذي جعل توّترها يزداد أكثر، فهي لم تحسب لهذه الخطوة، لم تُعد الإجابة المناسبة لهذا السؤال، لأنها ببساطة لا تستطيع إخباره الحقيقة، حقيقة أنها ليست من هذا العالم، بل أن عالمها المؤّحش مجهولٌ هنا، امتنعت عن الإجابة وبدأت تُتهته بالحديث وتدوّر بحدقتيها في كل مكان بحثًا عمن ينجدها، كان هذا قبل أن يُنحي سامي ثباته على جنبٍ ويتقدم من مخبأه حاملًا معه علامات الغضب والوجوم وهو يخترق وقفتهما ويُبعد يد الأمير عن كاتي بنيران تنبثق من عينيه:

-لأنها زوٌجتي

بصق سامي هذه الكلمات بطريقة عفوية جعلت عيني كاتي تتسعان في صدمة، وكانت صدمة الأمير بالغة وهو يراقب سامي الذي يقبض على كفٍ كاتي ويطالعه

بنظراتٍ جحيمية متوّعدة وكأنه بالفعل زوّجها، ولم يكن يعرف الأمير أن هذا ما يتمناه سامي بالفعل، وليست مُجرد كذبة عفوية.

-زوجكِ !!... كـ.. كيف ؟

خرجت كلمات الأمير مصدومة من جوّفه لتزدرد كاتي لعابها وتُنحي توّترها جانبًا لتسبل بعينيها لأسفل مدعية الحرج من الأمير وكأنها أخفت عليه حقيقتها بالفعل:

-أسفة .... لم أستطع إخبارك.... ولم يكن يعرف الوزير المسئول عن الحفل لأنني لم أكن من هنا

بقي الأمير يطالعها بنظراتٍ منكسرة مخذولة بينما كان سامي يطالعه بغضب ويوّد لو يلكمه ويتخلص منه للأبد، لكن مع الأسف، هذا الأمير سيضحى سبب نجاتهم من هنا.

-أتمنى أن تبتعد عن زوجتي ولا تقترب منها مجددًا

نبس سامي بتلك الكلمات الغاضبة ليُهدل الأمير كتفيه بخُذلان ويبتعد عنهما بهدوءٍ ودموعٍ تكاد تترقرق من عينيه، حتى أنهما وجداه ينبس باستسلام:

-حسنًا ... أعتذر

التفت مجددًا صوّب الشُرفة وقرر تجاهلهما ومواصلة التأمل في تلك العصافير لعله يتناسى جرح قلبه العميق، وهو الذي كان يُفكر في مستقبلهما وكيف سيعثر عليها، ها هو الآن يتمنى تلاشيه عن العالم بعد تعرضه لهذا الخُذلان.

وجهّت كاتي نظراتها نحو سامي بعدم فهمٍ لمَ قاله ثم تركت آنامله لتقترب نحو الأمير ببعض التردد:

-أيها الأمير .... لم أكن أقصد أن أضايقك .... لكنك لست لي، لم تكن لي مُنذ البداية

لم يلتفت لها الأمير وبقي يتأمل الحديقة وهو يتنهد بضيقٍ ويقول:

-لا عليك .... أعتقد أنني لن أتزوّج أبدًا

قالها باستسلامٍ وقلة حيلة جعلت قلبها ينفطر وتتناثر شظاياه على الأرض، باتت تتمنى أن تضحى في مؤضع الأميرة حتى تنعم بهذا القلب الحنون، لكن سامي قرر أن يتدخل لينقذ الموقف:

-هذا ليس صحيحًا ..... هناك فتاة جميلة، تنتظرك على أحر من الجمر .... فتاة ستجعلك تنسى جميع من قابلتهن بحياتك، وستُعيد النظر في زواجِك

عقد الأمير حاجبيه بحيرة وأخذ يتلفت ببطءٍ صوّب سامي الذي وقف أمامه بثقة وهو يتلو هذه الكلمات، الأمر الذي جعل الأمير يسأله بفضول:

-من هذه الفتاة ؟

اقترب سامي نحوه ليمدٌ يده صوّب ذراع الأمير بحركة أخوية يُريد معها أن يدفعه ليتحرك معهما إلى منزل السندريلا، رغم أنه في حقيقة الأمر كان يُريد لكمه على وجهه الوسيم هذا.

-اتبعنا ... سنصحبك إليها....

-ما الذي تفعلينه ؟

وجهت ميليندا سؤالها نحو غيٌد التي كانت تحمل الحجارة الصغيرة وتقذفها على النافذة الخاصة بالسندريلا، تذكرت غيٌد أنها كانت تفعل ذلك في صغرها حينما كانت تقطن بإحدى ضواحي الشام وتلهو في الشوارع مع جيرانها، فكانت إذا آرادت منادتهم من منازلهم، تُلقي على النوافذ هذه الحجارة الصغيرة حتى يلتقطوا إشارتها ويهرعوا من منازلهم للعب معها، ورغم أن هذه الذكريات قد مرٌ عليها سنواتٌ عِجاف، إلا أنها لا تزال تتذكرها وتعتقد أن السندريلا ستلتقط إشارتها وستترك منزلها العتيق لتتحدث معهما، لكن ما حدث كان عكس ذلك تمامًا، فسُرعان ما وجدت العصافير تطير ذعرًا وترتفع أصواتها وكأنها تطلب المساعدة وتستنجد بأحدهم، وطيف الأميرة يختفي فجأة من النافذة وكأنها شعرت بالخطر وقررت الاختباء داخل حُجرة.

-تبًا لكِ يا فتاة !!... ها قد رحلت الأميرة

قالتها ميليندا بغضبٍ وهي تطالع نتيجة هذه الفكرة التي خرجت من رأس غيِّد، بينما كانت الأخرى تُلقي الحجارة على الأرض بتذمرٍ قالت معه:

-لم أكن أعرف أنها بهذا الجُبن ..... هي حتى لم تُفكر في من ألقى الحجارة ولماذا ألقاها

أطلقت زفراتٌ حارقة من جوّفها بسبب سذاجة هذه الأميرة التي تُشبه سذاجة بقية الأميرات، ربطت ذراعيها بتذمرٍ وتحلّت بالصمت وهي تتلفت بحدقتيها في كل مكانٍ بحثًا عن طريقة أخرى لملاقاة الأميرة، لكنها فجأة، تنتفض ذعرًا وتُطلق صيحاتٍ خائفة جعلتها تحتضن ميليندا بخوّفٍ وتُشير على الأرض متفوّهة:

-فأر !!... فأر .... ابتعد ... ابتعد...

طفقت تلوّح بيديها بهيستيرية وتعانق ميليندا بقوة مما جعل الأخرى تتذمر وتدفع غيِّد بعيدًا عنها قبل أن تتهشم عظامها:

-ما بكِ يا هذه !!.... إنها مجرد فئرانٌ مسالمة.... لا يوجد طاعونٌ هنا

هدأت غيِّد قليلًا وابتعدت عن ميليندا لتُحدق بهذا الفأر الذي يرتدي ملابس حمراء وقبعة صغيرة ويراقبهما ببلاهة، الأمر الذي جعل غيِّد تقترب من ميليندا هامسة ببعض الحيرة:

-ألم تقل كاتي أن السندريلا فقيرة ومسكينة ؟ .... كيف تأتي بملابس للفئران ؟ ثم مُنذ متى والفئران ترتدي الملابس من الأساس ؟

آجابت ميليندا همسها وقد طرأت لها فكرة قد تساعدهما بتلك المُهمة:

-لا يُهم الآن .... المهم أننا عثرنا على طريقة تجعل الأميرة تأتي هنا

قطبت غيِّد حاجبيها بحيرة سألت معها:

-وما هي هذه الطريقة ؟

لم تُجيبها ميليندا وقررت أن تُريها ما ستفعل، فكانت تحني جذعها لأسفل حتى تقترب قليلًا من الفأر الذي ازدادت عوالم فضوله وهو يستمع لها وكأنه يفهمها بالضبط:

-مرحبًا أيها الفأر الصغير ... هل تعرف السندريلا ؟

حادثته ميليندا بحنانٍ جارفٍ ونبرة ودودة حتى يطمئن الفأر ويُجيب على أسئلتها، فكانت تجده يوميء رأسه إيجابًا مما أكد لها أنه يعرفها، وربما هو من تلك الحيوانات التي يتحدث معها جميع الأميرات.

-هل يُمكنك أن تُخبرها أن تأتي إلى هنا ؟.... لدينا مفاجئة لها، مفاجئة قد تجعلها في مكانٍ أفضل

بدأت عوالم اللهفة والسعادة تلوحان على وجه الفأر وهو يوميء برأسه ويهرع بحركاته السريعة صوّب البرج مُخترقًا إياه عن طريق فتحة صغيرة تسع جسده الصغير، رفعت ميليندا جذعها لأعلى لتربط ذراعيها وتقول بانتصار:

-أرأيت كم أن الأمر يسير ؟

أكدت غيّد حديثها بإيماءة بسيطة قالت معها بتمني:

-رأيت .... ورأيتٌ كم أنني بحاجة إلى هذا الفأر بحياتي....

وقفتا لبُرهة في حالة من الصمت والانتظار، وما هي إلا دقائق قليلة حتى طلّت عليهما الأميرة بملامحها البريئة وثيابها الأقل من العادية، كانت تعقص شعرها الأصفر وتقترب نحوهما بخطواتٍ بريئة تحمل بعض الحيرة والخجل من هيئتها المزرية.

-أهلًا .... هل تريدانني ؟

سألتهما بنبرة هادئة جعلت بسمة غيّد تتسع وهي تندفع بوجهها بعفوية، وكأنها لا تستطيع الانتظار حتى تنتهي من تلك المهمة وتعود إلى منزلها:

-نعم .... نُريدك لأمرٍ ما .... الحقيقة أننا ... عثرنا لكِ على زوٌج

لا تعلم لماذا شعرت أنها خالتها التي تأتي لوالدتها بالعرسان قبل أن تبور ويفوتها قطر الزواج، وكانت سندريلا تطالعهما بحيرة ولا تفهم ما الذي يتحدثان عنهما، وكيف يعرفانها من الأساس ؟

-عفوًا ... هل قُلتِ زوٌج!!

سألتها بعدم تصديقٍ فتدخلت ميليندا بنبرة عاقلة حتى لا تُربكها اندفاعة غيٌد:

-نعم زوٌج .... الأمير!!

زادت صدمة الأميرة وعلُى الاستنكار ملامحها رغم أنها آرادت الزواج من الأمير، لكنها الآن، وجدت من يسكن قلبها ويمدها بالآمان، وجدت من تعثر عليه أخيرًا، وهو لم يكن الأمير.

-لكنني لا أريد .... أنا أحب رجلًا آخرًا...

ابتعدت عنهما وبدأت تدوٌر في المكان وهي تواصل بحالمية وهيام:

-رجلٌ وسيم .... شهامته تُعادل شهامة الأسود .... ذكي، حنون .... يفهمني دون أن أتحدث .... ويتمنى لي الخير دائمًا...

وضعت يدها على صدرها وطفقت تُحركها في الهواء بحركاتٍ درامية مبالغٌ بها جعلت عوالم الاشمئزاز تعلو وجه غيٌد التي همست بأذن ميليندا باستنتاج:

-هل تتحدث عن سام ؟

لاح الاستنكار على ميليندا وهي تُجيبها بعدم تصديق:

-لا أعرف .... لا يبدو هذا سام الذي نعرفه

بقيت الأميرة تتحدث بحالمية وتتجوٌل في المكان مُطلقة العنان لأحلامها الوردية بأن تتشعب حوٌلها ويظهر معها الأمل، الأمل في حياة أفضل من هذه التي تعيشها، الأمل في الزواج من هذا الوسيم الذي قابلته بلا مُخططاتٍ واستطاع أن يتغلغل حصوٌن قلبها ويُرمم حطامها وخُذلانها من الأمير الذي كان يرقص مع فتاةٍ غيرها.

-اسمعي أيتها الفتاة .... لا يجب أن تتزوجي هذا الرجل

اندفعت غيّد بوجهها بتلك الكلمات القاطعة التي جعلت الأميرة تطالعهما بصدمة، فكيف يعرفان عمن تتحدث عنه ؟ هي لا تعرف حقًا، وما زاد من صدمتها هو كلمات ميليندا التي آضافتها حتى تقتنع:

-نعم ... رأيناه يتجوّل معكِ بعد الحفل .... ونحن نعرف هذا الرجل جيدًا

-إنه زير نساء

-وخائن

-وحقير

-ومُجرمٌ من الدرجة الأولى

-نعم .... ويلتهم الحيوانات البريئة ويأكل لحوم البشر

شهقت الأميرة بصدمة من حديثهما المبالغ به والذي آصابها بالذهول، فهي لم تكن تعرف أبدًا حقيقته هذه، بينما كانت غيّد تهمس بأذن ميليندا ببعض القلق:

-هل بالغنا ؟

-أعتقد ذلك

هكذا آجابتها ميليندا بنبرة هامسة حتى لا تكتشف الأميرة كذبهما رغم كلماتهما المتسرعة العفوية، واقتراب غيّد من الأميرة لتُحدق بمُنتصف عينيها وكأنها تُريد أن تصيح بها بنبرة آمر وتُهددها أن تتزوج من الأمير كي يتخلصوا من هذا الأمر.

-اسمعي جيدًا .... سيأتي الأمير إلى هنا ... وسيطلبك للزواج... وأنتِ ستوافقين رغمًا عنكِ ... فهمتي

تبلم وجه الأميرة وشعرت أن جسدها تخشب من كمٌ الصدمات التي تُلقى عليها، فمن أين سيعرفها الأمير من الأساس، هو حتى لم يرها بالحفل ولا يعرف منزلها، ثم من هؤلاء وما علاقتهما بها ؟ كل تلك الأسئلة تحوم حوّل رأسها ولا تستطيع إدلاءها، فغيّد لا تترك لها الفُرصة للحديث، تتحدث بسرعة وكأنها على موٌعدٍ مع رئيس الجمهورية ويجب أن تنتهي من هذا الأمر بُسرعة حتى لا تُخلف الميعاد.

توّقفت عربة عتيقة يجرها حصانٌ بُني أصيل، لينسل منها كلًا من مارك وحكيم الذي كان يحمل صندوقًا كبيرًا وردي اللون ويقترب نحو ميليندا وغيّد الواثبتان أمام الأميرة يتوّقعان مجيئهما كما تقول الخطة.

ما إن رأتهما ميليندا حتى انتشلت الصندوق من راحتي حكيم ودفعته نحو الأميرة التي كادت تهوّي من كثرة الصدمات ومن أولئك الغُرباء، هي حتى لا تعرف إن كانوا يكترثون لمصلحتها ويهتمون لأمرها أم أنهم يخدعونها، حسنًا، أنا أيضًا لا أعرف ذلك.

-سيأتي الأمير بعد بضع دقائق .... عليكِ أن ترتدي هذا الرداء بأسرع ما يُمكن حتى يراكِ فاتنة ويطلبك للزواج....

قالتها ميليندا بلكنة آمرة رفعت بعدها سبابتها وكأنها تأمر طفلًا صغيرًا:

-انتبهي من الحيّة زوجة والدكِ .... وابتسمي ابتسامتكِ التي تأسر الأمير .... فهذه الفرصة ربما لن تأتي مُجددًا....

أنهت حديثها بلكنة تحذيرية تمنت معها أن تسري الأمور على ما يُرام ويستطيع الأمير أن يأتي هنا ويطلبها للزواج وتنتهي هذه الحكاية على خير، لكن من أين يأتي الخير مع مجموعة الكوارث هذه ؟ فبينما كانوا يُخططون ويُخبرون الأميرة عمَ ستفعله، كان هذا القُط لوسيفير_ الخاص بزوجة أبيها_ يقف على مقربة منهم ينصت جيّدًا لخطتهم، ولا يلتقط سوى كلمة واحدة، سيأتي الأمير إلى هنا!!

هذا ما جعل ابتسامته تتسع بخُبثٍ وعقله الصغير يُقرر أن يُخبر رئيسته حتى تنتبه، ولا تَسمح للأميرة بالحصول على فُرصة كهذه!!

الفصل الخامس عشر (ظننا أنها النهاية)

حتى وإن كُنت مهزومًا في أوّج المعركة، لا تترك سلاحك على الأرض وتدّعي النهاية، فالنهاية لا تأتي سوى برحيل الروّح إلى بارئها، والهزيمة لا تأتي بعد نهاية المعركة....

كجسدٍ أنهكته ضروب الحياة وظغت عليه أواصر التيه والضياع، تجلس الأميرة بعقلٍ شاردٍ وذهن لا يفهم ما يحدث، لا تعرف من هؤلاء وكيف يعرفونها وما الذي يُريدونه منها، فقط تُنفذ ما يقولانه لعله سيضحى عوّنًا لها في النهاية، حيث كانت غيّد تتحرك داخل الحُجرة العتيقة تُلقي أوامرها على الأميرة وكأنها خبيرة علاقاتٍ زوّجية، فتارة تُخبرها أن تبتسم ابتسامتها الهادئة أمام الأمير وتارة تُخبرها أن تُرقق صوّتها ليضحى كعصفورٍ يتغني بين الورود، وتارة أخرى تُخبرها أن تتغنج في مشيتها كفتيات الليل.

-هل حقًا سـ... سيأتي الأمير ؟

سألت الأميرة بشكٍ قطعته ميليندا التي أخرجت الرداء من الصندوق وبدأت تتفحصه بعينيها متفوّهة بثقة:

-بالطبع سيأتي .... حاولي فقط أن تثقي بنا

ابتسمت الأميرة ابتسامة رقيقة أومأت معها برأسها ثم تحركت أمام المرآة لتُمشط شعرها استعدادًا لملاقاة الأمير، وضعت ميليندا الرداء على الفراش لتقترب من غيّد التي كانت تتابع الأميرة بترقُب:

-هل تعتقدي أن الأمير سيأتي بالفعل ؟

سألتها بشكٍ ونبرة هامسة حتى لا تستمع الأميرة إلى سؤالها، فهي تُطمئن الأميرة طوال الوقت وهي بالأساس لا تثق أن خطتهم ستنجح، وكانت غيّد أكثر ارتباكًا منها وهي تُطمئنها:

-نعم ... لا تقلقي ... أو لا تُظهري قلقكِ على الأقل

أومأت ميليندا إيجابًا ولا يزال قلبها يخفق بقلقٍ مما قد يحدث، لكنها حاولت تجاهل الأمر والتفاؤل قليلًا لعلهم ينجحون هذه المرة بلا أية كوارث، لكنها ما كادت تُنهي أفكارها المتفائلة حتى انتفض جسدهن اثر هذا الطيف الذي هروَل بُسرعة فائقة اخترق معها الحجرة وجعل الأميرة تتوّقف عمَ تفعله بذعر وميليندا وغيّد يُطلقان شهقة مدوِّية وهما يراقبان هذا القُط لوسيفير اللذان لا يعلمان من أي خندقٍ أتى، اعتقدت غيّد أنه قُطٌ مسالمٌ هاديء كباقي القُطط لكنها تفاجأت به يقفز على الفراش ويلتقط الرداء بفمه أمام نظرات غيّد المذهولة:

-إتركها أيها الـ...

لم تكد تتم كلمتها حتى وجدته يقفز مجددًا من الفراش ويهروِّل بأقصى ما لديه خارج الحُجرة مما أوّقد الغضب داخل ميليندا وجعلها تقفز فوّرًا خلف القط محاولةً أن تنتشل الثوّب من فمه، بالفعل نجحت بالتقاط طرف الثوّب لكن القط آفاقها سُرعة وهو يهرول والثوّب في فمه مما جعل ميليندا تتعركل على الأرض وتصطدم بمنضدة صغيرة عتيقة تأوهت على إثرها، بينما كانت غيّد تحاول الركض وراءه والأميرة تتابع ما يحدث بصدمة وكأن على رأسها الطيّر، كان ذلك قبل أن يُغلق الباب بوُجه غيّد ليستمع جميعهن إلى صوّت تكة المفتاح وهو يتحرك من خلال ثُقب الباب!!

-أو لا!!

قالتها غيّد بصدمة ونظراتٍ جاحظة جعلتها تمسك مقبض الباب وتُحركه بنبضاتٍ قلبٍ متسارعة، لكن محاولاتها كانت دائمًا تبوء بالفشل، فالباب موّصدٌ بإحكام، ولا تستطيع فتحه بأية طريقة.

بقيت تُحرك مقبض الباب بكل ما أوتيت من قوة حتى وثبت ميليندا عن الأرض لتقترب نحوّها متفوّهة:

-ما الأمر ؟

آجابتها غيّد بقلة حيلة وهي لا تزال تحاول فتح الباب:

-سُجنّا!!

لاح الصمت بينهما وهما داخل العربة الملكية في طريقهما إلى منزل الأميرة، لم يحاول سامي أن يتحدث معها طوال الطريق وكانت هي أيضًا تتجنب النظر إليه وتُسلط نظراتها صوّب الطريق وكأنها تحاول تجاهل وجوده، فلا تزال غاضبة مما اعترف به أمامها، ليست غاضبة بسبب ارتكابه خطئًا كهذا، بل غاضبة لأنه لا يعترف بخطأه ويرى أن ما فعله هو الصوّاب، بينما كان سامي يوّجه نظراتٍ عابرة صوّبها وقلبه يتخبط ما بين التردد والغضب، لم يكن يجب أن يعترف أمامها، فها هي ستكرهه ما تبقى من أيامهما سوّيًا، بات يتمنى لهذه الرحلة أن تطول أكثر حتى يستطيع التبرير لها.

-كيف تبدو هذه الأميرة ؟

سألهم الأمير بنبرة رزينة هادئة وكان يوّجه سؤاله نحو كاتي متأملًا نظراتها الشاردة مما أوّقد النيران بفؤاد سامي، فنظرات الأمير لا تترك كاتي منذ استقلالهم لتلك العربة وكأنه غير موجود.

-فاتنة .... لن ترى في جمالها بحياتك

قالها سامي بنظراتٍ حادة وجهها صوّب الأمير مع كلماته المتجهمة التي لا تتوافق مع ما يقول، بينما كان الأمير يتعمّد تجاهله وهو يُحدق بكاتي بنظراتٍ عميقة قال معها متمنيًا:

-هل تُشبهكِ ؟

توّترت كاتي من كلماته الهادئة بينما تجهمت نظرات سامي وهو يقطع إجابتها بكلماته المستحقرة:

-لا .... تُشبهك أنت

كانت كلماته تحمل بعض الإهانة التي لم يفهمها الأمير فبقي يرمقه بعوالم التيه مما زاد من ارتباك كاتي وشعرت أن سامي سيُفسد الخطة قريبًا جدًا، بل حتى ظنّته سينقض على الأمير ويخنقه حتى الموت:

-يقصد أنها جميلة

هكذا حاولت تبرير ما قاله سامي بكلماتٍ متلجلجة جعلت الأمير يبتسم ابتسامة هادئة ويلوذ بالصمت أمام نظرات سامي الحارقة وارتباك كاتي الطاغي والتي كانت تتمنى الوصول إلى نهاية الحكاية في أسرع ما يُمكن، وما هي إلا لحظاتٌ قليلة حتى توّقفت العربة الملكية أمام قصر الأميرة وهبط منها بعض الحرس ليقفوا أمام القصر بينما دلف ثلاثتهم للداخل بعد أن فُتح الباب وقابلوا زوّجة أب الأميرة بوجوههم تبتسم لهم ابتسامة ماكرة وتدعوهم إلى الداخل بُرقي.

وطأت أقدامهم القصر ليُطالعوا أثاثه البسيط وهذه الدرجات العريضة التي تتوّسطه، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى وجدا فتاتين يرتديان فساتينًا باللون الأخضر والوردي واحدة منهما ذات شعرٍ أسود والأخرى ذات شعرٍ أحمرٍ، وكانا يهرولان بشغفٍ حتى وثبا أمام الأمير ينحنيان له ثم يُسبلان بأعينهما وكأنهما بهذه الطريقة سيلفتان نظره، لكنهما لم يفعلا شيئًا سوى زيادة الاشمئزاز على وجه الأمير، فأين هذه الأميرة الفاتنة التي أخبروه عنها ؟

-أين السندريلا ؟

باشر سامي بهذا السؤال بطريقة حادة جعلت زوجة الأب ترتبك قليلًا لكنها تُحافظ على ارتباكها بكلماتها الثابتة:

-عن أي سندريلا تتحدث ؟..... لا يوجد هنا سوى فتياتي الجميلات

آشارت بإصبعها على بناتها اللتان انحنيتا مُجددًا ورفعتا آناملهما على ذقنيهما وهما تطالعان الأمير بنظراتٍ مُتمعنة زادته ارتباكًا وجعلته يرغب بالتراجع أو التقيؤ، لكن سامي لم يسمح بذاك الأمر وطفق يقترب نحو زوجة الأب مُخترقًا جميع القواعد وهو يهتف بصرامة وصوّتٍ أقرب إلى صوّت حاكمٍ يأمر حاشيته:

-اسمعي أيتها المتحذلقة ..... إن لم تجعلي السندريلا تظهر الآن أقسم أنني سأقتلكِ أنتِ وبناتكِ القبيحات

أنهى الحديث بتهديدٍ جعل نظرات الغضب تلوح على زوجة الأب رغم أنها لازالت تُحافظ على ثباتها وهدوءها عن طريق قبضتيها اللتان وضعتهما على عصاها الخشبية وفتياتها اللتان استقبلتا إهانته وهرعا نحو والدتهما ليهمسا بأذنها:

-من هذا الرجل يا أمي ؟

-هل نحن قبيحات ؟

هكذا قالا لها مما جعل غضبها يزداد ونظراتها تتبادل ما بينهما وبين سامي ثم تقول بإصرار:

-لا يا عزيزتاي .... يبدو أن هذا الرجل لا يستطيع رؤية الجمال

رفعت قامتها نحو سامي لتُخبره بنبرة ثابتة حاولت معها مواجهة تهديده:

-لا وجود للسندريلا هنا

صك سامي على أنيابه ولم يعُد يتحمل غضبه، هو من الأساس يحاول كبح غضبه مُنذ بداية اليوم، لكن الآن، يشعر أن قُنبلته المؤقوتة قد انفجرت!!

-حسنًا إذا ... أنتِ التي اخترتِ

سُرعان ما أخرج خِنجرًا صغيرًا من جعبته كان قد أخذه من مغامرة الجميلة والوحش ولا يزال يحتفظ به حتى هذه اللحظة، أشهر الخِنجر على زوّجة الأب التي تفاجائت من فعلته وشهقت فتاتاها ذعرًا من هذا الرجل المجنون، وكانت كاتي تتابع ما يحدث بفكٍ مفتوحٍ وصدمة تعتلي جنباتها، هذا لا يجب أن يضحى بفيلمٍ للأطفال:

-سامي ما الذي تفعله ؟

قالتها كاتي بصوّتٍ مُنخفضٍ مُحذرٍ لم يستجب له سامي وكأنه قد فقد عقله، فكان يدفعها دفعة بسيطة بذراعه ويُقرّب نصل الخِنجر من زوّجة الأب ليُخبرها بكلماته الرعدية:

-لا تتدخلي .... أين هي السندريلا وإلا قتلتك

وجهٌ بداية الحديث نحو كاتي حتى تبتعد وهو يُهدد زوجة الأب التي لم يبدو عليها التأثر رغم نيرانها الضامرة ومشاهدتها لإبنتيها وهما تتابعانها بخوّفٍ بالغٍ، لاح الصمت بينهم ما بين نظرات سامي المُهددة وسلاحه الأبيض الذي يُشهره بغضب والأمير الذي طفق يتلفت حوّله بتيهٍ ويُريد الهرب بأية طريقة، وكاتي التي كانت أكثر إرتباكًا تتمنى أن يمُر الأمر على خير، كان ذلك قبل أن يلمحا كُتلة الفِراء هذه وهي تنقض على سامي وتخمش وجهه بمواءها الحاد وزمجرتها!!

سقط الخِنجر من يد سامي وأخذ يتأوه وهو ينزع هذا القُط عن وجهه ويتراجع للوراء حتى سقط على ظهره؛ شهقت كاتي بذعرٍ وكادت تتحرك لتنقذ سامي لولا نظرات الفتاتان الغاضبة وانقضاضهما عليها ليُعركلاها على الأرض ويشتبكا معها أمام الأمير الذي كان يُفكر جديًا بالهرب من هذا الجنون!!

-ماذا سنفعل الآن ؟

سألت غيّد وهي تجلس على الفراش وكأن على رأسها الطيّر بينما كانت ميليندا تتحرك في جميع الاتجاهات وهي تُفكر في طريقة للهرب والأميرة تجلس باستسلامٍ على الفراشِ تنهمر دموعها وتقول بقلة حيلة:

-لماذا تفعل ذلك لماذا ؟ ... ما الذي فعلته لها ؟

بقيت تنوح وتبكي حتى اقتربت غيّد نحوّها لتُربت على ظهرها متفوّهة:

-لا بأس إهدئي أرجوكِ .... سنعثر على طريقة للهرب

توّقفت ميليندا عن السير فجأة لترفع سبابتها لأعلى وكأن هناك ضوء قد انبثق فوق رأسها معلّلًا وجود فكرة ما قد اختمرت بعقلها وقد تساعدهن على الفرار من هنا:

-وجدتها!!

طالعتها غيّد بغرابة بينما توّقفت الأميرة عن البكاء وبقيت ترمقها في صمتٍ حتى وجدت ميليندا تهروّل صوّب صندوقٍ خشبيٍ كان يوّضع بداخله بعض أدوات الخياطة التي تستخدمها الأميرة في حياكة الملابس، طفقت تعبث بين هذه الأمتعة

حتى التقطت نصلًا رفيعًا كان يلمع من كثرة حدته؛ ابتسمت ميليندا ابتسامة مُنتصرة وهي تثب عن الأرض وتهروّل صوّب الباب لتتبعها غيّد بعد أن وثبت عن الفراش لتُراقب ما الذي ستفعله، فكانت ميليندا تُقرب نصل الإبرة من فوهة الباب لعلها ستستطيع فتح الباب كما ترى بالأفلام.

-ما الذي تفعلينه ؟

-شش اصمتي ... لا تُشتتي تركيزي

قالتها ميليندا وهي تواصل العبث بفوّهة الباب حتى انسالت قطرات العرق على جبهتها وتصدأ نصل الإبرة من كثرة إقحامه بهذا الثُقب الصغير، لاذت غيّد بالصمت أمام محاولات ميليندا المستميتة لفتح هذا الباب باستخدام هذا النصل الرفيع، وما إن تأكدت ميليندا من محاولاتها الفاشلة حتى تنهدت تنهيدة حارقة ثم هوّت على ركبتيها تُجفف قطرات العرق المنسالة على جبهتها وتقول بنفاد صبرٍ خالطه بعض الغضب :

-لماذا لا يُفتح هذا الشيء ؟

آجابتها غيّد ببعض السُخرية:

-بالطبع لن يُفتح بهذه الطريقة .... أتظني نفسكِ المرآة الحديدية!!

نفثت الهواء من فمها على هيئة نيرانٍ حارقة ثم ألقت الإبرة على الأرض لتحاول التفكير في طريقة أخرى تجابه طريقتها الفاشلة في الهرب من هنا، بقيت في حالة وجيزة من التفكير حتى اردفت بقلة حيلة:

-لا يوجد أمامنا سوى طلب المساعدة من الفئران

لم تُعجب غيّد بهذه الخُطة خاصة وهي تمقت الفئران كما تمقت هذه الورطة، الأمر الذي جعلها تتراجع بضع خطواتٍ للوراء نابسة بثقة:

-ولماذا نطلب المساعدة من الفئران ؟... أليس مارك وحكيم بالخارج، لمَ لا نطلب منهما المساعدة ؟

استحسنت ميليندا هذه الفكرة، أو بالأحرى، لم تجد الوقت لتُبدي موافقتها، فهي قد وجدت غيّد تقترب من النافذة وتُراقب كلًا من مارك وحكيم اللذان يثبان بالأسفل ينتظران الإشارة حتى يتدخلا ويُنفذا ما تبقى من المُهمة، فقد انتهى دوّرهما مُنذ إحضارهما للفستان.

فتحت غيّد النافذة وبدأت تنادي بصوّتٍ مُرتفعٍ حتى يسمعها مارك أو حكيم من تلك المسافة الشاهقة:

-مـــــارك ... حكيـــم ..... ساعدونـــــا .... نحن مسجونـــــون....

بقيت تُكرر كلماتها وتلوّح بيديها حتى لاحظ حكيم تلوّيحها وطفق يُربت على كتف مارك حتى ينتبه هو الآخر:

-مارك .... أظن أنهما يريدان شيئًا

التفت مارك صوّب نافذة البُرج وبدأ يطالعهما بحيرة يحاول استشفاف ما يقولانه والذي كان خافتًا غير مسموّعٍ بسبب بُعد المسافة ما بين نافذة القصر والأرض.

-ساعدونـــــا....

صاحت غيّد بهذه الجملة وبقيّت تلوّح بذراعيها وتساعدها ميليندا بهذا الأمر لعلهما يتحركان للمساعدة، لكن حكيم لم يكن يسمع ما يقولان مما جعله يسأل بحيرة:

-ما الذي يقولانه ؟

ولأن مارك لا يعرف كلمة " لا أعرف " فكان يقول بثقة رغم أنه يؤلف الحديث:

-يبدو أنهما يطمئنان علينا .... ألا ترى كيف يلوّحان لنا

أومأ حكيم بتصديقٍ لحديثه المستنتج والتفت ببلاهة صوّب غيّد وميليندا ليرفع ذراعه ويبدأ التلويح لهما ببلاهة قال معها بصوّتٍ مُرتفع:

-نحن بخيـــر...

بقي يلوّح ببلاهة ومارك يلوّح معه ليؤكد على استنتاجه مما كاد يُشعل النيران داخل غيّد التي ظنتهما سيتحركان للمساعدة فوّرًا، استنتجت لوهلة أنهما لا يسمعان حديثها

فحاولت التمثيل بذراعها وأخذت تُشير عليها وعلى ميليندا وتضع رسغيها فوق بعضهما وكأنها مُقيدة لعلها بهذه الطريقة تُخبرهما أنهما في خطر، لكن حكيم بقي يبتسم لها ابتسامة بلهاء ومارك يواصل آكاذيبه وادعائاته:

-إنها تُشير على رسغها .... يبدو أنها تسأل عن الساعة...

ولثاني مرة يُصدق حكيم استنتاجه ويلتفت صوّبهما متفوّهًا بصوّتٍ مًرتفع:

-الساعة خامســـة

ضربُت غيُّد جبهتها بنفاد صبرٍ من هذين الأحمقين ثم التفتت صوّب ميليندا متفوّهة بقلة حيلة:

-الفئران أكثر فائدة من هذين

استمعا إلى صوّت هسهسة تأتي من خلفهما فسرعان ما استدارا ووجدا الأميرة تجلس على الأرض قبالة الباب تهمس بصوّتٍ رقيق:

-نعم ... هيا ... أحسنت...

وجداها تحني جذعها لتلتقط قطعة صغيرة من المعدن تم تمريرها أسفل عقب الباب فالتقطتها الأميرة فوّرًا بنبضات قلبٍ متسارعة وفرحة عانقت معها المفتاح الذهبي الكبير الصديء ثم قرّبته من فوّهة الباب لتفتحه وتخرج من هنا، وقد علِمت غيُّد وميليندا بعد فترة أن الفئران استطاعا سرقة المفتاح من زوجة أبيها ومرراه من أسفل الباب حتى يساعدا الأميرة على لخروج من هنا، حقًا، هذا العالم لا يوجد فيه أي بشريٍ يساعد الآخر، فمن يساعد البشر هنا هُم الحيوانات فقط.

اتسعت بسمة غيُّد بفرحة بادلتها مع ميليندا ثم هرولت كلتاهما صوّب الباب خروجًا من الحُجرة وهبوطًا إلى القصر لمواجهة ما هو أصعب!!

يتلوّى سامي أرضًا وهو يحاول إزاحة هذا القُط عن وجهه التي أصيب بالخدوش وملابسه التي تمزقت إثر دفاعه عن نفسه، بينما كانت الفتاتان تُكممان كاتي وتمنعانها عن الحركة والتصدي لهذا القط قبل أن يقضي على سامي، وكانت زوجة

الأب تقف أمام الأمير تمنعه من التحرك خطوة والخروج من القصر بدون واحدة من فتياتها، لكنها اكتفت فقط برفع عصاها أمام وجهه ومنعه عن الحِراك بنظراتها، فهي لا تستطيع التعرّض للأمير في جميع الأحوال وإلا انتهى أمرها.

-ما الذي يحدث هنا ؟

شهقت ميليندا بصدمة وهي تقف على أول الدرجات تُطالع هذه الفوْضى بصدمة، بينما اندفعت غيْد صوّب أقرب مزهرية تقابلها وأخذت تهرول على درجات السُلم وتُطلق صيحاتٍ أشبه بصيحات دجاجة قبل ذبحها، كانت تهروِّل صوّب الفتاتين أنستازيا ودرزيلا ثم تهوِّي بالمزهرية على رأس أنستازيا لتتشنج عوالمها وتتأوه ثم تضع يدها على رأسها موْضع الضربة، خرجت ميليندا من صدمتها وطفقت تنسل الدرجات بسُرعة ثم تتوّقف عند أقرب منضدة تقابلها لتنتشلها عن الأرض وترفعها لأعلى حتى هوّت بها على ظهر درزيلا، ليبدأ خمستهن بالشجار وكأنهن في حارة شعبية، فكانت غيْد تعض ذراع أنستازيا وتنتف خُصلاتها الحمراء وميليندا تقابل دُرزيلا بنظراتها الغاضبة وتقبض على يديها ليدفع كل منهما الآخر حتى انقضت كاتي على ظهر درزيلا وبقيت تحاوطها بذراعيها حتى أوقعتها أرضًا وانهالت عليها بالضربات.

بينما كان سامي لا يزال يحاول الفرار من هذا القط إلى أن استمع إلى نباح كلبٍ يهروِّل داخل القصر ويُزمجر بالقط الذي فرّ مذعورًا من برونو الكلب الذي أتى بعد أن آشارت له السندريلا، فكان برونو يركض خلف لوسيفير والفتيات تتعاركن سوّيًا والسندريلا تقف بتيهٍ لا تعرف ماذا تفعل، فكانت تتحرك بخطواتٍ هادئة مُرتبكة لاحظها الأمير من بعيدٍ وفُتن بجمالها وملامحها الهادئة من الوهلة الأولى، بالطبع هذه هي الأميرة الجميلة التي تحدث سامي وكاتي عنها.

وجد قلبه ينجذب نحوها لا إراضيًا ونظراته تلتقطها من بعيدٍ رغم محاوطته بعصا تريماين، زوجة أبيها، فكانت يداه تدفع العصا عن وجهه وقدماه تتحركان بهدوءٍ تجاهل معه تريماين التي بدأت تُطلق زفراتٍ غاضبة من جوّفها وتحاول إيقافه وهو لا ينتبه لها، فقط ينتبه إلى هذه الأميرة الفاتنة:

-هل أنتِ سندريلا ؟

سألها بنبرة حنونة جعلت وجنتاها تتوّردان ووجهها ينحني لأسفل ثم يرتفع لأعلى كإيماءة بسيطة، وجدته يضع يده على ذقنها ثم يرفع وجهها قبالته ليتأمل عينيها الزٌمرديتان وملامحها البريئة، فرغم أنها لم ترتدي فستانًا أنيقًا، إلى أنها لا تزال فاتنة رغم ثيابها الرثة.

-يا لكِ من فاتنة

ابتسمت بحرجٍ إثر كلماته وبقيت صامتة تطالع ابتسامته الجذابة وكلماته الساحرة:

-ما رأيكِ أن نتزوٌج ؟....

نفضت ميليندا ذراعيها بعد انتهاء العراك الذي جعل ملابسها رثة غير مهندمة بالمرة وخصلات شعرها المجعدة كانت أشبه بفراء الأسد، ناهيك عن الجروح الطفيفة التي اعتلت وجهها إثر هذا العِراك، وكانت غيٌد لا تختلف عنها في الحالة الرثة، الفرق أنها كانت تُهدد أنستازيا ودرزيلا بنظراتها بعد أن أبرحتهما ضربًا ومزقت ملابسهما وجعلتهما أشبه بالمشردتين، وكانت كاتي تُهندم خُصلات شعرها وتتحرك صوٌب سامي الذي ملأت الخدوش وجهه وكان يقف بعيدًا يُهندم ملابسه، فكانت تلقى عليه نظراتها التي آرادت بهم الاطمئنان عليه لكنها لم تتحدث أيضًا لأنها لا زالت غاضبة منه.

أما مارك وحكيم، فكانا في عالمٍ موازٍ يتحركان قُرب القصر ويدخلانه بهدوءٍ ليتصلبا مكانهما وهما يطالعان حالة رفاقهم الرثة والأمير الذي يقف قبالة الأميرة يُلقي عليها بعض كلماته المُتغزلة:

-يا فرج الله .... هي الحكاية خلصت ولا إيه ؟

قالها حكيم بلغة عربية وكلماتٍ عفوية جعلت الجميع يلتفت له ليس لأنهم يفهمون حديثه، بل لأنهم يتعجبون أين كانا طيلة هذه المعركة، لكن هذا لا يُهم الآن، فما أهم من كل ذلك هو أن الأمير التقى مع الأميرة وتعلٌق بها، صحيحٌ أن الحذاء لم يُذكر أبدًا في نهاية الحكاية، لكن هذا لا يُهم، المهم أنهم نجحوا بتلك المهمة أخيرًا واستطاعوا الوصول إلى النهاية....

أطلقت الشمس خطوطها الذهبية على سفحة هذه الحديقة الخلابة في ذاك اليوم الجديد، اليوم الذي سيُقام فيه احتفال الزفاف الخاص بالأمير وأميرته التي وجدها بعد عناء أو بعد العديد من الصراعات، كانت تجلس كاتي في حديقة القصر أمام طاولة مُستديرة وُضع عليها شتى أنواع الزهور النادرة والساحرة، وكان سامي يجلس أمامها لا يزال يوّليها بعض النظرات دون أن ينبس ببنت شفة، وكانت هي تتابعه في صمت حتى قررت أخيرًا أن تستجمع كلماتها وتحاول أن تُخبره ما يمليه عليها قلبها:

-لم أكن أقصد أن أكون فظة

بدأت الحديث بتلك الكلمات المُعتذرة حتى تلفت انتباهه وتجعله ينتبه إلى ما ستقوله بعدها:

-أحيانًا تدفعنا الحياة إلا ما لا نُريده... لكن هذا لا يعني أن ننجرف عن طريقنا

فهِم سامي حديثها المُبهم فأخذ يُحرك نظراته في جميع الاتجاهات حتى قال بنفس طريقتها المُبهمة:

-لا تدفعنا الحياة فقط إلى ما لا نُريده .... بل هي تدفعنا عن طريقنا كُليًا .... فنُصبح ضائعون في شُرزمة الويلات

-حتى ولو كُنا ضائعون .... نُستطيع العثور على شعاع الأمل .... والتشبث به أينما كُنا

هكذا ردت عليه بنفس الطريقة الغامضة التي اتفقا أن يتحدثا بها حتى لا يغرقان في الجدالات التي لا تنتهي بسبب الاتهامات المباشرة والأحاديث التي تُشعل بداخلنا نيران الحسرة والندم.

تقدمت كاتي بجذعها وطفقت تحدق به وهي تحاول انهاء الحديث بنبرة صادقة عميقة:

-أعرف أنك تشعر بالندم، حتى لو كُنت تخفي ذلك وتدّعي الجمود .... لذلك أخبرك أن الندم وحده لا يكفي .... لا زالت الفُرصة أمامك حتى تُصلح ما افترقته .... تذكر دائمًا أن ندم ضياع الفُرصة يُعادل أضعاف الندم التي يغتابك حينما تقترف خطئًا

بقي يُحدق بعينيها في حالة من الصمت والذهول، كيف تعرف ما يدور بخُلده ؟ كيف تستطيع قراءة أفكاره بتلك الطريقة ؟ ودٌ لو تستطيع أيضًا قراءة مشاعره والإفصاح عنها مثلما تفصح عمَ يدور بخُلده من تخبطات، لم يشأ أن ينبس ببنت شفة أمام كلماتها الصادقة، فهو لا يزال يُفكر بحديثها ولا يعرف ماذا يفعل، كيف سيطلب السماح من والديه ؟ وهل سيُسامحانه من الأساس أم لا ؟ هل هو بالفعل نادمٌ على ما فعل، لكنه إن لم يكن نادمًا، لم يكن ليتردد قبل أن يبصق هذه الحقائق!!

كاد عقله يقتله من كثرة هذه الأفكار، دائمًا ما يدّعي المعرفة والصرامة، وأنه يعرف طريقه جيدًا، لكنه الآن، يتعرّى أمام حقيقة كوّنه متخبطًا ضائعًا، لا يعرف ماذا يُريد، يسير وفق ما تمليه الحياة كالأعمى، لا يعرف أين يذهب، فقط يتحرك بلا وجهة، ودون أن يهتم بالأشخاص الذين يقوم بأذيتهم في طريقه.

قطع حبل أفكاره قدوم البقية وعلى وجوههم علامات المرح والسعادة، فها هي النهاية قد أتت أخيرًا، ها هُم سيعودون إلى حياتهم الروتينية المملة الخالية من الخطط والمؤامرات والكوارث، كانوا يرتدون ثيابًا جيدة أهداها لهم الأمير حتى يحضروا زفافه، صحيحٌ أن ملامحهم لم تكن تخلو من بعض الخدوش والكدمات خاصة سامي، لكنها خدوشٌ وكدماتٌ بسيطة لا تترك سوى أثرًا صغيرًا ربما يُذكرهم بتلك الرحلة المجنونة.

-متى ستأتي هذه النهاية ؟

وجه حكيم سؤاله نحو كاتي التي آجابته بثقة:

-عندما يظهر الأمير والأميرة...

وما كادت تُنهي حديثها حتى ارتفع صوّت الموسيقى الكلاسيكية وتجمّع الحرس والحضور أمام شُرفة القُصر ينتظرون الأمير الذي سينسلُ الدرجات مع زوجته التي سيواصل حياته معها؛ وثب الجميع من أماكنهم ليهرعوا صوّب الدرجات حتى وجدوا الملك ينسل أمامهم وعلى وجهه ابتسامة واسعة قد وأدها فوّر توّقفه أمامهم، فقد أخبره الأمير عمَ فعلوه معه وكيف ساعدوه على العثور على نصفه الآخر، كذلك أخبره عن كاتي التي رقص معها في الزفاف ولم يتطرق إلى المزيد من التفاصيل

التي حدثت بينهما، ربما لأنه يحاول نسيانها، لكن الملك، وبعد ما أخبره إياه مارك، بات يعرف لماذا الأمير يخفي عليه سبب تركه لكاتي، أو ربما يظن ذلك.

-ما رأيكم بحفلة الزفاف ؟

سألهم الملك بطريقة شامخة وكأنه يعرف الإجابة، وكانت ميليندا أول من باشر بالإجابة بكلماتٍ هادئة وابتسامة واسعة:

-رائعة

اتسعت بسمة الملك وطفق يقترب بخطواته حتى تقدم نحو كاتي خاصة، أخذ يُحدق بها من أعلاها لأخمص قدمها بنظراتٍ مُتفحصة جعلت كاتي تطالعه بغرابة، هذا الغرابة قد ازدادت أكثر حينما أردف الملك:

-هل أعجبتكِ حياة البشر ؟ .... لا بأس صغيرتي، سأخبر أمهر العرافون بقصتكِ حتى يساعدونكِ على العوّدة

لاحت البلاهة على وجه كاتي من حديثه غير المفهوم خاصة وهي تجده يقترب بوجهه نحوها ويقول بطريقة هامسة:

-لا تقلقي .... سأوّفر لكِ اسطبلًا يليق بكِ

لوّت كاتي ثغرها بحيرة جعلتها تقول بطريقة عفوية:

-مـ... ماذا!!

لاحظ حكيم ما يقوله الملك وما كاد يفشيه من حماقة ارتكبها مارك وربما تجعل كاتي تنفجر من الغضب، لذلك رسم بسمة بلهاء على ثغره طغت على ارتباكه وهو يجذب كاتي بعيدًا موّجهًا حديثه نحو الملك:

-لا داعي يا مولاي شُكرًا لك

جذب بعدها كاتي قبل أن يُخبرها الملك أن مارك أخبره أنها حمارًا وطفق يدفعها صوّب بقية رفاقه ويتجنب إجابة أسئلتها ومعاني وجهها البلهاء وداخله يتوّعد لمارك لهذه الشائعة التي أوشك الجميع على معرفتها.

عِلِمت ميليندا أن الأمير سيظهر قريبًا وأن الجهاز سيُطلق إشارة العوّدة مما يعني أن عليهم البقاء في بُقعة نائية بعيدة عن الجميع ليقوموا بتشغيله في سلامٍ كما يفعلوا دائمًا، أخذ الجهاز يُطلق العديد من الأضواء مما أوقد النيران بأفئدتهم وجعل شوّقهم للعودة يزداد أضعافًا.

التفوا حوّل بعضهم في حلقة دائرية وكانت ميليندا تُحدق بالجهاز وجوارها مارك يُلقي عليها بعض التعليمات، وبجوار مارك كان يقف حكيم وغيّد بجواره تقاربها كاتي وسامي الذي أغلق الدائرة.

سرقت ميليندا نفسًا عميقًا قبل أن تقبض على الجهاز بكلتا آصابعها وترفع سبابتها لأعلى لتضغط على أحد الازرار بفؤادٍ تكاد تبصقه من الخوّف، فها قد انتهت الرحلة أخيرًا، ها هي النهاية قد أتت، لا مزيد من الكوارث، لا مزيد من تشوّيه الطفولة.

انبثق شُعاعٌ هائلٌ من الجهاز جعل الأرض ترتج أسفل أقدامهم ورياح عاتية تضرب أجسادهم وتجعلهم يتطايرون في الهواء ثم يقعون على الأرض بجسدٍ أنهكته ضروب الحياة، كان الألم هذه المرة يزداد أضعافًا عن المرات السابقة، فكان سامي يثب عن الأرض يُمسد على ظهره بألم وكاتي تُعدل من ثيابها وخصلات شعرها وغيّد تضع يدها على رأسها لتحجم صداعها، وحكيم يبتسم ابتسامة واسعة ويقول كما يقول دائمًا:

-يا فرج الله ... أخيرًا_

وقبل أن يُنهي جُملته المعتادة، آدار عينيه في جميع الاتجاهات ليجد الحشائش والأزهار والأشجار الكثيفة ذات الأفرع الطويلة، الأمر الذي آثار بعض الشك في داخله وجعله ينبس بنفاد صبر:

-هو الجهاز ده ميعرفش غير جناين

وثب عن الأرض ليتلفت حوّله مُتفحصًا هذه الغابة التي هبطوا بها كما يحدث كل مرة، لكن هذه المرة، كانت الغابة أكثر جمالًا وغموضًا عن الغابات التي وقعوا بها سابقًا، فلم تكن تخلو من التلال والجبال والحشائش الخضراء التي جعلتهم يعتقدون بأنهم بإحدى ضواحي سويسرا.

كان الجمود يلوح على وجه سامي وهو يثب عن الأرض دون أن يُبدي أي ردة فعل، ربما لأنه اعتاد على انتقاله الدائم من فيلمٍ إلى آخر، أو ربما لأنه لم يعد يُريد لهذه المغامرة أن تنتهي ويُجبر على مواجهة تخبطات الحياة.

-ألم تقولوا أننا سنعود هذه المرة ؟

سألت غيِّد بوَّجهٍ عابس ونبرة أقرب للخُذلان، وما كان من ميليندا سوى أنها أحنت جذعها بيأسٍ ولم تُعلق بينما أردف مارك بطبيعته العلمية التي لا تقبل الظهور بالجاهل أمامهم:

-هذه مُجرد ردود أفعالٍ للتغيرات التي وضعناها بالخواريزمية .... لكنها آخر مرة لا تقلقوا

رفع أنامله وهو يُهدئهم ولا يهتم أحدً بحديثه المُكرر، فها هُم في فيلم آخر، وها هُم في حلقة مُفرغة لا تنتهي، بقي اليأس يطغي على جنباتهم أثناء تفحصهم لتلك الغابة في محاولة منهم لفهم أين هُم الآن، أول ما حاولوا البحث عنه هي هذه القصور التي تدلهم دائمًا على الحكايات، لكن هذه المرة، لم يكن يوجد أي طيُّفٍ لقصرٍ واحدٍ حتى، فقط الأشجار الكثيفة والصخور المتعرجة.

-ماذا سنفعل الآن ؟ ... لا يوجد حتى قصرٌ واحد

سألت غيِّد بقلة حيلة وهم يتجوّلون بضياعٍ في تلك الغابة حتى توّقفت كاتي عن السير لُتحدق بالآفاق البعيدة حتى اتسعت عينيها بذهولٍ وانتصار، فها هي أخيرًا تجد طرف الخيط الذي سيدلهم على أصل هذه الحكاية.

التفتت نحوهم بعوالم واثقة جعلتهم يتوّقفون عن السير لينتبهوا لحديثها:

-لا يوجد قصورٌ هنا.....

آشار ت بإصبعها على نُقطة بعيدة ظهر بها قُبة مثلثية مُتدثرة بين الغيوم، حتى باتت ضبابية غير واضحة، لكنها كانت تعرف ما أصل هذه القبة جيدًا، الأمر الذي جعلها تواصل الحديث بثقة:

-لا يوجد سوى هذا البُرج، والذي يوجد في حكاية واحدة فقط!!

الفصل السادس عشر (أميرة البُرج)

ربما محاولاتك للنجاح قد تؤتي ثمارها، لكن محاولاتك لألا تفشل قد ينجم وراءها فشلًا ذريعًا....

أصبح اللون الأخضر مصدر يأسهم الجديد، فرغم أنهم في باحة واسعة وسط الأشجار الكثيفة الشاهقة والصخور المُتعرجة، إلا أنهم لا يزالون مسجونون في هذا العالم، مسجونون في حُجرة واسعة لا يوجد بها سوى ضروٌبٌ من الجنون والحماقة، حتى أن هذا الجنون وهذه الحماقة قد طغت على شخصياتهم وجعلتهم يفعلون ما لا يفعلونه في عالمهم الطبيعي.

-هلا أخبرتنا هذه الحكاية .... قبل أن نفتعل أية كارثة

وجهت غيّد سؤالها نحو كاتي التي كانت تتجوّل بجوارها تُدثر قدميها داخل الحشائش الكثيفة وتتلفت حوٌلها بحثًا عن أي خيُطٍ يوٌصلهم بالبرج حتى يراقبوا الفيلم من بعيدٍ ويستعدوا للنهاية دون أن يتدخلوا.

-حسنًا .... تتحدث هذه الحكاية عن فتاةٍ ذات شعرٍ طوٌيلٍ للغاية يمتلك قوة خاصة .... لذلك سجنتها الساحرة في هذا البُرج الطوٌيل وأوهمتها أنها والدتها التي تُريد حمايتها، ثم سيأتي رجلٌ يُدعى يوجين وسينقذها من هذا السجن ....

توٌقفت كاتي عن السير لتوٌجه حديثها صوٌب كلٌا من غيٌد وميليندا وسامي الذي ينصت لها بإمعان بينما كان مارك يجلس في بقعة أخرى ينشغل بضبط إعدادات هذا الجهاز حتى يستطيعوا العوٌدة بالمرة القادمة، وحكيم الذي أخبرهم أنه سيذهب لقضاء حاجته في بُقعة متدثرة.

-وكيف سنعثر على ذاك المدعو بيوجين ؟

سأل سامي بنظراتٍ جادة ورغبة عارمة بالعثور على طريقة للعودة، الأمر الذي جعل كاتي تُجيبه:

-لن نبحث عنه .... هو سيأتي وحده، عندما يهرب من الشُرطة

قطبت ميليندا حاجبيها وهي تُعلق بغرابة:

-مهلًا .... لماذا يهرب من الشُرطة ؟

-لأنه لص

صمت الجميع وتبلمت وجوههم إثر الصدمة، هذه أول مرة يضحى أمير الحكاية لصًا، أو أنه حتى ليس أميرًا.

تحركت كاتي بعد حديثها باتجاه القصر الذي يظهر طيفه بين الغيوم وبدا واضحًا بالنسبة لهم أنهم واثبون على تلة شاهقة تقترب من ارتفاع البُرج، فما يرونه فقط هو قبته المثلثية، طفقوا يتحركون في صمتٍ حتى تبعهم مارك وهو لا يزال يعبث بالجهاز وميليندا التي كانت تُحدق بمَ يفعله حتى يُزمجر بوجهها ويُخبرها ألا تتدخل، وكاتي التي كانت تتحدث مع سامي في ما يخص الفيلم فقط لرغبتهما في تجنب الحديث عن واقعهما الأليم، أما غيِّد فكانت تتأمل الغابة بذهولٍ ورغبة جامحة بتصوُّير إحدى تقاريرها الصحفية في هذا المكان.

كان هذا قبل أن يقطعهم حكيم الذي أتى من تلك البقعة التي قضى حاجته بها، يُصفر بفمه كالعصفور ويحمل معه ورقة مطوّية لا يعلموا من أين أتى بها.

-لك وين كُنت كل هالقد ؟

سألته غيِّد بملامح حائرة لأنه أخذ الكثير من الوقت لدرجة جعلتهم يعتقدون أنه اقترف كارثة ما، لكنه استقام وهو يُجيبهم بثقة لوّح معها بالورقة المطوية وبدا حديثه أشبه بحديث إمبراطورٍ يتحدث عن إنجازاته:

-لا مفيش .... كان في ظُباط كدة بيدوّرو على حرامي وأنا ساعدتهم

سقط فك سامي وجحظت عينيه في صدمة من حديث حكيم وتلوّيحه بالورقة التي على الأحرى تحمل شكل اللص المزعوم، بينما كانت كاتي تراقبه بحيرة ولا تفهم حديثه لكنها استشفت عوالم الصدمة على وجه كلًا من غيِّد وسامي لذلك أردفت بقلق:

-مـ... ماذا الذي فعلته ؟

بينما تدخل سامي بنبرة هجومية آراد معها أن يُفتك برأس هذا الغبي العازم على إبقائهم في ذاك العالم مدى الحياة:

-إنت بلٌغت عن يوجين!!

قطٌب حكيم حاجبيه بغرابة من هذا الاسم الذي يستمع له لأول مرة، الأمر الذي جعله يُبرر لنفسه:

-يوجين مين يا عم .... ده واد كدة اسمه ... اسمه فانيلا باين

قالها وهو يحاول تذكر هذا الاسم المدوٌن على الورقة حتى باغته سامي بحركة مفاجئة انتشل معها هذه الورقة وقام بفتحها وتفحص صوٌرة يوجين أسفلها اسم " فلين رايدر " الذي على الأحرى اسماه حكيم " فانيلا."

-من أين أتيت بهذه الصوٌرة ؟

سألت ميليندا بنظراتٍ حادة حدقت معها بتلك الورقة وهذا الرجل الذي لم تكن تعرفه لذلك آرادت أن تسأل عن ماهيته وعن الطريقة التي أتى بها بهذه الصورة، لكن سامي قطع نقاشهم وطوٌى الورقة بأسرع ما يُمكن لعله يحاول إنقاذ كارثة التي على وشك أن تُصيبهم وتُبقيهم هنا.

-هيا بُسرعة .... علينا أن ننقذه قبل أن تُلقي الشرطة القبض عليه

هرع نحو حكيم ليُجابهه بنظراتٍ متجهمة سأل معها:

-أين ذهب الضُباط ؟

تبلمت ملامح حكيم ولم يكن يفهم سبب غضبه لكنه في جميع الأحوال رفع ذراعه وآشار على جهة اليمين فأمسكه سامي من تلابيبه ودفعه أمامه بحدة آراد معها لكمه لكن ما إن ينتهي من الأمر أولًا.

-مارك ... هيا معنا .... واترك الفتيات هنا

تنهد مارك بتذمرٍ وكاد يعترض لكنه تراجع بعد أن أخبرتهم غيِّد بمَ فعله حكيم وما يجب أن يفعلوه قبل أن يُفسد الأمر؛ لهذا السبب قذف الجهاز نحو ميليندا حتى تُخبئه داخل ثيابها إلى أن ينتهوا من هذا الأمر....

لفحت نسمات الهواء وجوههم وهم يتحركون بين الأشجار يزيحون هذه الأفرع التي تُعيقهم ويُسلطون نظراتهم الثاقبة صوّب وجهة مرادة وأقدامهم تهرول بأقصى ما لديهم من سُرعة، فلن يفشل الأمر ثانية، لمَ هو صعب عليهم أن يبقوا في حالة من الهدوء والسكينة، ألا يوجد هدوء وسكينة هنا ؟ أو ربما لا تعرف نفوسهم معنى السلام.

تقدم سامي المسيرة وخلفه حكيم ومارك يهرولان بأقصى ما لديهما بينما كانت الفتيات تتحركن خلفهم يحاولن قدرالإمكان أن يلاحقوا خطواتهم المُسرعة دون التدخل حتى لا تتدهوُّر الأمور أكثر لكن محاولاتهن تبوء بالفشل فيواصلن التحرك خلفهم على أمل أن يلمحوا طيفهم من بعيد ويراقبوا ما يفعلون، وجد سامي مجموعة من العساكر يرتدون الخوُّزات الحديدية ويُكبلون رجلًا يافعًا كانت أقدامه تحاول التراجع وملابسه نظيفة بسيطة تتكوّن من بنطالٍ أسوِّد وسُترة بيضاء مع بزة زرقاء فيكتورية وملامحه تُشبه ما رُسم بتلك الورقة فيما عدا أنفه.

انقض سامي على واحدٍ من العساكر بقفزة عالية جعلته يتعلق بظهره ويُحيط رقبته بذراعه حتى جعل الضابط يشعر بالاختناق ويبتعد عن يوجين حتى يسمح له بالهرب، بينما أطلق مارك صرخة عالية من جوّفه وهو يرفع حجرة متوُسطة الحجم ويهوِّي بها على ظهر أحد الجنود لكنها لم تُصيبه بسبب ملابسه الحديدية الواقية، وكان حكيم يندفع بجسده كالثور على أحد الجنود يحاول ان يدفعه بضرباتٍ عشوائية جعلت الجُندي يسقط بسبب حركته المفاجئة وتسقط خوُّزته على الأرض.

قطب يوجين حاجبيه بحيرة من هذا الموّقف ولم يكن يفهم من هؤلاء ولماذا يحاولون مساعدته، الأمر الذي جعله يتوّقف عن الحِراك ولا يعرف ماذا يفعل.

- إرحل بسرعة

صاح سامي بهذه الكلمات وهو يتعارك مع الجُندي عراكًا غير متكافئًا كاد ينهزم فيه سامي بسبب الجُندي الذي آطاح به مرة واحدة وأخرج سيفه لينحر به عُنق سامي،

الأمر الذي جعل الآخر يبتلع ريقه في هلع ويسقط فكه من هوّل المفاجئة، فهو يرى نصل السيف الحاد يُرفع أمام عينيه ويكاد يخترق جسده لولا.

سقط السيف على الأرض مرة واحدة وارتفع صوّت ضربة حادة جعلت جسد الجُندي يتشنج ويسقط على الأرض ليظهر يوجين خلفه يتنفس الصُعداء ويحمل جذع شجرة استخدمه للإطاحة بهذا الجُندي حتى يعرف من هؤلاء، وثب سامي عن الأرض بُسرعة ولم يلتفت لأسئلة يوجين وهو يدفعه للأمام يُريده أن يرحل قبل أن...

ما كُاد يُنهي خطته حتى وجد أصدقائه حكيم ومارك بين قبضتي الجُنود بملامح شاحبة وقلبٍ يتصاعد من الهلع، فكان مارك مُكبلًا بالأغلال وهناك جُندي يمسكه من تلابيبه ويمسك سيفه باليد الأخرى، بينما كان الجُندي الآخر يُحيط برقبة حكيم ويُقرب نصل سيفه من رقبته عازمًا على نحرها إذا تحرك أي من سامي ويوجين.

اتسعت حدقتي سامي في هلعٍ وبدأ يتلفت حوّله بحثًا عن أي مخرج من هذا الأمر لكنه يُصدم بالمزيد من العساكر تُحاوطهم من كل حدبٍ وصوّب وأحصنتهم تُحدق بهم بنظراتٍ جحيمية، الأمر الذي جعله يُبادل نظراته مع يوجين ثم يزدرد ريقه ويرفع الاثنان يداهما في استسلام لهذه الجنود التي ألقت القبض عليهم!!

أزاحت غيّد بعض الأشجار وهي تتحرك في تلك الغابة تحاول أن تتذكر الطريق الذي سلكه سامي وبقيتهم وهم يركضون خلف العساكر في محاولة جاهدة منهم لإنقاذ الأمر، لكنها تتوّقف مرة واحدة حينما يصدمها هذا المشهد، المشهد الذي يجمع بين مارك وحكيم وسامي ويوجين وهم فوق الخيول مُكبلون بالأغلال والعساكر تحاوطهم؛ شهقت غيّد بصدمة من ذاك المشهد وبقيت تراقبهم وهم يتحركون بقلة حيلة، فهي لن تستطيع مجابهتهم ومجابهة أسلحتهم في جميع الأحوال، وربما إذا حاولت سينتهي بها الأمر مُكبلة معهم.

-يا إلاهي .... هذا ليس جيد

قالتها بحسرة على حالهم وعلى ما آلت إليه الأمور، الأمر الذي جعل الفتيات يتوّقفن عن السير ويلتفتون إلى هذه الكارثة، لم يكن يجب أن تُلقي الشُرطة القبض على يوجين، كان يجب أن يهرب منهم ويتقابل مع الأميرة، لكن هذا لم يحدث، وبسببهم للمرة التي لا يعرفون عددها.

-لماذا القدر يعاندنا دائمًا ؟

قالتها ميليندا بفُقدان أملٍ أخذت تضرب معه الحشائش بتذمرٍ من هذه المُعضلة، بينما كانت كاتي تحاول المحافظة على هدوءها والتفكير في طريقة تساعدهم على الوصول إلى النهاية الطبيعية للحكاية والرحيل من هنا، فكانت صامتة تُقطب حاجبيها في تفكيرٍ وتُحدق تارة بالأرض وتارة في السماء، حتى قالت غيّد بيأسٍ:

-هذه المرة سنعلق هنا حتمًا

رفعت كاتي سبابتها وكأن هناك فكرة قد اختمرت برأسها وربما تساعدهم على الرحيل:

-لدي فكرة

انتبهت ميليندا وغيّد لحديثها الذي كان:

-طالما أن يوجين لن يستطيع الذهاب إلى بُرج الأميرة ولن يتقابل معها .... إذا سيبقى لدينا حلٌ واحد

توّقفت عن الحديث لتتحرك بضع خطواتٍ للأمام ثم تهتف بثقة:

-أن نجعل الأميرة .... هي التي تذهب لمقابلته

لاحت عوالم البلاهة على وجه الاثنين وطفقا يطالعان كاتي وكأنها تتحدث بالصينية، بقيتا على تلك البلاهة حتى سألت ميليندا:

-وما العمل إذا ؟

تنهدت كاتي قبل أن تبصق حلها بطريقة قيادية:

-أولًا : يجب علينا .... أن نذهب إلى بُرج الأميرة.....

هناك من يحيا في خطرٍ دائم، وهناك من يتسبب في هذا الخطر، وكانوا هم من هذا النوع الآخر، فبعد أن انقضوا على العساكر وانتهى عراكهم غير المتكافيءُ بسجنهم، أصبحوا في هذه الزنزانة الضيقة يتربعون على أقدامهم والطير يلوح على رؤوسهم،

فكان مارك يجلس على مقعدٍ مُهترئٍ من الطوب يلتصق بالحائط وجواره رجلٌ ضخمٌ أصلع الرأس يرتدي ثيابًا مصنوعة من جلد الثوّر وهناك قَطع على إحدى حاجبيه مع وجهٍ أملسٍ ونظراتٍ حادة كالضباع، وعلى الجهة الأخرى كان يجلس يوجين يستند على مرفقيه ويراقبهم في حيرة والعديد من التساؤلات تلوح على رأسه، وقد زادت هذه الأسئلة بسبب مارك الذي كان يُحدق به وكأنه يتأمل تُحفة فنية.

-ماذا ؟

سأله يوجين بنظراتٍ مُقطبة تتعجب تحديق مارك به، بينما حاول مارك أن يتصرف بطبيعية رغم أنه مذهولٌ من كوّن البطل في هذه الحكاية لصًا.

-لا شيء ... أطمئن فقط أنك بخير

أنهى مارك حديثه بثقة حتى لا ينكشف أمره، ثم آعاد ظهره للوراء محاولًا التغاضي عن هذا الأمر ومحاولة الهرب من هنا، بينما كان يوجين يُمرر يده على خُصلاته ويُعيدها للوراء ثم يسأل ببعض الحيرة:

-من أين تعرفونني ؟

ابتسم مارك بتشفٍ وضع معه قدمه فوق ركبته وطفق يُحرك كاحله وهو يُجيب بخيلاء:

-لا تسأل الكثير من الأسئلة ..... يكفي أن تفهم أننا لسنا عاديون .... لدينا قُدرات قد تجعلنا نعرف المجهول

طالعه يوجين بعدم تصديق بات يتحوّل إلى السُخرية وهو يقول:

-حقًا !! .... ألم تعرفونني من صوّري المُعلقة في كل مكان ؟

أبعد نظراته عن مارك ليسترخي للوراء ويُقلد تعابيره المتعالية وهو يقول:

-صحيح أنني أجمل من الصوّر بمراحل .... لكن هذا لا يعني أنكم تعرفون المجهول .... أنتم حتى لا تعرفون أنني_

قطع مارك حديثه ليُؤكد على أنهم خارقون ولكي يعبث به قليلًا:

-أنك سرقت تاجًا ملكيًا .... نعرف هذا

كان مارك يعلم القليل عن هذه الحكاية لأنه عمل على برمجتها، لكنه فقط يعرفها شفوّيًا دون أن يتطرق إلى الشخصيات وأشكالها، فهو فقط يقرأ الأساطير ويعرف الحكايات الأصلية لجميع هذه الأفلام، كذلك أخبرتهم كاتي في الطريق عن أصل هذه الحكاية وشخصياتها.

اتسعت عينا يوجين في ذهولٍ حتى ظنٌ أنه يتحدث مع خارقٍ يعرف الغيب، حتى أنه ترك خيلاءه لبرهة حتى يلتفت نحو مارك متفوٌهًا:

-كيف علِمت ذلك ؟ ... أنا حتى لم...

توٌقف عن الحديث ليتلفت حوٌله وكاد يبصق قلبه من هوٌل المفاجأة، كانت خصلاته تتناثر يمينًا ثم يسارًا وهو يحُرك رأسه بحثًا عن ضالته، بل بحثًا عن جزءٍ من روٌحه والشيء الذي ضحٌى من أجله:

-أو لا ..... أين حقيبتي....!!

يستند سامي على الجِدار غارقًا في أفكاره محاولًا العثور على خطة تُنجيهم من هنا، يعلم أنهم في حُجرة ضيقة وعلى وشك أن يُنفذ بهم إحدى الأحكام لكنه مع ذلك يُريد الهرب، يريد أن يرحل من هذا العالم بأية طريقة، وفي خِضم أفكاره وعقله الشارد، أتى حكيم ليُشاركه شروده ويقف بجواره على أمل العثور على طريقة لنجاتهم، أو هلاكهم.

-ولا تقلق يا زميلي ..... ابن خالتي محامي، هبقى أكلمه يطلعنا من هنا....

قطٌب سامي حاجبيه وأخذ يتطلع نحو حكيم الذي واصل حديثه ببلاهة:

-بس في مشكلة ..... إبن خالتي في مصر مش هيعرف ييجي أمريكا .... بس مش مهم، هبقى أقوله يحجز أول طيارة

انفجر سامي بوجهه لعدم تحمله لهذه الحماقة، فيكفي ما فعله بهم هذا الأحمق والذي أوصلهم إلى هذا المكان:

-وحياة خالتك !! .... يعني المشكلة إنه مش في أمريكا مش إننا في مكان مش موجود على الخريطة!!

ضرب حكيم جبهته بعد أن أدرك حماقته بينما حاول سامي تجاهله حتى لا يُعركل تفكيره ويُغرقهم أكثر.

-أه صحيح .... دا احنا في فيلم كارتون

بدأت بوادر الفكرة بالظهور في عقل حكيم مما جعله يرفع سبابته هاتفًا بثقة:

-بس .... يبقى جاتلي فكرة .... كُنت بشوفها كتير في أفلام الكرتون

لم ينتظرتعليق سامي على فكرته ولا حتى أن يعرفها وطفق يتحرك صوّب الباب عازمًا على التوّجه صوّب العِيدان الحديدية التي تُحيط نافذة الباب الخاص بالزنزانة وتصلهم بالعالم الخارجي.

وضع حكيم قبضتيه على اثنين من العِيدان الحديدية وقبض عليهما جيدًا وبدأ يحاول نزعهما بكل ما أوتي من قوة، وكان سامي يقف خلفه يطالعه باستخفافٍ كان يعلم معه جيدًا أن ما يفعله لن يُجدي نفعًا.

استمرت محاولات حكيم في اقتلاع الباب حتى تحوّل وجهه إلى كتلة من الدماء من شدة احمراره وباتت عضلاته تتحطم من كثرة الضغط عليها، حتى أنه بدأ بإصدار بعض الأصوات من جوّفه وهو يتخيل نفسه مصارعًا مغوارًا سيستطيع اقتلاع الأبواب وطوّي العيدان بسهولة، لكنه أضعف حتى من أرنبة نحيلة تركض خلف أبناءها المشاكسون.

أطلق حكيم تنهيدة مُرهقة بعد أن باتت محاولاته بالفشل الذريع وأدرك أنه لن يستطيع أن يقتلع هذا الباب مهما فعل، الأمر الذي جعله يترك الباب ويُمسد على عضلاته بألمٍ هتف معه بتذمر:

-طب والله بشوفهم بيعملوا كدة في الكارتون .... ده حتى لما الوحش زقني في الحيطة حسيت انها هتتكسر

تذكر هذا العِراك الذي نشب بينهم وبين الوحش وتلك التشققات التي سخر منها بعد أن قذفه الوحش بحدة، الأمر الذي جعل سامي يتوّقف عن التفكير وينتبه إلى كلماته العفوية التي حمّلت معها حلًا لهذا المأزق.

-صح .... لقيتها

تمتم سامي بتلك الكلمات ثم رسم ابتسامة خبيثة مُنتصرة على ثغره جعلت حكيم يُطالعه بغرابة ويتعجب من كلماته، لكنه يتحلّى بالصمت حينما يجد سامي يلتفت خلفه ويُحدق بهذا الجدار البشري الذي يُشاركهم الحُجرة، بقي يُحدق به بخُبثٍ حتى أردف:

-أنت يا هذا ..... أليس مُخجلًا أن تنتصر عليك الشُرطة في النهاية .... أم أن بنيتكِ ما هي إلا بنية زائفة

رفع الرجل الضخم نظراته صوّب سامي وبدت مشتعلة وهو يُفكر في كلماته المُتهكمة، هذا ما دفع سامي للمواصلة مستغلًا طبيعته الخبيثة والماكرة:

-أتخالني سأخاف بعد هذه النظرات ؟ .... يا صاح .... أنت أضعف من قطٍ شاردٍ ضلّ طريقه فوّقع بين أسنان الذئاب

التفت مارك ويوجين صوّب سامي وطفقا يطالعانه بغرابة تعجبا معها مما يفعله، بينما زمجر الرجل الضخم وكوّر قبضته وطفق يصك على أسنانه حتى أردف:

-لستُ قطًا شاردًا

ابتسم سامي باستفزازٍ وبقي يُسلط نظراته المُستحقرة صوّب الرجل عابثًا بأوتاره حتى يُنفذ خطته:

-وكيف ستثبت لي ؟... هل ستقوم بضربي ؟ ....

بقي يُقهقه باستخفافٍ زائفٍ جعل الرجل الضخم يترك مؤّضعه ويقترب نحو سامي الذي التفت بدوره وجعل ظهره مؤّليًا للجدار متجاهلًا نبضات قلبه المتسارعة والخائفة، فهذا الجدار البشري يعكس ظله عليه ويجعله غارقًا في هالة قاتمة شديدة السوّاد.

-سأريك قوّتي أيها الحقير

ازدرد سامي ريقه بهلعٍ وهو يجد هذا الضخم يضرب قبضته بيده اليُمنى ثم يُسددها بقوة صوّب سامي الذي وجد جسده يندفع بعنفوانٍ اخترق معه الجدار بسبب قوة هذا البشري، صحيحٌ أن ذلك لا يحدث عادة بالواقع، لكن بما أنهم بأفلام الرسوم، فلا وجود للواقع هنا.

انفجر الجدار إثر دفعة الرجل الضخم التي أطاحت بجسد سامي وجعلته يطير في الهواء ثم يسقط على الأرض تتناثر حوّله الأدخنة وأسفله يرقد الحطام، كان يتحسس جبينه البنفسجي إثر الضربة القوية التي تلقاها والتي جعلت جسده راغبًا في معانقة الأرض والنوم لأمدٍ بعيد، حاول أن يعتدل في جلسته والوثوب عن الأرض ليلفح وجهه بصيص الحرية التي افتقدها وهو بتلك الزنزانة المقيتة.

وجد حكيم يهرول نحوه يحاول مساعدته على الوثوب وتخطي هذا الحُطام ليستطيعوا الهرب من هنا، وكان مارك ويوجين يهرولان خلفهما وعوالم عدم التصديق تلوح على وجهيهما.

-نجحنا!!

قالها حكيم بلهفة وهو يرفع سامي عن الأرض وكان الآخر يُنفض الأتربة عن جسده متفوّهًا بجدية:

-لنرحل بسرعة..

وما كاد يُنهي حديثه حتى اصطدم أربعتهم بثلاثة أجسادٍ ضخمة ونظرة مقيتة زينها نصل سيوفهم الحادة التي أشهرها الجنود على وجوههم حتى لا يستطيعوا الهرب.....!!

تتغلغل أقدامهن داخل الحشائش الخضراء حتى انسابت قطرات العرق على جبهاتهن، وبدأت غيّد تتباطأ في مشيتها حتى توّقفت تمامًا عن السير لتسأل:

-ماذا الذي سنجنيه بذهابنها للأميرة .... لازلتُ لا أفهم هذا الأمر

توّقفت كاتي عن السير لتلتفت نحوها وتُجيبها بثقة:

-سنساعدها على الهرب من البُرج

استدارت مجددًا وواصلت السير عازمة على العثور على بُرج الأميرة بينما تبعتها غيّد متجاهلة إرهاقها وتذمرها من هذا الموّقف برمته، كانت تُريد فقط أن تنتهي الحكاية في سلام، لكن يبدو أن الأماني هنا لا تتحقق أبدًا، حسنًا، هي لا تتحقق في جميع الأماكن.

-فتيات ... إنظروا ماذا وجدت!!

قالتها ميليندا عندما توّقفت عن السير لتلتقط عيناها حقيبة بنُية اللون من القماش المُهتريء، حملت هذه الحقيبة عن الأرض لترضي فضولها بالتفتيش عن محتوياتها، وما زادها ذهولًا هو هذا الطوّق اللامع ذو الفصوص المُرتصة بعناية وهذه الحجرة البنفسجية التي تنتصفه بحرفية لتجعله تاجًا ساحرًا تكاد أشعته تخترق أشعة الشمس من شدة لمعانه.

اقتربت غيّد نحوها لتستطلع هذا الشيء اللامع وتتأمله بينما كانت كاتي تراقبهما من بعيدٍ حتى أتت نحوهما وأمسكت التاج لتتحسه لبرهة قصيرة ثم تُعيده إلى ميليندا متفوّهة:

-خُذيه معنا

بدت كلماتها آمرة لكنها لأول مرة ترضى رغبات ميليندا التي آرادت الاحتفاظ بهذا التاج والتفاخر به أمامهم، بينما كانت غيّد تتجوّل بجوارها وأمامهما كاتي التي تقدمت المسيرة وأخبرتهما أنها تعرف أين يقبع البُرج جيدًا، فهي تحفظ هذا الفيلم عن ظهر قلبٍ كما تحفظ بقية الأفلام.

بقيت أقدامهن تتجوّل بين الحشائش حتى لفحتهن أشعة الشمس والسماء الزرقاء الصافية التي عانقت غيومها بحُبٍ وحنان، وجدن كاتي تتجوّل قُرب حافة الجبل وتتحرك بحذرٍ فوّق جذع شجرة مائلٍ جعل نبضاتهن تتسارع في هلع.

-كاتي .... ما الذي نفعله هنا ؟

سألت غيِّد بصوّتٍ متلجلجٍ ونظراتٍ تُحدق من تلك المسافة الشاهقة التي تفصل بين جذع الشجرة التي يقفن عليها والذي بدا وكأنه يطير فوق هذه المسافة العالية، وكانت ميليندا تبسط ذراعيها محاولة الحفاظ على توازنها بينما واصلت كاتي سيرها بخطواتٍ ثابتة حتى وجداها تقترب أكثر من حافة جذع الشجرة وتدعوهما لاتباعها وكأنها تخبرهما أن ينتحرا.

-لا تقلقا .... أعرف كيف سنصل إلى هذا البُرج

تحركت ميليندا خطوة واحدة وبوادر الخوّف وعدم الثقة يلوحان على نبرة صوّتها وهي تقول:

-وكيف سنصل إلى هذا البُرج ونحن هنا ؟

استدارت كاتي لتوّاجههما كي تُجيبها بنبرة واثقة:

-سنصل حينما يتحطم الجذع بنا

أنهت حديثها بهدوءٍ وثباتٍ جعلت نبضاتهما تتضارب في ذعرٍ أكثر، حتى أن عينا غيِّد قد اتسعتا وهي تقول بعدم تصديقٍ لهذه المجذوبة التي ترغب بقتلهما:

-مـ... ماذا... !!

وما كادت تُنهي حديثها حتى استمعن إلى أزيز الشجرة وهي تتحطم لعدم احتمالها لأوزانهن، طوّيت الشجرة أولًا قبل أن ينفصل جذعها عن حافة الجبل وتنطلق هذه الصرخة العالية من أفواههن وهن يسقطن من الجبل نحو المجهول!!

الفصل السابع عشر (اللصوص والبطة السعيدة)

لا تعتقد أن ما تراه خلف الشاشات ورديًا مليئًا بالسعادة والابتهاج، فبالرغم من أنه عالمٌ خياليٌ ليس له وجود، إلى أنه من صُنع البشر الذين أرهقوا من تخبطات الواقع الأليم....

تيبست أجسادهم على الأرض غير قادرين على التنفس حتى، العديد من السيوف الحديدية يتم إشهارها أمام أعينهم حتى شعروا أنهم أمام جلادهم الذي أتى ليُنفذ عليهم حُكم الإعدام، تقهقروا بضع خطواتٍ للوراء ليصطدموا بالمزيد من الجدران البشرية والمزيد من السيوف المُتعطشة لنحر أعناقهم، بدأت أجسادهم تنتفض بلا هوادة وقلوبهم لا تتوّقف عن الطنين وكأنها ستُسلم الراية وتتوّقف عن العمل، بدأت الفجوة تتقلص ما بينهم وبين العساكر حتى أصبحوا محاصرون من كل حدبٍ وصوّب، لم تكن معركة متكافئة بالمرة، فأجسادهم الضئيلة لا تتماشى مع أجساد العساكر الضخمة وأسلحتهم وخوّزاتهم، أي أنهم هالكون لا محالة، لا يوجد أمامهم سوى حلٌ واحدٌ فقط .... نعم، الفرار!!

رفع الجُندي سيفه وكاد يهوي به على رأس يوجين الذي انتهز الفُرصة وخفض جذعه مُخترقًا الحارس عن طريق المرور بين فتحتي قدميه ليتبعه مارك بنفس الطريق وينتهز سامي تشتت العساكر فيقبض على ذراع الجُندي الذي يقف خلفه ثم يركله بقدمه في منطقة حساسة جعلت الجُندي يتقوّس بألم وسامي يهرول بأقصى ما لديه هو وحكيم.

ركضوا بأقصى ما لديهم في هذه الرُدهة حتى وجدوا يوجين يقفز من النافذة التي تطل على بهوٍ عريضٍ ينتصف السجن، قرر سامي وحكيم أن يتبعاه لعلهما يستطيعان الهرب من هذا المكان، لكنهما ما كادا يتحركان خطوة واحدة حتى قطعهما جُنديان طويلان القامة يحملان زوّجًا من البنادق ويُهددانهما بنظراتهما المُتجهمة؛ ازدرد حكيم ريقه وهو يتراجع للوراء بينما كوّر سامي قبضته وأخذ يرمقهما بنظرات مُتحدية انتهت بإطلاقه صيحة عالية من جوفه واندفاعه كالفهد نحو الجُندي خافضًا جذعه وهو يضرب معدته برأسه الذي أضحى شبيهًا بالكرة الحديدية، وعندما رآه حكيم، غمرته بعض الشجاعة وهو يُقلد سامي وينقض على

الجُنديان ليضربهما ضرباتٍ عشوائية بدت أشبه بضربات فتاة آتية من طبقة أرستقراطية وتتعارك مع زميلتها التي ترتدي نفس رداءها.

دفع سامي الجُندي فاصطدم ظهره بالحائط ثم قفز من النافذة ليتبعه حكيم ويُدركان فيما بعد أن المسافة بين النافذة والبهو لا تتعدى بضعة أمتار، الأمر الذي جعلهما يواصلان الهرولة خاصة عندما استمعا إلى صوّت صمام الأمان الخاص بالبنادق التي يحملها العساكر بدلًا من السيوف التي لم تعُد تُجدي نفعًا، استمعا إلى صوّت طلقات نارية تنطلق مباشرة صوّب أربعتهم وهم يهرولون في هذا البهو بحثًا عن أي مخرجٍ من هذه الغُمة، كان سامي يُحيط رأسه بيديه وهو يهرول حتى لا تُصيبه هذه الطلقات بينما كان حكيم يتحرك باطمئنان لم يكن يفهمه سامي، وكان يوجين ومارك قد سبقاهما ببضعة أمتار.

-بسرعة يا حكيم

صرخ سامي بوجهه بتلك الكلمات حتى يُسرع من خطواته بينما كان حكيم يُجيبه بطمأنينة:

-يا عم متخافش مش هيحصل حاجة .... الأبطال مبيموتوش

كان يتحدث بطمأنينة قطعها صياح سامي المتألم بعد أن آصابته إحدى الشظايا وجعلت الدماء تنفجر من يده التي كان يضعها خلف رأسه حتى تلقت هي هذه الضربة، أمسك رسغة المُصاب بألمٍ تقاطرت معه دماءه وكادت تجعله يُطلق صرخة عالية لكنه حاول كتمها قدر الإمكان وهو يصرخ مجددًا بحكيم الذي كان سببًا بتلقيه هذه الضربة:

-إحنا مش الأبطال يا مُتخلف

انقبضت أوزار حكيم وأخذ يُسرع من خطواته قبل أن يتلقى إحدى الرصاصات، فهو قد أيقن أن يوجين هو بطل الحكاية، وهو الذي لن يُصاب وليس هم، لكنه ما كاد يسلم لتلك المُسلمات حتى وجد يوجين يهرول نحوهما حتى يُسرعا من الخُطى لكنه لا يجد الفُرصة ويجد بدالها تلك الرصاصة التي خدشت كتفه وجعلته يُطلق صرخة مكتومة وبتراجع للوراء من حيث أتى.

ابتسم حكيم ابتسامة واسعة بعد أن تيقن أن يوجين هو الآخر قد أصيب بإحدى الشظايا، الأمر الذي جعله يرفع يده عاليًا ويهتف بفخرٍ كما لو أنه حظى على جائزة تقديرية من الدوّلة:

-ياس ... أنا البطل ... أنا البـ_

قطع سامي حديثه الأبلة وجذبه من كتفه بيده السليمة تزامنًا مع صوّت شظية كانت قريبة للغاية من أجسادهما وكادت تطيح بجسد حكيم لولا دفعة سامي التي أتت في الوقت المناسب.

أسرع حكيم من خطواته هو وسامي حتى ابتعدا عن مرمى الشظايا وواصلا الهرولة حتى صعدا على خيلٍ عربيٍ أبيض اللون وكان مارك يجلس خلف يوجين على خيّلٍ آخر قد سرقوه أيضًا من الجنود وكان يبدو على هذه الخيول بوادر الغضب وعدم الرضا، حتى أنها بدأت تقذفهم بعيدًا عنها كما لو أنهم أتوا لأذيتها.

تجاهل سامي حركات الخيل غير المُنتظمة واستقله رغم أنفه وجلس حكيم خلفه مُتشبثًا بظهره لا يعلم إن كان سامي يستطيع قيادة الخيل أم لا، لكنه مجبور على الثقة به، وسامي لم يكن يعرف أبدًا كيف يقود الخيل لكنه يُقلد حركات يوجين ويمسك جيدًا باللجام ثم يحركه بقوة حتى يتحرك الخيل مُرغمًا وتبدأ أصوات الهرولة بالانطلاق خلفهم.

انطلق يوجين بالخيل ومارك يتشبث بظهره بينما كان سامي يتبعه بخيله الذي لم يكن ثابتًا وكان يصهل باستمرارٍ ويرفع جسده لأعلى مما كاد يوّقعهم أكثر من مرة، وكان الجنود قد استقلوا خيولهم وانطلقوا خلفهم كالسيول الجارفة.

بقيت المطاردة بينهم فوّق أسوار القلعة حتى قفز يوجين قفزة عالية بخيله جعلت مارك يتشبث أكثر بجسده ويُغلق عينيه حتى لا يرى هذه المسافة الشاهقة، وكان الخيل الخاص بسامي أكثر عنادًا وغضبًا، حتى أنه توّقف أمام حافة السور آبيًا الحراك يرفع جُزءه العلوي مُطلقًا صيحة عالية كاد حكيم يسقط على إثرها لكنه تشبث جيدًا.

ازدادت أصوات الهرولة خلفهما مما جعل سامي عازمًا على قفز هذه القفزة قبل أن يقعا مُجددًا بين براثن الجنود، الأمر الذي جعله يتشبث جيدًا باللجام ويتجاهل

تذمرات الخيل وهو يدفعه لقفز هذه القفزة التي أخيرًا قفزها وجعلهم يقتطعون مسافة عالية آعادتهم مجددًا إلى تلك الغابة وجعلتهم يواصلون الهرولة بخيولهم وكان يوجين قد سبقهم بالعديد من الأمتار مُخترقًا هذه الأشجار الكثيفة والظُلمة التي بدأت تطغي على المكان.

أوقف سامي الخيل مرة واحدة ليرتفع جسده للمرة التي لا يعرف عددها ويفقد حكيم السيطرة هذه المرة مما جعله يقع على الأرض ويصطدم بظهره، انسل سامي من الخيل وبدأ يفرك يده المصابة بألمٍ جامٍ قد زاد أكثر حينما ضغط عليها وقاد هذا الخيل، فهو لا يثق بحكيم حتى يوكله هذه المهمة، كانت إصابته هينة لكنه فقد الكثير من الدماء، وربما تلوّث جرحه أيضًا، الأمر الذي دفعه لنزع سُترته وشقها إلى نصفين حتى يُضمد بها جرحه ويُعطي نصفها الآخر ليوجين الذي بدا مُعتادًا على هذه المطاردات، بقي سامي بسترته الداخلية وبنطاله البُني وجلس على أقرب صخره يحاول إزالة القيّح عن جرحه ويتجرع القليل من الماء الذي سرقه يوجين من أحد الجنود أثناء المُطاردة.

-لن تتركنا الشُرطة

قالها سامي ببعض القلق الذي أخمده يوجين بقوله:

-أعرف ذلك .... وأعرف أيضًا أين سنختبيء

أنهى حديثه بثقة وهو يواصل تضميد جرحه بينما تلفت حكيم في كل مكانٍ وكأنه يبحث عن ضالته، لكنه أخيرًا يتوّقف أمامهما متفوّهًا:

-رفاق .... أين مارك ؟

تجهم وجهيهما إثر هذا السؤال وبدأ يوجين يتلفت حوّله بعد أن ظنٌ أن مارك يجلس خلفه على الخيل، لكنه يُصدم من اختفاءه المفاجيء وكأن الأرض قد انشقت وابتلعته أثناء المطاردة، هذ ما جعله يقول باستنتاجٍ يملؤه القلق:

-أو لا !!... يبدو أنه سقط من الخيل أثناء المطاردة!!

صوّت الأنين ينطلق من جوّفها وهي ترفع جسدها المُنهك عن الأرض تُمسد على رأسها بإنهاكٍ واضح، كانت أشبه بغوّل خرج من كهفه للتو ليصطدم ببشاعة العالم بخُصلاتها المُشعثة وثيابها التي أضحت رثة من كثرة المشي ومن هذا المغامرة التي استنزفت قواها، وبعد هذا السقوط، أصبحت تعتقد الآن أنها في العالم الآخر، وأن لا أحد سيشعر بروحها التي تطوّف وتهمها أنها على قيّد الحياة، أو ربما هي في أحد كوابيسها الطوّيلة التي ستستيقظ منها في يومٍ من الأيام، فلا أحد يسقط من تلك المسافة الشاهقة دون أن يتحطم إلى مئة قطعة وتنفجر دماءه في كل مكان، لكن هذا ما يحدث بالواقع فقط، أما في عالم الخيال، فكان سقوطهن من هذه المسافة يُشبه سقوطهن من أعلى الفراش، فما يشعرانه فقط هو بعض الدوّار وبعض الحُطام بعظامهن والتي على الأحرى ستترمم مجددًا.

وثبت غيّد عن الأرض تحاول إزاحة أوراق الشجر عن جسدها وتنظيف ثيابها بينما كانت ميليندا تتشبث بتلك الحقيبة البُنية ولا تتوّقف عن سبٌ كاتي التي خدعتهما وكادت توّدي بحياتهما، بينما كانت عوالم الهدوء على وجه الأخرى وهي تثب عن الأرض تُنظف ثيابها وتتحرك أمامهما بقيادية كما لو أنها لم تدفعهما للانتحار مُنذ قليل، حتى أن ميليندا بدأت تُزمجر بغضب من برودها لكنها في النهاية اتبعت خُطاها على أمل أن تقودهما إلى نهاية الحكاية ... أو ربما نهاية الحياة.

-لمَ لا نستريح قليلًا ؟.... أكاد أموت من الجوع

قالتها غيّد بتذمرٍ وهي تتحرك بصعوبة خلف كاتي التي تجاهلت كلماتها وواصلت السير متفوّهة باصرار:

-لا .... يجب أن نعثر عليها في أسرع ما يُمكن

أطلقت غيّد زفرة سائمة من جوّفها ووّدت لو وجدت أي فراشٍ وثيرٍ لترتمي به وتُريح جسدها المُحطم، لكنها للأسف، لم تجد أي فراشٍ رغم أنهم في عالم الخيال، باتت الآن تبحث عن الخيال في عالم الخيال!!

-وصلنا!!

بصقت كاتي هذه الكلمات بحماسٍ بالغٍ دفعها للتوقف عن السير وتأمل هذا البُرج الشاهق ذو الصخور الجيرية واللمحةً الفيكتورية، فللوهلة الأولة تعتقد أنه منارة

كمنارة الاسكندرية لكنه أكثر نحالة وأكثر طوًلًا، وأكثر قِدمًا أيضًا، كانت غيِّد تتحسس الجدار وتبحث بعينيها عن أي مدخلٍ لهذا البُرج بينما كانت ميليندا تتابعهما من بعيدٍ وتحتضن الحقيبة متسائلة:

-هل سنأخذ هذه الحقيبة ؟

-نعم

هكذا آجابت كاتي بسرعة وهي تُفكر في الطريقة المُثلى لدخول البُرج بينما كانت غيِّد تسأل بفضول:

-أين هو الباب ؟ .... ألم تقولي أن الساحرة قد اختفطت الأميرة هنا ؟

-نعم .... لا نستطيع الدخول من الباب لأنها أغلقته وأوّهمت الأميرة أنه لا وجود لبابٍ هنا ..... وكانت تدفعها لإسدال شعرها الطويل حتى تستخدمه كوسيلة للدخول حتى تؤكد على_

توّقفت عن حديثها الشارح فجأة بعد أن داهمتها إحدى الأفكار التي قد تساعدهما على دخول البُرج.

-وجدتها!!

قالتها كاتي بحماسٍ جعل ميليندا وغيِّد بتابعانها بلهفة وينتظران هذه الخُطة التي وجدتها كاتي حتى وجداها فيما بعد تقترب بضع أمتارٍ من البُرج وترفع رأسها لأعلى حتى تقول بأعلى صوّتٍ لديها:

-ربـــــانزل .... أنزلــــي شعــــرِك....

بقيت تُكرر هذه الكُلمات وتُغيِّر من نبرة صوّتها مما جعل غيِّد وميليندا بتابعانها بذهولٍ ويتعجبان من طريقة حديثها المتناغمة، وقد ازداد تعجبهما أكثر حينما وجدا هذه الخُصلات الحريرية الذهبية تسقط أمامهما كما لو أنها حبلٌ طوّيل؛ اتسعت حدقتي غيِّد في ذهولٍ وبدلًا من أن تتحسس جدار البُرج أخذت تتحسس هذه الخُصلات الذهبية التي لا تُصدق أنها حقيقية، بينما كانت كاتي تقترب من هذه

الخصلات وتتشبث بها كالحبال، حيث كانت ترفع جسدها لأعلى حتى تسمح لغيد وميليندا باتباعها، لكن غيّد لم يكن يُعجبها هذا الأمر وطفقت تسأل بشكٍ:

-ألن نُمزق شعرها بهذه الطريقة ؟

آجابتها كاتي وهي تتشبث جيدًا بخُصلات الشعر الذهبية:

-لا تقلقوا ..... هذه خُصلاتٌ سحرية .... لن تتمزق بهذه السهولة

بقيت تدعوهما لاتباعها حتى ارضخت لها غيّد وتبعتها ميليندا وطفق الاثنتان تتشبثان جيّدًا بتلك الخصلات التي وجداها ترتفع عن الأرض وتصعد البُرج الشاهق كالمصعد، كانت غيّد ترتجف خوّفًا من الانزلاق بينما ارتدت ميليندا هذه الحقيبة وكانت قطرات العرق تنسال على جبهتها من شدة الضغط على جسدها وهي تتشبث جيدًا بهذا الشعر الذي لازالت تشك بقوّته على عكس كاتي التي بدت سعيدة بهذه التجربة.

أخذت نفسًا عميقًا ثم أطلقته ما إن وطأت بأقدامها باحة هذا البُرج وبدأت تُهندم ملابسها وتساعد ميليندا وغيّد على الصعود، اعتقدن أن الأميرة ستستقبلهن بالابتسامات المُرحبة والنبرة الساذجة التي يجدنها عادة في جميع الأميرات، لكن الأمر قد اختلف هذه المرة، فما إن ظهر طيُف كاتي أمام الأميرة حتى أطلقت شهقة مدوية وهروّلت إلى الداخل دون أن تُعقب، وما كادت كاتي تبحث عنها بأعينها حتى وجدت هذه الضربة تداهمها على رأسها وتجعلها تُطلق تأوهًا مكتومًا قبل أن تسقط على الأرض فاقدة للوعي!!

ظهرت ملامح الأميرة ذات الرداء البنفسجي وهي تحمل الطنجرة بكلتا يديها وتقف حرباءتها على كتفها تصوّب نظراتها المُتجهمة صوّب ميليندا وغيّد بعد أن كست الصدمة جنباتهما خاصة وهما يريان كاتي ملقية على الأرض بعد تلقيها هذه الضربة، الأمر الذي جعل ميليندا تُقطب حاجبيها بغضبٍ وتتقدم صوّب الأميرة رافعة سبابتها وهاتفة بتهديد:

-ما الذي فعلتيه أيتها المجنونة !!... هل تـ_

وقبل أن تواصل حديثها الغاضب سارعت الأميرة بضربها ضربة أخرى بتلك الطنجرة أفقدتها الوعي وجعلت عينا غيِّد تتسعان ونبضاتها تزداد ذعرًا، هذه حتمًا ليست أميرة، ربما هي متمردة هربت من القلعة الملكية، هذا ما ظنته غيِّد وهي ترفع يديها باستسلامٍ ابتسمت معه ببلاهة وطفقت تتقهقر للوراء حتى اصطدمت بالنافذة وكانت الأميرة تقترب نحوّها بنظراتها المُهددة وطنجرتها التي تمسكها بقوة عازمة على الدفاع عن نفسها من هؤلاء الدُخلاء، ازدرد غيِّد ريقها بعد أن تأكدت أنها مسجونة في هذا البرج وستلقى مصير صديقاتها، فهي لن تستطيع القفز من النافذة على أي حال، لذلك حاولت التحدث بنبرة هادئة تحمل لمحة الوعود:

-حسنًا ... أعدكِ أنني سأرحل....

بدأت تتحرك للأمام بخطواتٍ مرتجفة بحثًا عن الباب لكنها ما إن خطت خطوة واحدة حتى داهمتها الأميرة بضربة على رأسها ظانة بأن غيِّد ستنقض عليها وتأذيها أو ربما تخدعها بتلك الكلمات قبل أن تنقض عليها.

بات ثلاثتهن الآن ملقياتٍ على الأرض فاقدات الوعي والأميرة أمامهن تُعيد خصلاتها للوراء بفخرٍ وسعادة وتُدير الطنجرة حتى اصطدمت برأسها وبدأت تُمرر يدها عليها ببعض الألم لكنها تعود مجددًا إلى فخرها وسعادتها لأنها استطاعت حماية نفسها من المُعتدين، ثم تتحوّل معاني وجهها إلى الذعر مرة واحدة بعد أن تكتشف هذه الكارثة ... يوجد غُرباء في منزلها!!

تحرك ثلاثتهم فوق الحشائش بعد أن يأسو من العثور على مارك، فيبدو أنه مختفٍ في مكانٍ ما داخل هذه الغابة الواسعة، كانوا يريدون القليل من الراحة بعد هذه المطاردة ومن ثم سيستأنفوا خطتهم ويعثروا على مارك، اصطحبهم يوجين إلى بُقعة نائية داخل أحراش الغابة حيث يوجد مبنًا صغيرًا من الخشب العتيق المُلتصق ببعضه بعشوائية، كانت الغرابة تلوح على وجه حكيم بعد أن لمح هذه اللافتة المدوّن عليها اسم " البطة السعيدة " أدرك بعدها أن هذا المقهى الذي يدخلونه يُسمى بهذا الاسم العجيب، حسنًا، هو ليس عجيبًا لهذه الدرجة فدوّلته أيضًا تحتوي على العديد

من أسماء المقاهي العجيبة كالجحش والبغل وغيرهم، كما أنه ليس أغربًا من بقائهم بهذا العالم من الأساس.

تقدم يوجين مسيرتهم بخطواتٍ شامخة واثقة مما سيقبلون عليه، فهو قد أخبرهم وأكد لهم مرارًا أن هذا المكان آمنٌ وسيستطيعوا الاختباء بداخله بسهولة، الأمر الذي دفع حكيم وسامي لتصديقه واتباع خطواته دون أية أسئلة، وجداه يفتح باب المقهى لتُحيطهم عُتمته ورائحته الكريهة، جعد حكيم وجهه باشمئزازٍ وهو يقتحم هذا المقهى الذي بدا أشبه بحُجرة للمجرمين، ولأنه من عائلة مُرفهة، لم يكن مُعتادًا على هذه الأمور، على عكس سامي الذي بدت معالم وجهه جامدة نظرًا لأنه من عائلة بسيطة أقرب إلى الفقر ودائمًا ما يطيء أماكن كهذه.

كاد يتقهقر حكيم للوراء لعدم رغبته بالدخول لكن يوجين أمسكه من ذراعه ودفعه للداخل مُطمئنًا إياه بقوله:

-هيا ... لا تخف .... لكن لا تتعمق كثيرًا ... فالرائحة ستزداد سوءًا

أنهى الحديث بتحذيرٍ زاد من عوالم الاشمئزاز لدى حكيم بينما كان سامي يتجاهلهما ويدلف إلى الداخل مُخترقًا هذه الأجساد الضخمة ذات الشوارب العجيبة وثياب العصور الوسطى، واصل توّغله إلى الداخل حتى اصطدم جسده بجدارٍ بشري يرتدي ثيابًا داكنة شبه ممزقة ويُزمجر بوجهه كما لو أنه دبًا بريًا هاربًا من حديقة الحيوان؛ ارتد سامي للوراء ليصطدم ظهره بظهر يوجين الذي كان يُعلق على شوارب رجلٍ آخر مؤّجهًا كلماته صوّب حكيم حتى يطمئن من سلامة هؤلاء الرجال.

التفت سامي صوّب يوجين حتى يسأله بنظراتٍ مُتشككة:

-هل متأكدٌ أن هذا المكان آمنٌ ؟

ابتسم يوجين ابتسامة واثقة قال معها:

-لا تقلق .... لن يعثر علينا أحدٌ هنا .... أنا واثق من ذلك

وما كاد يُنهي كلماته حتى استمع ثلاثتهم إلى صفعة الباب القوية التي جعلت أجسادهم تنتفض بذعرٍ ثم يتلفتون صوّب هذا الباب ليظهر أمامهم رجلٌ ضخمٌ ذو

شوارب داكنة مُصففة بعناية وخصلات شعرٍ قليلة تقترب من الصلع مع ابتسامة واسعة ماكرة ألصق معها يده على الجدار ثم أبعدها ببطءٍ لتظهر صوّرهم الثلاثة مع كلماتٍ تدل على هروبهم من العدالة ومكافئة مالية لمن يعثر عليهم، لكن حكيم ما إن رمق صوّرته التي تحتوي على تلك العينان الضيقتان الأقرب إلى الحوّل حتى تذمر :

-ماذا !! .... أنا لا أبدو هكذا!!

بينما كان يوجين يزدرد ريقه ويُتمتم باعتراضٍ على أنفه الضخم المرسوم بالصورة وبخوّفٍ أيضًا مما سيحدث بعد ذلك، وكان سامي يقف بجوارهما يبادل نظراته بين الرجال الذين حاصروهم من كل اتجاه، وكانت نظراتهم الشغوفة تزيدهم شعورًا بالهلع وباقتراب النهاية.

بدأ الرجل الضخم بالتقدم نحوهم ليتراجع ثلاثتهم للوراء حتى يصطدموا بالمزيد من الأجساد البشرية حتى آحاط أحد الرجال برقبة يوجين ليوقفه عن الحراك بينما مدُّ الرجل قبضتيه لينتشل كلًا من سامي وحكيم بيديه الضخمتين ويُحدق بعينيهما متفوّهًا بشراهة:

-هل تعرفوا كم سأجني من المال بعد تسليمكم.....!!

تأوه بجسده وهو يحاول الوثوب عن الأرض بجسدٍ مُحطم ثقيلٍ لا يستطيع حمله عن الأرض، كانت الرؤية ضبابية أمامه والدوّار يُفتك برأسه حتى شعر بسخونة تجتاحه، وضع يده على جبهته ليتحسس مصدر الألم ويتفاجأ بهذا السائل اللزج الذي أدرك فيما بعد أنه دماءه، أغلق عينيه ثم فتحهما ليكتشف أنه يجلس على الأرض وخلفه إحدى الأشجار الضخمة وجواره بعض الأحجار الكبيرة التي يعتقد أنه اصطدم بإحداهما وهو يقع من الخيل.

حاول مارك أن ينهض عن الأرض ليُدرك أنه قد غاب عن الوعي لفترة، لا يتذكر سوى تلك المطاردة وهذا الخيل الذي يتحرك بسرعة جنونية ويرتفع بجسده حتى يقذفهما بعيدًا عنه، الأمر الذي جعله يسقط على ظهره ولا يلاحظه يوجين الذي كان منشغلًا باحكام السيطرة على الحصان حتى لا يسقط هو الأخر، وبالطبع واصل

سيره ولم يلاحظ اختفاءه وسقوطه بتلك البُقعة النائية القابعة بجوٌف الغابة، بدأ يتحرك بصعوبة ويضع يده على جبهته المصابة ثم يُبعد خصلاته حتى لا تختلط بدماءه، يشعر أن الدوٌار سيُفتك به ويجعله يفقد توازنه لكنه يتماسك ويواصل السير وعوالم الغضب تتملكه، كيف تركوه ورحلوا هكذا دون أن يعثروا عليه أو يُلاحظوا وجوده حتى!!

بدأ عقله يخلط بين ما حدث وما كان يحدث بطفولته التي قضاها وحيدًا منبوذًا حتى فقد ثقته بالآخرين، وها هم الآن يؤكدون أنه لا يجب أن يثق بأحد، حاول أن يُنفض أفكاره ويواصل السير لعله يعثر عليهم ويأخذ منهم الجهاز ويعود إلى عالمهم بعد أن يتركهم هنا ليدفعوا ثمن ما فعلوه به، بقي يتحرك ويُسبهم بصوٌتٍ خافتٍ قطعه إحدى الظلال التي غطت على جسده الهزيل وجعلته يرفع رأسه عن الأرض لتتقابل عينيه مع هذين الجسدين الضخمين اللذان كانا أقرب إلى التوأم!!

-إيبه ... مرحبًا

قالها مارك ببلاهة طغت على خوٌفه من نظراتهما الشيطانية واقترابهما نحوه أكثر حتى شعر أنهما سيسرقان أعضاءه ويبيعانها، هذا إن كانت تجارة الأعضاء موٌجودة هنا، تقهقر مارك إلى الوراء محاولًا الهرب لكنه يتفاجأ بهذه القبضة التي تنتشل ياقة ثيابه مع هذا النصل الحاد الذي أشهر أمام عينيه مباشرة وجعل مارك يزدرد ريقه بخوٌفٍ قد وٌصل إلى ذروٌته، خاصة بعد أن اقترب الرجل بوجهه نحوه وبدأت أنفاسه الكريهة تقتحم أنف مارك مع تلك الكلمات الجادة والمُهددة:

-أين فلين ؟ .... وإلا قتلتك!!

الفصل الثامن عشر (غناء ينتهي بكارثة)

هذا العالم مسرحٌ كبير، فأما أن تؤدي به دوٌرك بحرفية، أم تضحى من المشاهدين، وأحيانًا تعتقد أنك من المشاهدين وتكتشف فيما بعد أنك من أبطال الحكاية، وربما مُدمريها أيضًا....

فتحت عينيها ببطء حاولت معه اعتصار ألمها ورأسها التي أضحت تزن أطنانًا، ربما لو كان رأسها يتحدث لمَ وٌبخها على ما تفعله به، فبخلاف هذه القفزة المميتة، أتت هذه الضربة وجعلت عقلها يكاد يتفتت إلى مئة قطعة، حتى أنها بدأت تُلاحظ هذه الكدمة الزرقاء التي تعتلي جبهتها وتتغلغل بين خُصلاتها القصيرة.

رفعت غيٌد رأسها لأعلى وحاولت تحريك أطرافها لكنها تفشل في كل مرة، فهناك شيءٌ ما يُقيدها ويمنعها عن الحِراك، وما هي إلا لحظاتٌ حتى اكتشفت أن ما يُقيدها هو مجرد خُصلاتٍ طوٌيلة ألصقتها بمقعدٍ خشبيٍ أخضر اللون مُلتصقًا بمقعدين آخرين يجلس عليهما كلًا من كاتي وميليندا اللتان استيقظتا من هذه الغيبوبة القصيرة ووجدتا أنفسهما على تلك الحالة وأمامهن الأميرة تحمل تلك الطنجرة وكأنها سيفًا حادًا وترمقهما بنظراتٍ حادة قلدتها حرباءتها التي تقف على كتفها وقد أسمتها باسكل، فما إن آفاقت ميليندا ورأت هذه الحرباءة حتى حاولت الاقتراب نحو أذن غيٌد لتُعلق بسُخرية:

-إنظري إلى هذه الحرباءة ..... تُشبه زوجة أبي

ابتسمت غيٌد على سُخريتها وما كادت تتحدث حتى داهمتهن الأميرة بأسئلتها الحادة:

-من أنتم ؟ .... وكيف عرفتن بهذا البُرج ؟

سألتهن بنظراتها المُهددة وطنجرتها التي رفعتها عاليًا حتى تبادلت نظرات الفتيات وارتبكت معاني وجوههن إلى أن تدخلت كاتي للإجابة بكذبٍ رغم أنه بدا واثقًا:

-نحن ضائعات ....ووجدنا هذا البُرج بالصدفة

-وكيف علمتن بشعري ؟

هكذا حاصرتها الأميرة بهذا السؤال حتى يطغي الارتباك على وجه كاتي ولم تكن تعرف ماذا تقول، حيث أنها بدأت تتهته بالحديث وتبادل نظراتها معهما لعلهما يتدخلان ويُساعدانها، وبالفعل تدخلت غيِّد هذه المرة لكنها قررت تغيير الحديث تمامًا، أو ربما كان الأمر عفوّيًا بالنسبة لها، فهي لم تتوّقف عن تأمل خصلاتها الطويلة الناعمة حتى سألت بفضول:

-هلا أخبرتنا عن روتين اعتنائكِ بالشعر ؟... فشعري لا يزداد طوّلًا أبدًا

لانت ملامح الأميرة وبدا على وجهها علامات التيه لأنها لا تعرف هذه الإجابة، فشعرها لا يخضع لأي من الروتينات سوى أنها تقوم بتمشيطه يوميًا، كما أن غيِّد لم تنتظر إجابتها وواصلت أسئلتها الفضولية:

-أريد أن أسألكِ سؤالًا آخرًا .... ألا يتسخ شعرك حينما يدعس عليه أحدهم بقدمه .... أو عندما تستخدمينه كالحبال ؟

كادت تتحدث الأميرة لكن غيِّد قطعتها مجددًا وكأنها تُريد أن تبصق أسئلتها مرة واحدة:

-وسؤالٌ آخر .... ألم تفكري أبدًا أن هناك باب لهذا البُرج ..... ألم تُفكري بكيفية وصول والدتكِ لهنا وأنتِ طفلة رضيعة ؟

قطبت الأميرة حاجبيها بحيرة من كم هذه المعلومات التي تعرفها غيِّد وكأنها صديقتها مُنذ قديم الأذل، كان الذهول يُغطي معاني وجهها وكاد الخوف يتشارك في الأمر أيضًا لكنها قبل أن تباشر بالحديث قطعتها غيِّد للمرة التي لا تعلم عددها:

-عفوًا عفوًا ... لدي سؤالٌ آخر ... ما الذي_

هذه المرة تدخلت ميليندا بعد أن طفح كيلها من هذه الأسئلة التي لا تتوّقف والتي نجحت بجدارة عن إلهاء الأميرة... وإصابتها بالغضب:

-هلا توّقفتي عن هذه الأسئلة الخرقاء ..... أتينا هنا لنأخذ الأميرة، لا لنستمع لأسئلتكِ السخيفة

انتفضت غيّد إثر صراخها الحاد وتبلمت معاني الأميرة من كم هذه الصدمات التي ألقيت عليها، حتى أنها ظنتهن مجموعة من المجرمين أتوا لخطفها والاستيلاء على شعرها كما أخبرتها والدتها.

-ماذا !! ... أتيتم هنا لأخذي ؟

أغلقت كاتي عينيها بنفاد صبرٍ من هاتين الأحمقتين اللتان أفسدتا الأمر وجعلتا الشكوك تلتف حوّل الأميرة مما يعني إفساد المُهمة، الأمر الذي جعلها تتدخل فوّرًا قبل أن تنجرف الأميرة نحو شكوكها وتُلقيهما من نافذة البُرج:

-لا تقلقي ... أتينا لمساعدتكِ على الرحيل من هنا .... سمعنا غناءكِ ذات مرة ورأينا خُصلات شعرك تتدلى من القصر .... شعرنا فيما بعد أنكِ مسجونة هنا .... لذلك أتينا للمساعدة

باتت نبرتها عاطفية واثقة جعلت الأميرة ترمقها بلينٍ كادت معه تُصدق حديثها، لكنها في أقل من ثانية، تقبض مُجددًا على الطنجرة وترفعها لأعلى وهي ترميهن بنظراتٍ رعدية مُهددة:

-وما الذي سيجعلني أثق بكن ؟

رفعت غيّد رأسها تحاول استمالتها بسؤالها:

-ألا تريدين الرحيل من هنا .... ألا تُريدين رؤية العالم ؟ .... ألا يوجد لديكِ أحلامٌ ترغبين بتحقيقها ؟

كانت تتحدث عن رغبة الأميرة بمشاهدة المصابيح الطائفة كما أخبرتهن كاتي وهن في الطريق إلى هنا، ولأنها لا تريد إثارة المزيد من شكوك الأميرة، حافظت على غموضها واستمالتها حتى لانت عوالم الأميرة مُجددًا وبدأت تُفكر في حديثهن، فربما ينجدنها بالفعل من هذا البُرج ويساعدانها على رؤية المصابيح كما تحلم.

-بالطبع لدي أحلام.....

قالتها الأميرة بنبرة خافتة تحركت معها للوراء وبدا صوّتها متناغمًا وهي تتحرك حوّلهن ترفع يدها باستعراضية بدأت معها الغناء عن وحدتها وبقاءها في هذه القصر

حتى بدأ صوّت الموسيقى بالظهور واندمجت الأميرة أكثر وبدا غناءها مُفعمًا بالحماس وهي تلتف وتزيح خُصلاتها عن أجسادهن بطريقة عفوية جعلت مقاعدهن تدوّر وتسقط على الأرض فتتساقط أجسادهن فوق بعضهن ولا تكترث الأميرة لذلك لأنها تواصل الغناء:

-وأطوف فوق الغيوم .... بعد رؤيتي لهذه النجوم....

واصلت الأميرة غناءها ورقصها الاستعراضي وهي تتجوّل داخل البُرج وتزيح السِتار عن رسمتها الخاصة بالنجوم ثم تواصل التجوّل والغناء والتقاط ألوانها وفُرشاتها حتى ترسم رسماتٍ عشوائية تخيّلت معهن قسوة العالم وما تُخبره إياه والدتها لينقلب غناءها إلى بعض الخوّف لكنها تُبدده وتتقترب نحوهن ثم تواصل دوّرانها برداءها البنفسجي وخصلاتها الطويلة التي أحاطتها من كل جانب.

وثبت ميليندا عن الأرض تُنفض ثيابها كبقيتهن بعد أن تركن المقاعد ملقية على الأرض وبقيوا يراقبن الأميرة وهي تقف على مقعدٍ من المقاعد المقلوبة وتفتح ذراعيها ممثلة أنها تستنشق عبق العالم وهي تُغني، بينما كانت غيّد تتلفت حوّلها بتيهٍ وتسأل:

-من أين أتت هذه المُوسيقى ؟

آجابتها ميليندا بجهلٍ حدقت معه بتلك الأميرة:

-السؤال الأهم هنا .... متى ستتوّقف هذه الأغنية ؟

ما كادت تُنهي سؤالها حتى وجدن الأميرة تُنهي الغناء بنبرة صاخبة متناغمة أغلقت معها عينيها وكأنها تطوف بأحلامها ثم تلتفت لهن لينتبهن إلى آخر جملة في الأغنية وآخر مقطوعة أعربت فيها عن رغبتها الشديدة في رؤية هذه المصابيح، فما إن أنهت أغنيتها حتى أخذت تتطلع بهن بحماسٍ طفولي تنتظر تعقيبهن على أغنيتها وشعرها الذي آضاء مع غناءها، كانت تنتظر أيضًا أن يتعاطفن ويواصلن الغناء معها كما تعوّدت لكنها وجدتهن يطالعنها بجمودٍ وملٍ حتى أردفت ميليندا بصدق:

-كان من الأسهل أن تُخبريننا فقط ماذا تُريدين....!!

انسدلت خُصلات الأميرة من أعلى البُرج بعد أن رفعت جُزءًا منه وأوصدته بأحد العواميد الأفقية ثم تعلقت بخُصلاتها وتزحلقت حتى أسفل البُرج، بينما كان ثلاثتهن يراقبنها بحيرة لا يفهمن ما هي الخطوة التالية حتى آشارت لهن الأميرة بالتعلق بشعرها واتباع طريقتها بالنزول من البُرج، فكانت كاتي أول المُستجيبات وتمسكت جيدًا بخُصلات الأميرة وهي تتزحلق لأسفل بينما تبعتها غيْد بحماسٍ طفولي ورهبة طفيفة ثم ميليندا التي كانت مُترددة في باديء الأمر تتلفت حوّلها في تيهٍ لا تريد اتخاذ هذه الخطوة المجنونة لكن كاتي تأمرها بالإسراع قبل أن تأتي جوّثيل وتُفسد الخطة برمتها.

وافقت ميليندا في نهاية الأمر وتزحلقت بخُصلات شعرها الناعمة وقلبها الذي لم يتوّقف عن إطلاق ضرباته حتى لمست قدماها تلك الحشائش الخضراء وتأكدت أنها هبطت بسلام، لكنها لوهلة تتحوّل إلى الغرابة والتعجب حينما وجدت الأميرة تستلقي على الأرض تتحسس الحشائش وتشتمها وكأنها سجينٌ حصل على حُريته للتو، حتى أن غيْد كانت تظنها تشتم الأزهار وليس مُجرد حشائش خضراء.

سرعان ما وجدن الأميرة تُطلق صيحة عالية مُتحمسة وتبدأ بالهرولة في كل مكانٍ كطفلٍ صغيرٍ تعلم المشي حديثًا، كانت تصيح بغير تصديقٍ وتقول أنها ستبقى هنا مدى الحياة ثم تتوّقف فجأة عن الركض وتبدأ بالنحيب والبكاء متكوّرة على نفسها نادمة على فعلتها ثم تعاود الركض والقفز على الصخور وتستلقي على الحشائش بعدها وهي تُفكر في عقوبة والدتها وكيف ستغضب، وهكذا دواليك، تضحك وتمرح ثم تبكي وتتحسر أمام ثلاثتهن ونظراتهن التي تشي بالغرابة حتى علّقت غيْد بسُخرية:

-لم أكن أعتقد أن هرمونات الفتيات موجودة هنا أيضًا

واصلت الأميرة هروّلتها بسعادة حتى توّقف أمامهن متسائلة:

-متى سنتحرك ؟

تدخلت غيْد برجاء:

-بالله عليكم ... أريد تناول الطعام ... ألا يوجد مطاعم هنا ؟

وثبت كاتي من أعلى الصخرة التي كانت تجلس عليها وطفقت تتقدم نحوّهن متفوّهة :

-لا تقلقوا .... أعرف أين سنذهب....

عقّبت ميليندا بتذمرٍ من طريقة كاتي الغامضة التي لا تعجبها بسبب طبيعتها العلمية المباشرة، فكاتي دائمًا ما تُفاجئهن ولا تفصح عادة عن خطتها، ربما لأنها لا تريدها أن تفسد، أو ربما لأنها تعشق نظرة التفاجؤ في أعينهن، وهذا ما لا يُعجب ميليندا أبدًا:

-هلا توّقفتي عن هذه الطريقة وأخبرتينا مباشرة أين سنذهب

تنهدت كاتي باستسلامٍ آجابت معه:

-حسنًا .... سنذهب إلى البطة السعيدة....

التف حوّلهم الرجال بأجسادهم الضخمة ونظراتهم الشغوفة، قرّب الرجل نظراته صوّب يوجين الذي ازدرد ريقه بهلعٍ وبقي محافظًا على ثباته حتى استمع إلى الرجل وهو يأمر تابعه بإحضار الحُراس، في تلك اللحظة، انقبضت أساريرهم وباتوا مُتيقنين أنهم عالقون هنا لا محالة، رغم أنها أحداث الحكاية الطبيعية، لكنهم لا يجب أن يضحوا هنا من الأساس.

قبض الرجل على ياقة حكيم وكأنه حظى على غنيمته التي سيربح من خلالها الملايين، لكنها ثوانٍ قليلة حتى دفعه رجلٌ آخر وانتشل هو ياقة ثياب حكيم الذي أصبح لعبة بين أيديهم.

-إتركه لي .... أنا بحاجة إلى المال

هكذا قال الرجل وهو يجذب حكيم نحوه ليُسلمه للشُرطة وينل هذه المكافئة المالية، لكن الرجل الآخر لم يتركه وشأنه وحاول دفعه مجددًا وانتشال حكيم من بين يديه مما جعل الآخر يُحاول تهدئتهما ببلاهة:

-إهدأو يا رفاق .... لا تخسروا صداقتكما بسببي .... يمكنكما اقتسام المال .... ولا تقلقوا .... سأخبر الشُرطة أن كلاكما ساعدتما على الإمساك بي

هدأت نيران الرجلين بعد أن استحسنا خطة حكيم البلهاء بينما كان سامي يحاول دفع ما يستطيع من الرجال حتى زاد الهرج والمرج وتعالت الصيحات والشجارات، فكانت أجساد الثلاثة تتناقل بين الرجال ويتم دفعها وكأنها كرة مستديرة، ناهيك عن الشُرطة التي كانت في طريقها إليهم...!!

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يرى فوّهة الخنجر مُصوَّبة أمام عينيه تلازمها هذه النظرات المُهددة وهذين الضخمين اللذان لا يعرف من أين أتيا، لكنه مُتيقنٌ من أنهما رأاه وهو يحاول إنقاذ يوجين حتى أمسك بكلاهما، لا يعرف حتى العداوة التي بينهما وبينه.

قبض الرجل على ثيابه ودفعه بقسوة للأمام، فكان مارك يترنح بين قبضته ويداه التي كانت بحجم وجه، بقي الرجل يدفعه للأمام ويُقرب فوهة الخنجر من رقبته فيسير مارك مُرغمًا حتى وجد سيدة ذات شعرٍ مُجعدٍ وثيابٍ سوّداء تخرج من بُقعة نائية وعلى وجهها نظرات الغضب والوعيد، خاصة مع إضاءة الشمس الخافتة التي زادت معاني وجهها شرًا.

-عثرنا على هذا

قالها الرجل بازدراء وهو يدفع مارك للأمام صوّب جوثيل التي كانت ترمقه بحدة وتستمع إلى كلمات الرجل الثاني:

-رأيناه مع فلين

ابتسمت جوّثيل ابتسامة شيطانية ماكرة جعلت نبضات مارك تتضارب وشعور الخطر بدأ يجتاحه، هذا ما جعله يبسط ذراعيه مبررًا:

-اسمعوا .... أنا لا أعرف شيئًا عن ذاك المدعو بفلين .... فلا فائدة من وجودي معكم

قهقهت جوٌثيل قهقهة خافتة تحمل من المكر والدهاء ما يحمله الدب من الفراء، كانت تقترب نحو مارك بضع خطواتٍ أوقفتها وهي تُحدق بمُنتصف عينيه وتهتف بصدق :

-ومن قال أننا نُريدك أن تُخبرنا أين هو .... يكفي أن نستخدمك كطُعم .... ثم سأقتلهم جميعهم!!

تركته يُحدق بها بنظراتٍ جاحظة مصدومة ازدرد معها ريقه في هلعٍ وخوٌفٍ مما قد يحدث، وجدها تلتفت وتوٌليه ظهرها ثم تتحرك أمامه، شعر بيدٍ غليظة تقبض على رقبته من الخلف مع كلماتها التي آشارت معها بأصابعها:

-أحضروه

شعر بعد كلماتها بدفعة قوية تجعله يتحرك معهم للأمام وداخله نيرانٌ تعتمر، لا يعرف إن كانت نيران الخوف أم نيران الغضب، لكنه يعرف أنه في ورطة كبيرة، وربما هذه الورطة تنعكس على رفاقه وتجعلهم عالقون هنا، صحيح أنه آراد التخلص منهم وتركهم في هذا المكان، لكنه الآن، يشعر أنهم سيُهلكون، وهو سيتقدمهم في الهلاك، فإذا عُثر على رفاقه وقاموا بتهديدهم به، ستنتهي الحكاية عند هذا الحد وسيُقتل جميعهم.

تحرك معهم بعقلٍ شارد وأفكارٍ تلوح حوٌل رأسه وتتلخص في البحث عن طريقة للنجاة، لا يزال الخِنجر مصوٌبًا على رقبته يُعيق تحركاته لكنه يتجاهله ويدوٌر بحدقتيه في كل مكانٍ حتى يعثر على أقرب المنافذ، كان الدماء قد جف على رأسه ولا زال الدوٌار يُداهمه، لكنه رغم ذلك يتماسك قدر الإمكان ويواصل، اعتاد الشعور بالألم والتماسك مُنذ كان صغيرًا، فلن ييأس الآن ويتركهم يحاولون الفتك به بهذه الطريقة.

استجمع أفكاره في أقل من الثانية، كوٌر قبضته بقوةٌ حتى ابيضت مفاصلة، وبحركة سريعة مباغتة، توٌقف عن السير فجأة ليعيد مرفقه للوراء ويضرب ذراع الرجل الضخم حتى يبتعد عنه، كان يُريد الهرب منهم لكنه يجد الآخر يقبض على ملابسه ويرفع خنجره ليهوي به عليه، لكن مارك يقاوم ويركله بقدمه حتى وجد الآخر يُحيطه بكلتا ذراعيه ويرفعه عن الأرض بجسده الضخم.

تلوّي مارك وهو مرفوعٌ لأعلى لا يزال يحاول الهرب من قبضتهم حتى بعد أن رآى نصل الخنجر الذي يحمله الرجل ويُهدده به، كان الغضب قد تفاقم بداخله وبات يتخيل ذكرياته الأليمة وكلٌ من تسبب بأذيته مُنذ كان صغيرًا حتى هذه اللحظة، اشتعلت عينيه بوميض الغضب وهو يُعيد رأسه للوراء ويضربها بأنف الرجل الذي تأوه وتركه ملقيًا على الأرض فيتدحرج مارك إلى اليمين قبل أن ينقض عليه الرجل الآخر، ثم يثب بسرعة عن الأرض ويبدأ الهرولة بأقصى ما لديه داخل جوّف الغابة.

نبضاته تكاد تُعادل سرعة الفهد، وصوّت لهيثه ينطلق بلا هوادة، يركض ويركض بلا توّقف، لا ينظر للوراء أبدًا، فمنذ أتى إلى هذا العالم وهو يعرف جيدًا أن رؤية المطارد تُعيق الذي يتم مطاردته، لهذا السبب واصل الركض دون أن يلتفت للوراء، ولا حتى للأمام، فهو لا يعرف أين يذهب، ولا يعرف إن كان سينجو من هذا الأمر أم لا، يشعر بنغزة قوية في صدره لكنه لا يلتفت لهذا الأمر ويواصل الركض حتى تأكد تمامًا أنه استطاع أن ينجو.

توّقف عن الركض أخيرًا في بُقعة نائية غطتها هذه الأشجار الكثيفة والحشائش الخضراء، كانت الشمس قد بدأت بالانحدار والسماح للعُتمة بأن تتوّلى أمور الساحة، كان الدوار قد ازداد أكثر وجعله يضع يده موّضع الجرح واليد الأخرى على صدره ليُهديء من أنفاسه المتسارعة وقلبه الذي شعر وكأنه سيبصقه من جوّفه.

ما إن هدأت أنفاسه حتى شعر بألمٍ قويٍ يجتاح أسفل معدته، ألمٌ قد يجعله يصرخ من الوجع، لكنه يعرف أنه أقوة من أن يصرخ من تلك الآلام التي عانى منها طوال حياته؛ وضع يده أسفل معدته ليتحسس موّضع الألم، أحنى جذعه وبدأت أنفاسه تتقلص وحرارته ترتفع، شعر بسائلٍ ساخنٍ ينبثق من معدته وسكاكين تنحر به بلا هوادة، رفع يده ليرى هذا السائل لتتسع حدقتيه ويرتجف بدنه أكثر، فيبدو أنه أصيب بإحدى الخناجر في محاولته للهرب!!

تقدمت كاتي المسيرة كالعادة وكانت نظراتها ثاقبة تعرف وجهتها جيدًا، صحيح أن المسيرة أخذت الكثير من الوقت ربما أكثر من ساعتين حتى بدأت غيّد تتذمر

وتجبرهم على الراحة أمام شجرة التوت حتى تقطات منها وتُصمت معدتها التي كانت أكثر تذمرًا منها، أما الأميرة، فكانت تتلفت حوّلها في ذهولٍ ومعها طنجرتها التي لم تفارقها، فكانت كلما استمعت إلى صوّتٍ طفيف، تُشهرها أمامها وكأنها على وشك الانقضاض على أحدهم.

وصلن أخيرًا وجهتهن مع انحدار الشمس ومعانقتها الأرض في مظهرٍ بديعٍ يزداد جمالًا خاصة وهن بعالم الخيال، ما إن رأت كاتي تلك اللافتة ذات اسم " البطة السعيدة " حتى ابتسمت ابتسامة منتصرة ودعتهن بحماسٍ حتى يتبعنها صوّب هذا المقهى الخشبي العتيق، لازالت الأميرة تتلفت حولها وتُلملم شعرها وغيّد تساعدها في ذلك، وميليندا تتبعهن دون أي تعليق، داهمهن صوّت الشجار والجلبة التي تحدث بالداخل حتى ظنوا أنهن بحلبة مصارعة، لكن أجسادهن تتصلب ما إن رآوا هذا المشهد.

كان سامي مُعلقًا في الهواء على كتف أحد الرجال الضخمة، وهناك من يمسك بقدم يوجين وآخر بذراعيه وكأنهما يريدان اقتسامه، بينما كان حكيم ينتصف مجموعة من الرجال ويحاول تهدئتهم وإبعادهم عنه لكنهم لا يكترثون له ويتعاركون عليه حتى شعر كم أنه كنزٌ ثمينٌ يتعارك الجميع من أجله.

فتحت كاتي فمها بذهولٍ سُرعان ما تبدد إلى السعادة، فقد كانت تُخطط للبقاء هنا حتى يأتي يوجين الذي تعلم جيدًا أنه سيأتي فوّر هروبه من السجن، فهذا ما دوّن بالحكاية، صحيحٌ أنها لم تتوّقع هذا العراك، لكن يكفي أن خطتها تسير وفق ما تُريد.

اندفعت فوّرًا صوّب الرجل الذي يحمل سامي وكان الغضب قد بدأ يطغي عليها هذه المرة، تريد أن تنقذ رفاقها من هذا الأمر بأية طريقة، لا تعرف لماذا بدأت بسامي تحديدًا لكنها ستفعل ما بوّسعها حتى تنقذه من بينهم، أخذت تضرب الرجل بقبضتها الهزيلة وضرباتها العشوائية حتى وجدت ميليندا تصيح بأعلى ما لديها وتنقض على أولئك الممسكون بيوجين لعلها ستُخلصه من أيديهم، وكانت غيّد في حالة من التيه لكنها عادت إلى الواقع بسُرعة وهرعت نحو إحدى الكؤوس المعدنية لتقذفها على أولئك المُحيطون بحكيم وكانت تصرخ بهم بلغة عربية لم يفهمها سوى حكيم.

ازدادت الفوّضى داخل المقهى وانتبه الرجال إلى هذه الفتيات المتمردات مما زاد من غضبهم وأشهروا أسلحتهم صوّب الثلاثة فتياتٍ حتى حاصروهن بإحدى الزوايا استعدادًا لقتلهن، الأمر الذي زاد من ذعر الأميرة وجعل نبضات قلبها تزداد قلقًا ثم تتحوّل إلى الغضب ما إن ترى الرجال يهددون الفتيات، أو المُرشدات كما أسمتهن، كانت تصيح بهم حتى يتوّقفوا لكن لا أحد يستمع لها ويستمر العراك بل ويزداد حدة، الأمر الذي جعلها تُقطب حاجبيها بغضب ثم تقبض على خُصلاتها الطويلة وتقذفها بمهارة جعلت خصلاتها تلتف حوّل إحدى العواميد الخشبية ثم تجذبها نحوها حتى يسقط الجذع على رأس الرجل الذي كان يُهدد الفتيات والذي يُعد زعيمهم.

عمّ الصمت مرة واحدة وأخذ الجميع يلتفت نحو الأميرة التي كانت نظراتها مُشتعلة وهي تصرخ بهم:

-توّقفوا ..... أريد أن أرى المصابيح وأحقق حُلمي .... أليس لديكم أحلام ؟

صمت الجميع بُرهة وهم يُحدقون بالأميرة حتى قوّص الرجل حاجبيه ورفع فأسه لأعلى، طفق يقترب نحو الأميرة بنظراتٍ غاضبة جعلت غيّد تعتقد لوهلة أنه سيقتلها، اقترب بوجهه نحوها فتراجعت أكثر للوراء حتى حُصرت في إحدى الزوايا، وما هي إلا لحظة وجيزة حتى وجدت نظراته تلين وكلماته تتحوّل إلى طريقة متناغمة وهو يتحدث عن حُلمه، وصوّت الموّسيقى يشتعل من وراءه.

ضرب سامي جبهته بنفاد صبرٍ بينما تحوّل المقهى من حلبة مصارعة إلى مسرحٍ استعارضي، فكان زعيمهم يتحرك ويبسط ذراعيه باستعراضية:

-تمنيتُ أن أكون عازفًا

قالها وهو يجلس أعلى خشبة المسرح ويعزف بمهارة على البيانو وهناك ضوّء لا يعرفوا أين مصدره لكنه يُسلط على الزعيم وهو يُغني ويضرب زميله من شدة اندماجه، أخذ بقيتهم يرتفعون برؤوسهم ثم ينخفضون بتناغمٍ حتى وجدوا أحدهم يزحف على الأرض وهو داخل إحدى الخزانات التي ادعّى أنها سفينة وأخذ يُغني عن حُلمه بالإبحار وآخر يُغني عن الحُب ويحتضن رفاقه، وغيره يحمل خيلين صغيرين ويضربهما ببعضهما، وهناك أيضًا من لطخ وجهه بمساحيق التجميل وبدأ يمُثل بيديه أنه مسجونٌ داخل قفصٍ زجاجي.

زفر سامي الهواء من جوٌفه بمللٍ من هذه الرقصات الاستعراضية التي لا تنتهي، كان يتحرك ببطء صوٌب الخارج ويجذب معه حكيم ويوجين الذي أتى هو الآخر لعله يستطيع الهرب حتى أوٌقفتهم إحدى الأجساد الضخمة وبقيت تُحدق بهم_وبيوجين خاصة_ وكأنها تنتظر منهم أن يواصلوا الأغنية معهم، لكن يوجين آجاب على أسئلتهم الصامتة بثقة:

-مستحيل .... أنا لا أغني

ما هي إلا لحظة وجيزة حتى وجد العديد من السيوف يتم إشهارها نحوهم مما جعل يوجين يزدرد ريقه ويبتسم بارتباكٍ ثم يُقرر مشاركتهم الغناء عن حلمه بأن يُصبح غنيًا ثم يرتفع لأعلى ويُجبر بعدها حكيم وسامي على التصفيق وتقليد أغنيتهم حتى وثبت الأميرة أعلى خشبة المسرح وبدأت تطوف حول نفسها وهي تتحدث عن حُلمها.

تلفتت كاتي بعينيها نحو سامي حتى وجدته أخيرًا بين هذا الجمع، جذبت معها غيٌد وجعلتها تسير معها رغم تذمر الأخرى ورغبتها بمواصلة الغناء، لكنها تتذكر فيما بعد أن عليهم الرحيل وعدم التدخل بهذه الحكاية أكثر من ذلك، فيكفي ما حدث حتى الآن.

-يجب أن نرحل فوٌرًا

قالتها بجدية ما إن تجمعت ببقيتهم ولم تكن تلاحظ اختفاء مارك، وما كاد سامي يوافقها الحديث ويخبرها أن عليهم البحث عنه حتى داهمهم صوٌت الباب الذي تم فتحه مرة واحدة ليدلف منه إحدى الرجال بكنزته الزرقاء وملامحه المنتصرة:

-عثرت على الحرٌاس

اتبع هذه الجملة اقتحام الحراس لهذا المقهى يتقدمهم زعيمهم الذي كان يقول بأمرٍ لطخه التهديد:

-أين همُ المجرمون ؟....!

الفصل التاسع عشر (ما يحدث في الخيال يحدث في الواقع)

أن تضحى محاطًا بالمخاطر من كل حدبٍ وصوٌب، لهو أمرٌ عسير، لكن أن تضحى جاهلًا بالذنب الذي اقترفته حتى تأتي هذه المخاطر، لهو أمرٌ أكثر عُسرًا....

وقف الجميع عن الحِراك، باتت أجسادهم تتقهقر للوراء حتى تدثروا خلف الجدران البشرية، كان يجب أن يرحلوا قبل فوات الأوان، فها هُم الآن أمام العساكر تتجهم وجوههم وتطغي الرهبة على كيانهم، يزدردون ريقهم في خوٌف ويُفكرون في أقل المخاطر، فإن كان العساكر قد أتوا في باديء الأمر من أجل فلين، إلى أنهم الآن أتو من أجل الجميع، فلين وحكيم وسامي وربما الفتيات أيضًا، فاعتدائهم على الشرطة كان سببًا في ذلك رغم حُسن نيٌتهم، حسنًا ليس من حُسن النية بالمعنى الأدق، ففي النهاية كانوا يساعدون أحد المجرمين على الهرب، لكنهم فعلوا ذلك التزامًا بقواعد الحكاية حتى يستطيعوا الهرب، يعرفوا أنهم لا يجب أن يضحوا هنا من البداية، لكن لا وقت للتحسُر الآن، عليهم الهرب بأي ثمن، وبأية طريقة.

توٌغل الجنود أكثر داخل المقهى فتراجعت أقدامهم تباعًا وباتوا يختبئون خلف الجُدران البشرية أكثر، كان الزعيم قد تعاطف معهم وآشار لهم بسبابته حتى يتبعونه، فما إن فعلوا ذلك حتى جذب إحدى المُحركات لينشق الجِدار ويظهر من خلاله بابًا سريًا قد يساعدهم على الهرب، أخبرهم بصوٌتٍ خافتٍ أن يُسرعوا الخُطى ويهربوا من تلك البوابة بينما يقوموا هُم بإلهاء العساكر، وبالفعل استجاب له سامي أولًا وهرع بشجاعة نحو الباب لتتبعه كاتي وبقية الفتيات ثم الأميرة ويوجين، وأخيرًا حكيم الذي كان يلوٌح لهم ببلاهة ويلتقط المصباح السحري وهو يقول لهم أنه يتمنى رؤيتهم مجددًا وكأنهم أصدقاءه الجُدد.

كان الظلام دامسًا يُغطي طريقهم وهم يسيرون بحركاتٍ سريعة داخل الكهف، تحرك سامي نحو كاتي ومعه المصباح الذي يُنير به الطريق، كان يرى عوالم القلق طاغية على وجهها وكأنها تنتظر كارثة أخرى، الأمر الذي جعله يحاول الحديث معها بهدوءٍ لعله يُطمئنها أو يطمئن عليها:

-جيدٌ أننا التقينا مُجددًا .... اعتقدتُ أننا سنفترق كما يحدث بجميع الحكايات

أنهى حديثه ببسمة هادئة جعلت نبضات قلبها تهدأ وتوّاصل سيرها بجواره في صمتٍ، وبعد فترة وجيزة وجدته يسأل:

-لماذا لم تشاركي بتلك الأغنية .... أليس لديكِ أحلام ؟

كان يقصد امتناعها عن الغناء حينما أجبر جميعهم على المشاركة وإظهار أحلامهم للجميع، فكان حكيم يُغني عن رغبته بالشُهرة والنجومية وغيِّد عن رغبتها في العيش بسلامٍ وهدوءٍ وميليندا التي تُريد أن تضحى عالمة مشهورة وهو الذي اكتفى بالحديث عن رغبته بمعيشة جيدة وأموال كثيرة، لكنها لم تتحدث ولم تُغني وبقيت مُتدثرة خلفهم تراقبهم من بعيد وعلى ملامحها بعض اليأس، لا يعلم إن كان هذا دليلًا على أنها لا تتملك أحلامًا، أم لأنها تخجل من الإفصاح عنها، فهو أيضًا لم يفصح عن جميع أحلامه، ربما حتى تكلم عن أحلامًا لا تخصه ولم تعُد تهمه، فما رآه هنا وما شهده معهم جعل نظرته للعالم تتغيّر مئة وثمانون درجة.

وجدها ترفع نظراتها الهادئة صوّبه ثم تخفضها لأسفل وهي تُجيب بصدقٍ لطخه التردد:

-ليس الأمر هكذا .... لكن .... هناك أحلام لا يجب الإفصاح عنها .... ربما لأننا نعلم أنها لن تتحقق

أنهت حديثها بيأسٍ قطعه هو بنبرة مليئة بالأمل:

-وربما لأننا نريدها أن تتحقق في هدوءٍ ..... بعيدًا عن أنظار الجميع

ابتسمت ابتسامة هادئة ولم تكد تُعقب على حديثه حتى شعرت بالأرض تهتز تحت أقدامهم، بدأ جسد غيِّد يرتجف إثر هذا الاهتزاز الذي ذكرها بذاك الزلزال الذي حدث في موّطنها وذهب ضحيته الكثيرون، وكان منهم صديقتها المُقربة، وكادت تُزهق حياتها أيضًا، الأمر الذي جعل قلبها يخفق بحدة وترفع يدها لتتمسك بذراع حكيم وكأنه مُنجدها، حتى أنه تعجب من هذه الحركة ولم يشأ إزاحتها عنه.

بينما كانت كاتي تُحدق بالحَجرة الصغيرة التي لا تتوّقف عن الاهتزاز ثم ينقبض فؤادها ما إن تستمع إلى تلك الأقدام المتسارعة التي تضرب على الأرض حتى أحدثت هذا الزلزال، الأمر الذي جعلها تصرخ بفزع:

-اركضـــوا....

ما إن أنهت حديثها حتى ظهر الجنود بخيولهم وهم يهرولون خلفهم عازمون على إلقاء القبض عليهم؛ أسرع سامي من خطواته وجذب معه كاتي حتى تلاحقه بالسير بينما دفع حكيم جسد غيِّد أمامه وأمرها بالتحرك بسُرعة هي وميليندا ليتبعهما بخطواتٍ متسارعة وقلب مُنخلج، وكانت الأميرة تهروِّل أمامهم وتحمل خُصلاتها يليها يوجين الذي تعرَّف عليها في هذا الكهف، وهذا من حُسن ظنهم لأنهم أرادوه أن يتحدث معها وأخبرته ميليندا أيضًا أن حقيبته في برجها مما جعله يثور عليها لكنه يتناسى ثوّرانه بسبب هذه الغُمة.

واصلوا الركض مُجددًا دون الالتفات للوراء، فما يفعلوه مُنذ مجيئهم هذا المكان هو الركض والهرب، لفحتهم أشعة الشمس وهم يتركون الكهف ويصطدموا بحقيقة وجودهم أعلى سفحة الجبل والجنود تحاوطهم من كل حدبٍ وصوّب، بسط سامي ذراعيه ليُخبيء كاتي خلف ظهره وهو يرمق العساكر بنظراتٍ جامدة ثم يتلفت حوّله بحثًا عن طريقة للنجاة، بينما كان حكيم يقف متبلمًا يقبض على المصباح ولا يعرف ماذا يفعل، فما هي إلا ثوانٍ قليلة حتى وجدوا الجنود يندفعون نحوهم يرفعون سيوفهم استعدادًا للقتال والفتك بهم.

قبض حكيم على المصباح وهوّى به فوق رأس الجُندي حتى تحطم على رأسه وتعجب حكيم من قوّته الواهية في هذا المكان، الأمر الذي جعله يتشجع ويخفض جذعه حتى انتشل إحدى الحجارة وبدأ يضرب بها الجنُدي ثم يميل بجذعه للوراء حتى لا يخترق هذا السيف قفصه الصدري، وكان سامي على الجهة الأخرى يقبض على ذراع أحد الجنود ويطالعه بنظراته المتجهمة حتى استطاع أن يدفعه للوراء لينتشل السيف من بين يديه ثم يُحركه في الهواء حركاتٍ عشوائية ناطحت حركات الجنود المتمرسة وجعلتهم يُذهلون من طريقته العشوائية في القتال، بينما كان يوجين على الجهة الأخرى يقتالهم بطنجرة الأميرة التي اكتشف أنها أقوة مما تخيّل.

اتسعت حدقتي غيِّد وهي تراقب هذه المسافة الشاهقة التي تفصل ما بين الجبل والأرض والتي تعلم جيدًا أنها لن تستطيع القفز من خلالها، وإلا تحطم جسدها هذه المرة، بينما كانت الأميرة تُعلق خُصلاتها فوق جذع شجرة وتدُعوهم للتشبث به والانتقال إلى الجهة الأخرى، الأمر الذي جعل غيِّد تُعلق باعتراضٍ وخوّف:

-هل تمزحي !! .... أقسم أنني إذا قفزت من هنا سيقفز قلبي ورائي ... ولن أبقى على قيد الحياة

تقدمت كاتي صوّبهن وهي تقول بتشجيعٍ رغم خوّفها:

-لا أعتقد أن لدينا حلٌ آخر .... يجب أن نهرب بسرعة

سرقت نفسًا عميقًا ثم أخرجته وهي تتقدم صوّب خُصلات الأميرة وتقبض عليهم بيديها ثم تُعلق جسدها وهي لا تتوّقف عن التمتمة بأن الأمر سيمر وستنطلق إلى الجهة الأخرى في سلام، فما هي إلا لحظاتٌ قليلة حتى وجدت الأميرة وبقيتهن يدفعنها بقوة حتى حلّقت كاتي في الهواء ثم ارتمت بالجهة الأخرى، جذبت الأميرة خُصلاتها مجددًا وآعادت الكرة مع ميليندا التي اعترضت أيضًا في باديء الأمر لكنها وافقت في النهاية وحلقت عاليًا في الهواء ولسانها لا يتوّقف عن سبهم، بقيت غيّد مكانها تأبى الحراك وتتلفت بعينها بحثًا عن طريقة أخرى للهرب لكنها لا تجد وتجد مكانها أحد الجنود وهو يهرول صوّبهم ويرفع سلاحه عازمًا على الإمساك بتلك الفتاة التي كانت معهم بالشجار والتي كانت تتعاون مع المجرمين، هذا ما جعلها تضع خوّفها جانبًا وتتمسك جيدًا بخُصلات الأميرة حتى وجدتها تحتضنها وتقفز كلتاهما من أعلى الجبل بعد أن أطلقت غيّد صرخة عالية كادت تنسل معها دموعها، كما أنها لم تفتح عينيها حتى لا ترى هذا الجنون الذي تقترفه.

ما إن استقر جسدها على الجهة الأخرى حتى وجدت قدماها تهوّيان على الأرض ذعرًا ونبضاتها لا زالت تخفق بلا هوادة، بينما كانت كاتي تقترب نحوهن وتُحدق بالجهة الأخرى متفوّهة:

-لا يجب أن نتركهم

تحركت بعدها صوّب حافة الجبل الآخر لتتبعها الأميرة وتنقبض أساريرها من هذا المُشهد، فكان الجنود ينقسمون ما بين جنودًا ملقية على الأرض وآخرون يتقاتلون، بينما كان يوجين يتقاتل وحده مع ذاك الخيل الأبيض الذي سبق واستخدمه للهرب.

كان حكيم يرفع سيفه الذي سرقه من أحد الجنود وأخذ يقاتل به بعشوائية بدأت تتحوّل إلى المهارة من كثرة المقاتلة، وكان الجُندي الآخر يقاتله بنظراتٍ شرسة حتى دفع جسد حكيم مما جعله يسقط على الأرض ويسقط سيفه من الجبل، بقي ملقيًا

على ظهره يشاهد نصل السيف بشكلٍ عموّديٍ يكاد يسقط على جسده، هذا ما جعل غريزة البقاء تتحرك بداخله وتدفعه للدحرجة يمينًا حتى ينغرس السيف على الرمال ويعلق بداخلها؛ تجهمت ملامح الجُندي وبقي يُحرك سيفه يمينًا ويسارًا حتى يُخلصه من الرمال بينما انتشل حكيم إحدى الجحارة وهوّى بها فوّرًا على رأس الجُندي مما جعله يتشنج ويسقط على الأرض فاقدًا للوعي!!

ابتسم حكيم ابتسامة متبهنسة أخذ يرفع معها الحجارة لأعلى وأسفل وهو يحادث نفسه بفخر:

-حكيم إيه بقى .... دا أنا المفروض يسموني صلاح الدين الأيوبي

ما كاد يُنهي تبهنسه حتى وجد سامي يدفعه للأمام ويركض معه صوّب الأميرة التي بقيت تنتظرهم على أحرٍ من الجمر، تشبث سامي بخُصلاتها واحتضنه حكيم من الخلف ليقفز كلاهما إلى الجهة الأخرى وتسقط أجسادهما على الأرض، تعلق بعدها يوجين بُخصلاتها ورماها بنظرة ممتنة قبل أن ينتقل معها إلى الجهة الأخرى ليهربوا من هذا المأزق، لكنهم لم يعرفوا أن ما سيقابلهم أكثر بكثيرٍ من مُجرد مطاردة.

طفقوا يهرولون فوق الجبل عندما بدأ الجنود بإطلاق الرصاص صوّبهم حتى يقتلونهم بدلًا من سجنهم، كانت غيِّد ترفع ردائها لأعلى وتهرول بلا توّقفٍ خلف ميليندا التي تبعتها ولعنت هذه الفساتين التي تُعيق ركضهن، فهذا الرداء ترتديه من الحكاية السابقة، والتي كانت أهدأ من هذه.

وقفوا أعلى جسرٍ رفيعٍ يجاوره كمٌ هائلٌ من المياه وكأنه سدٌ منيع، كانت أرضيته مليئة بالندى تجعل أقدامهم تتزحلق وهم يهرولوّن بسرعة حتى اكتشفوا المزيد من الجنود يقومون باتباعهم ومن بينهم هذين اللصين اللذان على عداوة مع يوجين، بدأت خشبات الجسر بالاهتزاز والتفكك حتى شهقت غيِّد بفزع وبدأت تهرول وتقفز على الأخشاب حتى شعرت أن فؤادها سيقفز معها ذات مرة، وكان الجميع يفعل ذلك حتى تفاجئوا بالجسر يتفكك تمامًا وأجسادهم تقع على الأرض ليصطدموا بتلك الأرضية المُبللة.

رفع سامي جسده المُنهك لأعلى ظانًا بأنه قد نجا وأن المطاردة قد انتهت، لكن عيناه تتسعان مرة واحدة وهو يجد هذا الكم الهائل من المياه ينحدر أمام عينيه بعد أن تهدم الجسر، شعر أنه في مُنتصف التسونامي وأن المياه ستبتلعه لا محالة، كان هذا قبل أن يجد من ينتشله عن الأرض ويدفعه بسرعة حتى يركض ولا يلتفت خلفه.

-هيا بسرعة

صرخت به كاتي التي كانت تدفعه وتهرول حتى كادا يُدهسا أسفل هذه الصخرة الضخمة التي سقطت، بقيت تهرول خلف يوجين والأميرة وبقيتهم من هذه المياه التي طغت على المكان ولم يعُد أمامهم مخرجٌ سوى هذا الكهف الذي اخترقوه فوٌرًا ووجدوا بابه يُغلق مرة واحدة.

عمّ الظلام مُجددًا وكانت كاتي تضع يدها على صدرها والعرق ينساب بغزارة من جبهتها، بينما كانت ميليندا تلتصق بالحائط تشعر بالمياه تتكاثر أسفل أقدامها مما جعلها تسأل بقلق:

-ماذا سنفعل الآن ؟

ارتفع منسوب المياه أكثر حتى قبضت غيٌد على كفٍ ميليندا وبدأت عبراتها بالانسياب لعلمها بأنهم هالكون هذه المرة، وكانت الأميرة تؤنب نفسها وتشعر بأنها السبب فيما حدث، كان هذا قبل أن تنتبه كاتي لبقية الحكاية وتبدأ بالصراخ قبل أن تغمرهم المياه وتقضي عليهم:

-ربانزل هيا بسرعة .... قومي بالغناء.... شعركِ...

بدأت تتنفسُ بصعوبة حينما ازداد منسوب المياه أكثر وأعاقها عن الحديث، بينما تذكرت الأميرة خصلاتها السحرية وبدأت تُغني أغنيتها وترفع جوٌفها بصعوبة عن المياه حتى آضاء شعرها وبدد القليل من هذه العُتمة، لكنهم الآن أصبحوا بجوٌف المياه وبدأت أجسادهم تحتضر تدريجيًا وهم يجدون صعوبة بالتحرك والنجاة من هذا الكهف، غاص سامي وبدأ يُحرك يديه هو وحكيم ثم يباشروا بالسباحة جميعهم مُستنجدين بهذه الإضاءة المُنبعثة من خُصلات الشعر حتى وجدوا إحدى المنافذ أخيرًا.

إنفجرت المياه من جوٌف الكهف فواصلوا السباحة حتى وجدوا برٌ الآمان، رفع سامي جسده الثقيل ليتقابل مع الحشائش ويهوٌي على الأرض رافعًا رأسه للسماء وأنفاسه تتصاعد، بينما كانت غيٌد تسعلٌ بحدة وتبصق المياه من جوٌفها وكاتي تضغط على شعرها حتى تعتصر المياه من جنباته، وميليندا تنام على جنبها تعبث بالجهاز التي أخرجته من جعبتها لتتفقد حالته بعد هذه المطاردة، كم حمدت ربها أن الجهاز سليمٌ لا يزال يعمل، ربما لأنه يتوافق مع هذا البُعد:

-ذكروني عندما نعود من هنا أن أتخلص من هذا الجهاز .... وأتخلص من مارك معهم

انتبهت كاتي على حديثها الساخر وبدأت تتلفت حوٌلها بقلقٍ حتى سألت:

-صحيح .... أين هو مارك ؟

جلس حكيم على رُكبتيه مُجيبًا:

-لا نعرف ..... اختفى بإحدى المطاردات ولم نسمع عنه شيئًا

زفرت كاتي زفرة سائمة من كثرة الكوارث التي تتوٌالى على رؤوسهم، بينما وثب سامي عن الأرض يقاوم إرهاقه وهو يقول بإصرار:

-لنبحث عنه الآن .... لا يجب أن نتركه هنا

أنهى الحديث بنبرة جادة وواصل السير بعدها بخطواتٍ ثقيلة بسبب جسده المُبلل وخُصلات شعره التي يتقاطر منها حبيبات المياه، بينما حاولت ميليندا الاعتدال واتباعه حتى تصلُبت أهدابها مرة واحدة بسبب هذا الذي وجدته، جحظت عينيها في ذعرٍ وهي تجد جسدًا خائرًا تنبثق الدماء من معدته وهناك دماءً جافة تعتلي رأسه، عيناه نصف مفتوحتان، ويداه يضعها موٌضع الجرح وهو يتحرك بخطواتٍ بطيئة وأنفاسٍ متباطئة:

-هل هذا مارك!!

قالتها ميليندا بصدمة وهي تُشير على مارك الذي ظهر فجأة بين الأشجار الكثيفة وكان يتحرك بصعوبة باتجاههم، كانت الشمس قد انحدرت تمامًا وغطت عتمة الليل

على المكان، لكنهم مع ذلك استطاعوا تمييزه وآصابهم الذعر من حالته المزرية، فكان أقرب للميِّت الذي عاد من قبره.

-مارك ... هل أنت بخير ؟

سأله سامي بعد أن هروَّل نحوه وأمسك بكتفيه حتى يُثبت جسده المُترنح ويعرف ما حدث معه، بينما كان مارك قد عصف به الدوَّار وباتت الرؤية مشوشة لا تجعله يستطيع التمييز بينهم، حتى أن الأميرة ويوجين هروَّلا نحوه ليتفقدا حالته هذه.

-تُريد قتلكم .... لصان .. وسيدة .... تريد قتلكم .... ستقتلكم...

أخذ يُتمتم بهذه الكلمات بصعوبة بالغة يلهث معها بعد كل كلمة، فما إن أنهى كلماته حتى أغلق عينيه وتهاوي تمامًا على الأرض فاقدًا للوعي!!

-مــــارك!!

صرخت ميليندا بهذه الكلمات بعد أن رأت جسده يتهاوى على الأرض فاقدًا لمعاني الحياة، صحيح أنها كانت لا تتوَّقف عن الشِجار معه، وربما آرادت أن تتخلص منه حتى، لكن حالته المزرية جعلت فؤادها ينقبض، هوَّى سامي على الأرض بنظراتٍ مصدومة حاول معها إفاقته وإعادته للحياة لكن لا حياة لمن تنادي، كانت أنفاسه ضئيلة تكاد تكون معدومة، وجسده ساكنٌ تمامًا يقترب إلى الموت ... أو هو بالفعل ذلك.

انهمرت الدموع على وجنة غيِّد حتى تحوَّلت دموعها إلى النحيب، بينما كان حكيم يراقب ما يحدث في صمتٍ وجسده يرتجف حتى كاد يهوِّي على الأرض ويتحطم، بينما كان سامي يجلس أمام جسد مارك يُحركه وينادي عليه ولا يستجيب لنداءه وميليندا تبكي في صمتٍ وتتذكر شجاراتهما وتهكماته، كان هذا قبل أن تهرول الأميرة صوَّبهم وتخفض جذعها لتجلس على رُكبتيها قبالة مارك، كانت تتحسس نبضاته الخافتة التي أنبأتها أنه على شعرة من الموّت، لكنه لم يمُت.

الأصعب أنه لا يوجد مشفياتٌ هنا، فإذا بقي على هذه الحالة حتمًا ستنتهي حياته، لكن الأميرة أخبرتهم أن خُصلاتها تُشفي المريض، الأمر الذي جعلها ترفع خُصلة من شعرها وتضعها على جرح مارك بمساعدة من سامي الذي فتح سُترته وكشف

عن صدره وجرحه الغائر، بدأت الأميرة تُغني أغنية حزينة بصوّتٍ عذبٍ جميل أحنت معه رأسها لأسفل وعزمت على إنقاذ حياته مهما تطلب الأمر، بقيت تُغني أمام نظراتهم المُرتبكة وخوّفهم من فشل الأمر، فهم لا ينتمون لهذا العالم من الأساس، وربما لا ينجح الأمر معهم.

احتضنت غيّد كتف ميليندا وبقيت عيناها مغرورقتان بالدموع وهي تراقب ما يحدث بينما جلس حكيم على الأرض قبالة سامي يضع يده على ظهره محاولًا طمأنته رغم أنه أكثر خوّفًا وارتباكًا منه، فهو ليس معتادًا على تلك المطاردات ولا حتى الشعور بالخطر، والآن سيُضيف على تلك العقبات شعور الفقد الذي أيضًا لم يُجربه فيما سبق، وقد أدرك الآن أن مِذاقه مُرٌ كالعُلقم.

توّهجت خُصلات الأميرة وأصدرت بريقها مما جعل يوجين يفتح عينيه بذهول، بقيت خصلاتها متوّهجة لفترة قصيرة ثم أزاحتها تزامنًا مع فتح مارك لعينيه ببطءٍ ليرى جميعهم يُحدقون به بنظراتٍ قلقة، وهو الذي ظنٌ أن لا أحد يُحبه بهذه الحياة، ها هو الآن يجد من يهتم لأمره ويسعى لإنقاذه، أخذ يسعل بحدة وقد شعر أن حرارته لا تزال مُرتفعة، لا يزال حتى يشعر بهذا الوجع الذي يتغلغل في معدته رغم أن جرحه قد قُطب واختفى تمامًا.

هدأت نبضات قلوبهم وبدأو بالابتسام بأريحية ونظراتهم تتبادل فيما بينهم، تناسوا تمامًا ما قاله مارك من تحذيراتٍ خطيرة وبقيت عوالم السعادة تلوح على وجوههم لعودته إليهم سالمًا، فقد عزموا على الانتهاء من تلك الرحلة وهم عصبة واحدة لا ينقص منها أحد.

أغلق مارك عينيه مُجددًا واستسلم إلى إرهاقه ليغرق في سُبات عميق، تأكدت الأميرة أن أنفاسه قد عادت وأضحت مُنتظمة ثم وثبت عن الأرض لتنقض غيّد عليه وتأخذها في عِناقٍ عفوي شاركتها فيه ميليندا وطفقت تتشكرها بصدرٍ رحبٍ، تعلم جيدًا أن مارك يمقت النساء، فما الذي ستضحى ردة فعله حينما يكتشف أنه أُنقذ على يد امرأة!!

خيّم الهدوء على المكان لينتشر صوّت صرصور الحقل وتتطاير الحشرات المُنيرة لتجعل هذه الليلة ليلة ساحرة رغم الأزلام التي لا زالت تُحيط بهم، فها هي غيّد تجلس بالُقرب من شُعلة النيران ترفع يدها لأعلى قابضة على الهاتف الخاص بحكيم والذي انتشلته من جعبته عندما سخر منها، آرادت بهذه الحركة أن تنتقم وتجبره على الاعتذار فكانت ترفع يدها لأعلى ويحاول هو أخذه منها محافظًا على الحدود بينهما مما يمنعه عن الوصول لهاتفه العزيز رغم أنه لا يعمل:

-بت بقولِك هاتي متخلينيش أتغابى عليكي

مدٌ ذراعه نحوها وهو يهتف بغضب بينما كانت غيّد تصرٌ على الانتقام وتسخر منه :

-شو .... بدك تصير أغبى من هيك ؟

زادت كلماتها من حنقه مما جعله يمدٌ جذعه للأمام يكاد ينتشل خُصلات شعرها وهو يهتف:

-تصدقي بقى إنك عايزة تتربي

وضع يده على التُربة لينتشل القليل منها ويقذفهم على وجهها مما جعلها تُطلق صرخة خافتة وتسبه ثم تواصل شجارها معه بطفولية انقلبت إلى القهقهات والمرح فيما بعد، فدائمًا ما يتعمٌد مضايقتها وتتعمد هي الرد عليه حتى يخلقا سوٌيًا جوًٌا مرحًا يُبدد من هذه الغُمة.

أما كاتي فكانت تجلس أمام البُحيرة تحمل جِذع شجرة رفيعٍ وتُمرره على سفحة المياه بعقلٍ شاردٍ لا يتوٌقف عن التفكير، باتت تعتقد أن هذا أضحى عالمها، فرغم ما يعانياه طوال الوقت إلى أنه يبقى أفضل من واقعهم الأليم، وجدت خطواتٌ هادئة تقترب نحوها وتجعلها ترفع رأسها حتى تقابلت عينيها بعيني سامي الذي يبتسم وهو يحمل معه ثمرة تفاحٍ أحمر ويمدها نحوها لعلها تضوٌر جوٌعًا، أخذت كاتي ما يمده نحوها وأعطته ابتسامة شاكرة قبل أن تأخذ قضمة صغيرة وتواصل تحديقها بالبحيرة:

-ما بكِ ؟

سألها رغبة بالاطمئنان عليها لأنه يلمح الشرود على جنباتها والذي زاد أكثر بعد ما حدث لمارك، وكانت هي تُجيبه ببعض الخوّف وهي لا تزال تُحدق بالبحيرة:

-لا أعرف ..... لا أعرف ما الذي كُنت سأفعله إذا حدث شيءُ لمارك .... أو لأي منا .... بت أعتقد أن وجودنا هنا سيٌهدد حياتنا .... وكأننا في جحيم، ولسنا داخل فيلمٍ للأطفال

رماها بابتسامة هادئة زادتها تعجبًا بسبب الرضا على وجهه، وهي التي دائمًا ما كانت تعتقده يرى الأمور بطريقة سلبية متشائمة:

-وما الفرق بين هذا العالم وعالمنا الحقيقي ؟ ... كلاهما من صُنع البشر

قطبت حاجبيها بغرابة من حديثه الذي بدا راضيًا بهذه الحياة، الأمر الذي جعلها تعُقب بحيرة:

-ما الذي حدث لك ؟ .... أراك راضيًا عن بقاءنا هنا ؟

قهقه بخفة عقب حديثها الذي لوهلة بات يعتقد أنه صحيحًا، ففي باديء الأمر كان يفعل أي شيءٍ حتى يرحل، أما الآن، فهو يسير مع التيار ويتمتع بكل لحظة يقضيها، بل لا يُفكر حتى بالعودة، ولٌى نظراته صوّب البحيرة وهو يُجيب أسئلتها بنبرة صادقة:

-في باديء الأمر ... كُنت أريد الرحيل بأية طريقة حتى أستكمل هذه الصفقة التي بسببها سأفقد وظيفتي

توّقف عن الحديث لتزداد عوالمها حيرة وهي تُحدق بملامحه الراضية وتسأل:

-والآن ؟

اتسعت بسمة سامي وكأنه يُخبرها إحدى الدُعابات السوداء أثناء إجابته على سؤالها :

-بِت مُتيقنًا أنني سأفقد وظيفتي

بدأ يُقهقه بعد حديثه ويقينه بأن هذه الصفقة قد فات أوانها وقد جن المدير وربما طرده من الشركة أيضًا، ورغم ذلك لا زال يبتسم كما لو أنه يُخبرها إحدى

الدعابات، الأمر الذي جعلها تُقهقه هي الأخرى وتشاركه الحديث في لطافة بتلك الأجواء الساكنة....

صوّت الصُراخ كان يرتفع ويختلط مع صوّت العصا وهي تهوّي ويشعر بها على جسده، أنفاسه تتلاحق وجسده ينتفض، ترتجف يداه ويبدأ بالهمهمة بين قطرات عرقه المنسابة:

-أعتذر ... لن أخبره ... أعتذر...

بقي يُهمهم بتلك الكلمات وهو ملقيٌ على الحشائش وميليندا بجواره تتابعه بقلق، فهي لا تدري سبب همهمته بتلك الكلمات لكنها تحاول تهدئته قدر الإمكان، فقد اتفقوا على التناوب على رعايته حتى يستيقظ ويعود إليهم سالمًا، لكنها أخبرتهم أنهى ستبقى بجواره، فهي أكثر من يعرفه، صحيح أنها لا تعرف الكثير من أسراره، أو لا تعرف أي من أسراره حتى، لكنها أول من تحدث معه وفهمه، حتى أنها كانت تراه بالمقابلات التليفزيونية أحيانًا عندما حظى على جائزة كبيرة جراء تفوّقه العلمي، وكان مصدر إلهامها في يومٍ من الأيام، وعندما أخبرها مُديرها بالعمل أنها ستشاركه بهذا المشروع كادت تطير من السعادة لأنها ستعمل مع عالمٍ ذكيٍ مثله.

-ابتعد ... أعتذر ... أرجوكي ... اتركني....

بقي يهزي بتلك الكلمات ليزداد جسده ارتجافًا وتتلاحق أنفاسه حتى شعرت ميليندا أنه يختنق، هذا ما جعلها تقترب نحوه وتبدأ تحريكه بقلق:

-مارك ... مارك...

وجدته يتنفض مرة واحدة وكأن صاعقة كهربائية قد آصابته، شعر بآناملها وهي ترتكن على جسده مما زاده ارتجافًا وبدأ يصرخ بها دون أن ينتبه لمَ يقول:

-إبتعدي عني .... إبتعدي أيتها الحقيرة

صرخ بها وهو يدفعها بعيدًا عنه مما أشعرها بالإهانة، فهي كانت ترعاه طوال الوقت وهو يرد جميلها بهذه الطريقة!!

تقوّص حاجبيها من شدة الغضب لتعتدل في جلستها رامية إياه بنظرات متوّعدة بسبب كرامتها التي أهدرت على يديه:

-أقسم أنك لا تستحق أن يساعدك أحد

أطبق مارك على شفتيه بحنقٍ وبدأت أنفاسه تتصاعد بعد كلماتها التي زادته شعورًا بالغضب والانكسار، لم يُكن يفكر في كلماته وهو يدفعها بعيدًا عنه، فقد كان لازال غارقًا في ماضيه الأسوّد حتى آفاق واعتقدها أنها جزءٌ من هذا الماضي وأن عليه أن يدفعها بعيدًا حتى لا تُصيبه بالأذى، وكانت كلماتها كالخنجر السام الذي صوّب على صدره وزاد من جرحه الغائر حتى أنه بدأ يصرخ بها بنظراتٍ غاضبة كانت تحمل بعض الانكسار وبعض الدموع المدفونة:

-وأنا لا أريدكِ أن تقتربي .... ولا أريد أي منكم

تحشرج صوّته واختنقت أنفاسه بعد أن فكرٌ أنهم تخلوا عنه كما تخلّى عنه الجميع وتركوه ينحت في الصخر وحده، وكانت ميليندا تجابهه بنظراتٍ مقيتة ودُت معها لو لكمته على وجهه وآعادته للحياة، فهم قد أنقذوا حياته وهو لا يزال يعاملهم بتلك الطريقة الجافة غير المفهومة أبدًا، هذا ما جعلها تقذف بوجهه كلماتٍ سامة لم تحسب لها حساب:

-ولا أحد يُريدك أيضًا

بدأ صدرها بالصعود والهبوط بعد أن قذفت بوجهه تلك القذيفة وجعلت فؤاده يتحطم أكثر، حتى أنه بقي صامتًا يُفكر بكلماتها الجارحة ويزداد جسده ارتجافًا، فهذه الكلمات قد آعادت عليه ما يحاول نسيانه طوال الحياة... لا أحد يُريدك، كم سمع هذه الجُملة أكثر من مرة، مُنذ ولادته وهو يسمعها، مُنذ تعرضه للمضايقة بالمدرسة وهو يسمعها، سمعها حتى من والدته ومن آقاربه ومن الفتاة التي أحبها حتى التصقت به هذه الجملة، وأصبح وحيدًا يكره الجميع، هذا لأنهم لا يُحبونه لسببٍ لا يعرفه حتى، فهو لم يكن هذه الشخصية الجافة المُنكبة على العلم والكتب إلا عندما أدرك أنه وحيدٌ وأن لا أحد يُريده.

ذبلت معاني وجهه مرة واحدة وأخذ يخفض عينيه تدريجيًا حتى وجد ميليندا ترميه بنظراتٍ كارهة ثم تثب عن الأرض وهي تتوّعد له، فهو أيضًا قد أهانها وأخبرها أنها حقيرة، وهي لا تتهاون فيما يخص كرامتها.

استمع سامي إلى صراخهما وقرر تهدئة الأوضاع والحديث مع مارك، لكنه يتفاجيء من نظرة الخُذلان التي لاحت على وجهه وبقيت مُلتصقة به حتى احتضن رُكبتيه وكادت الدموع تتقاطر من عينيه، ذهبت ميليندا نحو البُحيرة لتجلس مع كاتي حتى تُهدئها بينما جلس سامي على الأرض بالقُرب من مارك الذي دفن وجهه بين رُكبتيه، كان الندم يطغي على سامي لأنهم لم يبحثوا عن مارك حتى جعلوه يعتقد أنهم تخلو عنه، هذا ما جعله يُبرر بصوّتٍ نادم:

-التهمنا القلق بسببك .... كنا نخشى أن يُصيبك ضرر ..... لكننا أيضًا لم نكن أفضل حالًا منك

كان يقصد تلك المطاردة وهذه المخاطر التي جابهتهم والتي من حُسن حظ مارك أنه لم يتعرض لها، لكن الآخر لم يكن ينتبه لحديثه وبقي وجهه مُتدثرًا بين ركبتيه حتى بدأ يُردد ما ألقته ميليندا على مسامعه، وما ساعد على فتح جرحه مجددًا حتى بدأ ينزف مع كلماته:

-لا أحد يُريدك .... أتعلم كم مرة سمِعت هذه الجملة ؟

قطّب سامي حاجبيه وبقي يتابعه دون أن ينبس ببنت شفة:

-لا يُهم .... فأنا أيضًا قد توّقفت عن العد .... توّقفت مُنذ ألقتها والدتي علي وأنا بالرابعة .... توّقفت عندما ... عندما...

تحشرج صوّته وبدأت الدموع تترقرق على وجنتيه لكنه يقاومها ويعود إلى تلك الذكرى الأليمة حينما كان بالسابعة من عُمره يجلس على فراشه بوّضعية الجنين، كان الغضب يكسوا ملامحه الصغيرة، والنيران تعتمر بقلبه وهو يستمع إلى تلك القهقهات الرقيعة التي تصدرها والدته مع هذا الحقير، رغم أنها متزوجة من والده، لكن والده يقطن بولاية أخرى حتى يعمل ويُعطيهما المال، لا يأتي سوى بالإجازات وأحيانًا لا يأتي سوى بعد أشهرٍ عديدة ويتعلل بانغماسه بالعمل، يتركه وحيدًا بين يدي هذه التي لا تقدر على تحمل المسئولية، كان يحتضن جسده الصغير وهو على

الفراش يخشى أن تتوّقف قهقهات والدته ويتركها عشيقها حتى يعتدي على جسده الصغير، تتصاعد أنفاسه كلما فكر بكم الاعتداءات التي تحدث له وصرخاته التي تستمع لها والدته وربما تُطرب بها أيضًا، فهي لا تُحبه وتتعمد إهانته والتقليل منه دائمًا.

أخذ أنفاسه وحاول المحافظة على هدوءه لينتشل كتابًا ضخمًا كان يقبع على فراشه ويبدأ بقرأته حتى يغرق بهذا العالم الخيالي ويتناسى قساوة عالمه، فالقراءة هي ملجأه في ذاك المنزل، خاصة بعد أن حطمت والدته ألعابه ومنعته من استخدام التلفاز واللهو مع أقرانه، تمنعه حتى من ترك حُجرته حينما يأتي عشيقها، فيبقى متقوّقعًا ينكب على تلك الكُتب، أو يُجمع ألعابه المُحطمة ويعاود تركيبها وإعادة صُنعها، فهذا ما جعله يُتقن الابتكار والاختراع وحُب العلم.

هدأت أصوات القهقهات لتتعالى على إثرها نبضات قلبه، فهو يعرف نهاية الأمر، سيدلف عشيقها حُجرته ويُعتدي على جسده الصغير كما يفعل، وعندما يقاومه سينتهي به الأمر مسجونًا بحُجرة القبو المُعتمة بعد أن تضربه والدته بالعصى، وهو لا يُريد أن يشعر بالألم مُجددًا، فهو يشعر بالألم في جميع الأحوال، لكنه فقط يحاول أن يرضاها حتى لا يفقد حياته ولا يتذكره أحد.

ازدرد ريقه بخوّفٍ حينما طالت فترة الصمت وظن أن عذابه سيبدأ، لكنه آراد أن يتوّقف الأمر هذه المرة، لن يسمح لهما بالاستماع لصرخاته المتألمة مرة أخرى، لن يسمح لوالدته بتهديده مُجددًا حتى لا يُخبر والده بما يحدث في غيابه، كانت هذه كلماته التي تدوّر بعقله وتدفعه لإيقاف هذا العذاب والتحرر بأية طريقة، كم آراد أن يشتكي للشُرطة عن والدته لكنها تتحوّل أمامهم إلى الملاك البريء وتُخبرهم أنه شيطانٌ مُتمردٌ يتسبب بالأذى لنفسه، حتى أنها أخبرت الجميع أنه طفلٌ فاسدٌ حتى أصبح كثير العِراك مع الآخرين وكأنه يُنفذ حديثها، فلا يعلم أحدٌ أنها ربّته على العدوانية وكُره الآخرين.

سرق نفسًا عميقًا ثم أطلقه في الهواء ليُبدد خوّفه ويتحرك صوّب باب الحُجرة ليفتحه بهدوء، حرّك رأسه يمينًا ويسارًا ليتأكد من سلامة الطريق قبل أن يخطو أول خطواته خارج الحُجرة، تحرك على أنامله صوّب الهاتف المنزلي عازمًا على محادثة والده وإخباره بالحقيقة، ربما والده ينقذه من هذا المنزل، فهو يعرف أن والده

يُحبه، وعندما يأتي إلى المنزل يهتم به ويجلب له العديد من الكُتب والألعاب والملابس الجديدة، حتى أنه يمنع عنه الأذى حتى، لكن عندما يغيب عن المنزل تتحوّل حياته إلى الجحيم، تظهر حقيقة والدته التي لم تُحبه أبدًا، تتصيّد له حتى تكيل له الضربات الأليمة وتقوم بعقابه دائمًا، حتى عشيقها الحقير ينتهز الفُرصة وينتهك جسده الصغير فقط من أجل المُتعة، وهو يتحمل فقط دون أن ينبس ببنت شفة، لكن الآن، آراد أن يضع حدًا لهذه المعاناة، آراد أن يفصح لوالده عن حقيقتها لعله يُصدقه ويأتي للمساعدة، أخذ يتحرك ببطءٍ صوّب الهاتف حتى انتشله وبدأ يضغط على أزراره ويتلفت حوّله في رُعب، لا تجلس والدته وعشيقها بالبهو وهذا من حُسن حظه، فلن يراه أحد، وسيُنفذ خطته كما أملاها عليه عقله الصغير.

يزداد قلبه رُعبًا كلما تأخر والده عن الإجابة حتى ظنٌ أن والدته ستراه، لكن في النهاية، يصبو إلى هدوءه حينما يستمع إلى صوّت والده من الجهة الأخرى والذي آعاد إلى فؤاده الراحة:

-مرحبًا كارول ... هل أنتم بخير ؟

قالها والده بطريقة عفوية لأن زوجته هي دائمًا ما تتصل على الهاتف، فلا يُسمح لمارك أبدًا بإجراء مكالمة هاتفية لوالده.

-أبي...

قالها مارك بقلب مُنفطر كاد يواصل معه الحديث عن الحقيقة ويتحدّى خوّفه حتى استشعر والده نبرته القلقة وجعلته يسأل:

-مارك !! .... ما بك صغيري ؟ ... هل أنت بخير ؟

أخذ الصغير أنفاسًا عميقة ثم أخرجها ليهديء من روّعه وهو يقول بشجاعة:

-أبي .... هناك ما يجب أن تعرفه .... أمي تـ_

وقبل أن يواصل جُملته وجد من ينتشل سماعة الهاتف بحدة وصوّت والدته يأتي خلف أذنه بالضبط؛ انقبض فؤاده وشعر أنها نهايته، فهي لن تتهاون في عقابه هذه المرة، خاصة بعد نظراتها المُهددة التي كانت توّليها إياه وهي تُجيب على الهاتف بدلالٍ زائف:

-مرحبًا عزيزي جاك .... لا، مارك بخير ... يُريد فقط أن يُخبرك أنه تشاجر مع زميله وحطم أنفه ... لا لا تقلق .... تحدثت مع والدة الصبي، وأجبرت مارك على الاعتذار....

وجهت نظراتها الحادة صوّب مارك الذي كان يرتعد من الخوّف وهو يستمع لها:

-لكنني سأعاقبه على هذا الأمر .... لأنه يجب أن يتأدب

بدأ يشعر أنها توّجه له الحديث وليس والده، فنظراتها الرعدية كادت تجعله يهوّي على الأرض من شدة الخوّف، بدأت السيناريوهات تدوّر حوّل رأسه وهو يفكر في العقاب الذي ستعاقبه به هذه المرة، فهي لن تُمرر ما حدث، وربما تقتله بالفعل كما تُهدده دائمًا، انتفض جسده وهو يراها تُغلق الهاتف بقوة وتلتفت بنظراتها نحوه فيزدرد ريقه ويتراجع خطوة للوراء، كان على وشك الهرب والاختباء في حجرته لكنه وجدها تقبض على ثيابه وتُقربه نحوها لتحني جذعها وتنطلق رائحة سجائرها نحو أنفه، فدائمًا ما تصاحبها رائحة السجائر القوية هذه حتى بات يمقت تلك الرائحة.

-ألم أخبرك أيها الغبي ألا تقترب من هذا الهاتف ؟

صرخت بوجهه بتلك الكلمات وهي تجذبه نحوها ثم تُلقيه على الأرض بقسوة، كان يحاول الوثوب ومعاودة الهرب لكنه يشعر بركلتها القوية تضرب معدته وتجعله يتقوّص بألم:

-أتعتقد أن والدك سيستمع إليك .... أتعتقد أنه سيأتي لأخذك من هنا!!

ركلته مجددًا بقدمها ثم أحنت جذعها لتجذب خُصلاته وترفعه عن الأرض ويحاول هو مقاومتها وإحلال قبضتها، فكانت تنفث الأدخنة من فمها ونظراتها المتوّعدة وتلك الخناجر التي قذفتها على وجهه:

-والدك هذا ... لا يُحبك، ولا يكترث لك ..... لأنك ولدٌ سيءٌ ...أفهمت .... لا ... أحد ... يُحبك

صرخت بوجهه بتلك الكلمات السامة التي جعلت دموعه تنهمر في صمت، فهي قد أكدت له مرارًا أنه عالة على هذا العالم، حتى أنه ينهمك بمذاكرته ويحظى على

أعلى الدرجات حتى يثبت لها العكس لكن لا شيء ينجح أبدًا، ولا يستطيع أن ينل القليل من حنانها، حتى صدق بالفعل أنه لا يستحق أن يُحبه أحد، لذلك أومأ رأسه بتصديقٍ على كلماتها حتى وجدها تصفعه صفعة قوية جعلت جسده يلتصق بالأرض لتواصل ركله بقدمها وهي تسبه وتُخبره كم أنه ولدٌ غبيٌ ويجب أن يتأدب.

كان هذا قبل أن يأتي عشيقها من داخل الحُجرة ويهرول نحوها كما لو أنه سينقذه من براثنها، لكن مارك يعلم أنه سيزيد الطين بلة، فعشيقها هذا لم يعامله معاملة جيدة ودائمًا ما يزيد عذابه حدة.

-توّقفي حبيبتي ... توّقفي...

بقي عشيقها كيفن يهتف بتلك الكلمات بعد أن رآى حالة كارول الهيسترية وهي تركل مارك بقدمها حتى تركت على جسده بعض الكدمات، كان يضع يده بكتفها ويُبعدها عن جسده الصغير الذي كان يئن من الآلم وهو على الأرض يُحيط وجهه بذراعيه حتى لا يتلقى تلك الضربات:

-اتركني كيفن .... يجب أن يتأدب هذا الحقير

دفعته كارول بعيدًا عنها وعادت مجددًا إلى مارك الذي بقي ملقيًا على الأرض لا يستطيع الوثوب إلى أن وجدها تنتشله من ثيابه وترفعه عن الأرض، كان يُريد المقاومة لكن جسده المليء بالكدمات منعه من الحِراك، وجدها تجذبه من ثيابه وتجبره على التحرك خلفها حتى وقفت داخل حُجرة الطعام وألقته بداخلها، كان يعلم أن عقابها لن يتوّقف عند بضع ركلاتٍ وكلماتٍ فقط، بل توّقع ما هو أسوأ، وكلما يتوّقع يزداد قلبه انخلاجًا، كان يجلس على ركبتيه يأبى الوثوب حتى لا تنتهز الفرصة وتُسدد له صفعة أخرى، وكان كيفن يقف أمام الباب يربط ذراعيه ويراقبه بشماتة، بينما كانت والدته تقف أمامه تنطلق النيران من عينيها وهي تقترب من الموقد وتقوم بإشعاله.

تصاعدت أنفاس مارك وارتجف بدنه أكثر، كان محاصرًا داخل حُجرة الطعام لا يوجد سبيلٌ للهرب، فعشيقها السادي يقف أمام الباب ويمنعه من الهرب، بدأت دموعه تتقاطر وجذعه ينخفض لأسفل وهو يجلس على ركبتيه، يتمنى أن يضحى العقاب هيِّنًا، يتمنى أن تغفر له هذه المرة وتكتفي بكلماتها السامة، يتمنى أن تُدرك

أنه لا زال طفلًا بالسابعة ولا يستحق تلك المعاملة، لكن أمنياته تذهب هباءً وهو يجدها تنتشله عن الأرض من ذراعه وتقبض على رسغه بقوة وهي تقول:

-هذه لأنك عارضت أوامري أيها الحقير

حاول أن يجذب يده بما تبقى له من قوة وهو يراها تقترب من شعلة المؤّقد، تهاوت قدماه على الأرض وبدأ يصرخ ويبكي ويترجاها بأن تتوّقف، لكنها لم تستمع له وواصلت جذبه حتى وضعت يده على المؤّقد المُشتعل!!

صرخ حتى تحشرج صوّته وارتجف بدنه، شعر بالنيران تلتهم كف يده الموّضوع أعلى المؤّقد أمام نظرات والدته الشامتة التي أخبرته بعينيها أنه يستحق هذا العقاب، حاول أن يدفع يده مُجددًا لكن قبضتها القوية كان تحكم حركته وتجبره على وضع يده فوّق شُعلة المؤّقد حتى تحترق ويضحى هذا عقابه، وقبل أن تحترق يداه وتتفحم وجدها تُغلق المؤّقد وترفع يده ثم تُلقيه على الأرض فيتكوّم على نفسه ويحتضن يده التي شعر أنها لازالت تشتعل، بقي يبكي في صمتٍ وألمٍ أمامها لكنها لم تكترث وواصلت تهديده بقولها:

-لن تتحدث مع والدك بعد الآن .... ولا تُفكر حتى في ذلك....

رفعت سبابتها أمامه وهي تُهدده ثم تركت حُجرة الطعام وهي تُتمتم بغضب:

-ولدٌ غبي....

عاد من ذكرياته وهو يضم جسده ويرفع يده التي احترقت في هذا اليوم كما احترق فؤاده أكثر من مرة، صحيح أنها لم تُعد محترقة الآن، وربما أثر الاحتراق قد مُحي تمامًا، لكن فؤاده لا يزال مُحترقًا حتى هذه اللحظة، فما عاناه كان أكبر من أن يتحمله طفلٌ صغير، ولا حتى شابٌ كل ما آراده أن يُحبه الجميع، ترقرقت الدموع على وجنتيه بعد أن أنهى حكايته أمام سامي الذي يتابعه بذهول، لطالما ظنٌ أن هناك ما جعله بتلك الشخصية الجافة لكنه لم يتخيل أن يضحى الأمر بهذه الفظاعة:

-كانت تُخبرني أن لا أحد يُريدني .... كُنت أثبت لها طوال الوقت أنني جديرٌ بحُبها، وأنني ولدٌ مُطيع .... لكن....

تحشرج صوّته وهو يواصل بين دموعه:

-لم يفلح الأمر .... دائمًا ما تُخبرني أن لا أحد يُحبني، وأن الجميع يمقتني ..... وكُنت أصدقها كالأبله .... أتعارك مع أصدقائي لأنني اعتقدتُ أنهم يكرهونني ..... أصبحت وحيدًا لا يُحبه أحد .... حتى هذه الفتاة التي أحببتها وأنا بالجامعة .... نبذتني كبقيتهم، وتركتني هي الأخرى....

تنهد بحرقة وبدأ يأخذ أنفاسًا عميقة وهو يواصل الحديث بما يجيش بصدره:

-لم يكن اختراعي لهذا الجهاز رغبة في العلم والارتقاء كما تعتقدون .... بل لأنني أردتُ الهرب ... أردتُ الهرب من هذا العالم المقيت، كُنت أحلم دائمًا أن أخترق صفحات الكُتب وأعيش بين أسطر الحكايات ... حيث ينتصر الخير على الشر مهما حدث .... كلما قرأت راوية كانت تأتيني هذه الأفكار .... حتى عندما كانت تعاقبني والدتي وتتركني وحيدًا بُحجرة القبو .... كُنت أغلق عيني وأتخيل أنني في هذه الحكايات .... فقط لأهرب

قهقه قهقهة أليمة بعد حديثه الذي حاول معه أن يُجفف دموعه ويُشير إلى هذا العالم الذي علقوا به بسببه:

-وها نحن هنا .... نحاول الهرب من الخيال بسبب عالمٍ مجنونٍ سئم من عذابه وقرر أن يخترع جهازًا كهذا

تلطخت كلماته بالغضب وكأنه يُعاقب نفسه على هذا الأمر، فرغبته بالهرب من العالم الحقيقي جعلتهم يحاولون الهرب من عالم الخيال، وكأنه ظنٌ أن الأوجاع ستنتهي بمُجرد وضعها داخل حكاياتٍ للأطفال، كان يعتقد أنه سيجد طفولته الضائعة بعد ابتكاره لهذا الجهاز، لكن يبدو أن الماضي لا يُمكن ترميمه وتجميله أبدًا، فهو سيؤلمه مهما مرٌ على حياته.

كان سامي لا يزال يراقبه بنظراتٍ تختلط بين الشفقة والذهول، الشفقة من حالته حاليًا، والذهول من صموده حتى هذه اللحظة، صحيحٌ أنه يشعر أحيانًا أنه مختلٌ عقليًا وجاف المشاعر، لكنه الآن يفهم لماذا مشاعره جافة هكذا، رفع يده حتى يضعها على ظهر مارك ويُربت عليه تربيتاتٌ خافتة آراد معها أن يواسيه ويحثه على المواصلة:

-هناك شيئان ... حينما يُفكر بهما الإنسان ... تتحوّل حياته إلى الجحيم...

رفع سبابته أمام مارك وهو يواصل:

-الماضي .... والمُستقبل

رفع إصبعه الآخر عقب حديثه ثم أخفض يديه وطفق يواصل بحكمة وهو يُحيط مارك بذراعه:

-أتعلم ما هو أفضل شيءٍ بالأيام الأليمة ؟ ...... أنها تمضي .... وكذلك نحن نمضي، جميعنا نمضي إلى الأمام .... رغم أنف الماضي

لانت ملامح مارك وسكن فؤاده حتى تبقت ملامحه الذابلة التي لا يزال عليها آثار الحُزن والخُذلان، كان هذا قبل أن يضربه سامي على رأسه بخفة قال معها بمُزاح:

-ثم أنك أصبحت قدرنا أيها العالِم الجليل

أنهى حديثه ببسمة مرحة جعلت مارك يتضايق ويتأوه بخفة من ضربته البسيطة التي جعلته يدفعه بعيدًا عنه ليعود إلي طبيعته الغاضبة مجددًا:

-ابتعد يا حثالة المُجتمع

قهقه سامي بحرارة على ملامح مارك الغاضبة بينما استكان الآخر وبدأ يُشاركه الضحك رغم أن ضحكاته كانت باهتة لا تزال تحمل بعض آثار الحُزن، وبعد فترة وجيزة من المرح بينهما، وجدا كاتي تأتي بُصحبة ميليندا التي كانت ترمق مارك بنظراتٍ غاضبة ثم تتجاهله وتجلس على الأرض ثم تأتي غيْد هي وحكيم ليروا ما الذي سيفعلونه بالخطوة القادمة:

-يجب أن نرحل من هنا ..... هذه السيدة وهذان اللصان يُريدون قتلكم .... أعتقد أنهم رأوكم مع الأميرة

بدأ مارك بهذا الحديث ما إن اجتمعوا حوْله ليفهموا ما الذي كان يقصده بالكلمات التي بصقها قبل أن يغيب عن الوعي.

أحنت كاتي رأسها لأسفل وهي تضرب جبهتها بغضبٍ من هذا الأمر، لم يكن يجب أن يتدخلوا بهذه الطريقة، فها هُم الآن سيواجهون خطرًا آخرًا، وهي تعرف جيدًا أن هذه الحكاية ليست هادئة أبدًا، ربما أكثر الحكايات كوارثًا.

-وما الذي سنفعله الآن ؟

سألت غيِّد بقلقٍ بينما أمسك حكيم هاتفه وبدأ يحُركه في الهواء متفوّهًا بأريحية دون أن يكترث لواقعهم المليء بالكوارث:

-حمدًا لله أن هاتفي مضادٌ للماء .... وإلا تحطم بعد هذا العِراك

انقبضت أوزار غيِّد وظنُّت أن هاتفها قد تحطم ولن يعمل مجددًا حتى بعد عوّدتهم إلى عالمهم، فهو ليس مضادًا للمياه، الأمر الذي جعلها تُخرجه من جعبتها وتحاول فتحه أثناء كلماتها المذعورة:

-أو لا .... لن أقدر على شراء هاتفٍ غيره

بدت كلماتها متحسرة كادت تتجمع مع دموعها وهي تحاول فتح الهاتف ولا يستجيب معها، حتى أنها تجاهلت أنه لا يعمل في هذا البُعد وظنُّت أنه لن يعمل مجددًا، فهو قد غاص في المياه وكأنه سمكة تستطيع السباحة وما هو سوى هرة صغيرة ترتعد من المياه، تدخلت ميليندا بالحديث لتطمئنها بكلماتها الواثقة:

-لا تقلقي لن يحدث له شيء ..... هاتفكِ الحقيقي لا يزال في عالمنا .... هذه مُجرد نُسخة افتراضية

تبلمت وجوههم وباتوا يتبادلون النظرات في صدمة من حديث ميليندا، فعن أي هاتفٍ تتحدث ؟ وكيف للهاتف أن يبقى في عالمهم وينتقلون هم إلى هنا ؟! الأمر الذي جعل سامي يوّجه سؤاله الحاد نحو ميليندا:

-ما معنى هذا ؟ .... لماذا يبقى الهاتف بعالمنا وننتقل نحن ؟

توّترت ميليندا وبقيت تبادل نظراتها مع مارك وهي لا تعرف كيف تُخبرهم حقيقة الجهاز، كان هذا قبل أن يتدخل مارك متفوّهًا بطريقة علمية بدت مترددة وهو يشرح ويحاول تبسيط الأمور:

-الحقيقة أننا .... لسنا هنا أيضًا

كانت كلماته الغامضة كفيلة بجعل عقولهم تكاد تقفز من مواضعها، حيث بقيت نظراتهم مُسلطة صوّب مارك لعله يُفسر كلماته الغامضة ويريحهم من هذه الصدمة والضياع:

-حسنًا .... علميًا، نحن في عالم الرسوم المُتحركة .... عمليًا، نحن لا زلنا في المعمل

سقط فكهم في صدمة أكبر وبدأ عقلهم ينجرف إلى أفكارٍ أخرى حتى طفح الكيل بحكيم وهو يسأل:

-هلا أخبرتمانا مباشرة ما يعنيه هذا الحديث

اقترب مارك بجذعه للأمام وآعاد ركبتيه للوراء ليجلس عليهما وهو يشرح لهما حقيقة الأمر:

-نحن لم ننتقل بأجسادنا في هذا العالم ... عقولنا فقط هي التي انتقلت...

رفع يديه وبدأ يشرح بعلمية وهو يُشير على الجهاز الذي كانت تحمله ميليندا:

-هذا الجهاز .... يعمل عن طريق تفعيل الغُدة الصنوٌبرية، هذه الغُدة هي من أصغر وأهم الغُدد الصماء والأكثر غموضًا في العالم .... لأنها تُسيطر على الساعة البيولوجية بنمط النوم والاستيقاظ في الجسد .... وعند تنشيطها، ننتقل إلى حالة اليقظة، أو العين الثالثة، أي ننتقل إلى عوالم ثانية بعقولنا، وهذا بعد أن يتم العبث ببعض وظائفنا الفسيولوجية ... وقد قُمت بالربط ما بين العالم الافتراضي وهذه الغُدة الصنوبرية عن طريق مُستشعراتٍ مدمجة في مساحة ثلاثية الأبعاد أقرب إلى الواقع

سقطت فكوكهم وجحظت أعينهم وقد شُل لسانهم عن الحركة، لا يعرفوا أهذه الحالة بسبب شعورهم بالصدمة أم البلاهة، فحديث مارك أشبه بنشرة صينية عن الاقتصاد والبورصة، بقي مارك يطالع ذهولهم وصمتهم حتى أدرك أنهم لم يفهموا أيٌ مما قاله، الأمر الذي جعله يتنهد بخيبة أمل ويجلس على الأرض وقد شعر لوهلة أنه كان يُلقي محاضرة علمية أمام مجموعة من الخِراف.

-هـ...هلا وضحت أكثر ؟

هكذا قال حكيم بنظراتٍ جاهلة جعلت مارك يسرق نفسًا عميقًا ويحاول اختصار الشرح حتى يفهموه:

-هذا يعني أننا لا نزال بالمعمل .... وربما يعتقدنا الجميع أننا في غيبوبة، أو نائمون .... المهم أننا يجب أن نرحل من هنا

أنهى الحديث بلكنة آمرة حتى يتناسوا هذا الأمر ويُفكروا بالمُعضلة الحقيقية، الأمر الذي آعادهم مُجددًا إلى الجدية وجعلهم يلتفون حوّل بعضهم حتى ضاقت تلك الدائرة، وكانت كاتي تتوّسطهم لأنها ستُخبرهم عن الحلّ كما يحدث دائمًا:

-لا يوجد أمامنا سوّى حلٌ واحدٌ فقط حتى نهرب من جوٌثيل واللصان

بصقت هذه الجملة بعد فترة من التفكير لتجعلهم ينتبهون لحديثها وعوالم الترقب على وجوههم، الأمر الذي جعلها تستجمع ثقتها وتردف بتقرير:

-سنذهب إلى المدينة....!!

أشرقت شمس يومٍ جديدٍ وكانت السماء صافية تحفها العديد من الغيوم البيضاء الكثيفة، كانوا قد عزموا على الذهاب إلى المدينة تجنبًا لخطر الساحرة وأتباعها اللصوص وأيضًا العساكر والجنود الذين يبحثون عنهم، آرادوا فقط الاختباء حتى تنتهي هذه الحكاية ويرحلوا في سلام، لا يريدون المزيد من المصائب.

كان سامي يتقدم المسيرة وخلفه حكيم الذي كان يسير على الجِسر تتحوّل معاني وجهه إلى التذمر حالما يجد صوٌرة له مُعلقة على السور وتلك العينين الضيقتين التي تزيده غضبًا، فعنياه لا تبدوان هكذا، حتى أنه لم يلتفت إلى كوٌنه من المطلوبين للعدالة وربما يقع في ورطة أخرى.

نزع حكيم صوٌرته وقام بتكوٌيرها وإلقاءها على الأرض لتأتي رياحٌ عاتية تقوم بتحريكها وتجعلها تلتصق بوجه مارك الذي ازداد تذمرًا وهو يُبعدها عن وجهه ويقذفها نحو حكيم ليتعارك الاثنان بطفولية قطعها نظرات سامي الحادة حتى يتوٌقفا ويواصلان السير.

كانت البهجة تطغي على أركان المدينة خاصة أن هذا اليوم من الأيام المميزة، فالأطفال كانت تمرح وتركض خلف بعضها والنساء يتجوّلن ويُفرقن الفطائر الطازجة التي أخذت منها غيّد بشهية بالغة بسبب شعورها بالجوع، فثمرات الفاكهة التي تناولوها لم تجعلها تشعر بالشبع والاكتفاء، وبعد تناولهم لبعض الفطائر والمأكولات الخفيفة، واصلوا السير داخل أرجاء المدينة بحثًا عن بُقعة للاختباء، كانت رسمة قُرص الشمس تتوّسط الأرضية وحوّلها العديد من الرجال الذين كانوا يعزفون على آلة الكمان حتى تعالى صوّت التصفيقات وهلل سُكان المدينة مرة واحدة.

توّقفت غيّد عن السير لتُراقب حركاتهم حتى وجدت من يدفعها ويجبرها على دخول الدائرة ثم يعانق ذراعها ويدور معها في حركة استعراضية ثم يتوقفوا ويُصفقوا لأعلى تماشيًا مع الموسيقى، قهقهت غيّد بسعادة وهي تشاركهم الرقص حتى وجدت كاتي وميليندا ينضمان إليهما يليهما حكيم وسامي وحتى الأميرة ويوجين، وآخرهم كان مارك الذي بقي محافظًا على جفاءه حتى وجد سامي يجذبه عنوة ويجبره على الرقص لعله يُخفف القليل من جفاءه، وبالفعل نجح في ذلك عندما شاركهم الرقص ووجد الابتسامة الصادقة تجد مجراها أخيرًا على مُحياه.

انتهت رقصتهم وواصلوا تجوّلهم داخل المدينة بحثًا عن بُقعة للاختباء، لكن الأميرة كانت مُتحمسة لمشاهدة المصابيح، ولم تنسى ما فعلوه من أجلها وكيف كانوا سببًا بمجيئها هذا المكان، فيوجين في هذه الحكاية كانت معرفتها به لا تزال سطحية، هو حتى لا يعرف من أين أتت رغم بقاءه معها عنوة.

-ما رأيكم أن تأتوا معنا ؟

سألت الأميرة موّجهة سؤالها نحو كاتي التي حاولت التهرب بإجابتها الهادئة:

-شكرًا لكِ ... من الأفضل أن_

قطعت غيّد حديثها بحماسٍ قالت معه:

-بالطبع سنأتي

وجهت كاتي نظراتٌ جامدة صوّب غيّد التي تتصرف بطفولية وهي تلح عليها:

-ماذا !! .... لن تتكرر هذه التُجربة ... أريد أن أرى المصابيح

تدخل حكيم بالحديث مُشجعًا إياها:

-أنا أيضًا أريد رؤيتها .... هيا بنا

جذب غيّد من ذراعها لتتحرك معه صوّب القوارب متجاهلًا تعليمات كاتي ويتركها تزفر بحنق ثم توّجه نظراتها صوّب سامي حتى يتدخل ويوّقفهما قبل أن يتطوّر الأمر، لكنها تجده يبتسم لها ابتسامة هادئة التقط معها آناملها وأمسى يُحدق بعينيها متفوّهًا:

-لنرى المصابيح نحن أيضًا .... لن تتكرر هذه التجربة

قلّد حكيم في طريقة حديثه وهو يدفعها عنوة نحو القوارب رغم تذمرها الذي طغى عليها في باديء الأمر حتى وافقت على حديثه، فهي مُجرد تجربة بسيطة، لن تؤثر حتى بالحكاية.

توّقف سامي عن السير ليلتفت صوّب مارك الذي كان يُطالعهم بارتباكٍ جامٍ لا يريد أن يشاركهم بالأمر.

-ألن تأتي ؟

سأله سامي رغبة بإقناعه لكنه يجد مارك يرتبك أكثر وهو يقول:

-لا .... لن أنجو إذا حدث شيءٌ للقارب .... لا أستطيع السباحة

كان يُريد إخفاء رهبته من المياه بسبب ذكرى أليمة أخرى آراد نسيانها، تفهم سامي نظراته المُرتبكة وقرر أن يتركه وشأنه ولا يُعقب، بينما كانت ميليندا تقف بجواره تتجنب النظر نحو مارك وتُخبر كاتي بتقريرٍ:

-وأنا أيضًا لا أشعر أنني أريد الذهاب .... سأنتظركم بالضفة الأخرى....

أومأت كاتي بابتسامة هادئة لم تُعقب معها وواصلت سيرها برفقة سامي حتى قفزا على قاربٍ صغيرٍ وبدأت رحلتهما الهادئة حينما بدأت السماء بمعانقة المياه في مظهر غروبٍ بديعٍ يطغي على رهبة القلوب....

اجتمعت المياه الهادئة مع سكون الليل وتلك المصابيح المُنيرة الطائفة في الهواء لينعكس ضوءها على سفحات المياه مما يخلق لها سحرًا خاصًا، كانت تجلس غيُّد على طرف القارب ترفع رأسها لأعلى بابتسامة عذبة تعتلي ثغرها وكأنها داخل حُلمٍ من أحلامها، وكان حكيم أمامها بعد أن ترك سامي يستقل القارب مع كاتي لرغبته بالبقاء معها، كان ينشغل بالتجديف ومشاهدة المصابيح ثم يرميها بنظراتٍ عابرة تأمل معها بسمتها الهادئة وخُصلاتها الناعمة القصيرة التي تتماشى مع بشرتها البيضاء الصافية وملامحها العربية.

كان يُجدف في صمتٍ حتى وجدها تعتدل بجلستها محاولة أن تفتح معه أي حوّارٍ لا ينتهي بعراكٍ طفوليٍ كما يحدث دائمًا:

-كأنه مو مبسوط ..... شو .... متعوّد ع هيك أشياء ؟

سألته ببعض التهكم حتى تُحطم القليل من تعاليه الواهي، فهي تعلم أنه فتًا مُرفهًا لا تهمه هذه الأشياء، وحكيم أيضًا لمح بعض السُخرية في حديثها وكأنها تُريد أن تُخبره أنه لا يوجد فرقٌ في الطبقات بينهما، حتى ولو كان من عائلة غنية.

-أه عادي .... أصلًا شوفت الحاجات دي قبل كدة لما سافرت الصين

آراد أن يستفزها بحديثه المتعالي ويُخبرها أن تلك الأمور ليست جديدة عليه، وأنه قد أتى هنا فقط حتى لا يُصيبه الملل، رغم أن ذلك ليس حقيقيًا.

-بالله جد !!.... لكان ليش إجيت معنا ؟

توّقف حكيم عن التجديف ليطوف القارب على سفحة المياه ويسترخي هو بظهره متفوّهًا ببعض التعالي:

-عادي .... زهقان

همهمت غيُّد ببعض السُخرية التي تهكمت بعدها:

-صحيح ... شو بدو يساوي ابن الآكابر إذا بيكون زهقان .... أكيد ما لقيت اللامبورجيني تبعك حتى تسليك

أطبق على شفتيه ببعض الحنق من سُخريتها لا يعلم أنها تحاول أن تجعله يهبط إلى عالمهم القاسي ويترك عالمه المُرفه، فهي تظن أنه طوال الوقت في عالمٍ آخر، وأنهم فقط من عانوا بحياتهم، وهي بالفعل على الحق، فهو من أولئك المؤلودون وبجوّفهم ملعقة من الذهب، لديه أسرة مثالية وأبوان يُحبانه، لديه منزلٌ كبيرٌ ويتناول أفضل الطعام والشراب وتوّفر له جميع سُبل الراحة، حتى وظيفته_ التي لا تُعتبر وظيفة من الأساس_ وظيفة هينة وممتعة، فهو يسافر ويمرح ويقتاد الأموال بسبب منشوراته ومقطوعاته، حياةٌ يتمناها الجميع، وهو كذلك لم يتذمر من تلك الحياة أبدًا ولم يتصيّد لنقماتها المُنعدمة، لكن بعد مجيئه هنا، ومخالطته بهم، وبعد أن أدرك معاناتهم وآلامهم، تأكد أن حياته كانت فارغة خالية من الأهداف والعقبات، حياة روتينية مثالية لدرجة الاختناق، آراد فقط أن يثبت لها أنه مُثلهم، وأنه ليس مُرفهًا كما تقول، لكن طريقته كانت مرحة وهو يُوضح ذلك بطبيعته العفوية:

-وإنتِ مين قالِك أصلًا إني لما بكون زهقان بلف بعربيتي اللامبورجيني ؟

اعتدل في جلسته ليواجهها وهو يحاول تحطيم ظنونها التي يظنها خاطئة:

-وبعدين مش معنى إن عندي عربية لامبورجيني وبورش ومرسديس ... وساكن في فيلا في التجمع وعندي شاليه في الساحل وفي الجونة وفي مراسي أبقى غني ومُرفه .... أنا بردو عندي مشاكل زيي زيكم

قطبت حاجبيها بحيرة من حديثه الأبله الذي تهكمت منه بطريقتها الساخرة:

-عن جد !! .... وشو هي مشاكلك بقى ؟ ....ما بتلاقي الشوكولاة اللي بتحبا بالسوق ؟

-لأ الاندومي الكوري....

هكذا قطع حديثها ببلاهة صادقة جعلته ينتبه لما قاله ويُحاول تعديله قبل فوات الآوان:

-قصدي متدخليناش في تفاصيل .... وبعدين عمالة تتعنطظي وتقوليلي يا مُرفه وإنتِ مراسلة صحفية تلاقيكي مقضياها فُسح وسفر

كان يتوّقع أن تهاجمه بالحديث لكنه تفاجأ بسكونها التام وتحديقها بالأرض بنظراتٍ ذابلة، بقيت في حالة من الصمت وكأنه أخبرها كلماتٌ جارحة، وهو لم يفعل شيئًا سوى أنه آعادها دون قصدٍ لذكرياتٍ لا تبغي تذكرها:

-ومين قالك إنه بدي هيك ؟ .... مين قالك إنه بحب السفر ؟

تفاجأ أكثر من كلماتها المتضايقة التي جعلته يُحدق بها وقد تناسى غضبه ومشاكسته لها، فقط يُحدق في ملامحها التي ربما عادت إلى حقيقتها المدفونة:

-وهو في حد مجبور يسافر ويلف العالم ؟

-إيه ... أنا

هكذا آجابته بسُرعة وبنبرة قاطعة جعلته يتأمل دموعها المتلألئة التي انهمرت مرة واحدة وهي تقول:

-سافرت لأنه بدي إنسى ... بدي إنسى كل شي .... ما بدي اتذكر

انهمرت دموعها أكثر وبقيت تبكي أمامه ليتحرك قبالتها يُريد أن يُهدئها لكنه لا يُريد تخطي حدوده معها لذلك بقي محافظًا على المسافات بينهما يكتفي بمراقبة دموعها ويحثها بعينيه حتى تفصح عمَ بداخلها، وكانت غيِّد تستنشق مخاطها وتحاول تجفيف دموعها أمام نبرته الهادئة القلقة:

-عايزة تنسي إيه ؟

سألها بنبرة مُلحة قلقة أول مرة تسمعها، وكانت إجابتها شاردة ودموعها قد التصقت على وجنتيها وهي تُحافظ على ثباتها أثناء الحديث:

-بدي إنسي إللي صار....

عادت بذكرياتها للوراء حينما كانت بالسابعة عشر من عُمرها تقطن بحي القصور بإحدى بِقاع حِمص، تتذكر حينما كانت مراهقة يافعة شديدة العِناد وشديدة المرح، تتذكر عائلتها البسيطة المكوَّنة من والدها الشيخ خطاب الشماع ووالدتها السيدة شام ذات البسمة الخلوقة والتربيتات الحانية، تتذكر حتى شقيقها الصغير المشاكس بدران وكيف كانت تمرح معه وتساعده بمقالبه التي يفعلها مع الجيران، وأسوأ ما تتذكره

هو ذاك اليوم الذي تغيرت فيه حياتها، حينما كانت بالسابعة عشر وآرادت التسكع مع رفيقاتها كما تفعل بقية الفتيات بعُمرها، لكن والدها رفض رفضًا قاطعًا هذا اليوم وتعالى صوّت شجاره معها وهو يقول:

-شو يعني بدك تطلعي مع رفقاتك .... ما بتعرفي إنه ستكِ ناطرتنا بحلب ؟

كان والدها من أصل حلبي وكان هذا اليوم الذي يقومون فيه بزيارتها هي وأعمامها بحي الفردوس، ولأنها كانت فتاةٌ عنيدة مُتمردة تتحرك وفق التيار وتتمتع بعنفوان المراهقة، كانت تصرٌ على عدم الذهاب إلى تلك العزيمة والبقاء بحمص حتى تتسكع مع أصدقاءها، فالتجمعات العائلية كانت مملة بالنسبة لها.

-وأنا ما بدي روح عند ستي .... بدي إطلع مع رفقاتي

-وأنا قولت ما في طلعة من الدار

-لكان ما راح روح عند ستي

قالتها بعنادٍ وصوّتٍ مُرتفعٍ ربطت معه ذراعيها بتذمرٍ أمام والدها الذي ارتفع ضغطه من تلك الفتاة العنيدة وقرر أن يعاقبها ويُبقيها وحيدة بالمنزل حتى تنتهي الزيارة، وبالفعل نفذ ما قاله وأغلق عليها باب المنزل ومنعها من الرحيل والتسكع مع رفيقاتها، فإذا كان قرارها ألا تذهب إلى عائلتها، فمن الأفضل ألا ترى أحدًا من الأساس، هكذا فكرٌ والدها وهو يترك المنزل مع والدتها وشقيقها بدران الذي لوّح لها بمرحٍ ووّعدها أن يبتاع لها القرطبة، تلك الحلوة المطاطية التي يتم صناعتها بالعنب، والتي تعشقها غيّد وعادة ما يبتاعها لهم والدها في زياراتهم الإسبوعية لحلب، لكن هذا اليوم، بقيت في حُجرتها وعوالم الغضب تكتنفها، هذا لأنها آرادت بشدة أن تتسكع مع أصدقاءها.

كان الغضب قد تملك منها فوّر رحيل عائلتها، أخبرت صديقتها فريال بأنها لن تستطيع التسكع معهن وستبقى بالمنزل بسبب ظروفها الخاصة، ثم ثارت بعدها وأخذت تركل الحائط بقدمها ثم تتمدد على الفراش وتعبث بهاتفها بملل، وما إن تملك منها الضجر غطت في سُباتٍ عميق، لا تعلم كم مرٌ من الوقت وهي نائمة على فراشها لا تدري بما يحدث حوّلها، لكنها استيقظت مفزوعة على صوّت باب المنزل وهو يُطرق بحدة وكأن هناك لصًا يُريد الدخول؛ هبت غيّد مذعورة من سباتها

وهرعت خارج الحُجرة حتى تفتح لهذا الزائر غير المتوٌقع، صُدمت حينما وجدت جارتها تنتشلها في أحضانها وتبكي على صدرها بلا توٌقف.

-الله يعوٌضك يا بنتي الله يعوٌضِك...

كانت هذه الكلمات تخرج من جارتها الباكية بلا توقف، الأمر الذي جعل فؤادها ينقبض وحرارة جسدها ترتفع، فما الذي تعنيه هذه الجملة!!

-شـ... شو في خالتي ؟... شو اللي صار ؟

سألتها بنبرة خافتة مُتقطعة وكأنها تشعر أن هناك شيءٌ كبيرٌ قد حدث، وجدت جارتها تبتعد عنها بضع أمتارٍ وتُبقي يديها الحانية على كتفها لتُربت عليها تربيتاتٍ مواسية أردفت معها:

-أبوكِ وأمكِ وأخوكي....

انفطر قلبها أكثر وبدأت نبضاتها تتعالى تتمنى ألا تتحقق شكوكها، لكن يبدو أن أمنياتها لن تتحقق هذه المرة، فما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى وجدت جارتها تنخرط مجددًا بالبكاء وهي تقول بنبرة مكلومة:

-استشهدوا بالقصف

وكأنها فقدت حاسة السمع في تلك اللحظة، لم تعُد تسمع جارتها ولم تعُد تشعر بما يحدث، فقط هذه الكلمات تتردد على أذنها ولا تستطيع اختراق عقلها، عن أي قصف تتحدث جارتها، ومن الذي أستشهد ؟ هل مات أبويها ؟ هل ماتت عائلتها دون أن توٌدعهم!!

-شـ..شو عم تقولي خالتي ؟ .... لأ ..لأ أكيد عم تمزحي .... شو صار لعيلتي بترجاكي لا تكذبي....

انهارت في تلك اللحظة وبدأت تصرخ بهم وتُكذب حديثهم حتى تجمع حوٌلها الجيران وأتى خالها ليأخذها بأحضانه ويُربت على ظهرها، بقيت تصرخ بهم وتُخبرهم أنها تُريد الذهاب إليهم، فوالدها لا يزال غاضبًا منها، لا يجب أن يرحل دون أن تعتذر له، وشقيقها... شقيقها كان يمرح معها ويعدها أنه سيبتاع لها

القرطبة، والآن هي وحيدة، لا أحد بجوارها، علِمت أن منزل عائلة أبيها تم قصفه بإحدى المعارك، كما علِمت أيضًا أن هناك أكثر من 35 ألف بناية في مدينة حلب قد تم قصفهم أيضًا....

-ما لحقت شوفون آخر مرة .... وما لحقت قولن إني بحبن...

ترقرقت دمعاتها على وجنتيها وهي تفصح عمَ بداخلها أمامه، وكان هو يستمع إليها بأطرافٍ مكبلة لا يُعرف كيف يواسيها، هو حتى لا يعرف أي من كلمات المواساة، ويخشى أن يتدخل فيجرحها أكثر لذلك حافظ على صمته لفترة وجيزة استطاعت خلالها أن تُفرغ ما بجعبتها من دموعٍ ثم تستنشق مخاطها وهي تحاول المحافظة على ثباتها، لا تعرف كيف أفصحت لهُ عن هذه الأسرار الكامنة ولا تعلم كيف بكت هكذا أمامه، فهو يعتقد أنها امتهنت الصحافة بسبب حُبها لتلك المهنة، لكنها في الحقيقة آرادت أن تكشف الحقيقة للعالم، حتى أنها أتقنت اللغة الانجيليزية وسعت للعمل بأكبر القنوات بدولة قطر باعتبارها مُتقدمة في هذا المجال، وهذا فقط من أجل نشر الحقيقة.

بدأت تُكفكف دموعها بأناملها الرقيقة حتى وجدته يزيح الجليد بينهما بكلماته المرحة المواسية بعض الشيء:

-إنتِ المفروض تفتخري إنهم شُهداء مش تزعلي عليهم ..... وبعدين يا ستي لو وحشوكي أوي كدة، أنا ممكن أرميكي في البحيرة دي وأوّديكي ليهم عادي ... بس ساعتها هرمي نفسي وراكي ونتقابل كلنا سوا في الآخرة

قهقهت بخفة على دعابته السوّداء وابتسم هو الآخر لأنه استطاع أن يُبدد حُزنها ويجعلها تقول بنبرة صادقة:

-بتعرف إنك أكتر حدا بيضحكني ؟

تبلمت معاني وجهه وهو يُعلق على حديثها بتذمر:

-دا على أساس إني أراجوز !! ..... وبعدين هو في بنت تركية تبقى شبه الطمطماية كدة وهي بتعيّط

زفرت الهواء من جوّفها بسأمٍ من نعته لها بالتركية وهي التي أخبرته أكثر من مرة أنها من الشام وأن الأتراك لا يتحدثون مثلهم فهي مُجرد دبلجة، لكن يبدو أن لا حياة لمن تنادي.

-لك قلتلك مو تركية

قهقه بمرحٍ على حديثها الذي عقب عليه وهو يتأمل ملامحها التي طغى عليها الحُزن والبراءة والغضب الطفولي ليخلقوا سويًا هذه الفتاةٌ ذات الجمال ساحرٍ.

-منا عارف إنكِ مش تركية .... بس عارفة أنا ليه بقولِك كدة ؟

رفعت عينيها صوّبه لتنجذب لابتسامته المرحة وهي تسأل بفضول:

-ليش ؟

اتسعت بسمته وهو يُجيبها ببعض الهيام:

-أصلِك بتفكريني بالمسلسلات التركية .... وأنا بحبها أوي....

على قاربٍ آخر حيث تزينت السماء بتلك النجوم المُضيئة، كان سامي يُجدف حتى يتحرك القارب، بينما كانت كاتي تقف على قدميها ترفع يديها لأعلى كمحاولة واهية منها للمس إحدى هذه المصابيح المتطايرة، وبالفعل استطاعت الإمساك بواحدة منهن وأخذت تتأملها عن كثبٍ ثم ترفعها لتطوف عاليًا في السماء وتبقى الابتسامة المرحة على ثغرها، بينما كان سامي يبتسم هو الآخر ليس بسبب المصابيح البديعة، بل بسبب ابتسامتها الساحرة التي حملت براءة الأطفال في طيّاتها.

-هل لديك أصدقاء ؟

سألت كاتي بعد فترة من الصمت وتأمل المصابيح، كانت تُريد أن تفتتح حديثًا مع سامي حتى لا تتكلل جلستهما بالصمت، وكان يُريد هو الآخر الشيء ذاته لكن ليس بهذه الطريقة، فهو لا يُريد أن يتحدث عمَ يخص حياته، ولا يريدها أن تتعمق بشخصيته التي ستعتقدها وضيعة، أو هي بالفعل كذلك.

بُهتت ملامحه وبقي صامتًا يمتنع عن الإجابة لعلها تتناسى هذا السؤال وتسأله شيءٌ آخر، كأفضل أكلة بالنسبة له، أو أفضل فيلمٍ أو عن طفولته حتى، لكنه يجدها تلح عليه وكأنها تدفعه للحديث عن حقيقته التي يتهرب منها دائمًا:

-أجب ..... أنا أجبتك عن هذا السؤال ذات مرة .... وأخبرتك أن الأطفال بالدار هُم أصدقائي ..... وأنني لم أصادق أي شخصٍ بُعمري .... لكنك لم تُخبرني شيئًا عن حياتكِ سوى عن والديك اللذان سرقتهما

أنهت حديثها بنبرة مُحتقرة بررت معها ضيقها مما فعل رغم أنه وعدها أنه سيُصلٌح خطأه حينما يعود إلى موٌطنهم، وبعد الكثير من إلحاحاتها وجدته يُجيب آخيرًا بنظراتٍ تحاول الابتعاد عن خاصتها:

-كان لدي صديق .... اسمه طارق، تعرفتُ عليه بالمدرسة، كان أكثر من أخي .... وكنا معًا طوال الوقت

ابتسم ابتسامة هادئة وهو يتذكر هذه الذكريات البسيطة الخالية من العوائق، لكنه يصمت عن الحديث لتتبلم ملامحه وتتحوٌل إلى الضيق ما إن تصل ذكرياته إلى نهاية هذه الصداقة:

-لكننا افترقنا .... فرقتنا الأيام

هكذا حاول الاختصار ليعاود التجديف بينما كانت كاتي تُحدق بعينيه تستشعر كذبه، فهي تفهم دواخله ونظراته جيدًا، أو فهمتها بالفترة الأخيرة، وتعرف الآن أنه يخفي شيئًا، فهذا ما فعله بالضبط حينما أخفى عليها ما فعله بأبويه:

-فرقتكم الأيام!!

نبرتها المُتشككة جعلته يرتبك أكثر ويحاول إلهاء ذاته بالتجديف وهو يؤكد حديثها:

-نعم فرقتنا الأيام .... لماذا ترمقينني هكذا ؟

-لأن الصداقات القوية لا تُفرقها الأيام .... فلا تكذب علي، أصبحتُ أعرفك من نظراتك

زفر الهواء من فمه بضجرٍ ثم ترك المجداف بحدة ليُخبرها الحقيقة رغم أنفه، فبسبب حُبه لها، أصبح يُخبرها عن أسراره التي لا يجب أن يعرفها أحد:

-حسنًا .... لم تُفرقنا الأيام ... أنا الذي أخبرته أن يتركني وشأني ولا يتحدث معي مُجددًا

-ولماذا فعلت ذلك ؟

سألته بفضولٍ حينما توّقف عن الحديث وآراد أن يكتفي بهذا القدر، لكن أمام نظراتها التي تحاصره وجد لسانه يقول باستسلام:

-لأنه كان فقيرًا .... كان يقطن بحيّنا الفقير، وأنا كُنت أبحث عن الثراء والمجد .... وعندما صادقت بعض الأغنياء، قررتُ الابتعاد عنه حتى لا يجذبني مجددًا إلى مُستنقعه الفقير....

تنهد بحرقة وهو يقص عليها كيف كان يصادق الأغنياء ويجتذبهم نحوه حتى يربح الأموال من ورائهم، أخبرها عن تلك الأيام التي بدأ يعامل فيها صديقه الوحيد بجفاءٍ ولا يرُد على اتصالاته ويرفض مقابلته حينما يأتي منزله، فأحيانًا يتعلل بالمرض وأحيانًا يتعلل بانشغاله، حتى أتى هذا اليوم حينما كان يجلس مع رفاقه الأغنياء وشاهده صديقه طارق بالصُدفة، يتذكر حينما هرع نحوه طارق بابتسامته الأخوية ورغبته بمصافحته والاطمئنان عليه لأنه لم يكن يتحدث معه لفترة طويلة لأن سامي أخبره أنه مريض.

احتقر نفسه أكثر عندما كان يرتدي أفضل الملابس أمام أصدقاءه الأغنياء حتى يعتقدوه واحدًا منهم، وعندما قابله طارق بالصدفة شعر بالحرج من ملابسه الرثة البالية وحذاءه القديم ومعاني الفقر على وجهه، فقد كان مجرد نادلٍ في هذا المقهى الذي يجلس فيه سامي مع " أصدقاءه"

احتقر نفسه أكثر فأكثر حينما تجاهل معرفته بطارق وتعمد إهانته حتى يُخبر أصدقاءه الأغنياء أن هذا الأجرب لا يمت له بصلة، وأنه لا يعرفه من الأساس، لا زال يتذكر نظرات طارق المُنكسرة وشعوره بالمهانة على يد من كان شقيقه ونصفه الآخرلسنواتٍ عديدة، حتى أنه بعد هذا اليوم لم يعُد يعرف ما الذي حلّ بصديقه، وحينما يقابله صُدفة يتجاهل كل منهما الآخر وكأنهما غُرباء، وهذا بسببه هو.

تنهد بضيقٍ بعد سرده لما حدث وكان يحاول أن يتجنب نظراتها المُستحقرة ورغبتها بلكمه على وجهه، فكلما تحدث عن حياته زادت حقارته أكثر، وهو أيضًا لم يكن يعرف أن ما فعله سيءُ لهذه الدرجة، فدائمًا ما يُصادق الآخرين لمصلحته الشخصية، فيما عداهم فقط، فمُنذ بدأ معهم هذه الرحلة وهو يكترث لهم كما يكترث لنفسه، يهتم لسلامهم قبل سلامته، ويسعى لنجاة الجميع، ليس لنجاته فقط.

-وعدتني أنك ستتغير

قالتها كاتي بعد فترة من الصمت وهي لا تزال تُحدق بعينيه تحاول أن تتعلق بأي أملٍ يُخبرها أن الشخص الذي أمامها ليس حقيرًا لهذه الدرجة، فهي قد شهدت شجاعته وشهامته هنا، وبالطبع يستطيع أن يضحى ذلك في عالمه الحقيقي.

-ومن قال لكِ أنني لم أفعل ذلك .... أنا تغيّرتُ بالفعل ... أصبحتُ أحتقر نفسي كلما تذكرتٌ أنني فعلتٌ ذلك بأبواي أو بصديقي العزيز أو بتفضيلي لمصلحتي الخاصة عن الجميع

-هذا لا يعني أنك تغيّرت .... هذا يعني فقط أنك تُفكر بالتغيير .... وكأنك حطمت مزهرية، وشعرت بالندم من أجل تحطيمها .... لكن الندم وحده لا يكفي .... فالتغيير الحقيقي يكمن في إصلاح المزهرية المُحطمة

باتت نبرتها غامضة لكنه يعرفها ويفهمها على عكس بقيتهم، فهو الوحيد الذي يستطيع مجاراة حديثها الغامض وفهمه جيدًا، وهذه المرة كانت كلماتها تتغلغل في أوردته وتجعل ندمه يتفاقم، فهو لا يستطيع تصليح ما أفسده وهو عالقٌ هنا.

-سأفعل ... أعدكِ أنني سأفعل

هكذا أردف بنبرة صادقة ليرى بعدها ابتسامتها تتسع ثم ترتخي بظهرها للوراء وترفع يدها لتُدثرها بعدها في المياه لتلهو بها وتستشعر روٌنقها، وكان هو لا يزال يتأمل ملامحها لا يُريد للحديث بينهما أن ينتهي عند هذا الحد، لا يُريده أن ينتهي عند حياته الوضيعة، لهذا السبب سألها بنبرة شغوفة:

-ماذا عنكِ ؟ .... ما الذي ستفعلينه حينما نعود إلى عالمنا ؟

فكرت هنيهة قبل الإجابة التي كانت:

-لا أعرف .... سأفعل ما كُنت أفعله قبل هذه الرحلة

أبعدت يدها عن المياه لتتأمل المصابيح قليلًا وهي تواصل الحديث:

-تعرف شيئًا ... أحيانًا أتمنى البقاء هنا .... في هذا العالم الهادىء، دون أن أتدخل بأية حكاية .... فقط أبقى هكذا، حيث الورود والبهجة والغناء .... والحياة الهادئة....

اعتدلت لترميه بنظراتها المتلهفة وهي تقول:

-صحيح أن حياتي لم تكن صاخبة ... لكنني كُنت وحيدة .... لم أجد هذا الأمير الذي كُنت أتخيله دائمًا

-ومن قال أنه غير موجود ؟

هكذا فاجئها بنبرته المندفعة التي جعلتها تُطالعه بذهول، كان سيتردد لوهلة لكنه حافظ على ثباته وهو يتقدم بجذعه نحوها متأملًا عينيها العسليتين البريئتين التي يغرق بهما، يتأمل ملامحها الرقيقة ذات الغموض والطفولية، بقي يُحدق بعينيها وهو يفصح عمَ بداخله بشجاعة:

-من قال لكِ أن أميركِ هذا غير موجود ؟ .... من قال أنكِ وحيدة ؟

جحظت عينيها بصدمة من حديثه ولم تعد تستطيع الحديث وكأن لسانها قد انعقد وبات يجعلها تتنهته:

-ما الذي تقصده سام ؟

اقترب سامي نحوها ليركع على رُكبتيه ويزداد تحديقًا بعينيها وهو يقول بكلماتٍ نابعة من فؤاده:

-أقول الحقيقة .... حقيقة قلبي الذي سأم من الكُتمان، حقيقة أنكِ هي الأميرة المفقودة التي يبحث عنها هذا القلب حتى تُرمم شقوقه

تسارعت نبضات قلبها وبقيت تطالعه في صمتٍ لا تقدر معها على الحديث، فهي التي ظنُت أنها ستظل وحيدة طوال حياتها، يأتي هذا العربي الغريب ليقتحم حصونها

ويُبدد وحدتها، لا تزال تعتقد أنها هذه الطفلة اليتيمية التي تخلّى عنها والديها وألقوا بها في بئرٍ عميقٍ تتعارك فيه مع الحياة وحدها، وتنتظر من ينقذها من هذا البئر، لكنها لم تكن تعلم أنها أنقذت مُنقذها أيضًا من حياته الضالة وجعلته يجتمع مع فؤادها المُحطم.

-سـ..سام أنا...

ارتبكت أكثر وهي تتحدث وبدأت تشعر بسخونة تجتاح جسدها مع برودة بأطرافها حتى وجدته يمدُّ يده نحو أناملها الباردة ويجبرها على التحديق بعينيه وهو يعترف بصدق:

-لا أستطيع الانتظار حتى نرحل من هنا ..... نحن حتى لا نعرف إن كنا سنرحل أم لا .... لهذا السُبب لن أضيع المزيد من الوقت، لن أتجاهل فؤادي مجددًا....

ازداد ارتباكها أكثر خاصة وهي تجده يأخذ نفسًا عميقًا ثم يُطلقه في الهواء ويواصل التحديق بها وهو يعترف:

-صحيحٌ أننا قابلنا العديد من الأميرات هنا .... لكنكِ ستبقي أميرتي .... أنا أحبكِ كاتي....

يُغلغل يديه بين الرمال وهو يرمق المياه بعقلٍ شاردٍ وعينان لا يزال عليهما آثار الضياع، لا يعرف لماذا لا يستطيع نسيان الماضي أو حتى تجاهله، لا يزال يرى معاناته في أحلامه التي تنقلب إلى كوابيس، لا يزال يعاني بسبب آلامه القديمة وانكساراته المتتالية، وهو الذي ظنَّ أنه سيبتعد عن العالم بابتكاره لذاك الجهاز، فيبدو أن الماضي لن يفارقه أبدًا، وسيُعذبه مع كل نفسٍ يتنفسه وفي أي مكانٍ يذهب إليه.

كلما فكرَّ بما حدث معه يزداد غضبًا ويشعر أنه يُريد الفتك بالجميع، بات يكره النساء بسبب والدته والفتاة التي أحبته وخانته ومن كل الفتيات التي ترميه بالتهكنات والألقاب البزيئة حينما كان طفلًا صغيرًا يرتدي ثيابًا رثة وهو يذهب إلى المدرسة لأن والدته لم تكن تهتم به.

شعر بأحدهم يجلس بجواره على الرمال مما أيقظه من شروده وجعله حاول المحافظة على ثباته حتى لا يبدو عليه الغضب، كانت ميليندا قد أتت من بعيدٍ حتى تجلس على الرمال تنتظرهم حتى يأتو من تلك الرحلة ويبحثوا عن بُقعة للاختباء، لا زالت تتجاهله وتتعمد النفور منه، فهي لم تلقى منه سوى معاملة سيئة، لا تذكر حتى أنها وجدته يبتسم ابتسامة عادية نابعة من القلب، أو يمزح معها مثلًا، كل ما وجدته هو المعاملة الجافة والنظرات المقيتة التي آهانت كرامتها، لكنها لأول مرة، تراه يرميها بنظرة عابرة ثم يعاود النظر للنهر متفوّهًا:

-أعتذر .... لم أكن أقصد

كانت طريقته جافة بالحديث رغم أنه يعتذر، وهذا ما جعل الذهول يكتنفها، فكلمة إعتذار لا تجتمع أبدًا مع مارك، لكن ملامحه المُنطفئة جعلتها تتعجب لأمره، لا تعرف حتى لماذا أحست بالندم هي الأخرى بعد هذه الكلمات السامة التي ألقتها بوجهه دون أن تحسب حسابًا، الأمر الذي جعلها تعتذر هي الأخرى:

-أنا أيضًا آسفة .... لم أكن أقصد أن لا أحد يُريدك....

أحنت رأسها بضيقٍ وهي تواصل ندمها:

-أحيانًا أبدو متهوِّرة

تنهد بعُمقٍ قبل أن يضم رُكبتيه ويُحيطهما بذراعيه أثناء الحديث:

-وأنا أيضًا .... لأنكم لا تستحقون سوى هذه المعاملة

سرعان ما انقلبت تعابيره للغضب حتى ظنته مُختلًا عقليًا، فهو يعتذر لها ويهينها في نفس الوقت، هذا ما جعل الغضب يلوح على وجهها وهي تجابهه:

-ولماذا تقول أننا نستحق ذلك ؟ .... لماذا تكره النساء إلى هذه الدرجة ؟ أنت حتى لا تتعامل معهن

كانت تقصد طبيعة عمله التي لا تجعله يختلط أبدًا بالنساء حتى قابلها، لم تكن تعرف أن الحقيقة أكثر قساوة من هذا، وأن مُقته للنساء كان نابعًا من تجربة أليمة عاني منها طوال حياته، وربما كانت سببًا بدخولهم لهذا العالم.

-أنتِ لا تفهمي شيئًا ..... لا تفهمي أنها السبب في تدمير حياتي

ارتفع صوّته وهو يتحدث بحدة مما جعلها تُقطب حاجبيها في حيرة لكنها تسأله بنفس طريقته الحادة:

-ومن هي هذه التي دمرّت حياتك ؟ .... وما الذي فعلَته حتى تكرهنا لهذه الدرجة ؟

أبعد نظراته عنها وعاد إلى شروده وضيقه وهو يُحدق بالنهر، غارت عينيه في بحره المُعتم وبات يتحدث بنبرة هادئة جعلت حيرتها تزداد أكثر، فهي حتمًا تجلس مع مختلًا عقليًا.

-فعلت الكثير ... أكثر مما تتخيلين....

كانت نبرته غاضبة مقيتة وهو يعود بذكرياته لأسوأ ذكرى قد مرّت عليه، صحيحٌ أن جميع ذكرياته سوداء، لكن هذه كانت الأكثر سوءًا، فهي بداية تحطمه وشعوره بالمهانة، رغم أنه لم يكن سوى طفلٌ بالتاسعة لا يزال يستكشف الحياة لكنه يصطدم مرة واحدة بقساوتها، كان يجاهد دموعه وهو يتحدث بثباتٍ ونبرة حانقة استطاعت أن تُعبر عمَ يكنيه من الغضب، تذكر وهو طفلُ بالتاسعة من العُمر، حينما كان يُقدم قدمًا ويؤخر الأخرى حتى لا يتلاقى مع والدته أو عشيقها السادي، كان قد تملكه الجوع بسبب بقاءه مُنذ الصباح في حجرته ممنوعٌ من الخروج منها وإلا نال من صفعاتها وعقاباتها، لكن الجوع قد تملك منه وجعله يتشجع ويترك الحُجرة ليحظى على الفتات من الطعام، أو ربما يقتاط على فضالات الطعام حتى لا تشعر والدته أنه يسرق طعامها وتضربه بالعصا كما تفعل دائمًا.

كان يقترب ببطءٍ نحو حُجرة الطعام حتى تيبست أقدامه عِند حافة الباب، كان يرى كيفن_عشيق والدته_يقف في حجرة الطعام ينتشل كأسين ويسكب بهما بعض الجعة، لكنه يجده أيضًا يُخرج عُلبة دواءٍ من جعبته ويفتحها ثم يُخرج بعض أقراص الدواء ويقوم بتحطيمها وتذوّيبها بإحدى الأكواب، ولأنه كان أذكى من أقرانه، كان يعرف أن ما وُضع بالكأس ليس شيئًا جيدًا، ربما هو إحدى أنواع المُخدرات، فوالدته باتت أكثر جنونًا وغضبًا مُنذ بقاءها مع هذا الحقير، ربما هذا بسبب أعراض انسحاب هذا المُخدر الذي يضعه لها في كوّبها حتى يواصل خداعها وسرقتها كما يفعل دائمًا،

فهو رآاه ذات مرة وهو ينتشل النقود من حقيبة والدته وحاول إخبارها لكنها وٌبخته وضربته بعالقة الملابس واعتقدت أنه هو الذي سرق أموالها، يعلم أيضًا أنها ربما لن تُصدقه لكنه سيثبت لها عكس ذلك، سيثبت لها أنه على صوٌاب وأن عشيقها هذا ما هو إلا شيطانٌ ماكر.

عقد حاجبيه بغضبٍ وهو يرى كيفن يضع الحبوب بكأس الجعة ويقوم بتحريكها حتى تذوٌب جيدًا، لم يستطع أن يتمالك نفسه أكثر ووجد أقدامه تهرولان نحوه حتى وثب أمامه بنظراتٍ مُتجهمة قابلها كيفن بأخرى ساخرة مُستخفة:

-ما الذي وضعته ؟

سأله مارك بنبرة مُتجهمة غاضبة وبقي أمامه مانعًا إياه عن الحِراك حتى دفعه كيفن بمرفقه وهو يقول:

-إبتعد أيها الصغير

ازداد غضب مارك أكثر بعد نعته بالصغير وأصرٌ على الانقضاض عليه وضربه حتى يُدمي وجهه كما يتخيٌل دائمًا، لكن بسبب جسده الصغير الهزيل، لم يفعل شيئًا سوى أن تشبث بملابسه وبقي يهتف بوٌجهه بنبرة مرتفعة:

-ابتعد أنت .... هذا ليس منزلك...

ارتفع صوٌت مارك وازداد معه غضبه حتى بدأ كيفن يدفعه عن ذراعه ويرميه بنظرات موٌبخة تجاهلها مارك وهو لا يزال يصرخ بوجهه ويتشبث بذراعه حتى ....

تهشم الكوٌب الذي وٌضع به الحبوب بعد أن سقط من كيفن عنوة بعد هذا الشجار؛ ازداد غضبه وهو يرمق مارك بنظراتٍ متٌوعدة وٌبخه معها:

-ما الذي فعلته أيها اللعين ؟

بقي مارك يطالعه بثباتٍ وغضبٍ وداخله يرقص من السعادة، فهو أخيرًا قد تحدٌى خوٌفه وهاجمه، صحيحٌ أنه لم يلكمه، لكنه على الأقل حاول، أتت كارول من الداخل إثر صوٌت الزجاج الذي تحطم وكان يعتقد مارك أنها ستُصدق حديثه حينما يُخبرها

أن كيفن يضع الحبوب المُخدرة في مشروبها حتى تُصاب بالإدمان، لكنه يجده يسبقه بالحديث الكاذب الذي يتلاعب به على والدته دائمًا:

-إنظري ماذا فعله قليل التربية هذا ..... كان يحاول أذيتي

جحظت عينا مارك بصدمة من كذبه وحاول الاعتراض قبل أن تُصدقه والدته ككل مرة:

-لا .... لم أفعل ذلك .... كان يضع الحبوب بكوّب المشروب ... أقسم أنني رأيته ...

كانت والدته تُحدق به بنظراتٍ غاضبة جعلته يزدرد ريقه بخوّف لتتسارع نبضات قلبه ويرتجف بدنه، بالطبع لا تُصدقه، بالطبع ستوّبخه وتعاقبه ككل مرة، لكن لا، هو يُريد أن يثبت لها أنه ليس ولدًا سيئًا، وأنه يُحبها ويهتم لأمرها، يريدها ألا تحتاج لرجلٍ غيره في غياب والده، أخذ يخطو نحوها بخطواتٍ مترجية ونبرة صادقة قال معها:

-أمي أرجوكي .... أخرجيه من هنا .... هو يُريد أذيتكِ ... أقسم لكِ أنني لا أكذب

بقيت صامتة تُحدق به بنظراتٍ جامدة كادت تجعل فؤاده يهدأ، فصمتها هذا يعني تصديقه أخيرًا، هذا يعني أنها ستُحبه وتهتم به، وسيرحل هذا المدعو بكيفن من حياته للأبد، كانت هذا الأفكار البريئة تلوح في ذهنه وهو يتخيّل حياته المسالمة معها بعد أن يرحل هذا الدخيل وتتفرغ هي لرعايته، بعد أن تُدرك أنه ولدٌ جيدٌ يستحق حنانها، لكن طموحاته وآماله ذهبت آدراج الرياح ما إن وجد هذه الصفعة تهبط على وجنته بقوة جعلت جسده الصغير يقع على الأرض.

-أيها الوغد الحقير .... كيف تكذب علي وتفتري على الآخرين ؟!

صرخت بوجهه وهي تركله بقدمها فيبقى هو ممدًا على الأرض يضع يده على وجنته المتوّرمة إثر الصفعة ثم يرفع جسده قليلًا عن الأرض وهو يتحدث بنبرة مُنكسرة حاول معها التعلق بآخر شعرة من الأمل:

-لا أكذب ... أنا رأيته...

ترقرقت الدموع على وجنتيه وهو يتحدث بانكسارٍ لأنها صدقت عشيقها وأكاذيبه ولم تُصدق ابنها الوحيد، بل واصلت الصراخ بوجهه وهي تركله على صدره حتى ارتمى مجددًا على الأرض يستمع إلى صراخها ووعيدها:

-وتستمر في كذبكِ أيضًا .... أقسم أنني سأعاقبك على ما فعلته...

توّقفت عن ركله لتلتقط أنفاسها وتحاول التهدئة من روّعها بينما حاول هو لملمة حطامه والوثوب عن الأرض، رآاها تقترب من كيفن الذي آحاطها بذراعه وأخذ يُهدئها ويُخبرها كم كان يداعب مارك بكلماته ويحاول معاملته جيدًا، لكن الآخر قابل معاملته الجيدة بهذه الطريقة البربرية !! الأمر الذي زاد من غضبها أكثر وزاد من انكسار مارك وهو يراها تتفق على عقابٍ له مع هذا الماكر، كان يضع يده على صدره موّضع ضرباتها ويشعر أن أنفاسه تتقلص وأنها تركت كدمة على صدره لتجتمع مع بقية الكدمات، كان يُريد العوّدة إلى حُجرته وتناسي جوعه وقهرته قبل أن ينل عقابه، لكن أحلامه البسيطة لم تتحقق أيضًا ووجدها تنتشله من خصلاته وتُلقيه على الأرض مُجددًا وهي تصرخ:

-هل قُلت لك أن تتحرك من هنا ؟

لم ينبس ببنت شفة وبقي على الأرض جالسًا على رُكبتيه يحني رأسه بُخذلانٍ وارتجاف، وجدها ترفعه عن الأرض من ملابسه وتُحدق بعينيه بنظراتٍ نارية آشارت معها نحو الزُجاج المُحطم وأخبرته بلكنة آمرة:

-إذهب وقف هناك

دفعته دفعة بسيطة صوّب الكأس المُحطم فاستجاب لطلبها وبقي واثبًا بالقُرب من الزجاج لعل هذا فقط ما سيضحى عليه عقابه، سيبقى واقفًا حتى يرحل كيفن، هذا ما ظنه عقله الصغير، لكنه تفاجأ بها وهي ترفع من صوّتها الآمر:

-ليس هنا أيها الغبي .... فوق الزُجاج

آشارت مُجددًا على الزُجاج المُحطم فازدرد ريقه بخوّفٍ وبقي ثابتًا مكانه يأبى الحِراك، فهو لن يستطيع أن يقف فوق الزجاج وهو حافي القدمين!!

-ألم تسمع ما قُلته ؟

ازداد ارتباكه وخوّفه أكثر وبقي ثابتًا لا يتحرك ولا يستطيع تنفيذ ما تقوله، هذا ما جعل غضبها يتفاقم وتقترب نحوه حتى تجذب خُصلاته بقوة وتقترب من وجهه حتى تتغلغل رائحة سجائرها داخل أنفه، كانت تدفع وجهه بقسوة نحو الزجاج وكان يحاول هو مقاومتها ويفشل بسبب جسده الهزيل، وجدها تُقرب وجهه أكثر نحو الزجاج وهي تصرخ بأذنه:

-قف فوق الزجاج وإلا شوّهت وجهك به

كانت بالفعل تُنفذ تهديدها وكان يعلم أنها ستفعل ذلك حتى لو اخترق هذا الزجاج عينيه وأصبح مشوّهًا، ستُخبر الجميع أن الخطأ كان خطأه وأنه طفلٌ مشاغبٍ تسببٌ بإقحام الزجاج بعينيه وتشوّيه وجهه، كان يعلم أنه قد يفقد بصره بسبب ما تفعله، لذلك بدأ يتوّسلها ويُخبرها برجاء:

-حسنًا... حسنًا ... سأقف على الزجاج

أوقفت والدته ما تفعله وأبعدت وجهه عن الزُجاج لعله سيُنفذ أوامرها وينال عقابه، كان يرتعد أكثر كلما تقدم خطوة نحو الزجاج، يقاوم بدنه المُرتجف وقلبه الذي لا يتوّقف عن النبض بسرعة، يمُني عقله أنه لن يشعر بالألم وأنها مُجرد وغزاتٌ بسيطة وستنتهي كما تنتهي جميع العقابات، فهو مجبورٌ على تنفيذ ما تقوله وإلا فقد عينيه وتشوّه وجهه.

أغلق عينيه وهو يضع أول قدمٍ حافية على الزجاج ثم يضغط عليها حتى اخترقت بعض الشظايا كاحله وجعلته يكتم أنفاسه من الألم، ضغط على جسده أكثر وهو يرفع قدمه الأخرى ويُلصقها بزميلتها حتى سالت دماءه واختلتط جروحه ببقايا الخمر التي زادت من حدة الألم، حاول الثبات والتحمل حتى ينتهي الأمر وتُخبره والدته أن يبتعد، وأن عقابه قد انتهى، لكن والدته لم تفعل، أبقته واقفًا على الزجاج لخمسة دقائق كاملة حتى هوّت ركبتيه مرة واحدة وانهمرت دموعه على الأرض، اسند جسده بكفيه وهو يحاول أن يبكي في صمتٍ ويقول أنه لا يستطيع تحمل الألم، وكانت والدته تطالعه بغضبٍ أكبر لأنه ابتعد عن الزجاج قبل أن تُخبره أن يفعل ذلك.

-أعتذر ... أعتذر...

بقي يبكي ويعتذر ولازالت قدماه تُذرفان الدماء والعديد من الشظايا قد علقت بهما، لا زال يشعر بتلك السكاكين تنحر قدمه وتمنعه من مواصلة الوثوب والانصياع لها، حسنًا، لم يعُد يُهمه أن يتشوّه وجهه، فروٌحه قد تشوٌهت مُنذ زمنٍ بعيد، بقي يبكي ويعتذر لها حتى كاد يُقبل قدميها لكنها دفعته بحدة ليبتعد عنها وانتشلته من سُترته لتُلقي به في تلك الحجرة المُظلمة الخاصة بقبو المنزل.

ارتمى على الأرض بجسده المُنهك ليستمع إلى الباب وهو يتم صفعه وإغلاقه جيدًا عقب كلمات والدته التي بقى صداها يتردد بداخله حتى هذه اللحظة:

-ستبقى هنا حتى تتأدب...

عاد من ذكرياته وملامح الجمود على وجهه عكس المرة السابقة حينما قصٌ بعضًا من ذكرياته الأليمة على سامي، فهو الآن يشعر بالغضب، لا يشعر بالانكسار كما كان يشعر وقتها، بل يشعر أنه يريد العودة إلى الوراء حتى يركلها بقدمه وينتشل خنجرًا حادًا ليوُغزه بصدر كيفن ويتخلص منه للأبد.

-كانت سيئة ... مريضة، لم تُحبني أبدًا .... رغم أنني لم أفعل لها شيئًا .... كُنت أنتظر فقط أن تعاملني كأي أمٍ تعامل ابنها

كان يتحدث بحرقة وهو يُشير على نفسه أمام ميليندا التي كانت مصدومة من حديثه، فهي لم تتوٌقع أبدًا أنه يعاني لهذه الدرجة، وهي التي ظنته متبلد المشاعر، اتضح أنه لا يُريد أن يشعر حتى لا يتألم.

-حاولت قتلي أكثر من مرة .... وأنا بالرابعة من عُمري، ألقت بي بحوٌض السباحة الخاص بالسباحون، وُكنت صغيرًا وقتها لا أستطيع السباحة حتى .... كنت على شفا جرفة من الغرق حتى أتى والدي وأنقذني باللحظة الأخيرة .... وبالطبع أخبرته أنني سقط بالخطأ

أنهى الحديث باحتقارٍ وحرقة جعلتها تُحدق به ببعض الشفقة ثم تُغير نبرتها إلى التساؤل:

-ألهذا السبب تكره النساء ؟

التفت نحوها وهو يرميها بنظراتٍ غاضبة كذَّب معها حديثها حتى لا تعتقده ساذجًا لهذه الدرجة:

-لا .... بالطبع لا، لكنني أدركتُ بعدها أنكن مرضى .... والدتي وهذه الحقيرة ريبيكا التي هجرتني بلا أي سببٍ واضح .... وجميع الفتيات بالمدرسة .... جميعكم ساذجون وحمقى

بصق كلماته بتهكمٍ وازدراءٍ زاد من غضبها خاصة وهي التي لطالما دافعت عن حقوق المرأة:

-ولماذا لم تحاسب كيفن عشيق والدتك ؟ .... لماذا لم تحاسب أبيك لأنه تركك طوال هذه الفترة ؟

ارتبك قليلًا عقب حديثها ولم يجد إجابة مناسبة، صحيح أن والده لم يأذيه لكنه أيضًا لم يكن يُصدقه وكان يتركه مع والدته رغم توّسله له بألا يتركه.

-لـ..لأنهم لم يأذوني

هكذا آجابها بارتباكٍ قطعته هي بنبرة معارضة كان يعلم جيدًا أنها الحقيقة التي يتهرّب منها:

-غير صحيح .... جميعهم قاموا بأذيتك .... لكنك علُقت جميع مُشكلاتك على والدتك التي فشلت في إرضائها .... وعلى ريبيكا التي هجرتك وحطمتك أكثر .... جعلتهما بمثابة جميع الفتيات بالنسبة إليك، لأنهما ببساطة كانا يمُثلان شيئًا قيِّمًا بداخلك .... شيئًا+ قد تحطم ولم يبقى منه سوى الكُره والضغينة

ضمّت كفيها وهي تحني رأسها لأسفل بملامح ذابلة آرادت معها أن تُشجعه وتدفعه للأمام لكنها تجد نفسها تعود للوراء بذكرياتها الخاصة، والتي أيضًا لا تُريد أن تتذكرها، لكنها لوهلة شعرت وكأنها ستشاركه معاناته حتى لا يعتقد أنه فقط من يعاني.

-أنا أيضًا تعرضتُ للإيذاء وأنا صغيرة .... الفرق أن والدي لم يكن مُختفيًا .... ربما لو كان مُختفيًا لكان الوضع أهوّن، لكنه كان موجودًا ... وهو السبب بإدخال هذه الحيّة إلى منزلنا بعد أن تزوّجها....

بدأت نبرتها تختلط بالضيق وهي تعود إلى إحدى ذكرياتها حينما كانت طفلة بالثامنة تقف أمام المرآة تبتسم ابتسامتها البريئة وترفع خُصلاتها المُجعدة لأعلى ثم تعقصهم حتى لا تضحى كالغول كما تُخبرها زوجة أبيها دائمًا، هندمت ردائها الأصفر ثم حملت حقيبة سفرها الوردية وتركت الحُجرة لتتغنج في مشيتها وهي في طريقها إلى والدها.

كان أبيها يُرتب الحقائب استعدادًا للسفر، فهذا اليوم كان في عُطلة الصيّف وكان من المُفترض أن يقضوه سويًا على شواطيءٍ ميامي بفلوريدا، لمح والدها ابتسامتها العذبة فبادلها بابتسامة أخرى استمع معها إلى كلماتها البريئة:

-أنا جاهزة

قالتها بابتسامة واسعة وهي تبسط ذراعيها وتُريه رداءها الأصفر الذي ابتاعته خصيصًا من أجل هذه العُطلة، فهي تنتظر إجازة الصيف على أحرٍ من الجمر حتى تتمتع بشواطيء ميامي وتبني القلوع الرملية وتلتقط العديد من الصوّر بجهاز التصوير الخاص بوالدها.

-أحسنتِ يا صغيرتي .... هيا إذهبي إلى السيارة حالما أحضر الحقائب

أمرها بنبرة حانية فأومأت رأسها إيجابًا وأخذت حقيبتها الصغيرة لتتحرك بحماسٍ صوّب الباب، كان هذا قبل أن يقطعها صوّت زوجة أبيها دورثي وهي تقبض على يد ابنتها ليزا ويتقدمان سويًا نحو الباب، انقبضت أسارير ميليندا وذُبلت معاني وجهها مرة واحدة، تحوّلت من الحماس الطفولي إلى الرهبة والخوف، فزوجة أبيها لا تراها إلا وتقوم بتوّبيخها والسُخرية من ملابسها ومن بشرتها السمراء رغم أن والدها أسمر البشرة أيضًا.

-أين ستذهبي بمظهركِ القبيح هذا ؟

ازدردت ميليندا ريقها وهي تُشير بأصابع مُرتجفة:

-سـ... سأذهب إلى السيارة

-ومن قال أنكِ ستسافرين معنا ؟

لُجمت مكانها بعد هذه الكلمات وبقيت صامتة تبتلع غصتها ولا تعرف ماذا تقول، لا تزال صغيرة على مواجهة سيدة ماكرة كهذه، كما أن دورثي واصلت تهكماتها وأخذت تنادي بصوّتٍ غاضب:

-باول ... باول...

أتى والد ميليندا ورأى زوجته تقف أمام ابنته وتمنعها من الحِراك، بينما كانت ميليندا ترميه بنظراتٍ آملة ترغب معها أن يتدخل ويوّبخ زوجته على حديثها اللازع:

-ألم تقل أنها رحلة عائلية ؟.... لماذا ستأتي هذه معنا ؟

آشارت على ميليندا وهي تُنهي الحديث مما جعل الأخرى تكاد تنفطر من البكاء لكنها تتماسك لترى كيف سيُدافع والدها عنها، آرادته فقط أن يُخبر زوجته أنها فردٌ من العائلة وأن هذه الماكرة هي الدخيلة، لكنها بدلًا من ذلك تجده يقول بنبرة هادئة:

-ما بكِ دورثي .... إنها فتاة صغيرة_

-وأنا أخبرتك أنني لا أريدها أن تسافر معنا

هكذا قطعته بصوّتٍ مُرتفعٍ جعل باول يُغلق عينيه باستسلامٍ ثم يلتفت صوّب ميليندا التي كانت ترتجف من القلق، تخشى أن يُحطم والدها آمالها، فهو الوحيد الذي يعاملها كفردٍ من المنزل:

-حسنًا دورثي

اتسعت حقدتيها في صدمة من كلمات والدها الخانعة، وهي الغبية التي ظنته سيوّبخ زوجته ويأخذها ليُسافر معها وحدها، فهذا ما كان يفعله عندما توّفيت والدتها وهي بالخامسة، كان يسافر معها ويكتفي بها، يبتاع لها ما تُريده ويسمح لها باللعب، لكن منذ زواجه من هذه الحيّة وهي تجده كالخاتم في إصبعها، يُنفذ كلماتها بلا أي اعتراض.

وجدته ينحني أمامها لتتقابل عينيه بعينيها ودموعها المتلألئة خشية من تحطيم أحلامها، فهي تُريد السفر واللهو بالشاطيء، لا تريد أن تقضي إجازتها بالمنزل، وجدت والدها يضع يده بحنانٍ على كتفها وهو يقول باستسلام:

-آسف صغيرتي ... أعدكِ أننا سنسافر سوٌيًا بالمرة القادمة

ترقرقت دمعة من عينيها وهي تطالع والدها بنظراتٍ مُنكسرة قالت معها بصوٌتٍ مبحوح:

-لكنني أريد الذهاب معكم

ربت والدها على كتفها وهو يواسيها بكلماته الحانية التي كانت كالخناجر بالنسبة لقلبها الصغير:

-لا بأس عزيزتي ... سنذهب مُجددًا أنا وأنتِ فقط

كانت تعلم أنه يكذب عليها ككل مرة، فزوجته لا تسمح لها بالسفر معهم، دائمًا ما تبقى وحدها بالمنزل حتى تأتي عمتها لترعاها، تعلم أن والدها لا يُنفذ ما يقول، لذلك زادت الدموع على عينيها وهي تنظر له نظرة أخيرة لعله يلين ويسمح لها بالسفر معهم، لكنها مع الأسف تجده يثب عن الأرض ويدفعها بحنان إلى الداخل وهو يقول :

-هيا صغيرتي ... إبقي بالمنزل حتى تأتي عمتكِ

تصاعدت أنفاسها في تلك اللحظة لتتكاثر الدموع على وجنتيها خاصة بعد أن رمتها ليزا بابتسامة شامتة وزوجة أبيها التي رمقتها بازدراء قبل أن تُحيط ذراع والدها ويرحل كلاهما عن المنزل، فما إن رحلا حتى انفجرت بالبكاء وهوٌى جسدها على الأرض لتحتضنه كالجنين، لم تكن تبكي لأنها لن تسافر، بل بكت لأن والدها حطمها وجعلها تبدو وكأنها بلا أهمية بالنسبة له، كانت تتمنى أن تعود والدتها إلى قيد الحياة حتى تسافر معها وتبتاع لها ما تريد، لكن ربما اختارها القدر لتعاني بهذه الطريقة.

-صحيحٌ أنها لم تكن تضربني، أو ربما بعض الصفعات القليلة حينما أثور .... لكنها كانت تفعل ما هو أسوأ، كانت تتعمد إقصائي عن العائلة .... أعطت حُجرتي لإبنتها، وملابسي أيضًا .... تُعطيني الأغراض القديمة والبالية فقط، وتجبرني على التنظيف حتى ولو كُنت مريضة .... دائمًا ما تُخبرني أنني دخيلة ... مع أنها عائلتي أنا وليست عائلتها

باتت كلماتها المُنكسرة تختلط بغضبها وضيقها، تكوّمت الدموع على عينيها وهي تتذكر تلك الذكرى الأليمة وتتذكر المرات الأخرى التي شعرت فيهم بالخُذلان ليس فقط بسبب زوجة أبيها، بل بسبب والدها الضعيف أيضًا، كان مارك يتابعها في صمتٍ يتعجب أن لها ذكرياتٌ أليمة مثله، يتعجب حتى من ثباتها وتماسكها وهي تواصل بعد أن كفكفت دمعاتها:

-جميعنا لدينا هذا الماضي الذي نحاول الهرب منه .... لكننا نحاول التعافي

وجهت بصرها نحوه لتجده يُحدق بعينيها الداكنتين التي أدرك فيما بعد أنهما جذابتين، وجدها تضع أناملها على كتفه وتحوّل نبرتها إلى التشجيع وهي تقول:

-سنظل معًا .... لن تبقى وحيدًا بعد الآن

أنهت حديثها ببسمة هادئة آذابت الجليد على قلبه وجعلت فؤاده يُرمم من جديد، وربما يُعاد تكوّينه من البداية، فبعد مجيئه هذا العالم، ووجوده معهم تحديدًا، تأكد أن هناك أمل، وأنه لن يبقى تعيسًا طوال حياته، وبسبب هذه الكلمات التي تبادلهم معها، تأكد أن حياته بدأت تتحرك إلى الأمام وليس إلى الخلف، لم يعُد مُكبلًا بالماضي كما كان، لم يعُد يُحركه الماضي كآلة لا تشعر ولا تتخذ القرارات، أصبح يخطو أولى خطواته نحو الحُرية...

كاد يباشر الحديث معها لكنهما يتوّقفان حالما يستمعان إلى صوّت القوارب وهي ترتكن على الضفاف، وثبت ميليندا أولًا لتهرول صوّب كاتي التي كان يُساعدها سامي على النزول من القارب بينما كانت غيّد على الجهة الأخرى تقفز بمرحٍ ولا تكُف عن التحدث عن جمال هذه المصابيح وأنها ستندم على هذه التجربة، وكانت ميليندا تُعطيهما ابتسامات بشوشة لا تشعر معها أنها نادمة، فهذه الأشياء لم تكن تهمها من الأساس، كما أنها قضت وقتًا جيدًا مع مارك، على الأقل كان خاليًا من الشجارات والعراكات الساذجة.

-هيا بنا ... لنبحث عن مكانٍ للاختباء

قالها سامي بتقريرٍ حاول معه أن يدفعهم صوّب الهدف المنشود ألا وهو الاختباء قبل أن تحدث أية كارثة، وبالفعل استجاب له البقية وكادوا يتحركون في هدوء قبل أن تقطعهم هذه الأقدام وهذه الخناجر التي أشهرت على وجوههم مرة واحدة.

شهقت غيِّد بخوّفٍ ارتدت معه للوراء لتجد من يُكبل ذراعيها هي وكاتي وميليندا، تحوّل وجه سامي إلى اللون الأحمر الناري وهو يهرع صوّب اللصين يُريد أن يزيح قبضتهما عن الفتيات لولا هذا الخنجر القريب من رقبة كاتي والذي اجتمع مع كلمات اللص المُهددة:

-ابتعد وإلا قتلتها

توّقف سامي عن الحِراك خوّفًا على كاتي التي كان يحاوطها ذراع أحد اللصوص ويُقرب نصل الخِنجر من رقبتها، بينما كان اللص الآخر يُحيط رقبة غيِّد بذراعه الأيمن وميليندا بذراعه الأيسر ويُهددهما بسلاحه حتى كادت الفتيات ترتعد من الخوّف والرجال يقفون قبالتهم مكبلة حركاتهم خوّفًا عليهن.

-خذوهم

قالتها جوثيل بنبرة آمرة طلبت معها من اللصوص أن يأخذوا الفتيات إلى مخدعهن حتى تنتهي مما تريد، كاد سامي يشطاط من الغضب وهو يحاول الهرولة خلفهن لولا جوُثيل التي وقفت أمامه وهددته بعينيها بألا يتحرك، فأي حركة قد تتسبب بأذيتهن.

-إذا نفذتم ما أقوله ... سأسمح لكم برؤيتهن مرة أخرى

قالتها جوثيل بنبرة ماكرة جعلت حكيم يطالعها بكره ثم يعاود النظر إلى الفتيات في قلق بينما كان سامي يجابهها بكلماته:

-ماذا تُريدين ؟

ابتسمت جوثيل نصف ابتسامة ماكرة ثم آشارت بعدها على الأميرة التي كانت تقترب بقاربها من الضفة:

-أريدكم أن تعبثوا بعقلها ...... تجعلوها تتأكد أنكم خائنون.... حثالة....

يعرف سامي جيدًا أن الخير سينتصر مهما حدث، لذلك قرر مجاراتها لعلها جزءٌ من الحكاية، ففي الحكايات السابقة كانوا يضطروا أحيانًا للعب أدوّار الشر، فلا ضيُر أن يلعبوه في هذه الحكاية أيضًا.

-حسنًا ... نوافق

قالها بثباتٍ دون أن يتردد، فإذا تردد لحظة سيضحى ذلك خطرًا على الفتيات، وهو لا يكترث لتلك الحكاية ولا لهذه الشخصيات الخيالية على قدر ما يكترث لرفاقه.

ابتسمت جوُثيل بانتصارٍ بعد أن استطاعت استمالتهم لخطتها الماكرة، بينما كانت كاتي لا تزال تحاول المقاومة خاصة بعد أن استمعت إلى عرض جوُثيل والذي زادها رهبة، فهي تعلم ما الذي ستفعله جوثيل إذا نفذوا ما تقول:

-لا ... لا تستمعوا إليها .... ستقتلكم ... ستقتلكم....

بقيّت تصرخ بهذه الكلمات حتى دفعها اللص نحو الأشجار ليقوم بتكبيلها هي وبقية الفتيات، بينما كان سامي يرمي جوثيل بنظراتٍ كارهة وحكيم يكاد ينفطر من الخوف خاصة بعد ما قالته كاتي، وكان مارك في حالة من الضياع يشعر بالخطر ولا يعرف كيف يتصرف.

-يجب أن أبتعد .... لا تنسوا الخطة

بصقت هذه الكلمات قبل أن تختفي عن الأنظار ويبقى ثلاثتهم واثبون أمام النهر تملأهم عوالم الرهبة والتردد، فكان حكيم يُعيد ما قالته كاتي ويزداد ذعرًا كلما تأكد من هذه الحقيقة:

-ماذا سنفعل ؟ .... إن لم ننُفذ ما تقوله ستقتل الفتيات .... وإذا نفذناه ستقتلنا نحن!!

كان الذعر بادٍ على حديث حكيم حتى شعر سامي أنه سينهار، هذا ما جعله يرفع ذراعه ويُربت على ظهر حكيم لعله يُهديء من روعه بكلماته المُطمئنة:

-لا تقلق .... قال مارك أن هذا ليس حقيقيًا، وأن أجسادنا الحقيقية في مكانٍ آمن .... اعتبر أننا في حُلم، وأننا سنفيق منه عمَ قريب

نبس كلماته بثقة استند فيها على الحقائق العلمية التي قالها مارك وأنهم سافروا فقط بعقولهم وليست أجسادهم، الأمر الذي جعل حكيم يهدأ قليلًا ويطمئن لهذا الوضع لولا تدخل مارك الذي بدا مُترددًا وهو يقول:

-إييه ... رفاق .... هذه الغُدة التي تم تنشيطها تتصل بالأعضاء الفسيولوجية الخاصة بالجسد المادي

قطب سامي حاجبيه بجهلٍ لا زال يحافظ فيه على ثباته وهو يسأل:

-وما معنى هذا الحديث ؟

ابتلع مارك غصته وهو يبصق هذه الحقيقة الأليمة:

-هذا يعني أننا إذا قُتلنا هنا .... سنموت في عالمنا أيضًا!!

الفصل العشرون (الثقة توُلد الحماقة)

سيأتي الوقت الذي تكتشف فيه أنك لست ضعيفًا مُسالمًا، فأنت في حقيقة الأمر، شيطان الحكاية...!!

كانت الحقيقة صعبة عليهم، جعلت الخوف يزداد أضعافًا، عالقون الآن بين شقي الرُحة، فأما يُقتل أصدقائهم أم يُقتلوا هُم، أي في جميع الأحوال هالكون، لن ينجو هذه المرة رغم ما نجو منه بالمرات السابقة.

لاح الصمت على وجوههم وهُم يقفون وسط هذه العُتمة التي تُشبه عُتمة قلوبهم، ترتعد فرائسهم من الخوف لكنهم يحافظون على ثباتهم قدر المُستطاع، عليهم التفكير في طريقة للنجاة رغم عدم توافر الاختيارات.

-ما العُمل ؟ .... هل ننُفذ ما تقوله ؟

سأل حكيم وفؤاده يرتعد من الخوّف، يتمنى أن يعود إلى قصره الفاره ويطوف بسيارته حديثة الصيحة، تمنى لو لم يدلف هذه الحُجرة أبدًا، أو أنه لم يُسافر مُنذ البداية، لكن أمنياته مع الأسف لا تتحقق، فيبدو أن القدر ساقه إلى هنا، إلى هذه التجربة الغريبة التي ربما تحمل معها نهايته.

-نعم .... ليس لدينا حلٌ آخر

قالها سامي ونظراته المُستسلمة يصوِّبها لأسفل، فاختياراتهم بالفعل مُنعدمة، وهو الذي ظنٌ أن الخير ينتصر دائمًا هنا.

-هل هكذا تضحى النهاية ؟

نبس مارك بهذا السؤال وهو يطالعهما بقلة حيلة، يتعجب استسلامهما بهذه الطريقة، لا يزال يعتقد أن هناك أملٌ بتلك المُعضلة، فدائمًا ما يجدوا حلًا لأي مشكلة توّاجههم، أما الآن، يبدو أنهم سأموا المقاومة، ولم يعُد أمامهم شيءٌ سوى الاستسلام، فكان سامي يوميء رأسه إيجابًا والحزُن يتقاطر من عينيه، لكنه يُمني نفسه أن الأمور ستضحى على ما يُرام، على الأقل أفصح عن مشاعره أمام كاتي، وهذا يكفي بالنسبة له.

وكان حكيم في عالمٍ آخر يكاد يذرف الدموع وهو يُحدق بالأرض، بقي على تلك الحالة حتى اقترب نحوه مارك وآحاطه بذراعه ليُهديء القليل من رٌوعه، فقد كان الأكثر ثباتًا من بينهم، ربما لأنه السبب في هذا من البداية، أو لأنه اعتاد الشعور بالاستسلام والنهاية مُنذ نعومة آظافره.

-لا بأس .... على الأقل سنموت معًا .... ميليندا ستستطيع إعادة الفتيات

تنهد بحسرة ثم أبعد يديه عن حكيم ليطفو الندم على جنباته وهو يقول:

-أعتذر .... أنا السبب في ذلك

رمقه سامي بنظرة عابرة استشعر معها ندمه من اختراع ذاك الجهاز المميت، الأمر الذي جعله يتحدث بهدوءٍ لعله يحد القليل من شعوره بالذنب:

-لا .... نحن من اخترنا المجيء إلى تلك الحُجرة رغم علامات التحذير .... نحن من وٌرطنا أنفسنا

انزلقت بعض الدموع على وجنة حكيم لعدم قُدرته على الثبات مثل سامي ومارك، فطبيعته الهشة المُرفهة جعلت هذه الأمور صعبة عليه، فما الذي سيضحى أصعب من معرفتك بنهايتك!!

وكان سامي يرتعد هو الآخر لكنه يُحافظ على ثباته ويسرق أنفاسًا متتالية عندما تحرك أمامهما نحو قارب الأميرة الذي ارتكن على إحدى الضفاف وبقيت وحدها بعد أن رحل يوجين لسببٍ لا يفقهه:

-هيا ... لا يجب أن نُضيٌع الوقت

قالها بثباتٍ يُحسد عليه وطفق يسير أمامهما مُنفذًا تلك الخُطة الماكرة حتى لا يتأذى أصدقاءه، بينما كان حكيم يُكفكف دمعاته ومارك يجذبه من ذراعه ويُطمئنه بعينيه رغم أنه يعلم جيدًا أنه يسوقه إلى حبل المشنقة.

حافظ سامي على جموده وجفاءه وهو يقترب من الأميرة التي عقصت شعرها وجعلته جديلة مليئة بالورود، كانت ترميه بابتسامة هادئة ظانة بأنه سيأخذها عند

يوجين، فهي تتذكر أنه أخبرها برحيله لبعض الوقت فقط، لا تعلم أنه سيرحل للأبد !!

-مرحبًا

أخبرته ببسمة هادئة قابلها سامي بالجمود والنظرات الحادة التي قال معها:

-لا يجب أن تبقي هنا .... لن يأتي يوجين

جُهمت ملامحها ولم تكن تُصدق ما يقول، فهو قد وعدها أنه سيأتي وسيصطحبها إلى مكانٍ آمن:

-لكنه أخبرني أنه سيأتي

هكذا قالت ببعض الأمل ليتدخل مارك ونظرات الغضب تلوح على وجهه وهو يُشير بأصابعه صوّب القارب الذي يعتليه يوجين وينطلق به بعيدًا:

-لن يأتي أيتها الحمقاء .... لقد رحل وتخلّى عنكِ

ابتلعت غصتها بخوّفٍ وانكسارٍ من كلماته الحادة وإهانته الصريحة، وكان مارك لا يكترث لردود أفعالها لأن طبيعته الفظة جعلته ينبس هذه الكلمات دون أن يُفكر، وكان حكيم قد هدأ قليلًا وسلّم الأمر لربه مُقررًا أن يشاركهما هذه الخُطة حتى ينقذ الفتيات، فكان يتقدم صوّبهًا مادًا ذراعه ناحيتها متفوّهًا بكلماتٍ لا يُريد قولها:

-هيا .... إتبعينا

انهمرت دموع الأميرة وبدأت تُحرك رأسها نفيًا لعدم تصديقها لهم، لا زالت تعتقد أن يوجين سيعود ويُكذب آمالهم، لذلك لم تتحرك وبقيت جالسة على القارب تقول بقلبٍ مُنفطر:

-لا .. سيعود...

آبت التحرك من مكانها مما جعل الغضب يتسلل إلى سامي ورغبته بانتهاء هذه الخطة تزداد أكثر، فهو لن يسمح لهذه الغريبة أن تتسبب بمس شعرة من أصدقاءه،

وكان عنادها وإصرارها سببًا بجعل الغضب يتدفق بعروقه وجسده يندفع صوّبها حتى وجد يداه تجذبانها من شعرها ليجعلها تتحرك معهم رغم أنفها:

-ألا تفهمي الحديث .... ألم نُخبركِ أن تأتي معنا

صرخ بوّجهها بتلك الكلمات الغاضبة مما جعل الأميرة تُطلق صرخة مُستغيثة وتحاول التملص من قبضته حتى ركلته في معدته وطفقت تهرول في جوّف العُتمة، كانت تبحث عن يوجين لكنها لا تجده، تبحث عن الفتيات ولا تجدهن أيضًا، كانت وحيدة تمامًا وكان سامي يركض خلفها هو وحكيم ومارك عازمين على إنهاء تلك المُهمة الشيطانية التي سُتكلفهم حياتهم، فالأهم الآن هو إنقاذ أصدقائهم.

استطاع سامي أن ينقض عليها مجددًا ليُكبل حركتها ويتمسك بكتفيها؛ كانت تصرخ بين يديه وتستغيث لكنه يتجاهلها ويواصل دفعها للأمام كما أخبرتهم الساحرة، وكان حكيم يساعده في ذلك يشعر بالازدراء مما يفعل لكنه لا يملك حلًا آخرًا، بينما كان مارك يُعدل من عوّيناته التي أخذت تنزلق على عينيه ويتلفت حوّله بضياعٍ من تلك الظُلمة، صحيحٌ أنه اعتادها لكنها لازالت تُصيبه بالرهبة وتُذكره بأيامٍ سوّداء.

استشعروا بضع أقدامٍ تتحرك ناحيتهم فأخذوا يتلفتون حوّلهم بهلعٍ ساعد الأميرة على التملص من قبضتهم والركض بأقصى ما لديها، وما كاد سامي يركض وراءها مُجددًا حتى وجد هذا الخِنجر ينغرس بمعدته وينحرٌ أعضاءه!!

تأوه بصوّتٍ مكتومٍ وهو يسقط على الأرض يشعر بالدوّار يكتنفه وبحرارة تعتلي جانبه الأيسر، كان يضع يده على جرحه المليء بالدماء ليغشاه سوّادٌ أكثر عُتمة من سوّاد هذه الليلة، رآه حكيم وهو يقع على الأرض مُضرجًا بدماءه فاتسعت حدقتيه في هلعٍ وطفق يركض صوّبه مناديًا:

-ســـــام!!

بينما كان مارك في حالة من الصدمة، جاحظ العينين يرتعد جسده وتتقطع أنفاسه، تيبست أقدامه على الأرض ولم يعد يستطيع الحِراك، فهو يرى صديقه يُفارق الحياة أمامه، وما إن هرع حكيم نحو جسد سامي حتى وجد جوُثيل تباغته بضربة أخرى بخنجرها لتجعله يُطلق تأوهًا مسموّعًا ثم يسقط على الأرض بجوّار سامي وكلاهما مُضرجان بالدماء!!

ارتفع صدر مارك من هوّل الموّقف ووجد الدموع تترقرق على عينيه في صمتٍ، شعر أنه مُكبلٌ بالأغلال وأنه سيفقد حياته أيضًا، أدرك أن ما قالته كاتي كان صادقًا، هي بالفعل كانت ستقتلهم، بل قتلتهم بالفعل، ولم يبقى سواه هو.

تصاعدت أنفاسه أكثر ليجد قدماه تتقهقران للوراء حتى وجدها تنطلق كالليث، فإذا اقترب صوّب أصدقاءه، سيُصيبه الخنجر ويُقتل مثلهما، لذلك قرر الهرب والنجاة قبل فوّات الآوان!!

كان الظلام دامسًا، وسكون الليل رغم أنه لا يُصدر أي من الأصوات، إلى أنه لم يستطع التهدئة من قلوبهن الملتاعة، فالخوّف قد طغي على أجسادهن، والقلق بدأ ينهش أحراشهن، ومع ذلك كانت ملامحهن جامدة لا يبدو عليها الخوّف والقلق، كانوا يركعن على الأرض أيديهن مُكبلة بالأحبال وأمامهن واحد من اللصوص يرميهن بنظرات حادة مُهددة ثم يلوّح بخنجره حينما تُفكر واحدة منهن بالرحيل.

أحنت كاتي رأسها وهي تُفكر بحديث سامي وردة فعلها، تُفكر في هذا التوّتر الذي كساها حينما استمعت إلى تلك الجملة رغم أنها كانت تتشوّق لسماعها، فهذه أول مرة يُخبرها أحدهم أنه يُحبها وتضحى مشاعره صادقة نابعة من القُلب، فهي قد قضت حياتها في دار الرعاية ترعى الأطفال ولم تُفكر يومًا أنها في يومٍ من الأيام ستُصبح تلك الأميرة التي تتربع على عرش أحدهم، حتى أنها تناست ضائقتهم وسمحت للابتسامة الشغوفة أن تشق ملامحها الهادئة.

-ما بكِ كات ؟

سألتها ميليندا بنبرة هادئة بعد أن لاحظت ابتسامتها وشرودها، فهي قد توّقعت أن تباشر كاتي بسرد إحدى خُططها مُظهرة أمامهن ملامحها الجادة الحكيمة، لكن الآن، لا تعرف لماذا شعرت بالغرابة حينما لاحظت معاني وجهها الهادئة الشغوفة.

-سام .... أخبرني أنه يُحبني

هكذا أخبرتهن وهي تُحدق أمامها في شرودٍ وعلى وجهها ابتسامة بلهاء، وما إن أدلت هذه الكلمات حتى أطلقت غيّد شهقة متفاجئة قالت معها:

-تمزحي !! .... هل أخبركِ هذا حقًا ؟

بينما عقبت ميليندا بعدم تصديق:

-وماذا فعلتي ؟

ذبلت كاتي وتهدلت أكتافها وهي تتذكر ما حدث، تتذكر أنها لم تُعطيه إجابة واضحة بل لاقته بملامح خائفة مليئة بالهلع وكأنه يُخبرها أنه سيقتلها، وهو بالفعل قتلها، لكنه قتل كاتي الوحيدة التي تشعر أنها لا تستحق شيئًا، جعلها تتأكد أنها تستحق الحُب، وتستحق أن تضحى مثل أقرانها حتى ولو كانت فتاةٌ يتيمة لا تعرف عائلتها.

-لم أفعل شيئًا

هكذا أنهت أفكارها بكلماتٍ حزينة شعرت معها بغصة تعتلي كيانها، وكانت غيٌد تطالعها بنظرات مُتعجبة وٌدت معها لو صفعتها على تلك الحركة الغبية:

-ماذا !! .... كيف لم تفعلي شيئًا ... أليس هذا سام الذي أخبرتينا فيما سبق أنكِ مُعجبة به ؟

حاولت تذكيرها بأحاديثهن النسائية التي أفصحت كل واحدة منهن عن ماضيها وأفكارها، حيث أدركن حقيقة بعضهن جيدًا حتى باتوا أكثر من الأخوة، فقد قضوا في هذا العالم أكثر من ثلاثة أشهر، وكان هذا كفيلًا بمعرفتهن لأسرار بعضهن.

-هل جُننتي يا فتاة!!

هكذا علقت ميليندا ببعض الغضب الذي اعتلاها ما إن استمعت إلى إجابة كاتي، وكانت الأخرى تزداد ضيقًا وهي تستمع إلى تهكناتهما وترد عليها ببعض الانكسار:

-وما الذي علي أن أفعله ؟ ..... أنا فتاةٌ يتيمة، ليس لدي أحد ... كيف سأخبره أن يواصل حياته مع يتيمة مثلي

شعرت غيٌد بغصة تعتلي صدرها لأنها أيضًا يتيمة وأنها_كما تقول كاتي_ لا تستحق هي أيضًا أن يُحبها أحد، هذا ما جعلها تقول ببعض الحسرة:

-وما الضيرُ في ذلك ..... أنا أيضًا يتيمة .... هل يعني ذلك أنني لا أستحق أن أحَب ؟

-لا ... بالطبع لا، لكنكِ على الأقل تعرفين ما هُم عائلتكِ .... لكن أنا .... أنا لا أعرف حتى من هُم أبواي، ولا أتخيل حياتي بعيدًا عن منزل الرعاية

هكذا أردفت كاتي وهي تُبرر حديثها وتعترض غيُّد حتى لا تبثها قليلًا من سلبيتها، وكانت ميليندا تشعر بالغضب من حديث كاتي مما جعلها تقترب بجسدها نحو الأخرى كي تُخبرها بعينيها وكأنها تأمرها:

-توٌقفي عن هذا الهُراء ..... إذا كُنتِ تُحببين سام، فعليكِ مواجهة مخاوفكِ من أجله .... وإذا كُنتِ لا تثقين به، فعليكِ أن تصارحيه بذلك ولا تجعليه لُعبة بين يديكِ

تأملت كاتي عينيها الحادة وهي تتحدث لتجعل قلبها ينفطر أكثر، لازالت تتذكر هذا الشاب المخادع الذي أوهمها بحُبه وقام بنشر صوٌرها الخاصة حتى أصبحت حديث الساعة، لازالت تتذكر كم كان قلبها مُنفطرًا مُحطمًا لأنها فقط سلمته لرجلٍ لا يستحق، وهي لا تريد تكرار هذه التجربة، ولا تعرف إن كان سامي سيُصبح مثله أم لا.

كانت غيُّد قد عادت إلى عالم الواقع في مُنتصف الحديث لتتذكر أن أصدقائهن في خطر، وربما يلقون حتفهم أيضًا، أي أن هذه الأحاديث التي تدور بينهن الآن، ستُصبح بلا أهمية بعد قليل.

-إيبه ... فتيات.... نحن نتحدث عن فارس الأحلام الخاص بكاتي دون أن ننتبه إلى حقيقة أنه في خطرٍ الآن

وجل قلبيهما وهما تنتبهان إلى الحقيقة المُرة وتعتدلان في جلستهما بملامح الخوٌف التي كستهما، فكانت ميليندا تتلفت حوٌلها بنظراتٍ خائفة قالت معها:

-صحيح ... علينا الهرب بأسرع وقت، هل لديكم أية خُطة ؟

عمٌ الصمت لبُرهة لتغرق كلٌ منهن في أفكارها حتى رفعت غيُّد قامتها وهي تقول بثقة:

-لدي خُطة .... لحظة واحدة

كانت تفرك بجسدها تحاول أن تفك قيّدها، أو هذا ما ظنوّه حتى وجدنها تنادي على اللص بصوّتٍ مُرتفع:

-أنت أيها الضخم .... هلا سمحت لي بالذهاب إلى المرحاض، أرجوك .... لا أستطيع التحمّل

قالتها وهي تواصل الفرك بجسدها وما كان من اللص سوى أن التفت نحوها بنظراتٍ مُتحجرة صك معها على أنيابه ثم رفع خنجره وكأنه يُهددها حتى تصمت؛ الأمر الذي جعل غيّد تزفر بجوّفها بيأسٍ ثم تضم ركبتيها لتدفن بهما وجهها وهي تسبهما بلغة عربية.

-سيءٌ أنه لا يوجد مرحاضٌ هنا .... كانت لتنجح الخُطة وقتها

قالت ميليندا هذه الكلمات التي ظنُّت معهم أن الخطة كانت لتنجح لولا وٌجد مِرحاضُ هنا، لكنها وجدت غيّد تضرب جمجمتها برُكبتيها وهي تقول بصدق:

-الأكثر سوءًا أنها لم تكن الخطة

رفعت رأسها نحوُهن تحاول التماسك قبل أن تنفجر مسانتها، فهي تُريد الذهاب إلى المرحاض بحق، لكن يبدو أنها لن تستطيع التحرك من هنا بهذه السهولة.

-لما لا نُساعد بعضنا بفك هذه القيود

قالتها بصوّتٍ هامسٍ يكاد يكون مسموعًا حتى لا ينتبه لهن اللص، وما إن أدلت هذه الكلمات حتى رفعت كاتي رأسها بأملٍ ثم حاولت الالتفات بجذعها إلى أن وٌلت ظهرها نحو ظهر ميليندا وبدأت تُساعد كلًا منهما على فك قيّد الأخرى، وكانت غيّد تُغطي ما يفعلان حتى لا ينتبه اللص عليهما، وبعد الكثير من المحاولات، استطاعت كاتي أخيرًا أن تحلٌ وِثاق ميليندا، لتفعل ميليندا نفس الشيء ثم تحلٌ وثاق غيّد في سرية تامة.

كانوا يعلمن جيدًا أن اللص لن يتركهن وشأنهن أبدًا، لهذا السبب كُن عازماتٍ على الانتقال إلى الخطوة التالية والتي كانت...

-إنظر أيها الضخم .... إنظر ماذا فعلت ... سأستطيع الهرب ولن تمسك بي أبدًا

قالتها ميليندا بصوّتٍ مُرتفعٍ وهي ترفع يديها المُحررتين أمام اللص الذي صك على أنيابه وقبض على خنجره وهو يقترب نحوها، حافظت ميليندا على ثباتها وهي تجده يحني جذعه أمامها لتفوح منه رائحة كريهة أشبه برائحة كلبٍ ميّت، لكنها تتجاهل تلك الرائحة وتبقى على ثباتها حتى....

تأوه اللص في ألمٍ عندما باغتته كاتي بضربه قوية على رأسه باستخدام أحد الصخور القريبة، وما إن تأكدت من غيابه عن الوعي حتى وثبت عن الأرض لتنتشل يده الضخمة وتُشير إلى غيّد بعينيها حتى تساعدها على حمله ودفعه نحو الكهف الذي كان قريبًا منهن.

جاهدت غيّد حتى تدفعه القليل من الأمتار وكان العرق يتصبب على جبينها، كما أنها لم تُصدق أنها ستقبل على جُرمٍ كهذا، الأمر الذي جعلها تتوّقف عن السير لتتنفس بإجهاد وتُجفف قطرات عرقها متفوّهة:

-يا إلاهي .... انتقلتُ من صحفية هدفها نشر الحقيقة ... إلى قاتلة مأجورة في عالمٍ خيالي

أكدت ميليندا على سُخريتها وواصلت دفع الرجل حتى أدخلته إلى الكهف وقامت كاتي بمساعدة منهما على تثبيته وتقييده بالحبال التي سبق وتم تقييدهن بها، وبعد انتهائهن خرجن من الكهف على أمل أن يركضوا بأقصى ما لديهن ليبحثوا عن سامي والبقية.

خطو خطوة واحدة فقط خارج الكهف ليُباغتهن ظلٌ بشريٌ آخر كانت نظراته تشي بالدهاء والوعيّد؛ ازدردت غيّد ريقها في ذعر، بينما علِقت الكلمات بجوّف كاتي ولم تكن تعرف كيف تتصرف، تصاعدت ضربات قلوبهن وتأكدوا مئة بالمئة أنهن هالكون، فلن يستطيعوا التخلص من هذا أيضًا.

-أين أخي ؟

هكذا سألهن اللص الآخر بنظراته الشيطانية التي جعلت غيّد ترتبك أكثر ويرتجف بدنها وهي تقول بكذب:

-كـ...كـ...كان يسخر منك ... نعم ... كان يقول أنك لصٌ حقير وأنه سيقتلك ما إن يحصل على التاج ويبيعه

رسمت عوالم الثقة على وجهها وهي تتحدث لتتدخل ميليندا وتُضيف على حديثها حتى تُحيك كذبتهن:

-نعم هذا صحيح .... ونحن كُنا نساعدك ... قمنا بربطه حتى لا يُنفذ خطته الماكرة

أنهت الحديث باحتقارٍ مما فعله هذا " الخائن " مما جعل أخيه يشطاط من الغضب، فطبيعته كلصٍ ومُجرمٍ تجعله لا يثق بالآخرين، حتى شقيقه ونصفه الآخر، الأمر الذي جعله يقبض على خنجره ويسألهن بنظراته المُهددة:

-أين هو ؟

آشارت كاتي إلى داخل الكهف حيث يجلس شقيقه مُقيّدًا بالأغلال، فما إن التفت اللص الآخر حتى انتشلت ميليندا جذع شجرة كان ملقيًا على الأرض وهوّت به على رأس اللص مما جعله يتأوه في ألمٍ ويسقط على الأرض غائبًا عن الوعي، وعلى عكس العادة، كانت تبتسم ميليندا وتُحرك قبضتها إلى أعلى وأسفل وهي تُعبر عن سعادتها وانتصارها وكأنها حظت على جائزة دوّلية.

أحنت كاتي جذعها وانتشلت اللص الآخر لتدفعه داخل الكهف وتقوم بتقييده جيدًا حتى لا يستيقظ ويتبعهن، وما إن انتهت من ذلك حتى تحركت بسرعة خارج الكهف متفوّهة:

-يجب أن نرحل فوّرًا

بصقت تلك الكلمات التقريرية وواصلت الهرولة لتتبعها ميليندا ثم غيّد ليخترقن عُتمة الليل بحثًا عن أصدقائهن، واصلن الهرولة فوق الحشائش في طريقهن إلى ضفة الشاطيء على أمل أن يجدوا سامي والبقية وينجدوهم قبل تنفيذ الخطة، لكن ما وجدوه في الطريق جعل أقدامهن تهوّي من شدة الحسرة.

ظهر أمامهن مارك بملامح مزرية، يتقاطر العرق من كل شبرٍ بجسده وصدره لا يتوّقف عن الصعود والهبوط، كان يضع يده على قلبه ليُهديء من ضرباته، ويحني جذعه حتى يستطيع التماسك رغم جسده المُرتجف.

ذُهلت ميليندا من حالته وتعجبت من كوّنه وحيدًا بلا سامي أو حكيم، الأمر الذي جعلها تسأل بقلق:

-ماذا حدث مارك ؟ .... أين حكيم وسام ؟

تنفس مارك الصُعداء وهو لا يزال يضع يده على قلبه يرفع جذعه رويدًا لتظهر دموعه التي انزلقت وزادت من حدة قلقهن، خاصة بعد كلماته الصادمة:

-قتلتهما .... جوُثيل قتلتهما .... قتلت حكيم وسام!!

اخترقت خيوط الشمس هذه الحُجرة المُعتمة لتنعكس على عينيه الخضراوتين وهو يفتحهما ببطءٍ حتى اتضحت الرؤية أمامه، يشعر بألمٍ جثيم يعتسر جانبه الأيسر ويجتمع مع عظامه التي يشعر بحُطامها، أصدر تأوهًا خافتًا وهو يحاول الاعتدال واضعًا اليد اليُسرى على مؤضع جرحه لعله بتلك الطريقة سيحجم القليل من الألم، لاحظ حكيم الماكث بجواره يفتح عينيه ويُحدق بالسقف باستسلامٍ لهذا الألم الذي يعتسره هو الآخر، أو ربما يعتقد أن حياته قد انتهت وأن روّحه قد انتقلت إلى عالمٍ آخر، رغم أنهما بالفعل في عالمٍ آخر!!

-حكيم .... حكيم ... إنت يا زفت

رفع سامي من صوّته وهو يُحرك حكيم حتى يستيقظ ويثب على الأرض ليُفكروا في طريقة للخروج من هنا، لم يكن الآخر يستمع له في بداية الأمر لشعوره بالتغيّب عن العالم، لكن ما إن رفع سامي من نبرة صوّته حتى بدأ يعتدل في جلسته يضع يده على عينيه ليفركهما وهو يقول بذعر:

-فـ..في إيه .... إحنا فين .... إحنا موتنا ولا إيه ؟

أغلق سامي عينيه وأخذ يُتمتم ببعض الكلمات في قرارة نفسه وهو يلعن حماقته المعتادة، الأمر الذي جعله يُجيب حكيم ببعض السُخرية:

-أه موتنا ... أصل أنا بكلمك من تحت القبر

لاحظ حكيم نبرته الساخرة فواصل محاولاته للوُثوب عن الأرض ثم رفع كنزته ليستطلع موِّضع الجرح ويراه مُقطبًا بعناية وكأن طبيبًا ماهرًا قد عالجهما، هذا ما جعل ابتسامته تتسع وهو يُعيد كنزته كما كانت رافعًا يديه للسماء متفوِّهًا:

-يا فرج الله .... إحنا لسة عايشين!!

التفت سامي خلفه ليُلاحظ يوجين جالسًا أعلى اريكة حجرية ناكسًا رأسه لأسفل ويبدو عليه إمارات الندم والاستسلام، اقترب سامي نحوه ليجلس بجواره على الأريكة واضعًا يده على رُكبة يوجين لعله بتلك الربتة الحانية قد يُبدد القليل من ضيقه الكامن.

-هوِّن عليك يا صاح .... ستضحى الأمور على ما يُرام

لم تتحرك معاني وجه الآخر ليبقى محافظًا على ندمه وحسرته وهو يقول:

-لن تسامحني ..... لقد خذلتها

-لكن الأخطاء يُمكن ترميمها .... يُمكنك إصلاح الأمر

اندفع سامي أمامه بتلك الكلمات التي تذكر معها ما قالته له كاتي حينما كانا بالقارب، عندما أخبرته أن الأخطاء يُمكنها أن تُرمم، وأن حياته القديمة المليئة بالتعثرات لا يجب أن تؤثر على حاضره، وأن هناك دائمًا فُرصة للتغيُّر، صحيح أن هذه المقابلة لم تنتهي مثلما خطط لها، لكن كلماتها لازالت عالقة بذاكرته ولا يعتقد أنها ستُمحى أبدًا.

وبعد فترة وجيزة من الصمت، رفع يوجين قامته وبدا أكثر استسلامًا وهو يقول:

-لا وجود للفُرص الآن .... سيتم إعدامنا بعد قليل

سقط فك سامي من هوِّل الصدمة وشعر أن أعضاءه البشرية توِّقفت عن العمل كليًا، فعن أي إعدامٍ يتحدث هذا، هل سيُعاقب في عالمٍ الرسوم المُتحركة بدلًا من أن يُعاقب في عالمه!!

كان حكيم أيضًا قد استمع إلى حديثه الذي جعله يتصلب مكانه، كانت سعادته تجوب السماء عندما علِم أنهما نجيا من الموّت، الآن سقطت سعادته سقطة أليمة حينما أدرك أنهما نجيا من الموّت للذهاب إلى موّتٍ آخر.

ما كاد حكيم يُبرز صدمته ورهبته حتى وجدوا باب الزنزانة يتم فتحه ليدلف إليهم مجموعة من العساكر تلوح على معاني وجوههم الصرامة والجدية، توّغلوا الحُجرة كما يتوّغل المُحتل أرضًا ليست أرضه، انتشلوا حكيم من ياقة ثيابه وأجبروه على الانصياع لهم حالما يُكبلوا رسغيه، فعلوا المثل مع سامي الذي كان يقاومهم ويوجين الذي بدى مُستسلمًا لقدره.

جذبوهم خارج الزنزانة في رُدهة طوُيلة يعتليها الحجارة الداكنة ورائحة الموّت، كانت نبضات حكيم تتسارع كلما تقدموا خطوة نحو قدرهم وكان سامي يحاول تهدئته بنظراته مُذكرًا إياه أنهم في عالم الأطفال ولا يجب أن تضحى نهايتهم هكذا حتى ولو كانوا من أشرار الحكاية، رغم أنه يعلم أنهم ليسوا كذلك.

حاول سامي أن يُلصق قدميه بالأرض حتى لا يتحرك نحو قدره الذي لا يعرف لماذا يذهب إليه حتى، فهو لم يقتل أحدًا حتى يلقى عقوبة الإعدام، لم يرتكب أي جريمة حتى يلقى هذا المصير، بخلاف العساكر الذين قام بضربهم دفاعًا عن النفس.

وفي غُمرة شرودهم واستسلامهم، وعندما اقتربوا أكثر من حُجرة الإعدام، وجدوا قائد العساكر يتوّقف عن السير ليضع يده خلف ظهره واليد الآخر يرفعها عاليًا وهو يقول بأمر:

-أحضروا المُجرم الأول

لم يلتفت صوّبهم وهو يُلقي أوامره ظانًا بأن عساكره سيستجيبون ويقومون بإحضار حكيم أو سامي أو حتى يوجين، ليتلقى أي منهم تلك العقوبة، لكن ما حدث فاق التوّقعات، ففي أقل من ثانية واحدة تفاجئوا بالعساكر يتم انتشالها لأعلى ثم يظهر صوّت استغاثتهم المكتوم قبل أن يختفوا عن الوجود، بدأ حكيم يتطلع حوّله في ذهولٍ وحيرة وبدأ بقية العساكر باتخاذ وضعية الاستعداد لكن استعدادتهم ذهبت أدراج الرياح، فكلما استعد أحدهم ظهرت تلك الأيدي العجيبة وهي تختطفه لأعلى وتمحيه عن الوجود.

-ألم أقل أحضروا المُجرم الأول ؟

قالها قائد العساكر بنبرة صارمة أكثر حدة لعدم استجابة العساكر له، بينما كان سامي يبتسم بدهاء وحكيم لا زال يتطلع حوّله يُريد أن يفهم ما حدث، وجدوا قائد العساكر يلتفت نحوهم بنظراتٍ تشع غضبًا كاد معها يوبخ أتباعه على عدم استجابتهم له، لكن ملامحه الغاضبة تنقلب إلى الحيرة مرة واحدة حينما يتفاجأ بعدم وجود ولو عسكريٍ واحدٍ حتى!!

سقط فك القائد ولاحت الصدمة على جنباته خاصة حينما وجد يوجين يُطالعه بابتسامة بلهاء جعلته يتيقن أنهم السبب في اختفاء عساكره، وقبل أن يُصدر المزيد من الأوامر أحس بظلٍ يُغطي مُحيطه ويدٌ غليظة ترتفع لأعلى وتهوّي بتلك الطنجرة على رأس القائد مما جعله يغيب عن الوعي.

هتف يوجين بانتصارٍ حالما تأكد من تخلصهم من القائد، وكان حكيم يكاد يطير من السعادة من نجاتهم للمرة التي لا يعلم عددها، وكان هذا الضخم يهرول نحوهم ويفك قيّدهم حتى يساعدهم على الهرب من تلك الزنزانة، فقد كان من أولئك الرجال الذين قابلوهم بالمطعم، تشكرهم يوجين بصدرٍ رحب ورماهم سامي بابتسامة ممُتنة وقبل أن يُبدي شكره وجد حكيم يهتف عاليًا:

-رفاق .... يجب أن نهرب!!

سرعان ما داهمتهم أصوات العساكر وهم يتحركون بالردهة حاملين معهم مُختلف أنواع الأسلحة وكأنهم مُقبلون على حربٍ مصيرية، انقبضت أوزارهم وبدأت أقدامهم تُسرع الخُطى حتى اقتحموا حُجرة الإعدام وقفزوا من النافذة متجاهلون أصوات الطلقات النارية وذاك العراك الذي نشب بين رجال المطعم والعساكر.

كادت أنفاسه تنقطع من كثرة الركض لكنه واصل وأخذ يجذب معه حكيم وكأنه يجذب ولدًا صغيرًا، باغتتهم أصوات الطلقات النارية وقطع طريقهم بعض العساكر لكن رجال المطعم أنقذوهم بالوقت المناسب وأعطوهم بعض الأسلحة التي أخذوا يدافعون بها عن أنفسهم قبل أن يخترقوا كل ذلك ويجدوا ثلاثتهم بتلك الباحة الواسعة.

تلفت حكيم حوّله في ذعرٍ وظنٌ أنهم هالكون لا محالة، فقد كان نجاتهم من العساكر داخل الزنزانة يكاد يكون مُستحيلًا، والآن هم محاصرون من كل حدبٍ وصوّب والعساكر على بُعد أمتارٍ قليلة منهم.

انساب العرق على جبهته وهو يحاول المحافظة على أنفاسه المرتبكة ويقبض على السيف بكلتا يديه متُعلقًا بآخر شعرة للنجاة، لكن النجاة لم تجد طريقها إليهم هذه المرة، فأصوات الأقدام تشتد وتتسابق مع أصوات أفئدتهم المُرتعدة.

داهمهم صوّت أحد الرجال أصلع الرأس عريض المنكبين يرتدي تلك الثياب الأشبه بثياب العصور الوُسطى، كان يُلقي عليهم بعض التعليمات ويدعوهم لضم جسدهم وخفض جذعهم وتكوّير قبضاتهم تنفيذًا لخطة الهروب، فما إن قلّدوا حركاته حتى قام برفع يوجين عاليًا ليضعه داخل آلة تُشبه المنجنيق، فما هي إلا ثانية واحدة حتى ارتفع صياح يوجين وهو يطير لأعلى بسبب انطلاقه كالقنبلة في السماء الصافية.

ارتعدت أوصال حكيم أكثر ولم يجد هذه فكرة جيدة للهرب، بل هي فكرة أقرب إلى الانتحار، كاد يُخبرهم أن موّتته على يد العساكر أفضل من هذه الميتة لكن الرجل دفعه بحدة وأجبره على الجلوس داخل المنجنيق بجوار سامي الذي بدا أكثر ثباتًا منه، فما هي إلا لحظاتٌ قليلة حتى تطاير كلاهما في السماء مُطلقان بعض الصرخات المُستغيثة التي توّقفت حالما التحمت أجسادهما بأرضية جسرٍ عريضٍ ليسقط سامي أولًا على صدره يليه حكيم الذي سقط فوق سامي وطفق يتأوه بألم وهو يعتدل في جسلته، يكاد يتيقن أنهم إذا سقطوا هكذا في عالمهم ستتحوّل أجسادهم إلى مجموعة أشلاء.

كان هناك جوّزٌ من الخيل يُطلقان الصهيل ويرتفعان بجسديهما عاليًا وكأنهما يُخبرانهم أن عليهم الهرب قبل أن ينتبه العساكر ويواصلوا ملاحقتهم، الأمر الذي جعل سامي يرفع جسده بسُرعة عن الأرض ثم يساعد حكيم على الوثوب قبل أن يأمره باستقلال الخيل خلفه.

هروّلت خيولهم فوق الجسر مُخترقة لجميع معاني الخوّف والرهبة، تنطلق إلى وجهة مُحددة لا تحيد عنها وكأنها آتية لقضاء مُهمة وطنية، فقفزوا مجددًا من ذاك الجسر وواصلوا الهرولة حتى كاد حكيم يتقيأ من فرط الحركة، بدأت الخيول

بالهرولة داخل تلك الغابة_ سبب الكوارث في جميع الحكايات_لكن هذه المرة هروّلت الخيول لفترة وجيزة ثم تباطأت وتوّقفت وكأنها تلتقط أنفاسها.

أوقف سامي خيله وترجل منه بمهارة قد اكتسبها بالفترة الأخيرة من كثرة بقاءه في هذا العالم، سبقه حكيم بالترجل عن الخيل بينما لا زال يوجين يمتطي فرسه ويسبقهما ببضع أمتار.

اقترب سامي نحوّه مُتذكرًا ما بقي من الحكاية والذي أخبرته عنه كاتي في طريقهم إلى المدينة، تذكر أن يوجين هو الذي سينقذ الأميرة من كيْد الساحرة، وأنه سيفعل ذلك بعد هروبه من السجن، ربما لا يتذكر حكيم تلك الأحاديث لأنه كان مُنشغلًا بعراكه مع مارك، لكنه يتذكرها جيدًا، فهو لم يكن ينتبه إلا لحديثها مُنذ بداية تلك الرحلة، وهذه المغامرة بالتحديد.

كان التردد باديًا على وجه يوجين عكس الحكاية الحقيقية التي كان فيها مُصرًّا على انقاذها، فهو لم يتعرّف عليها سوى عن طريق أولئك الغرباء، الأمر الذي جعله يعتقد أن مُهمة إنقاذها لا تقع على عاتقه رغم تعلقه بها، فهو لا يزال يرى نفسه وضيعًا، وكان سامي أكثر من يشعر به خاصة بعد ما اقترفه من آثام، الأمر الذي جعله يتقدم ببضع خطواتٍ نحو يوجين ثم يُربت على فخذه متفوّهًا:

-إذهب إليها .... إذهب إلى البُرج .... ستجدها هناك ... تنتظرك لتقوم بإنقاذها

لم يكن يوجين يعرف ذاك البُرج في تلك الحكاية لذلك تعيّن على سامي إخباره وإرشاده وفقًا لمَ قالته كاتي والفتيات وهن يقصن ما فعلنه للوصول إلى الأميرة، وما إن أنهى حديثه حتى لاحت عوالم الإصرار على الآخر ليُشدد من تشبثه باللجام ثم يتحرك صوّب وجهته عازمًا على إنقاذ الأميرة مهما تطلب الأمر.

أطلق سامي زفرة مرتاحة حالما تأكد من رحيل يوجين وانتهاء الحكاية على ما يُرام، حسنًا هناك بعض الكوارث التي حدثت لكن هذا لا ينفي حقيقة وصولهم إلى النهاية أخيرًا.

اقترب نحو حكيم الذي كان يُهندم خُصلات شعره ويستند على الخيْل بإرهاقٍ واضح، فما إن رآى سامي يعود إليه حتى نبس بارتياح:

-يا فرج الله ... أخيرًا خلصنا

رماه سامي بابتسامة ودودة قبل أن يقترب نحوه ويُحيط رقبته بذراعه ليواصل كلاهما السير في أعقاب الغابة بحثًا عن بقيتهم....

-أعتذر .... أعتذر سام، لم أقصد أن أصيبك بالحرج .... لا أريدك أن تبتعد عني، أنا آسفة....

انسكبت دمعاتها على تلك التُربة الرطبة وأمامها حجارة كبيرة نُقش عليها اسم سامي بخطٍ أعجمي، انفطرت عينا كاتي وهي تجلس على الأرض تُعانق تلك التُربة بوّجهٍ أحمر ودموعٍ تُغرق كيانها، فأميرها قد لقى حتفه وهو بعيدٌ عنها، لقى حتفه قبل أن تعترف له وتُخبره كم أنها تُحبه!!

كانت غيّد تستنشق مخاطها وتحاول تجفيف عينيها الحمراوتين وهي تقف أمام الصخرة الأخرى التي نُقش عليها اسم حكيم، بقيت تبكي أمامها وتتذكر كلماته المرحة والحنونة بالوقت ذاته، فهو الوحيد الذي استطاع أن يُضفي البهجة على روّحها التعيسة، هو الوحيد الذي يفهمها ويُقدر مشاعرها، يعرف ما تُفكر به ويستطيع التحدث بطريقتها رغم أنهما من بلدتين مُختلفتين، ومن طبقتين مُختلفتين أيضًا، تذكرت أيضًا سامي وبكت عليه أيضًا رغم أنها كانت تنعته بالغموض والغرابة، لكنها أيضًا تتذكر ما كان يفعله فقط لحمايتهم.

-نحن السبب .... نحن السبب في ذلك....

قالتها ميليندا وهو تجهش بالبكاء أمام الصخرتين تشعر بالندم لأنها تسببت بتشغيل الجهاز ومارك الذي تسبب باختراعه مُنذ البداية، وكان الآخر يطغي على وجهه علامات الجمود مع بعض الدموع المُتحجرة التي آبى الاعتراف بها لعدم رغبته بالشعور بالضعف، فمشاعره قد اندثرت مُنذ زمنٍ طوّيل، فهو قد ترعرع على عدم إظهار مشاعره أمام أحد، فلا أحد سيكترث لها على أي حال....

توّقف حكيم عن السير ليلقى أمامه هذا المشهد، كان يعتقد أن رفاقه ينتظرونهما على أحرٍ من الجمر أو ربما يُخططوا لإنقاذهما أيضًا، لكنه تفاجأ بهذه الصخرتين

المنقوش عليهما اسمهما وتلك الدموع المُنفطرة التي لا تُبرهن إلا على شيءٍ واحدٍ فقط!!

-إيه ده !! .... يعني نغيب كام ساعة نرجع نلاقيهم واخدين عزانا !! .... أومل لو غيبنا يوم كامل كانو عملو إيه ... طلعو علينا صدقة!!

أنهى الحديث بسُخرية وتهكمٍ بينما كان سامي ثابتًا يُراقب تلك المسرحية المُبتزلة من على بُعد، فكان مارك يُكفكف دمعاته المنسابة وهو يُقول مُعبرًا عن مشاعره بصدقٍ وهو يُحدق بصخرة سامي:

-سام .... أعرف أنك تسمعني يا حثالة المُجتمع .... لكنني أعتذر، أعتذر لأنني كُنت أعاملك بجفاء....

سُرعان ما انقلبت معاني وجهه إلى الغضب وهو يتذكر استفزاز سامي وأفعاله التي تُثير حنقه:

-حسنًا .... أنت كُنت وغدًا وتستحق هذه المعاملة .... لكنني...

عاد الذبول على وجهه وهو يواصل بضيق:

-سأشتاق لك أيها الوّغد

كوّر سامي قبضته بغضبٍ وهو يستمع إلى هذا الحديث وكان حكيم يقهقه بسُخرية على ردة فعله حتى داهمته كلمات مارك وهو يوّجه بصره نحو صخرة حكيم:

-وأنت أيضًا أيها الأحمق ... سأشتاق لك كثيرًا

انفجر سامي بالضحك على ردة فعل حكيم ورغبة باستفزازه كما فعل الآخر، بينما كان حكيم يكاد يشطاط من الغضب وهو يتوّعد لمارك وبقيتهم على هذا المأتم، وبعد القليل من الوّقت وقبل أن تنتهي تلك المسرحية، باشر سامي بأخذ خطوة اتجاههم وعلى وجهه علامات المرح والسعادة:

-رفاق .... نحن هنا

قالها بابتسامة واسعة جعلتهم يحدجونهما بصدمة وهلع، اعتقد سامي أنهم سينقضون عليه ويأخذونه في عناقٍ عميقٍ لكن ظنونه لم تتحقق للمرة التي لا يعلم عددها، فما كان على وجوههم سوى إمارات الرهبة والخوف!!

-أعوذ بالله

تمتمت غيُّد بتلك الكلمات العربية وهي تراقبهم بفاهٍ مفتوّح بينما ازداد ارتعاد مارك آكثر وهو يُشير عليهما بآصابع مُرتجفة، فهو يقسم أنه رآاهما يموتان أمام عينيه.

-أ... أأ..أ...أنتم... أنتما...

بقي يُتهته بتلك الكلمات غير المترابطة وهو يُشير عليهما حتى اتسعت بسمة سامي المرحة وبدأ يُقهقه وهو يقترب نحوه وكان مارك يتراجع للوراء لكن سامي آحاط عُنقه رغمًا عنه وطفق يقول بطريقة مرحة:

-عاد حثالة المُجتمع أيها العالم الجليل

ما إن أدلى كلماته حتى تحوّلت رهبتهم إلى السعادة والسرور وبدأت غيُّد تُصفق بسعادة وميليندا تُكفكف دموعها وتُبدلها باتسامة واسعة بينما طارت الفراشات بقلب كاتي وهي تتقدم نحو سامي بخطواتٍ مُترددة تُريد أن تعانقه وتُمرمغ وجهها في صدره الحاني لكنها تمتنع عن ذلك بسبب هذه الحواجز الوهمية التي وضعته واعتقادها أنه غاضب منها ولن يُعيرها انتباهًا، اكتفت فقط بكلماتٍ بسيطة جعلت معها سؤالها عاميًا:

-هل أنتما بخير ؟

ابتسم لهم حكيم وبدأ يسرد ما حدث بحماسٍ وكأنه يحكي مغامرته لمجموعة من الأطفال، وكانت غيُّد تُعلق على حديثه بطرافة وتتفاعل معه بطفولية، عاوّدوا سيرهم بعدها في أعقاب الغابة وكانت كاتي تُحدق تارة بسامي ترغب بإخباره ببعض الأحاديث لكنها تصمت في النهاية وتواصل سيرها في صمت، وعندما طالت فترة صمتها وجدت سامي يُخبرها بنبرة هادئة:

-وجدنا أنفسنا داخل زنزانة ضيقة .... وكانت جروحنا قد قُطبت وعولجت تمامًا ....

تنهد بعد حديثه ليُحدق أمامه في شرودٍ وهو يواصل بنبرة مُبطنة:

-ليت جميع الجروح يتم معالجتها بهذه السُرعة

طغى على جسدها حرارة لا تعرف أين مصدرها، شعرت أن كلماته المُبطنة مصوٌبة اتجاهها وأنها جرحته بصمتها ومعاني الرفض التي كانت تلوح على وجهها، وٌدت لو كانت تستطيع مجابهة خوٌفها وإخباره أنها تُبادله هذه المشاعر، لكنها عانت من ويلات الخُذلان والانكسار مُنذ كانت يافعة، لن تستطيع الوثوق بأحدهم بهذه السهولة، رغم أنها ترى نظرات العشق في عينيه وتتعمد إنكار هذه النظرات حتى لا يغرق بمُستنقعها التعيس.

أبعدت نظراتها عنه حتى لا يرى حرجها وواصلت السير بالُقرب منه تتعمد تجاهله قدر الإمكان، كان هذا قبل أن تستمع إلى خطوات غيٌد وهي تهرع نحوها متسائلة:

-أين سنذهب الآن ؟

توٌقفت كاتي عن السيٌر لتتذكر أنهم لا يزالوا عالقون بتلك الحكاية، وأن النهاية قد اقتربت أيضًا، يبقى فقط شيءٌ واحد، شيءٌ واحدٌ تريد أن تتأكد أنه حدث لتتيقن تمامًا أن النهاية قد آن أوانها، وأنهم سيرحلون من هنا.

-سنذهب إلى البُرج....

بصقت كلماتها بصرامة واختصارٍ أخذت معه تُسرع من خطواتها ويتبعونها رغبة بمعرفة ما يدور ببالها، بقيوا يتحركون بخطواتٍ أقرب إلى الهرولة وأيادي لا تتوٌقف عن إزاحة أوراق الشجر وفروعها حتى يتضح الطريق أمامهم، فما هي إلا بضع دقائق حتى أوصلتهم أقدامهم إلى ذاك البُرج الذي كان بداية لهذه الحكاية المجنونة، الحكاية التي أدركوا فيها الكثير عن أنفسهم، وتيٌقنوا من متانة صداقتهم رغم حداثتها.

كانت كاتي تقف أسفل البُرج ترفع رأسها لأعلى حتى ظنٌت ميليندا أنهم سيتسلقونه مجددًا، وهي لا تُريد هذا، تُريد فقط أن تستلقي على سريرها وتبتعد عن هذه الكوارث تمامًا.

-ماذا سنفعل ؟

سألتها حتى لا تنجرف شكوكها وتجد يداها تتشبثان بخُصلات كاتي حتى لا تجبرهم على التحرك مُجددًا، رغم أنها تعرف جيّدًا أن كاتي تفعل ذلك فقط من أجل نجاتهم.

-لا شيء .... سننتظر النهاية فقط

طمأنتهم هذه الإجابة وجعلتهم أكثر هدوئًا وسكوّنًا، لاح بعض الفضول على وجه حكيم وهو يقترب نحو كاتي متسائلًا:

-وما هي هذه النهاية ؟

ما كادت تُجيبه كاتي حتى داهمهم صوّت صُراخٍ حادٍ جعل أجسادهم تنتفض خاصة بعد أن رأوا هذا الجسد يتم إلقاءه من أعلى البُرج أمامهم!!

شهقت غيّد بفزعٍ بينما اتسعت حدقتي بقيتهم وهمُ يُحدقون بجسد الساحرة الذي تم إلقاءه من أعلى البُرج لتلقى حتفها وينتهي معها شرها، الأمر الذي جعل كاتي تبتسم ابتسامة بدت شيطانية وهي تُشير على جسد الساحرة متفوّهة:

-هذه هي النهاية....

عمّت البهجة أرجاء المدينة بعد عوّدة الأميرة المفقودة، فكانت الاحتفالات في كل مكانٍ حتى تصاعدت النغمات الموسيقية وانتشرت الزهور لتخلق من هذه المدينة البسيطة حديقة تمتليء بالسرور والبهجة، كانوا يجوبون هذه المدينة بعد مرور أكثر من إسبوعٍ استعادوا فيه قواهم الجُثمانية وبدلُوا معه ثيابهم إلى أخرى نظيفة تساعدهم على الحركة بمرونة، كانوا طوال الوقت لا يتوّقفوا عن مراقبة الجهاز لعله يُطلق أية إشارة وينجدهم من هذا الأمر، لكن مراقباتهم تأتي بلا فائدة ويبقوا مكانهم في تلك الحياة الهادئة يتنعمون فيها بكل سُبل الراحة، خاصة بعد اعتذارهم من الأميرة وإخبارها بالحقيقة، وبما فعلته الساحرة، ولأن الأميرة ذات قلبٍ نقيٍ سامحتهم بسهولة وسمحت لهم بالبقاء في قصرها مع أبويها وكانت توّفر لهم ما يبتغونه من طعامٍ وشرابٍ وغيّارات.

كان حكيم يتأمل الحِصان ماكسيموس وهو يقود العساكر ويجبرهم على رفع الطناجر لأعلى وإلا داهمتهم عقوبته القاسية، وكان مارك لا يتوّقف عن العبث

بالجهاز لعله هذه المرة يجد الطريقة المُثلى التي ستساعدهم على الرحيل، فما إن أنتهى حتى رفع الجهاز لأعلى وطفق بقول بثقة:

-انتهيت .... سنعود هذه المرة .... متأكدٌ من ذلك

كان سامي يجلس فوّق النافورة يتناول إحدى الشطائر لكنه ما إن انتبه إلى حديث مارك حتى وثب مكانه راميًا إياه بنظراتٍ مُترقبة انقلبت إلى عدم التصديق وهو يقول:

-دائمًا ما تقول هذا ولا يفلح الأمر

قهقه مارك قهقهة بسيطة متعالية رفع معها عوّيناته وطفق يقول بتعالٍ:

-هذه المرة أنا متأكدٌ مئة بالمئة .... سنعود إلى المعمل، حالما يُطلق الجهاز_

قطع حديثه هذه الأضواء الخافتة التي تنطلق من الجهاز وتجتمع مع تلك الهزات البسيطة، انقبضت أوزار مارك وطغيت السعادة على وجهه وهو يقول بصوّتٍ مُرتفع:

-رفاق .... الجهاز يُطلق إشارة

سرعان ما وُجلت قلوبهم وطغتها لهفة ورغبة عارمة بالعودة، تجمعوا حوّل الجهاز الذي كان يحمله مارك جيدًا ويُحدق به بإمعان، ما إن تأكد من تجمعهم حتى قال بثقة حتى يُطمئنهم:

-لا تقلقوا .... سنعود إلى عالمنا...

تبع حديثه الواثق حركة إصبعه وهو يضغط على أحد الأزرار لينبثق شُعاعٌ عارمٌ مع هزة قوية جعلت أجسادهم ترتد مرة آخرى، هذه المرة لم يتأثروا كثيرًا بهذا الارتداد العنيف الذي أوشكوا على الاعتياد عليه، فما إن غمّرتهم الإضاءة حتى غطوا أعينهم جيدًا ثم انتفضت أجسادهم بفعل هذا الارتداد ليُداهمهم هذا الصُداع الجثيم مجددًا....

خرج صوّت تأوهها وهي تثب عن الأرض تُمسد على جبهتها بألم، كانت الرؤية ضبابية مشوشة لكنها استطاعت رؤية أصدقائها واحدًا تلو الآخر، وما إن اتضحت الرؤية حتى داهمتها الصدمة ... مجددًا!!

-أو لا .... أين نحن هذه المرة ؟

قالتها ميليندا وهي تتلفت حوّلها في ذعرٍ ثم تحاول الوثوب عن الأرض، وعلى عكس جميع المرات، وجدت نفسها مُستلقية على رمالٍ صحراوية، ليست حديقة أو غابة، بل كان حوّلهم بعض المباني البسيطة التي تم بناءها من الطوب اللبن.

وكان حكيم يفتح عينيه هو الآخر هادرًا بكلماته المعتادة:

-يا فرج الله ... أخيرًا_

كمم سامي فمه قبل أن يواصل جملته بسبب غضبه العارم، فلا زالوا في هذا العالم، لا زال الخطر يُحيط بهم.

-متنيلناش رجعنا .... إكتم بقى ومتتحركش من هنا

قالها وهو يُحرك وجه حكيم المُكمم مُتذكرًا تلك المصائب التي يفعلها حكيم ويضعهم من خلالها في العديد من الكوّارث التي تُبقيهم في هذا المكان، بداية بما فعله مع بياض الثلج حتى يوجين، لذلك رآى أنه من الأفضل أن يراقب حكيم ويُلصقه بجواره حتى لا يفتعل كارثة أخرى.

أبعد سامي يده عن فم حكيم ليردف الآخر مُعللًا:

-على فكرة مكنتش هقول إننا رجعنا .... كنت هقول أخيرًا نزلنا في صحرا مش في جنينة زي كل مرة

انتبه سامي إلى ما قاله حكيم وبدأ يتلفت حوّله ليتأكد بالفعل أنهم داخل منطقة صحراوية لا يوجد بها أي نوّعٍ من الحشائش، الأمر الذي زاد من حيرته أكثر، فقد كان يتوّقع أن الرسوم المُتحركة لا تخلو من بهجة الحدائق وجمالها، لكن هذه الصحراء الجرداء، وتلك البيوت البسيطة، جعلته يعتقد أنهم عادوا إلى عصور الجاهلية.

تلفتت غيُّد حوْلها بعد أن وثبت عن الأرض وبدأت طبيعتها الاستكشافية تطغي عليها، ترى هذه البيوت ذات اللمحة الشرقية، وبعض السيدات المتلشحات بخمروهن على غير العادة، ترى بعض الرجال يرتديون العمة على رؤوسهم بطريقة بدت لها مألوفة، الأمر الذي جعلها تتلفت نحوهم متسائلة:

-رفاق .... هل ذهبنا إلى دوْلة عربية ؟

زادت الحيرة على وجهها وهي توّجه لهم هذا السؤال حتى وجدت كاتي تقترب نحوها وعلى وجهها علامات الثقة، فهي تعرف تلك الحكاية جيدًا، الحكاية الوحيدة التي تحمل لمحة عربية، الأمر الذي جعلها تُجيب غيُّد بثقة وجهتها نحو الجميع وكأنها تُخبرهم بأي حكاية هم:

-نعم .... نحن في بغداد!!

الفصل الحادي والعشرون (علاء الدين)

دائمًا ما نسعى حتى لا تُصبح حياتنا الجديدة شبيهة بالقديمة، لكننا لسببٍ أو لآخر، نجدها تتشابه معها في جميع الأمور، وأحيانًا تُصبح أكثر كارثية...

وثبوا عن الأرض ليطالعوا المكان من حوّلهم، المنازل البسيطة التي تتوافق ألوانها مع ألوان الرمال، السيدات المحُتشمات داخل منازلهن، الباعة الجائلون والاستعراضيون، كل شيءُ يُشير إلى كوّنهم في دولة عربية فقيرة، ربما لا تُشبه العراق، لكنها لا تزال دوّلة عربية، أو ربما الجُزء السيء منها.

بعد مرورهم بالعديد من الكوارث، قرروا هذه المرة أن يحتفظوا بهدوؤهم، لا مزيد من التدخل ولا مزيد من الركض والفرار، اكتفوا من هذا، ربما قلُّت آمالهم للعوّدة، وربما بدؤوا يعتقدون أنهم عالقون في هذا المكان، لكنهم آرادوا أن يحافظوا على الهدوء والسكينة، فمهما كانت حياتهم، لا يجب أن يقضوها في التخطيط والفِرار.

-رفاق أرجوكم .... لا تقتربوا من علاء الدين أو الأميرة ياسمين .... لا نريد المزيد من الكوارث

قالتها كاتي مُحذرة حتى لا تنقلب الأوضاع ككل مرة، تقدمت غيّد نحوها وهي تقول باطمئنان:

-لا تقلقي يا فتاة ..... لن يحدث شيءٌ هذه المرة

لوّحت لها بيدها حتى تُطمئنها وتخبرها أن كل شيءٍ على ما يُرام، وستنتهي هذه الحكاية بأقل الأضرار، ورغم أن كاتي كانت ترمقهم بنظراتٍ مُتشككة إلى أنها حافظت على هدوئها وسمحت لهم بالتجوّل في أرجاء المدينة....

اتجهت غيّد إلى السوّق المحلّي لمشاهدة الأغراض وكانت ميليندا معها تشاركها الأمر وتتناقل بين الأسواق الشعبية الأخرى، فكانت تتناقل بين أسواق السمك والخضراوات والمخبوزات والأقمشة، بينما كان حكيم ومارك يقفان بأعينٍ جاحظة أمام هذا الشاب عاري الصدر واضعًا العمة فوق رأسه بينما كانت يداه تحمل إحدى العصي الخشبية التي ينفث بها فتتحوّل أنفاسه إلى نيرانٍ هاجرة.

لم تتزعزع كاتي من مكانها وبقيت برفقة سامي ترمقه بنظراتٍ عابرة متوّترة بينما كان الآخر يستند على إحدى المباني الصفراء يُدخن من غليونه ويتجاهل وجودها من الأساس.

-سام .... هل أنت بخير ؟

سألته ببعض التردد لعلها تستشف منه بعض الأحاديث، لكنها وجدته يرميها بنظراتٍ غير مبالية قال معها:

-نعم .... بخير ... هل أبدو غير ذلك ؟

آراد أن يُخبرها أنه كاذب، وأنه ليس بخير، فهو يتعذب مُنذ أخبرها عمَ يكنيه وهي عاملته بالجفاء والاعتراض، صحيح أنها لم ترفضه لكن عيناها نفرته وكأنه خُردة بالية، ومع ذلك يحافظ على جموده ولامبالاته أمامها وكأنه لم يمُر بهذا من الأساس.

زادت عوالم الحرج على وجهها حتى بدى النظر إلى عينيه أشبه بالنظر إلى شمسٍ حارقة، حاولت أن تستجمع ثباتها وتُخبره عمَ تكنيه بداخلها لكن خوّفها دائمًا ما يمنعها، تتذكر دائمًا هذا الحقير الذي قام بخداعها وتربط ما بينه وبين سامي، فسامي أيضًا ليس فتًا مثاليًا وهي تعرف ذلك جيدًا، وتخشى أن يجعلها تُصاب بالندم حينما تقترب منه أكثر من اللازم.

-لا .... تبدو بخير

قالتها بصوّتٍ خافتٍ يكاد يكون مسموعًا، أحنت بعدها رأسها لأسفل وغرقت في وحلٍ من الصمت حاولت فيه أن تستجمع كلماتها، لا تريد أن تفقد صداقته لكنها لا تريده أن ينفطر بسببها أيضًا، تعلم أنها ستُصبح أنانية لكنها لا زالت تعتقد أنهما غير مناسبان، هي فتاةٌ هشة لا تستطيع تحمل الخذلان للمرة الثانية، وهو فتًا مخادعًا يحاول ترميم أخطاءه التي ستطارده مدى الحياة، لا يوجد ما يُقربهما سوّيًا ولا يوجد ما يجعلهما مترابطان مدى الحياة.

-سام أنا...

بصقت هذه الكلمات بعد فترة طوّيلة من الصمت كان لا يزال فيها شاردًا ينفث الأدخنة من فمه ويحاول تجاهلها قدر الإمكان، لم يكن يريد أن يتجاهلها بالمعنى

الحقيقي، فإن كان يريد ذلك لمَ ابتعد عنها وأمرها ألا تقترب منه، لكنه لسببٍ أو لآخر يبقى مكانه راميًا إياها بنظراتٍ عابرة دون أن تنتبه لها، فكرامته أهم من أن يهدرها أمام فتاةٍ لا تقدر مشاعره.

رفعت كاتي نظراتها نحوه وهي تواصل بترددٍ قد بلغ ذروٌته:

-لا أريدك أن تغضب .... أنا فقط، لستُ مُستعدة لأي نوٌعٍ من العلاقات الآن...

لا تعلم كيف بصقت هذه الكلمات لكنها قالتهم على أي حال، ظنٌت أنها بتلك الطريقة ستُحافظ على صداقتهما لكنها كانت خاطئة تمامًا، فهي لم تفعل شيئًا سوى أنها فتحت جرحه مُجددًا، وربما آلمته أكثر.

أطفأ غليونه الذي كان يشتعل كقلبه المُحطم، آراد أن يُنهي هذا الحديث قبل أن ينفجر بوٌجهها ويُنهي علاقتهما للأبد، لذلك تعمد تغيير الحديث بكلماته القاطعة:

-لا يُهم .... لا يجب أن نُفكر في هذا الحديث الآن

أسبلت عينيها لأسفل في ضيقٍ من نبرته التي بدت حادة مُتجهمة عكس هذه النبرة التي دائمًا ما يتحدث معها بها، غرقت مجددًا في حالة من الصمت تعمدت فيهم تجاهل نظراته حتى وجدته يعتدل في وقفته متفوٌهًا:

-ما هي هذه الحكاية ؟ .... يجب أن نستعد قبل أن يتدهوٌر الأمر

حاول أن يجعل نبرته مرحة تُذكرها بالمواقف التي مرٌت عليهم لكن صوٌته كان مُحملًا بالانكسار، ومع ذلك آجابته بنبرة فاترة:

-تتحدث عن لصٍ فقير، عثر على مصباحٍ سحري ..... حقق له ثلاثة أمنيات، استطاع من خلالهم أن يتقرٌب إلى الأميرة ياسمين...

زادت نبرتها عُمقًا وهي تواصل بنظراتٍ شاردة:

-لكنه لم يكن يعلم أن الأميرة تُحبه وهو لصُ فقير ..... ولم تكن تستطيع أن تُخبره بذلك

تأمل عينيها لفترة ليستشف الصدق في حديثها، عيناها العسليتان المحملتان بضروبٍ من الانكسار جعلته يتيقن أنها تتحدث عن نفسها لا عن هذه الحكاية، أو ربما تربط ما بينها وبين ما تُريد أن تقوله في الحقيقة، فهو أيضًا بمثابة لص، وهو أيضًا فقيرٌ يفعل المعجزات حتى يضحى غنيًا، لكنه لا يعلم أن سعادته تكمن في الثراء والبغاء، بل تكمن في تلك الفتاة التي تُحبه كما هو، بأخطاءه وعيوبه .

بقي في حالة من الصمت تلفت معهم بنظراته وواصل التحديق أمامه في شرودٍ حتى لا يُفكر بحديثها، وبعد فترة وجيزة سألها بنبرة جامدة خالية من أي نوٌعٍ من المشاعر:

-أين هذا المصباح السحري ؟

بدت نبرته فضولية حتى يستفسر أكثر عن هذه الحكاية، وقد كانت تعرف ذلك لهذا السبب آجابته بثقة:

-في كهف العجائب .... ولا توجد سوى طريقة واحدة لإحضاره....

بدأت تقص عليه الطريقة المُثلى لإحضار المصباح بتفاصيلها وثغراتها دون أن تنتبه لهذا الببغاء الواثب على إحدى النوافذ يستمع لحديثهما بنظراتٍ مصدومة تنقلب روٌيدًا إلى التأهب والاستعداد، فهناك من يعرف عن كهف العجائب غير سيده!!

يُصدر صوٌتها بعض النغمات العربية التي تُدندنها وهي تتجوٌل في السوق، رغم أن هذا السوق لا يُشبه الأسواق العربية كليًا إلى أنه آعاد عليها بعض الذكريات التي جمعت بينها وبين أبيها وشقيقها الصغير حينما كان يصطحبهما معه للتبضع بتلك الأسواق الشعبية السورية، ولأنها قضت حياتها تتنقل بين البلدان الغربية لنقل الأخبار، فكان لتلك الذكريات صدًا رائعًا عليها، حتى أنها تجد ابتسماتها تتسع في كل مرة تتعمق فيها أكثر وتشاهد تلك الثياب التي تميٌز بها العراقيون في عصوٌرٍ قديمة.

رفعت أناملها لتضعهم على ثمرة قثاءٍ أكبر حجمًا من القثاء في عالمهم، هذا ما جعلها ترفع هذه الثمرة عاليًا لتتأملها بنظراتٍ شغوفة قطعها هذا الظل وتلك النظرات المُتجهمة:

-ما الذي تفعلينه أيتها اللصة ؟

انتفضت غيّد إثر صراخه الحاد الذي جعل ثمرة القثاء تقفز من يدها وتسقط على الأرض، ما إن لاحظت نظراته واتهاماته حتى بدُلت نبرة صوٌتها المُرتبكة بأخرى مليئة بالغضب اكتسبت الكثير من طبيعتها النسوية وهي تقول:

-من هي هذه اللصة أيها البرغوت ؟..... هل تظنني سأنكمش وأسمح لك بسبٌي بتلك البزاءة أيها المنحل عديم المروءة

صرخت بوٌجهه بتلك الكلمات التي جعلته يتعجُب ويفتح فمه بصدمة، لا يعرف مُنذ متى وأصبحت الفتيات بهذه الجرأة، وهو الذي اعتاد على الفتيات وهن يُغطين وجوههن بخمارهن ويتجوٌلن في السوق بحياء، ليس كهذه الفتاة ذات اللسان الذي يتعدٌى طوٌله العديد من الأمتار.

-كيف تتجرأي على سبٌي أيتها العاهرة !! .... أقسم أنني سأعاقبكِ على هذا

اشتعلت عيناه بغضبٍ وهو يبصق أمامها تلك الكلمات التي زمجر بعدهم وأخرج خنجرًا كان متدثرًا بجيبه ليُشهره أمام غيّد التي ازدردت ريقها ولعنت حماقتها وتهوٌرها، كان يجب أن تفرٌ راكضة ولا تتحدث معه من الأساس، لكن كرامتها لم تكن لتسمح لها بتمرير الأمر هكذا، وها هي الآن، ستنتهي هي وكرامتها.

قبل أن ترد عليه وتدافع عن نفسها_أو تفر راكضة_ وجدته يقبض على رسغها بقوة واصل معها الزمجرة بوٌجهها حتى أصبحت رهبتها أضعافًا مضاعفة، شُحب وجهها وهي تجده يُقرٌب الخنجر من رسغها ويواصل سبها وتهديدها حتى شعرت أنه بالفعل سيقطع لسانها كما يقول.

بدأت تتلفت حوٌلها في ذعرٍ لعلها تجد أي من رفاقها لكنها تكتشف أنها وحيدة، فحتى ميليندا التي كانت تتجوٌل معها لا تدري أين ذهبت الآن، طفقت تُتمتم بالأدعية والأذكار بقرارة نفسها ثم حاولت الصراخ بأقصى ما لديها لكن الجميع يلتفت لها

ويرميها بنظراتٍ مُزدرية، فرداءها وشعرها المُنكشف جعلاها تبدو أشبه بالعاهرة أمامهم.

حاولت التملص من قبضته أكثر من مرة لكن جسدها الهزيل كان حائلًا دون ذلك، وجدته يقبض على فكها ويجبرها على فتح فمها حتى يقطع لسانها عقابًا لها عمَ قالت، كانت لا تزال تقاوم وتدفعه بعيدًا عنها على أمل أن تكتسب القليل من الوقت حتى يأتي أصدقائها، لكنها بدلًا من ذلك وجدت أحدهم يقترب من البائع ليدفعه من ثيابه بعيدًا عنها متفوّهًا بطريقة مرحة:

-أشكرك يا رجل .... حمدًا لله أنك وجدتها

قطبت غيِّد حاجبيها وهي تجد هذا الشاب العجيب ذو الصدر العاري والسترة الخفيفة مع بنطاله الأبيض الواسع، كانت تجده يدفع التاجر جانبًا وينتشل خنجره ليمدُّه نحو غيِّد التي كانت متغيِّبة لا تعرف ماذا تفعل.

-هل تعرف هذه العاهرة ؟

سأل التاجر بنبرة غاضبة جعلت الشاب يحاول حجم غضبه بكلماته الكاذبة:

-نعم أعرفها .... هذه شقيقتي....

وجدته يقترب نحو أذن الرجل ليهمس له مُحركًا يديه بطريقة فهمتها جيدًا:

-لا تكترث لمَ تقوله ... فهي مجنونة

سقط فك غيِّد من الغضب إثر تلك الكلمات التي بصقها هذا الشاب الغريب، قبضت على السيف الذي كان معها وكانت على استعدادٍ لقتلهما سوّيًا لولا اقتراب هذا الغريب نحوّها هامسًا:

-سايريني بالحديث...

كان يُريد أن يُخبرها أن تدّعي الجنون حتى تستطيع الهرب من هذا التاجر لكن غيِّد لم توافق على تلك الخطة وأصرّت على الانتقام، فهي لن تسمح بأن ينعتها أحدهم بالعاهرة، ولن تسمح أيضًا أن ينعتها أحدهم بالمجنونة.

-ماذا !! .... هذا مُستحيل ... أقسم أنني سأري هذا التاجر المُتحذلق من هي غيّد خطاب

اشتعل الحريق في عينيها وهي تتقدم نحو التاجر ثم ترفع الخنجر الذي كان معها وتهوّي به على قدمه دون أن تُدرك عوّاقب ما تفعله، فهي فقط تُريد الانتقام.

اتسعت حدقتي الشاب الغريب بذهولٍ من جرأتها غير الطبيعية، فهو لا يعرف أنها اعتادت على تلك الحركات مُنذ بقاءها في هذا المكان، لم تكن تُريد أن تأذي التاجر لكنه آثار حفيظتها وأهانها أمام الجميع، وهي لن تسمح أن يهينها أحد، حتى ولو كانوا في عالمٍ آخر، الأمر الذي جعلها تضربه في فخذه وتجعله يُطلق تأوهًا عاليًا وهو يمسك فخذه المجروح رغم أن جرحه كان سطحيًا لا يُذرف سوى القليل من الدماء.

اشتعلت نظرات التاجر أكثر حتى اعتقدت غيّد أنه سيتحوّل إلى وحشٍ مُفترس، بدأ العرق ينساب على جبهتها وشُحب وجهها حتى تحوّل إلى اللون الأبيض، تلفتت حوّلها لتستنجد بأحد رفاقها لكنها لا تجدهم للمرة الثانية، بل تجد مكانهم المزيد من النظرات الغاضبة والمشتعلة التي جعلتها تزدرد ريقها في رُعب، كان هذا قبل أن تجد مجموعة من الحراس يهرعون نحوّها ليقبضوا على هذه " المُجرمة"

تصلبت غيّد مكانها وهي تجد الحراس يقتربون نحوها وكادت قدماها تهوّيان على الأرض من شدة الرهبة، وجدت هذا الغريب يجذبها من ذراعها ويركض معها بعيدًا عن الحرس.

-هيا بسرعة...

كان يصرخ بها وهو يركض بجوارها حتى استجابت غيّد له وبدأت تركض بأقصى ما لديها حتى تفرّ من أولئك الرجال، اخترقوا سوّيًا الأسواق المحلية وقام الغريب بإلقاء دوّرقٍ من النفط ساعد على عركلة حركة الحراس وجعلهم يتضاربون ببعضهم، ساعد غيّد على الصعوّد فوق أحد الصناديق والقفز من إحدى النوافذ وكانت هي أكثر رشاقة بسبب اعتيادها على تلك المطاردات.

اصطدمت بمجموعة من الفتيات الحسناوات ذات مستحضرات التجميل الزائدة لكنها تجاهلتهن وواصلت الهرولة حتى قفزت من الجهة الأخرى ما إن استمعت إلى

صوّت الحراس يتعالى من خلفها، كان يجذب ذراعها وهو يهرول معها بسرعة فائقة لا تعلم من أين أتى بها، فهو يبدو رشيقًا ويبدو وكأنه متمرسًا في تلك الأمور.

جذبها نحو إحدى الأبنية الطوّبية فصعدا الدرجات المُهترئة وكان الحراس لا يزالوا يواصلون الركض خلفهم حتى وثبت غيّد أعلى البناية تحاول التقاط أنفاسها من كثرة الركض.

-أين سنذهب ؟

قالتها بصوّتٍ مُتُقطعٍ حاولت معه التقاط أنفاسها والحدُّ من قطرات عرقها المنسابة، كان هذا قبل أن تجده يقترب من حافة البناية ويلتقط إحدى العصي الخشبية، انقبضت أوزارها أكثر حينما استمعت إلى أقدام الحرس وهي تهروّل أكثر نحوهما، لكنها تجد هذا الغريب يُثبت هذه العصا على الأرض ويتشبث بها جيّدًا قبل أن يلتفت لها متفوّهًا:

-قلّدي ما سأفعله ... اتفقنا ؟

احتفظت غيّد بصمتها واكتفت بإيماءة بسيطة اعتلت رأسها حتى وجدت الغريب يقفز بالعصا وينتقل إلى البناية المجاورة ثم يدفع العصا نحوّها حتى تفعل المثل ويتخلص كلاهما من تلك المطاردة؛ ازدردت ريقها بخوّف ولم تكن تستطيع الحِراك، تعرف أنها لن تقدر على قفزة كهذه رغم ما مرّت به من مغامرات.

-هيا .... إقفزي

كان يُشجعها من الجهة الأخرى لتزدرد ريقها أكثر ويطغي الخوّف على جنباتها، أمسكت العصا بيدانٍ مُرتجفتان وبدأت تتلو ما تتذكره من الآيات والأدعية، تزداد رهبتها أكثر كلما خفضت عينيها لأسفل لترى المسافة ما بينها وبين الأرض، زادت نبضات قلبها وحاولت التهدئة من روّعها وهي تتشبث بالعصا تقاوم ترددها، تقسم أن هذه محاولة للانتحار وليست محاولة للهرب.

-أسرعي...

حاول تشجيعها أكثر بتلك الكلمات فازدردت ريقها بصعوبة وسرقت أنفاسًا متتالية قبل أن تندفع بجسدها صوّب العصا لتشعر بعدها بالهواء يلفح جنباتها، لم تشأ أن

تفتح عينيها وهي تقفز هكذا لكنها شعرت بجسدها وهو يهوِّي على الأرض ويداه تحاولان انتشالها ومساعدتها على الوثوب، كانت أعضاءها متراخية لا تستطيع التوازن لكنه ساعدها لسببٍ لا تعلمه، وجدته يواصل دفعها حتى اختبأ معها داخل إحدى الأبنية المُهترئة.

كانت تستند على الحائط بظهرها أمامه، تحاول التقاط أنفاسها قدر الإمكان ثم ترفع نظراتها نحو هذا الغريب الذي أتى لمساعدتها وكأنه مُنقذُ من السماء:

-شُكرًا لك...

قالتها بامتنانٍ طغى على إعياءها ورهبتها التي لا تزال كامنة تُلطخ ملامحها، وجدته يبتسم لها ابتسامة هادئة ثم يُخرج نظراته من نافذة البناية بحثًا عن أي حارسٍ يبحث عنهما، وما إن تأكد من عدم وجود أيٌ منهم، حتى عاود الالتفات نحوها وهو يقول:

-ما رأيكِ أن نختبيءٍ في مكانٍ آمن ؟

قالها بابتسامة واسعة جعلتها تُمعن التحديق به وتكتفي بالصمت لكنها تنقبض مرة واحدة عندما تستمع إلى صوِّت واحدٍ من الحراس وهو يواصل البحث عنها، لا تعلم أين سيأخذها هذا الغريب لكنها تُريد النجاة بأية طريقة، هذا ما جعلها تردف باستسلام:

-حسنًا....

ضاعت ميليندا بين هذه الأسواق المحلية التي لا تجدها بكثرة في دوِّلتها، فهي لم تسافر خارج الدوِّل الغربية، اكتفت فقط بالسفر إلى انجلترا بإحدى المنح الدراسية لتكتشف أن انجلترا لا تختلف كثيرًا عن دوِّلتها، بقيت تتنقل بين أسواق العطور والبهارات، تطالع كل شيءٍ بعينيها وتتجاهل تلك النظرات الغريبة التي تُلقي عليها وكأنها غريبة، لا يوجد الكثير من الفتيات في السوق وهذا ما آثار غرابتها، لكنها تواصل السير على كل حالٍ حتى شعرت بنفاد الوُقت وانحدار الشمس لتترك المجال للقمر أن يتوِّلى الأمور.

أحست بصوّت الهرج والمرج فجأة وهرولة الحرس في كل مكان، لم تكن تنتبه إلى تلك المطاردة لأنها بعالم الخيال، فأي شيءٍ قد يحدث هنا، وقد تعلمت ألا تتدخل بالأحداث مهما حدث، لذلك قررت أن تتجاهل الحراس وتتجاهل تلك المطاردة لتواصل سيرها بهدوءٍ وسكينة، فهي لا تعرف أن غيّد هي سبب هذه المطاردة!!

تلفتت حوّلها في كل مكانٍ على أمل أن تعثر على غيّد لكنها لا تجدها أبدًا، أرهقتها قدماها من كثرة السيّر وبدأ يطغي عليها هالة من فُقدان الأمل التي تتحوّل تدريجيًا إلى القلق والرهبة، بدأت الشمس بالانحدار ولا تزال غيّد مُتغيبة لا تعرف عنها شيئًا، الأمر الذي زاد من ذعرها وجعلها تتحرك صوّب كاتي وسامي الواثبان بإحدى البقاع يتنعمان بالهدوءِ والسكينة.

كان الذعر يطغي على معاني وجهها وهي تقول:

-رفاق ... لا أعثر على غيّد ... بحثتُ عنها في كل مكان

ولج قلبيهما وبدأ القلق ينهش أفئدتهما، ابتعدت كاتي عن الحائط لتُطالع نظراتها المذعورة وتقول:

-لنبحث عنها مُجددًا ... أسرعي

جذبت ذراع ميليندا كي تدفعها أمامها ويبدأا البحث عنها بينما أردف سامي مقررًا:

-سأذهب إلى مارك وحكيم .... لعلهما يساعدانا....

جحظت عينا مارك وهو يقف مذهولًا أمام رجلٌ يضع عمة كبيرة على رأسه ويُغلق عينيه وهو يجلس مُتربعًا على قدميه غالقًا عينيه وغارقًا في سُباتٍ عميقٍ جعله يرتفع عن الأرض بضعة أمتار، ويتكيء على صوّلجانٍ يُشبه أفعة كبيرة، كان حكيم يقف بجواره بنفس حالة الذهول التي جعلتهما أشبه بمن يشاهد تُحفة أثرية، اقترب قليلًا نحو مارك حتى يهمس بأذنه:

-هل تحوّل إلى تمثال ؟

آجابه مارك بنفس تلك النبرة الهامسة:

-إنه نوٌعٌ من التأمل .... أعتقد أنه الآن في عالمٍ آخر

رفع حكيم حاجبيه بذهولٍ أردف معه باستنتاج:

-هل هكذا نبدو في عالمنا ؟

ما كاد يُجيبه مارك حتى استمعا إلى ضجة عالية تخترق أذنيهما وتجتمع مع أصوات الأقدام الخاصة بالرعايا، التفت مارك حوّله ليرى هذا التجمع الهائل فترك ما كان يفعله وتقدم نحوهم فوّرًا ليرضي فضوله ورغبته بمعرفة ما يحدث، تبعه حكيم بنفس الخطوات الفضولية التي أوقفت كلاهما أمام بوابة القصر الخاص بالخليفة، وجدا باب القصر يتم فتحه بحركة بطيئة روتينية حتى ظهر من خلالهم أميرًا يرتدي بزة بنفسجية مُطرزة مع عمامة أنيقة مُرصعة بحبيبات الألماظ، كان يمتطي فرسه بشموخٍ وينظر إلى العامة بنظراتٍ مُتعالية.

سمحوا له بالتحرك أمامهم ليرحل عن القصر خائب الرجا، فقد تم رفضه من الأميرة مرة ثانية، لكنه سيحاول مرة أخرى، فوالدها سيجبرها على الزواج منه على أي حال.

-إنظر يا صاح .... هذا الرجل يرتدي مثل الفتيات

قالها مارك بصوّتٍ مسموعٍ ساخرٍ وهو يُشير على الأمير الذي يرتدي بزة بنفسجية، وكان حكيم يُقهقه بسُخرية ويُضيف على حديثه:

-أو ربما هو فتاة ويرتدي مثل الرجال

انفجر مارك بالضحك بينما اشتعلت نظرات الأمير أحمد الذي استمع إلى همسهما الساخر وهو الذي لن يسمح بذلك أبدًا، وجداه يتوّقف بخيله أمامهما متفوّهًا:

-من الذي يتجرأ ويسخر مني ؟

انعكس ظلُّه عليهما وهو يتحدث بتلك النبرة الجهورية التي جعلت مارك يرمقه باستخفافٍ يسأل معه:

-هل يوّجه لنا هذا السؤال ؟

-لا أعرف ... ربما

آجابه حكيم بتلك الكلمات المُستخفة اللامبالية والتي ساعدت على زيادة غليان الأمير وزمجرته بوٌجهيهما:

-هل تتخليان عن حياتكما أيها الصعلوقان المُتحذلقان ؟

قطب حكيم حاجبيه بغضبٍ من سبه لهما والذي جعله يتقدم خطوة للأمام كي يرُد على الأمير بنبرة حادة:

-مُن هُما هذان الصعلوقان أيها المتعنت .... مهلًا، ما معنى صعلوقان من الأساس ؟

أنهى حديثه المُتجهم بسؤالٍ جهل معه معنى هذه الكلمة، وما كاد مارك يتدخل بطبيعته العلمية كي يشرح له معنى هذه الكلمة أمام نظرات الأمير المتجهمة حتى وجدوا سامي يهرول نحوهما ليخترقهما ويقف أمام الأمير الغاضب محاولًا أن يحجم غضبه بكلماته المُعتذرة:

-أعتذر أيها الأمير .... لم يقصدا

أشهر الأمير سبابته أمامهم بغضبٍ جامٍ جعل خاتمه الكبير يبرز للعيان وهو يهتف:

-لا أريد اعتذارًا منك .... أريد هذان الأجربان أن يعتذران ويركعان أسفل حصاني

أطبق مارك على شفتيه من هذا الأمير المُتعنت الذي يُريدهما أن يركعا أسفل أقدامه، وهو الذي لن يقبل بهذا أبدًا، حتى ولو ذهبت حياته بالمقابل، فهو قد أقسم على ألا يتذلل لأحدهم مرة أخرى؛ الأمر الذي جعل عيناه تشتعلان بغضبٍ وخطواته تتقدم للأمام نحو الأمير حتى وثب أمام حصانه مباشرة، أحنى جذعه على الأرض عازمًا على التقاط إحدى الحِصي وإلقاءها على وجه هذا المغرور ولسانه لا يتوٌقف عن سبه، لكن الأمير باغته بحركة مفاجئة بحصانه جعلت الحصة تصطدم برقبة الخيل فيُصدر صهيله ويرتفع بجذعه الأعلى كحركة يُعبٌر بها عن خوٌفه، هذا ما فاجأ الأمير وجعله يفقد التحكم بحصانه ويسقط على ظهره مُتمرمغًا في الوحل.

انفجر الرعية بالضحك وكانت ضحكاتهم مكتومة حتى لا ينالوا عقوبة هذا الأمير المغرور، بينما انفجر كلٌ من سامي وحكيم ومارك بالضحك وطفقا يسخران من هذا الأمير الذي أضحى أشبه بالغول بعد تمرمغه في الوحل، وجداه يثب عن الأرض والعواصف تنطلق من عينيه بعد أن فاض به الكيل، كان صامتًا في باديء الأمر مما زاد من قلقهم لعلمهم جيدًا أن هذا الهدوء هو الهدوء الذي يسبق العاصفة، فما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى وجدوه ينفجر بحراسه وهو يُشير على ثلاثتهم:

-أمسكـــوا بهم....

ازدرد سامي ريقه بخوٌف وكذلك بقيتهم وهم يرمقون الحراس يتقدمون من كل حدبٍ وصوٌب ومعهم أسلحتهم وسيوفهم، جذب سامي يد حكيم ودفعه ليهرول أمامه بينما سبقهم مارك وطفق يركض بكل ما أوتي من قوة حتى لا يُقبض عليهم، اصطدموا بالعديد من الرعايا في طريقهم لكنهم اعتذروا بسُرعة وواصلوا الهرولة كما يفعلون كل مرة.

-ألا تستطيعان البقاء دون أن تفتعلا المصائب ولو مرة واحدة ؟

سألهما سامي بنبرة غاضبة وهو يواصل الهرولة ليُجيبه مارك مبررًا بصبيانية:

-ماذا !! ... ألم ترى كيف كان يسبٌنا ؟

زفر سامي بفُقدان صبرٍ منهما وواصل الهرولة رغم أنه يعرف أنه لم يرتكب شيئًا، لا يعرف حتى كيف أقحماه معه في هذا الأمر...

اصطدما بأحد الأسواق المحلية الخاصة ببيع البهار فتلتطخ وجه مارك بنوٌعٍ من البهار الأحمر الذي جعله يسعل بحدة وتنتشر الأدخنة من حوٌله، لكن سامي جذبه من سترته وواصل الهرولة معه بين الأزقة حتى توٌقفوا عند بائعٍ للفاكهة، وجدوا فتاةُ عربية تشهق بفزعٍ أمام بائعٍ جائلٍ يحمل معه سيفًا ويتمسك برسغها بحدة، اصطدم سامي بهذا البائع أثناء ركضه مما جعل سيفه يسقط على الأرض، هذا ما زاد من زمجرة البائع وجعله يلتفت إلى ذاك الذي اصطدم به.

-أوه ... أعتذر

قالها سامي باعتذارٍ لاحظ معه نظرات الفتاة المُستنجدة والبائع الغاضب الذي عزم على استعادة سيفه مُجددًا لمواصلة ما كان يفعله، شك سامي بهذا الأمر وتأكد أن ما يحدث هنا جنونيًا، أكثر جنونًا وفوّضى من العالم العربي الحقيقي، وهذا كان متوّقعًا، فهذا لم يكن سوى عالمًا عربيًا بمنظورٍ غربي، لذلك لن يتفاجأ إذا كان أكثر تشددًا وفوضوية.

ارتعدت أوصال الفتاة حينما وجدت البائع يستعيد سيفه ويرمقها بنظراتٍ حادة، الأمر الذي أشعل مروءة سامي وجعله يقف أمام الفتاة مدافعًا عنها:

-ماذا تفعل يا صاح ؟

حاول البائع أن يدفع سامي بعيدًا عن وجهه وهو يقول:

-إغرب عن وجهي .... يجب معاقبة هذه السارقة

رفع سيفه مُجددًا وكاد يجذب رسغ الفتاة لولا حركة سامي المفاجئة التي فعلها وهو يجذبها بسرعة ويدفعها للهرولة معهم بعيدًا عن الحراس الذين كانوا يلاحقونهم؛ زاد غضب البائع بعدها وبدأ يصيح بغضبٍ ويخبر الحراس عن أماكنهم.

أمسك سامي رسغ هذه الغريبة وبقي يدفعها للهرولة معهم دون أن يعرف من هي حتى، فهو فقط يساعدها، وجد حكيم ومارك يختبئان خلف أحد الأبنية يستندان على الحائط بظهريهما ويتنفسان بصعوبة بالغة بسبب كثرة الهرولة.

-أعتقد أننا نجوّنا

قالها حكيم بنبرة مبحوحة مطمئنة بعد أن تأكد من اختفاء الحراس وعدم وجود من يلاحقهم، لازال يلهث من كثرة الركض لكنه لاحظ مجيء سامي ومعه هذه الفتاة الغريبة؛ قطب مارك حاجبيه وهو يُشير عليها متسائلًا:

-من هذه ؟

توّترت الفتاة قليلًا وما كادت تنبس بكلمة حتى تدخل سامي مُعللًا:

-لا أعرف ... لكنها بحاجة للمساعدة

تقدمت بخطواتٍ مترددة صوّبهم وكان ينبعث من عينيها نظراتٌ ممتنة قالت معها:

-شكرًا لكم على إنقاذي ... لن أنسى لكم هذا أبدًا

وجهت نظراتها صوّب سامي خاصة لأنه من أنقذها وكان هو يرميها بنظراتٍ هادئة يُريد أن يُخبرها أن هذا لم ينبع سوى من شهامته ومروئته فقط لكنه لاذ بالصمت وبقي مُستندًا على الجدار يحاول التقاط أنفاسه حتى يستطيع التفكير فيما سيفعلونه بالخطوة التالية، فلازالت المطاردة قائمة لم تنتهي بعد.

-هيا بنا .... لا يجب أن نبقى هنا

قالها سامي بعد فترة من الصمت وبعد أن استجمع أنفاسه، لكن حكيم كان يعارض حديثه بكلماتٍ واثقة:

-ولماذا سنرحل ؟ ... نحن في مكانٍ آمن .... لا يُمكن للشُرطة أن تعثر علينا هنا

استمع إلى صوّت السيوف تصطك فجأة خلف أذنه وتجتمع مع شهقاتهم المتفاجئة، كانت الفتاة تُغطي ثغرها بكف يدها وكان مارك يزدرد ريقه بهلعٍ ويُخبر حكيم ألا يلتفت خلفه حتى لا تباغته هذه الصدمة هو الآخر، لكن حكيم لم ينصت إليه وبدأ يلتفت خلفه بحركاتٍ آلية أوقفها حينما تفاجأ بمجموعة من العساكر لا يعرف من أين أتوا، لكنهم آحاطوهم من كل حدبٍ وصوّب!!

أزاحت غيّد بعض الخشبات التي عركلت طريقها وهي تدلف هذه الحجرة المُهدمة والمغطاة برقعة بالية من الأقمشة، كان الشاب الغريب يساعدها على السير وصعود الخشبات المتعرجة مما جعلها أكثر ارتباكًا، لا تزال تعثر على أصدقائها ولا تريد أن تختلط بأناس هذا العالم.

-هل تسكن هنا ؟

سألته غيّد بفضولٍ وهي تنتهي من صعود الدرجات وتتفاجأ بقردٍ صغيرٍ يرتدي سترة بنفسجية ويتحرك أمامها ومعه تفاحة حمراء، الأمر الذي جعلها ترميه بابتسامة هادئة من لطافته ثم تواصل السير خلف الغريب الذي كان يُجيبها:

-نعم .... يبدو فقيرًا ... لكنه يطلُّ على منظرٍ رائع

قالها وهو يقترب من النافذة ويزيح القماشة المهترئة ليكشف عن القصر الفاره الأقرب للقصور الهندية، فكان يعتلي العديد من المباني الفقيرة وكأن أموال المدينة قد تجمعت سويًا لبناء هذا القصر، جلست غيِّد على أريكة خشبية صلبة وأمست تُحدق بهذا القصر بنظراتٍ مذهولة:

-أو ... يا لهذه الروّعة !! .... هل هذا القصر أثريًا ؟

سألته بفضولٍ وجهلٍ جعله يقهقه بخفة ويجلس على تلك الأريكة مُجيبًا:

-لا ... هذا قصر الخليفة

همهمت غيِّد بتفهمٍ وبقيت تُحدق بهذا المنظر البديع حتى وجدته يسألها:

-ألم تُخبرينني من أين أنتِ ؟

ألقى نحوّها ثمرة من التفاح الأحمر بطريقة عفوية فالتقطتها غيِّد ورمُته بابتسامة هادئة أخفت معها ارتباكها وعدم رغبتها بالإجابة، فكيف ستُخبره أنها من عالمٍ آخر، عالمٍ لا وجود له هنا من الأساس، لكنها آرادت ألا تضاعف من شكوكه لذلك قررت أن تُجيبه بطريقة ملتوّية:

-وما المُهم في ذلك ؟ ..... سأعيش هنا من الآن فصاعدًا

أنهت الحديث ببسمة واسعة وكأنها تُرحب بالبقاء في هذا العالم المجنون، تفاجأت أيضًا من ظهور ملامحه العابسة وهو يجلس على ركبتيه بالقُرب منها يأخذ قضمة من تفاحته ثم يقول بما يجيش به صدره:

-الحياة هنا ليست بهذه السهولة .... نحن لا نفعل شيئًا سوى البحث عن الطعام، والهروب من العساكر

طالعته ببعض الشفقة بسبب نظراته الغائرة وضيقه من تلك الحياة، لا تُريد أن تُخبره أن حياتها أكثر تعاسة وأنها لا تهرب فقط من العساكر بل تهرب من جميع الأمور، هي حتى لا تريد أن تذهب إلى بلدتها خوّفًا من تذكرٌ تلك الذكريات التي تحاول الفرار منها.

-هذا ما نفعله بكل مكان ... صدقني، الأهم من السرقة والهرب .... هو إحاطتك بمن تُحب، وقتها ستتناسى أنك فقيرًا

حاولت مواساته بتلك الكلمات الحانية التي زادته عبوسًا وجعلته ينحني بجذعه ليستند بمرفقية على ركبتيه ويضع رأسه بينهما وهو يقول:

-لكنني لستُ محاطًا بمن أحب

-ستعثر عليه ... إن لم يكن موٌجودًا الآن ... فهو سيظهر فيما بعد .... وبدلًا من أن يضحى هدفك العثور على الطعام والهرب، سيضحى هدفك هو العثور على من تُحب

لم تعرف من أين أتتها هذه الكلمات لكنها وجدت لسانها يقولها وكأنها توٌجههم إليها، وكانت تلك الكلمات كدهانٌ لطف على جرح هذا الغريب وجعلته يرفع رأسه نحوها ويتأمل عينيها الزرقاوتين وملامحها العربية الأصيلة التي تجعله يعتقد بالفعل أنها من هذه البلدة، أحست غيٌد بالارتباك فوثبت عن الأريكة قبل أن تنصهر أمامه وتغرق في وحلٍ من المعاصي، أخذت تتجوٌل قليلًا داخل الحُجرة حتى أسندت ظهرها على الحائط متفوٌهة بفضول:

-ألم تُخبرني ما هو اسمك ؟

أخذت قضمة من تفاحتها وبقيت ترمقه بنظرات فضولية جعلت ابتسامته تتسع وهو يثب عن الأريكة ليقترب نحوها متفوٌهًا:

-علاء الدين ... اسمي علاء الدين

توٌقف الطعام بحلقها مرة واحدة وبدأت تسعل بحدة أمام نظراته التي تحوٌلت إلى الغرابة، أدركت أنها في ورطة كبيرة وأنها يجب أن ترحل بأقصى ما لديها من سُرعة، فهي قد ضربت بما قالوه عِرض الحائط.

-هل أنتِ بخير ؟

قالها علاء الدين وهو يرمق سعالها وملامحها التي تغيٌرت مئة وثمانون درجة، وما كادت تتحدث غيٌد حتى باغتتهم هذه الأصوات التي جعلتها تنتفض وتُطلق شهقة

مدوية أسقطت معها تفاحتها وأمست تُحدق بالعساكر الذين استطاعوا أن يخترقوا هذه الحُجرة للقبض عليهما!!

الفصل الثاني والعشرون (المصباح السحري)

مهما تضاربت خطوات الانسان، سينتهي به المطاف في بُقعة واحدة .... جوٌف المخاطر!!

تصلُّب جسدها وهي تستمع إلى تلك الأصوات التي تضرب أذنها كمطرقة حادة تعزم على تفجير رأسها، بقيت تتلفت حوٌلها في تيهٍ بحثًا عن أي مخرجٍ من هذا المأزق، لا تعرف لماذا كلما حاولت الهرب من كارثة ما تجد ذاتها في كارثة أكبر، حتى أنها بدأت تتناسى ما تعنيه كلمة حياة هادئة من كثرة الكوارث التي تتوٌالى على رأسها.

تسارعت نبضات قلبها حتى ظنُّت أنه سيقفز من موٌضعه، حاولت المحافظة على ثباتها والتفكير في هدوءٍ وحكمة لكن الأمر لم يُجدِ نفعًا، حتى كادت تظنُّ أن هذه حتمًا ستضحى نهايتها، التفتت صوٌب علاء الدين لتجده يقف أعلى النافذة يطالع خوٌفها ويحاول تهدئتها بيده الممدة نحوها مع سؤاله:

-هل تثقي بي ؟

كان يحاول حجب خوفها بهذا السؤال الذي توٌقع إجابته لكنه لم يتوٌقع إجابتها هي والتي كانت:

-بالطبع لا أثق بك .... أنا لا أعرفك حتى

وجدت قدماها تصعدان على حافة النافذة تزامنًا مع توٌغل العساكر أكثر وتلوٌيحهم بسيوفهم، لم تكن تعرف سوى كلمة الهرب وهي تقفز من النافذة دون أن تُفكر في العواقب، فقد وجدت قدماها تسوقانها نحو هذا الجنون لعلها تنجو كما نجت أكثر من مرة، وكان علاء الدين يطالعها بتيهٍ يحاول أن يفهم هذه الفتاة العجيبة التي تفتقر للرقة والهشاشة التي يراها بجميع الفتيات هنا، لكنه تجاهل أفكاره مرة واحدة ليقفز خلفها من النافذة حتى يهرب هو الآخر من أولئك العساكر.

تعالت صرخات غيٌد وهي تسقط من أعلى النافذة ويتضارب جسدها بالعديد من الأخشاب التي تتحطم وتفسح لها المجال حتى سقطت على ظهرها فوق تلة هائلة من الرمال؛ طفقت تسعل بحدة وهي تثب عن الأرض وتلوٌح بيدها حتى تُبعد ذرات

الرمال المتناثرة من حوّلها، كان علاء الدين مُستلقٍ بجوارها يثب بسرعة عن الأرض ويجذبها من ذراعها حتى يواصلا الهرب قبل أن يأتي المزيد من العساكر، لكنه لم يلبث أن يتحرك حتى تفاجأ بمن يقبض على ياقة ثيابه ويدفعه بحدة جعلته يسقط على الأرض!!

أطلقت غيّد شهقة مذعورة غطت معها فاهها وهي تجد الجنود يُحيطون بعلاء الدين وعلى وشك القبض عليها هي الأخرى، فكان الجُندي يُشهر سيفه أمامها ويضع قبضته الكبيرة على كتفها حتى تتحرك أمامه ويقوم بزجها بالسجن لتنل عقوبتها، وكانت هي تحاول التملص من قبضته وهي تصرخ بهم:

-إتركني .... إبتعد أيها الدُب...

لم يكترث الجُندي لصُراخها وحركاتها العشوائية وكاد يُكبل رسغيها بالغلال هي وعلاء الدين لولا وضعها ليدها بجعبتها وإخراجها لهاتفها المحمول الذي كان غريبًا بالنسبة لهذا العالم، وهذا ما آرادته بالضبط.

-إبتعدوا وإلا فجرت هذه القُنبلة

قالتها بكذبٍ وتهديدٍ رفعت معهما هاتفها لتتصلب أهدابهم مرة واحدة وتسقط أفواههم في ذهول، فلا أحد منهم يفقه هذا الشيء الذي تحمله والذي ربما يضحى شيئًا خطيرًا.

-هذه قُنبلة خطيرة ..... سأفجرها إذا أخذتمونا

لطخت حديثها بالتهديد وهي ترمقهم بنظراتٍ ثاقبة جادة جعلت الارتعاد يطغي على قلوبهم، لازالت نظراتهم الحائرة تُحدق بهذا الشيء الذي تحمله غيّد وترفعه لأعلى وكأنه سينفجر بالفعل.

لاحت بودار الصمت على وجوههم لبرهة حتى شعر أحد العساكر بكذبها وقرر أن يتجاهلها ويواصل تقييدهما، لكن غيّد حركت إصبعها ليظهر أمامهم مصدر الضوّء الذي ينبعث من الهاتف، فكان شعاعًا أحمر اللوّن يرمز إلى سلامة الهاتف وقابليته للاستخدام، رغم أنها تعلم جيدًا أنه لن يعمل في هذا البُعد.

بدأت أطرافهم ترتجف أكثر حينما فاجئهم هذا الضوّء مع كلمات غيّد الجادة:

-ها هي ستنفجر .... واحد ... إثنان...

بدأت بالعد ببطء لتزيدهم رهبة وكانت تضع إصبعها على الزِر القابع بمُنتصف الهاتف وكأنها سُتشعل فتيل القُنبلة، الأمر الذي جعل الجنود يزدادون خوًّفًا واضطرابًا حتى تقهقرت أقدامهم للوراء وبدأوا بالهرولة بأقصى ما لديهم، قبل أن تُفجر غيِّد " القنبلة"

أطلقت غيِّد زفرة مُرتاحة من جوِّفها بعد رحيل العساكر، ثم وضعت هاتفها بجعبتها لتُلاحظ فيما بعد نظرات علاء الدين المليئة بالرهبة:

-لا تقلق ... ليست قُنبلة

قالتها وهي تضع الهاتف بجعبتها حتى تحاول طمئنته، لا تعرف أن نظراته كانت أقرب للتعجب وليست نظراتًا خائفة:

-ألم تُخبريني من أنتِ ؟

سألها بعد فترة من الصمت والحيرة لتعود هي إلى واقعها وتتأكد أن عليها الرحيل، فلا يجب أن يحدث هذا، هكذا سينتهي بهم المطاف كما تنتهي جميع الحكايات؛ لذلك آرادت أن تختصر الحديث وتلوذ بالهرب قبل أن يتطوِّر الأمر:

-لا يُهم ... لن تحتاجني على أي حال

بصقت هذه الكلمات وهي تبتعد عنه بخطواتٍ سريعة حاول علاء الدين أن يوِّقفها بكلماته:

-انتظري .... هل سآراكِ مُجددًا ؟

كانت كلماته أقرب إلى الرجاء مما جعل الارتباك يطغي على جنباتها، لكنها مع ذلك حافظت على ثباتها وهي تختصر الحديث:

-أخبرتك أنك لن تحتاجني

هروّلت بعد كلماتها بأقصى ما لديها من سُرعة حتى لا يستطيع اللحاق بها والتقرّب منها أكثر، فهي لا تُريد أن تعلق بهذا العالم، ولا تُريد أن تنتهي حياتها هنا، مطاردة أو هاربة، لا يزال لديها أملٌ بالعودة .... أملٌ صغير.

ازدرد مارك ريقه بخوّفٍ وهو يتراجع بضع خطواتٍ للوراء حتى التصق بالحائط وبات الجنود يحاوطونهم من كل حدبٍ وصوّب، كانت الفتاة الغريبة تختبيء خلف سامي الذي حاول حمايتها فقط من أجل شهامته، ظلّلتهم هذه الجدران البشرية وكانت السيوف الحادة تلمع أمام أعينهم؛ حاول حكيم التحكم في ثباته وهو يتراجع للوراء حتى التصق بسامي ووقف بجواره أمام هذه الفتاة، وكان الجندي يتقدم نحوّهم حتى قبض على مارك من ياقة ثيابه ودفعه بحدة صوّب الجنود ليتم تكبيله رغم محاولات مارك للتملص من قبضتهم.

حاول حكيم أن يتحرر من تلك القبضة التي آحاطت بعُنقه وكادت تجعله يختنق بينما كان سامي ثابتًا مكانه يُطالعهم بنظراتٍ ثاقبة لا يرغب معها أن يتزعزع من موّضعه، فكان يركل الجنود بقدمه ويصرخ بهم بصوّتٍ جهوري حتى يبتعدوا لكنهم لا يكترثون لصراخه ويتجمعون حوّله للقبض على ذراعه ودفعه حتى يتم تقييده مع رفيقيه، وكانت الفتاة تضرب الجنود بأناملها الرقيقة وصرخاتها الخافتة:

-إتركوهم .... أنا آمركم أن تتركوهم

قالتها بنظراتٍ غاضبة لم يكترث لها الجنود وواصلوا تقييدهم وكأنها لا تتحدث، كان هذا قبل أن تكشف عن خُصلاتها السوّداء وتلك الجوّهرة التي تُحيط بتاجها وهي تقول بصرامة:

-أنا الأميرة ياسمين .... وآمركم أن تتركوهم

صمُت الجنود مرة واحدة وبقيوا يطالعونها بنظراتٍ مذهولة انتهت بانحنائهم للأميرة، بينما كانت الصدمة تعتلي وجه كلًا من سامي الذي لعن حماقته وحكيم ومارك اللذان تبادلا النظرات في تيّه وظنُا أنهم في كارثة كبيرة.

-مولاتي العزيزة .... ما الذي أخرجكِ من القصر ؟

قالها أحد الجنود بنبرة راقية مُهذبة فآجابته الأميرة بغضب:

-ليس من شأنك .... هيا، اتركهم الآن

أنهت الحديث بكلماتٍ آمرة مع نبرة صارمة آشارت معها عليهم لكن الجنود لم يكترثوا لها وواصلوا تقييدهم وهم يقولون:

-عفوًا موٌلاتي .... هذه أوامر الوزير جعفر

اتسعت حدقتي الأميرة برهبة وغضبٍ من عدم استجابتهم لأوامرها، فمن هذا الوزير حتى يستجيبوا لتعليماته ولا يستجيبوا لتعليماتها هي ؟ أليست هي ابنة الخليفة ؟؟

ازداد خوٌف الأميرة وهي تراهم يجذبونهم نحو العربة حتى يتم نقلهم إلى سجن ويأخذونها هي عنوة لتعود إلى قصرها وحياتها الروتينية المملة، وكان سامي وبقيتهم في حالة من الصدمة والتيه، لا يعرفوا أين سيذهبوا، وكيف سينتهي بهم المطاف، لكنهم مُتيقنون أنهم في ورطة .... ورطة كبيرة!!

انحدرت الشمس وباتت العُتمة تكتنف طيّات المدينة، أهلكتها قدماها وهي تتحرك لساعات بين الأسواق التي أغلقت وحلٌ محلها السكون والرخاء، كانت كاتي تتجوٌل بجوارها بحثًا عن غيٌد وعن بقيتهم بلا فائدة، لا تعرف كيف تفرقوا هكذا ولا تعرف أي كارثة حلُت عليهم، ألا يجب أن يشعروا بالهدوء ولو لمرة واحدة!!
أطلقت ميليندا زفراتٍ سائمة من جوٌفها بعد أن توٌقفت عن السير لتلتقط أنفاسها حتى تقول بنفاد صبر:

-لا يوجد لها أثر ؟ أين اختفت هذه .... وأين مارك وسامي وحكيم ؟

زاغت عينا كاتي في كل مكانٍ على أمل أن تعثر على أي دليلٍ يقودهما إلى بقيتهم، لكنها لا تجد وهذا ما يزيدها قلقًا:

-لا أعرف .... أخشى أن تُصيبهم صائبة ؟

عاودت التحرك مجددًا بخطواتٍ شاردة غمرتها أصوات الحشرات الليلية وتلاطم الرياح، كان اليأس يحُيطهما ويُغرق عالمهما حتى توّقفا مرة واحدة إثر هذه الأقدام المهرولة التي تقترب نحوهما والتي تختص بواحدة من رفاقهم.

-غيُّــد!!

قالتها ميليندا بتفاجؤٍ حالما ظهرت غيُّد أمامهما بشعرٍ مُشعثٍ يبدو عليه الإرهاق وأنفاسٌ تتلاحق وكأنها كانت في سِباق، لم تتحدث غيُّد في باديء الأمر وكانت تحني جذعها لأسفل تحاول التقاط أنفاسها لأنها كانت تهرول طوال الوقت، تهرب من العساكر ومن علاء الدين.

-أين اختفيتِ ؟ ... وما الذي حدث ؟

سألت كاتي بفضولٍ وقلقٍ جعل غيُّد ترفع جذعها لأعلى ويزداد التوّتر على جنباتها، فهي لا تعرف كيف تُخبرهما أنها عبثت بتلك الحكاية وربما تتسبب بعلقهم هنا، لكنها لا يجب أن تخفي عنهما الأمر حتى يعثروا على حلٍ لتلك المُعضلة.

طال صمتها أكثر من اللازم حتى تستجمع كلماتها وتعثر على طريقة مُثلى لتُخبرهما بكارثتها، تعرف أنهما سيثوران وربما يُفتكان بها لكنها لا تملك حلًا آخرًا.

-ماذا !! ... ما الذي حدث ؟

سألتها ميليندا بنفاد صبرٍ حتى تتحدث غيُّد وتحجم قلقهما، لا تعرف أن غيُّد ستزيد قلقهما أضعافًا حينما تُخبرهما حقيقة الأمر.

-هناك ما يجب أن تعرفانه .... أنا لم أكن في مكانًا عاديًا

بدأت الحديث بتلك الكلمات الافتتاحية لعلها تُمهد لهما الأمر؛ لكنها وجدت ميليندا تبتسم ابتسامة ساخرة وهي تُعلق على حديثها:

-ماذا ؟ ..... هل كُنتِ بالفضاء ؟

لم تتفاعل غيُّد مع سُخريتها واكتفت بمعاني وجهها المرتبكة وهي تزيح نظراتها عنهما متفوّهة:

-لا ... كُنت مع علاء الدين!!

تسلل ضوّء القمر داخل هذه الحُجرة الضيُقة الحجرية، التي ينطلق منها الأدخنة، يجلس مارك على رُكبتية يستند برأسه على باطن كفه وعقله شاردٌ في عالمٍ آخر، بينما كان حكيم يتمدد على ظهره واضعًا يديه خلف رقبته وكأنه يجلس أمام الشاطيء، أما عن سامي، فكان الغضب ينطلق من عينيه وهو يتحرك في أرجاء الزنزانة ويرميهما بنظراتٍ متوّعدة هتف معها:

-هل أنتما صبيّان ؟ .... ألا يوجد لديكما عقلٌ تفكران به ولو مرة واحدة!!

زفر مارك بضجرٍ من تكراره لتلك الكلمات وكأنهما ارتكبا خطئًا فادحًا، حسنًا، هما ارتكبا خطئًا فادحًا بالفعل.

كان حكيم يطالع سامي ببرودٍ وكأنه اعتاد على هذه الأمور، فهذه ليست أول مرة يُسجن بها في ذاك العالم، لهذا السبب كان يتحدث ببرودٍ زاد من غضب سامي:

-ويحك سام ..... لا تنفجر أمامنا .... إذهب إلى ذاك الجدار وانفجر بالقُرب منه، ربما نستطيع التحرر وقتها

أنهى الحديث بمُزاحٍ جعل سامي يشطاط من الغضب ويكاد يكيل له اللكمات، فكان يقترب نحوه بنظرات حانقة قطعها مارك بقوله:

-رفاق ... هناك كارثة أكبر .... الأميرة ياسمين كانت معنا ... هل تعتقدوا أننا أفسدنا الحكاية ؟

سألهما بقلقٍ لاعتقاده بأنهم أفسدوا الأمور، فمجرد غلطة واحدة صغيرة، أصبحوا الآن في جوّف المهالك، وما كاد سامي يحاول طمأنتهم حتى استمعوا إلى أقدام هادئة تقترب نحوهم.

التفت سامي صوّب هذه الأقدام كما التفت بقيتهم ليتفاجئوا بظهور هذا الكهل الأحدب بثيابه الرثة ولحيته البيضاء الكثيفة، كانت عيناه بارزتان آثارت بهم الرُعب، وجسده

نحيلٌ يكاد يقترب من الهيكل العظمي، كما كان يتحرك بصعوبة ويتكيءٍ على عصاه الخشبية العتيقة:

-لا تفقدوا الأمل أيها الشُجعان

لوّح بسبابته وهو يتحدث ويقترب نحوهم مما زاد من تعجبهم وحيرتهم، اعتدل مارك في جلسته وبدأ يسأل بحاجبين مُقطبين:

-من أنت ؟

-أنا مسجونٌ مثلكم .... لكنني أحمل مفتاح النجاة

هكذا قال العجوز بنبرة غامضة زادت من حيرتهم وجعلت حكيم يسأل:

-ولماذا لم ترحل إذا ؟

اقترب العجوز نحو حكيم ليبتسم بوجهه وتظهر أسنانه المُتسخة مع بعض الأسنان الذهبية اللامعة التي زادت من غرابته.

-لأنني رجلٌ عجوز .... أحتاج إلى من يساعدني للعثور على الكِنز

قطّب سامي حاجبيه وهو يسأل بجهل:

-أي كنزِ ؟

التفت العجوز صوّب سامي حتى يُجيبه بنبرته العميقة:

-كهف العجائب

اتسعت حدقتي سامي بعد هذه الكلمة ليقرر بعدها أن يُنهي هذا الحديث ويتخلص من ذاك العجوز قبل أن يتدخلوا أكثر بهذه الحكاية، لكنه قبل أن يتحدث، وجد مارك يتدخل بفضول:

-وماذا يوجد بهذا الكهف ؟

-يوجد به كنوز العالم .... المال والياقوت

قالها العجوز بنبرة قصصية زادت من لهفتهم وحماسهم، وكان سامي يُريد إنهاء الحديث مُتذكرًا ما قالته كاتي عن تلك الحكاية، فهي أيضًا قد أخبرته عن ذاك الكهف، وهي كذلك من حذرٌتهم من التدخل في الحكايات، لهذا السبب وثب أمام العجوز هاتفًا بكلماتٍ صارمة:

-لا .... لن نذهب إلى هذا الكهف

تفاجأ العجوز من إجابته القاطعة بينما لاح اليأس على جنباتٍ كلٍ من حكيم ومارك بعد أن ظنٌا أنهما سيُصبحان أثرياء.

-ألا تُريدوا أن تُصبحوا أثرياء ؟

قالها العجوز مُجددًا رغبة في إقناعه لكن سامي حافظ على صلابته وهو يقول برفضٍ تام:

-لا نُريد ... إرحل من هنا واتركنا وشأننا

بقي العجوز في حالة من الصمت يحاول البحث عن أي طريقة لإقناعهم، لكن نظرات سامي الواثقة جعلته يتجه إلى طريقة أخرى، وجدوه يبتعد عنهم قليلًا ثم يقول بنبرة تحمل مزيجًا من التهديد واللامبالاة:

-حسنًأ .... إذًا علي أن أقوم بتوٌديعكم قبل أن يتم إعدامكم بالساحة

احتقن وجه مارك بعد حديث العجوز بينما شُحب حكيم وبات الخوٌف يكتنفه وهو يبادل نظراته ما بين سامي ثم يُعيدها نحو العجوز متسائلًا بهلع:

-هل ... هل سيتم إعدامنا ؟

أومأ العجوز ببرودٍ وهو يؤكد على حديثه ببساطة:

-نعم .... من يأتي هنا ... أما أن يبقى حتى يُصبح كهلًا .... أو يتم إعدامه، وهذا الاحتمال الأكبر

ابتلع مارك ريقه في هلع وبدأت قطرات العرق تنسال على جبهته بينما كان العجوز يبتعد عنهم ويتجه نحو الأدخنة التي بدأت تلتهمه لولا اقتراب مارك نحوه متفوٌهًا:

-انتظر .... نريد أن نرحل من هنا

وجه مارك نظرة عابرة نحو سامي يُخبره من خلالها أنه لا يوجد أمامهم حلٌ آخر، فإذا بقوا هنا فسيتم إعدامهم لا محالة.

توّقف العجوز عن السير وبدأ يقترب نحوهم مجددًا وعلى ثغره ابتسامة واسعة، كان يستند على عكازه وهو يتحرك نحوهم يؤكد على ذهابهم إلى هذا الكهف والمجيء بالمصباح بمقابل تحريرهم من هنا، لم يكن يرغب سامي في هذا الأمر وكان يحاول تحذيرهم أكثر من مرة لكنه في النهاية يضطر مُرغمًا أن يُنفذ ما يقوله العجوز حتى لا يلقى حتفه هنا، بقيوا هكذا حتى وافقوا على صفقة العجوز في نهاية الأمر ولم يعُد أمامهم الآن سوى الذهاب إلى كهف العجائب.

-كيف سنرحل من هذا السجن ؟

سأل حكيم بفضولٍ وهو يبسط ذراعيه حتى يُشير إلى انعدام فُرص الهروب، بينما كان العجوز يقترب نحو الجدار رافعًا عصاه الخشبية التي كان يضغط عليها حتى تزحزحت بعض الحجارة ليكتشفوا فيما بعد أنها بابًا سريًا يصلهم إلى صحراءٍ جرداء كانت تبدو أقرب إلى نيرانٍ هاجرة.

فتح مارك عينيه بذهولٍ وتعجب من عدم العثور على تلك البوابة السرية سابقًا رغم أنه كان يرى حكيم يتجوّل بأريحية في تلك الزنزانة ويقوم بتحليلها كما لو كانت حُجرة نوّمه الجديدة.

-مهلًا .... لماذا بقيت هنا وأنت تعرف طريق العوّدة ؟

سأله بفضولٍ ورغبة بالمعرفة لكن العجوز كان يتجاهله ويُشير لهم حتى يهربوا من تلك البُقعة قبل فوات الأوان، كان حكيم أول الهاربين ويليه مارك الذي لم تفارق نظراته هذا العجوز العجيب، وكان سامي آخر من يرحل من تلك البقعة والاجبار باديٌ عليه، فهو لا يُريد أن يفعل ذلك.

وجدوا أنفسهم في صحراءٍ جرداءٍ مُعتمة لا يُنيرها سوى ضوء القمر الساطع وبعض النجوم المتلألئة، كانت الرياح هاجرة استطاعت أن تُحرك الرمال وتجعلها تُعيق حركاتهم وتتغلغل إلى أعينهم، كان مارك يسعل بحدة ويُغلق عينيه حتى لا

تأذيه هذه الرمال بينما كان حكيم يلوِّح بيده ويتحرك بصعوبة، وسامي يتحرك خلفهما يراقب العجوز بنظراتٍ مترقبة ثم يعثر على طريقة للرحيل من تلك الصحراء لكن محاولاته تبوء بالفشل، فلا يوجد سوى الرمال اللامتناهية.

توَّقفوا عن السير أمام تلة كبيرة أخبرهم العجوز أنها بوابة الكهف، فما إن رفعوا أعينهم حتى تفاجئوا برأس نمرٍ كبير تقبع أمامهم وعيناه ينطلق منهما ضوٌء أبيضٌ ساطع، كان الأمر طبيعيًا في باديء الأمر حتى ظنُّوا أنه مُجرد تمثالٍ لا يتحرك، لكنهم فجأة، وجدوا هذه الرأس تتحرك وينطلق منها صوٌتًا جهوريًا تردد صداه في الأرجاء وجعل أبدانهم ترتعد:

-من هنا ؟... من أنتم ؟

انتفض حكيم في فزع وبدأ يلتصق بجسد سامي ويده تُشير على ذاك التمثال متفوٌهًا:

-الـ... الـ..التمثال يتحدث!!

بينما حدق سامي بوٌجه النمر متفوٌهًا بثبات:

-أدعى سام .... وهذان حكيم ومارك .... نريد أن ندخل

قطب النمر حاجبيه بحنقٍ وبقي يُحدق بهم لفترة وكأنه يتفحصهم ويتأكد من صالحيتهم للدخول، وبعد فترة وجيزة من الصمت عاود الحديث بنبرته الجهورية:

-حسنًا .... لكن لا تلمسوا شيئًا سوى المصباح

فتح النمر جوٌفه لينطلق منه هالة ضوئية جعلتهم يعتقدون أنه يبتلع النيران، باتت نظرات العجوز أكثر لهفة وهو يدعوهم للدخول_ أو يُرغمهم_بابتسامة واسعة أكد معها:

-هيا إذهبوا .... وأحضروا لي المصباح

تردد سامي قبل الدخول وبقي ثابتًا في مُوضعه يُريد أن يتراجع لكنه يعلم أنه سيعلق في تلك الصحراء الجرداء حتى يموت من الجوع والعطش، لهذا السبب قرر الولوج داخل هذا الكهف ضاربًا بما قالته كاتي عِرض الحائط، يعلم أنه سيعلق في هذا المكان إذا نفذ ما قاله العجوز لكنه على الأقل سيبقى على قيد الحياة.

سرق حكيم نفسًا عميقًا وهو يقترب نحو فوه النمر وبدأ يتحرك بخطواتٍ مُترددة جعلت مارك يتبعه ويتلفت حوّله في ذهول، كانوا يتحركون على سُلمٍ عريضٍ متعرج يرتفع مستواه عن الأرض مما جعلهم يتحركون عليه بحذرٍ شديد، كان يتلفت مارك حوّله في تيّه وكان حكيم يفتح حدقتيه في ذهولٍ وكأنه دلف متحفًا أثريًا.

أوّصلتهم هذه الدرجات إلى بوابة صغيرة يشع من خلالها ضوّءٌ أحمر، كان سامي يتقدمهم في تلك اللحظة وكان أول من دلف هذه البوابة الصغيرة ليتصلب في موّضعه من هوّل المنظر.

كانوا داخل حُجرة مطلية بالذهب الخالص الذي جعلها تبرق كالشمس، وكان هناك تلالٌ من العُملات والجواهر واللآليء والتماثيل الذهبية، سقط فك حكيم وهو يتوّغل بين الذهب متفوّهًا بلغة عربية وكلماتٍ عفوية:

-يا فرج الله .... احنا في مغارة علي بابا ولا إيه!!

بسط يده وكاد يتحسس العُملات الذهبية لولا صياح سامي الحاد:

-توّقف .... لا تلمسوا شيئًا

باتت كلماته تحذيرية موّجهة صوّب مارك وحكيم قبل أن يتهوّرا ويوّقعونهم في الكوارث للمرة التي لا يعلم عددها، وما إن بصق هذه الكلمات حتى استجابا لحديثه وقررا مشاهدة هذه الكنوز الثمينة دون الاقتراب منها حتى لا يُهلكا.

كان سامي يُريد العثور على المصباح وتسليمه للكهل على أمل أن يعودوا سالمين، فهو لا يعرف أن الكهل سيغدر بهم في أية لحظة، لم تُخبره كاتي عن هذه التفصيلة، لذلك كان يظنٌ أن العجوز سيأخذ منهم المُصباح ويُنفذ اتفاقه ويُعيدهم من حيث أتوا، لكن المُشكلة الآن تكمن في العثور على المُصباح.

انتفض سامي إثر صياح مارك المذعور الذي أخرجه من غمرة تفكيره وأرغمه على الالتفات ومشاهدة هذا الذي يُشير على الأرض هاتفًا بكلماتٍ غير مُرتبة:

-إنظروا .... هذا السجاد يتحرك

كان يُشير على سجادٍ بنفسجي اللون مزينُ ببعض الأشكال الكلاسيكية، وكان نصف السجاد مرفوعٌ عن الأرض مما زاد من ذعر مارك وتذكر وقتها منزل الوحش الذي كان يحتوي على أثاثٍ مُتحرك، بينما كان حكيم يطالعه بلامبالاة قال معها:

-وما الغريب في هذا ؟.... السجاد في منزلي يتحرك أيضًا

نبسها بطريقة عادية جعلت مارك يتناسى السجاد المُتحرك ويلتفت إلى حديث حكيم الذي كان واثقًا وهو يقوله:

-ماذا !! .... لا يعني أنك في منزلٍ فارهٍ حديث الصيحة .... أن يكون لديكم سجادٌ مُتحرك

كان مارك يحاول تكذيب حديثه مما زاد من حدة حكيم وهو يدافع عمَ قاله:

-لا .... أقسم أنه يتحرك .... والدي أخبرني وأنا بالسادسة أنني إذا سكبت العصير على الأرض فسوف يغضب السجاد ويرحل من المنزل

رفع مارك شفته العلوة بتهكمٍ من بلاهة ما قاله حكيم ومن تصديقه لتلك الكلمات التي كان يمزح فيها والده حتى لا يُلطخ السجاد، كان يُريد أن يُخبره أن هذه مُجرد مزحة لكنه تفاجأ بالسجاد وهو يرتفع عن الأرض ويبدأ بالدوّران حوّلهم ثم يهبط مُجددًا أمام سامي الذي كان يراقب ما يحدث في ذهول.

اقترب حكيم ومارك نحو سامي وباتا يقفان أمام البساط الذي اختبأ خلف أحد الصناديق الخشبية، تحرك سامي قبالته بخطواتٍ هادئة بطيئة وكان الآخران يتبعانه في صمتٍ حتى وجدا سامي يجلس على رُكبتيه ويرفع يده أمام البساط هادرًا بصوّتٍ مُطمئن:

-لا تخف ... لن نأذيك....

اطمأن البساط إلى نبرة سامي الرخيمة وبدأ يتزعزع ببطء عن مكانه ليظهر جزءه العلوي أمام سامي.

-هل تعرف أين هو المصباح ؟

حرك البساط جزءه العلوي لأعلى وأسفل دلالة على المعرفة مما جعل سامي يسأله مجددًا بنبرته الهادئة التي اكتسبها مؤخرًا:

-هلا أخذتنا إليه ؟

تحرر البساط من اختباءه وهو يُشير لهم باتباعه ثم يطير في الهواء متُجهًا إلى بُقعة بعينها، وثب سامي عن الأرض وطفق يتحرك خلف البساط ويتبعه مارك وحكيم حتى دلفوا حُجرة أخرى لم تكن تشع مثل التي تسبقها، بل كانت أكثر عُتمة وقتامة، لم يكن يوجد بها سوى بركة من المياه التي بدت سوّداء من شدة العُتمة، وتلٌ كبيرٌ يوجد منضددة صغيرة في أعلاه لا يوجد بها سوى شيءُ واحدٌ فقط... المصباح!!

ابتسم سامي بانتصارٍ وهو يتحرك للأمام عازمًا على أخذ المصباح والرحيل من هنا، لكنه التفت إلى مارك وحكيم محذرًا:

-لا تتحركا ... سأجلب المصباح ... وآتي مُجددًا

أومأ كلاهما بموافقة وبقيا أماكنهما أسفل التل، فلا داعي لذهاب ثلاثتهم للمجيء بمصباحٍ واحد.

تحرك سامي بخطواتٍ حذرة صوّب السُلم الرفيع الذي كاد يسقط منه أكثر من مرة، واصل الصعود متجاهلًا نبضات قلبه المتعالية وخوّفه الجام من حدوث أية كارثة، حاول المحافظة على ثباته وهو يصعد المصطبة واحدة تلو الأخرى حتى...

وجد ذاته أمام المصباح أخيرًا، مصباحٌ من الذهب الخالص تضاهي لمعته لمعة النجوم، انعكست صوّرة سامي على ذاك المصباح وهو يلتقطه ويتحسسه بأنامله، لم يكن يتخيّل يومًا أنه سيحصل على ذاك المصباح الذي يُحقق الأمنيات، آراد أن يحكه كي يظهر له هذا الجني ويُحقق له ما يُريد، لكنه يعود إلى أرض الواقع مُجددًا حيث لا توجد هذه الأمور، فتحقيق الآماني أصبح أمنية في حد ذاتها!!

-أتعتقد بالفعل أن المصباح سحريًا ؟ .... أم أنه سيُصبح كذاك الحذاء

قالها حكيم ببعض الاستخفاف وهو يستند بذراعه على أحد التماثيل التي لا يعرف من أين أتت، وكان مارك يستند بظهره على الحائط متفوّهًا بثقة:

-بالطبع لا .... إنها مُجرد أوهام

همهم حكيم بلامبالاة لأنه يتوّقع هذه الإجابة، بات يعلم جيّدًا أن ما يحدث في ذاك العالم هي مُجرد أوّهامٍ لا يُمكن لها أن تتحقق، ومع ذلك تصنع الشعور بالتفاجؤ وهو يقول بمرح:

-حقًا .... هل هذه الجوّهرة من الأوهام أيضًا ؟

مدّ يده نحو هذه الجوهرة الحمراء ليلتقطها بآصابعه ويُشهرها أمام مارك الذي لم يُلاحظ ما يفعله وكان يُجيبه بطريقته العلمية:

-نعم ... ليست جوّهرة بالمعنى الحقيقي ...إنها...

توّقف مرة واحدة حينما تذكر تحذيرات سامي المبنية على تحذيرات النمر؛ جحظت عينيه في صدمة وهو يلتفت صوّب حكيم متسائلًا:

-مهلًا .... أين وجدت هذه الجوّهرة ؟

كانت نظرات الشك تلوح من عينيه وهو يُشير على الجوهرة التي يحملها حكيم بينما كان الآخر يُجيبه ببساطة:

-أخذتها من ذاك التمثال العجيب...

ما كاد يُنهي حديثه حتى وجدوا أرض الكهف تهتز مرة واحدة لينبعث صوّتٌ هاجرٌ كاد يُفتك بآذانهم؛ انتفض حكيم وأسقط الجوّهرة من يده ليجدها تتحوّل إلى نيرانٍ مُنصهرة وتذوب مع التمثال، تلفت مارك حوّله في ذعر وتقاطرت حبات العرق على جبهته بسبب السخونة التي اجتاحت الكهف وكأنه تحوّل إلى محرقة.

وكان سامي في أعلى التل يمسك بالمصباح ويتراجع للوراء بسبب شعلة النيران التي انبثقت مرة واحدة وكادت تلتهمه، انسل بضع درجاتٍ بظهره لتزداد الاهتزازات وتتعالى النيران، كان هذا قبل أن ينطلق كالسيل الجارف عازمًا على الهرب وهو يصيح بهما بنبرة تحذيرية:

-اهربوا .... الكهف يحتـــرق!!

الفصل الثالث والعشرون (وقعنا في ورطة)

كذب من قال أن حياتك ملكًا لك، فأحيانًا ما تتدهوّر الحياة، بسبب الآخرين.....

ترقبت غيّد ردود أفعالهما بعد أن بصقت هذه المفاجئة، لا تُعتبر مفاجئة بالمعنى الحقيقي، فهي أقرب إلى الصدمات أو الكوارث، كانت تعلم أنها ستجني ثمار أخطائها وكانت تتوّقع كمًا هائلًا من التوّبيخ والصياح، لكنها أيضًا كانت غاضبة، فإن لم تكن وحدها لمَ حدث كل ذلك، وربما بقت حياتهم هادئة ساكنة حتى انتهاء هذا الفيلم.

-كيف تقابلينه أيتها الخرقاء ؟.... ألم نقل أكثر من مرة ألا نتدخل في هذه الحكاية اللعينة!!

صرخت ميليندا بتلك الكلمات وعيناها تتقضان شرًا، وكانت غيّد تجابهها بكلماتها التي حاولت معهم أن تحفظ ماء وجهها:

-أنتم تركتموني وحدي عندما كُنت بحاجة لكم ..... هو فقط من كان يساعدني وإلا أضحيتُ هالكة

-حقًا !! ... أهكذا تُبررين .... كان من الممكن أن_

قطعت كاتي صراخهما بكلماتٍ قاطعة رزينة:

-لا وقت لهذا الآن .... علينا التفكير في حلٍ لتلك المُعضلة

أزاحت غيّد نظراتها الغاضبة عن ميليندا وأبقت ذراعها مربوطتان بتذمر، وكانت ميليندا تفعل المثل وهي تحاول تنظيم أنفاسها والتخلص من نوّبة الغضب التي تباغتها في كل حينٍ وآخر، طالعا كاتي بنظراتٍ مترقبة حتى وجداها تأخذ خطواتٍ قليلة نحوهما ثم تُحدق بهما بنظراتٍ حكيمة أردفت معهم:

-علينا أولًا .... أن نذهب إلى علاء الدين ونُصلح ما فسّد.... ثم نذهب إلى الأميرة ياسمين ونساعدها على التجوّل خارج القصر لتتقابل مع علاء الدين ويعاد المشهد الذي من المفترض له أن يحدث... أو ربما نُخبر علاء الدين عن ذاك المصباح ونهيئه لمقابلة الأميرة....

بقيت تقص عليهما كيف سيتقابل علاء الدين مع الأميرة وتحدث بينهما مغامرة صغيرة تنتهي بالقبض على علاء الدين وعثوره على المصباح لتبدأ بعدها مغامرة أخرى، كانت خطتها بسيطة لا تستدعي الكثير من المجهود، فقط سيذهبوا إلى علاء الدين ثم الأميرة دون التطرق إلى تلك الخطط والمؤامرات والمطاردات التي لا تنتهي، كان هذا قبل أن تنتبه ميليندا إلى اختفاء بقية أصدقائهم.

-فتيات .... أين البقية ؟

بدأت غيِّد تتلفت حوّلها هي الأخرى متفوّهة بحيرة:

-لا أعرف .... ألم يكونوا معكم ؟

آجابت كاتي بملامح تنوح بالضجر والسأم:

-من المُفترض أنهم يبحثون عنكِ .... لكنهم تأخروا

أطلقت ميليندا تنهيدة مليئة بالرجاء وهي تقول:

-أتمنى ألا يفعلوا كارثة أخرى....

انبثقت النيران الهاجرة من جوّف التل لتلتهم كل حجرة كانت مُرتصة بعناية وكان يقف عليها سامي، اختل توازنه وهو يحاول الابتعاد عن تلك الحجارة المتساقطة عليه حتى لا يتفجر رأسه لكنه يفاجأ بزيادة حدة النيران وتحوّل الكهف إلى جوّف بركانٍ ثائر، تعثر سامي بإحدى الصخور وهو يحاول الفرار ليجد جسده يرتمي على الأرض ويبدأ بالتدحرج من فوق هذا التل بعد أن وضع المصباح في جعبته، كان يرى أمامه بركة من النيران عبقت الأجواء وجعلت قطرات العرق تنصهر على جبهته، كان يرى حياته التي ستنتهي فوّر أن تلتهمه النيران، لم يكن يجد أي مهرب بسبب انزلاقه على التلة المُنبسطة وعدم استطاعته على الهرب، بقي يصرخ بأعلى صوّتٍ لديه قبل أن يلتحم جسده بالنيران ويضحى رمادًا لكن صرخاته لم تكن طوّق النجاة، فجسده لا زال ينزلق نحو الهاوية والنيران تنبثق من حوّله والكهف لا يتوّقف عن الاهتزاز، كان هذا قبل أن يجد من ينتشله عن الأرض ويطوف به في جوّف النيران.

وجد سامي جسده يجلس فوق البُساط الطائر التي أنقذ حياته في اللحظة الأخيرة، كان يطير به بين النيران ويتشبث به جيدًا وهو يتحرك لليمين واليسار، كان حكيم في الجهة الأخرى يصرخ بذعرٍ ويقفز فوق الصخور هو ومارك حتى لا تلتهمها النيران، لكن سامي آشار للبساط على أصدقاءه فانبطح به نحوهما وانتشلهما ليضحى ثلاثتهم جالسون على البُساط يتشبثون بأطرافه جيدًا ويتجاهلون قلوبهم التي ترتعد من هوّل الموّقف.

هُدم التلّ تمامًا وتلاشى أسفل النيران وباتوا يطيرون فوق بحرٍ من الجحيم، وجدوا النيران ترتفع عن الأرض كالشلالات وتُعيق طريقهم ليلتف البُساط دوّرة كاملة كاد يسقط مارك على إثرها لولا سامي وحكيم اللذان أمسكا به في اللحظة الأخيرة بسبب حجمه الصغير.

أخفى حكيم وجهه وبات يُرتل بعض الأدعية عندما أسرع البُساط من طيرانه وبات يخترق الأبواب والممرات ويلتف بهم حتى أصُيبوا بالغثيان، كان هذا قبل أن يصطدم بجبلٍ صخري جعل أجسادهم ترتد للأمام وتسقط من البُساط ثم تتضارب ببعضها وترتكن في بُقعة تعتلي حافة الجبل.

رفع حكيم جذعه عن الأرض ليضحى مُلطخًا بالرمال وهناك جرحٌ يعتلي جبهته إثر هذا الاصطدام، كان يضع يده على جبهته يتحسس جرحه ويشكر خالقه على بقاءه حيًا بعد كل ذلك، كان يتلفت حوّله ليطمئن على رفاقه فيجد سامي يستند بكفيه على الأرض يحاول الوثوب ومارك يتسطح مكانه يئن من الوجع ويضع يده على جبهته، كان هذا قبل أن يلاحظوا اهتزاز الأرض أسفل أقدامهم مع قوة هائلة تقوم بدفعهم .... إلى الأسفل!!

-أو لا !!.... الجبل يُهدم

بصق سامي هذه الكلمات المذعورة وهو يحاول الوثوب عن الأرض لكن محاولاته تبوء بالفشل، فما إن وثب حتى هُدم الجبل وسقطت الصخرة التي كانوا يرتكنون عليها لتتعالى صرخاتهم وهم يسقطون من ذاك الارتفاع الشاهق ويتم ردم الكهف عليهم تمامًا!!

ظلامٌ دامسٌ غشى عينيه فيحاول هو إزاحة هذا الظلام والعودة إلى الحياة مُجددًا، كان يعتقد أنه سيرى جسده مخبئًا أسفل الثرى بعد أن تنتقل روٌحه إلى الحياة الأخرى، لكنه يتفاجأ بعودته سالمًا معافي .... أو سالمًا فقط.

فتح سامي عينيه ببطء ليتطلع حوٌله بجسدٍ مُرهقٍ يئن من الوجع، يشعر بعظامه التي تحطمت ولم تعُد صالحة للاستعمال، يشعر برأسه الثقيل الذي أصبح بحجم الفيل مع الدوٌار الذي يجعله أشبه بمن دلف غاسلة الأوعية وبقي بداخلها يدور مع الثياب، حاول أن يتلفت حوٌله ليلاحظ ثيابه التي تمزقت وامتلأت بالأتربة، ثم يُلاحظ أصدقاءه المتراميان على الأطراف، لاحظ أيضًا البساط الطائر الذي حاول انقاذهم وهم يسقطون على الأرض وساعدهم على الهبوط في سلامٍ إلى حدٍ ما.

كان يضع حكيم يده على جبهته التي تُذرف الدماء ويولول مثل النساء، بينما كان مارك يتكيء على قدمه المصابة وهو يتحرك نحوهما متفوٌهًا:

-اللعنة على هذا الأمر .... أين نحن الآن ؟

وثب سامي هو الآخر وطفق يُنفض الأتربة عن ملابسه ويتلفت حوٌله ليتفاجأ بالظلام يُغطي المكان، حاول أن يتحرك لعله يجد مخرجًا من هذا الكهف لكن محاولاته لا تُجدي نفعًا، تذكر وقتها المُصباح الذي كان بحوٌزته والذي رُبما ينجدهم من هذا المكان؛ بدأ يتفقد جعباته بعناية لعله يجد المصباح، لكن لسوء حظه، كانت جعباته فارغة، لا يوجد بها شيئًا!!

-هل هذا هو المصباح الذي تتحدث عنه الحكاية ؟ .... يبدو كالحكاية بالضبط

خرجت هذه الكلمات من حكيم الذي لازال جالسًا على الأرض يحمل المصباح_ الذي سقط من جعبة سامي_ ويتفحصه بدقة ثم يتحسسه بأنامله وهو يتحدث:

-أتعقدوا أن هناك جنيٌ بالفعل ؟ .... أم أنها مُجرد خرافة

علٌق مارك على حديثه بتنبيه:

-يا صاح .... نحن داخل الخرافة من الأساس

لم ينتبه حكيم لمَ قاله مارك وبقي يتحسس المصباح ثم يفركه بأنامله ليرى ما الذي سيحدث، لكنه فجأة، يجد المصباح يقفز من بين يديه فينتفض حكيم مذعورًا وتتصلب أجسادهم فور رؤيتهم لتلك الأدخنة التي انبعثت من المصباح يليها هذا الطيف الأزرق الذي بدأ يرتفع عن الأرض أمامهم ثم يقول بأريحية:

-كم هو رائعٌ أن تتحرر بعد عشرة آلاف عام

ارتفعت رأس الجني وفُصلت عن جسده لتدوُّر حوَّل نفسها وتعود مُجددًا أمام نظراتهم المذهولة غير المُصدقة، وجدوه أيضًا يُصافح البساط بطريقة مرحة ثم يمسك أطرافه الأشبه بمُكبر الصوِّت وهو يقول:

-مرحبًا بكم .... نحن على الهواء مباشرة هل أخبرتنا من أنت ؟

وجه مُكبر الصوِّت الوهمي نحو حكيم الذي آجابه بغرابة:

-حكيم

-أوه مرحبًا يا سيدي .... هل تقلص حجمك أم أنني زِدت وزنًا

قالها وهو يُحرك بطنه الكبير ثم يرفع يده الضخمة ليضعها فوق حكيم ثم يُحركها بطريقة استعراضية انقسم معها إلى نصفين ثم تحوَّل إلى جسدٍ ذو عضلاتٍ ثم آخر يختنق داخل علبة زجاجية، بقي سامي يُحدق به بذهول بينما سقط فك حكيم وهو يُشير على نفسه بلا تصديق:

-مهلًا ... هل أنا سيدك ؟

فاجائه الجني بإجابته المؤكدة ووٌضعه لإحدى القبعات الوهمية فوق رأس حكيم ثم يواصل الحديث بطريقته الاستعراضية التي جعلته ينقسم إلى العديد من الأقسام ثم يقف في المنتصف وهناك ضوءٌ مُسلطٌ عليه أثناء حديثه:

-لديك ثلاثة أمنيات ... وإن أردت المزيد عليك بالكاشات .... والأمنية الواحدة لا تُرد ولا تُستبدل

اقترب حكيم نحو سامي ليهمس بأذنه بسعادة بالغة:

-بقولك إيه يا سطا ... هو أنا لو قولت يا فرج الله ممكن يتحرق ؟

كان يتحدث عن الجني الذي يعامله كسيده ويريد أن يُحقق أمنياته مما يجعله يكاد يطير من السعادة، رفع سامي كتفيه بجهلٍ وبقي الذهول يُلطخ ملامحه وهو يتابع الجني الذي كان يلتفت حوّلهم يتحدث عن تلك الأمنيات متفوّهًا بطريقته الاستعراضية وجسده الذي يتحوّل إلى العديد من الأشكال:

-هناك ثلاثة أمنياتٌ لا أستطيع تحقيقها ..... إحياء الموّتى، القتل .... الحُب

أطلق مارك زفرة مُتهكمة من جوّفه وهو يُعلق على حديث الجني:

-أه .... قُل ببساطة أنك لا تُحقق شيئًا

انتبه الجني لحديث مارك الذي آراد تكذيبه بارتفاعه عن الأرض باسطًا ذراعيه ثم يلتف حوّلهم وهو يقول بطريقة غنائية:

-غير صحيح ... يُمكنني أن_

كادت الموّسيقى تظهر وتحتل الساحة لولا صياح مارك الذي أوقف كل شيء:

-توّقف أرجوك .... ألا تستطيعوا التحدث بطريقة طبيعية ولو لمرة واحدة!!

ذبلت ملامح الجني وعاد إلى طبيعته وهو يقترب نحو حكيم متفوّهًا:

-حسنًا .... ما هي أمنيتك الأولى ؟

اتسعت بسمة حكيم المُتحمسة وكان سامي يُحدق به بترقبٍ ينتظر أن يتمنى أمنية تُخلصهم من هنا، لكنه بدلًا من ذلك وجد حكيم ينبس ببلاهة:

-أتمنى شطيرة كبيرة من لحم البقر المُتبل، مع زجاجة من السودا

قالها حكيم بثقة جعلت مارك يضرب جبهته بنفاد صبرٍ علُق معه بسخرية:

-أنت لا تقف أمام النادل أيها الأحمق

اقترب سامي من أذن حكيم ليهمس له بفقدان صبر:

-خرجنا من هنا يا جاموسة

حمحم حكيم باعتذارٍ ثم نظر للجني قبل أن يُحقق أمنيته الحمقاء وتضيع عليه الفُرصة:

-عفوًا عفوًا .... إحذف هذه الأمنية....

طالعه الجني بحيرة من تراجعه بينما كان حكيم يسرق أنفاسًا عميقة ثم يُخرجها ليواصل الحديث بثقة:

-أتمنى أن نعود إلى عالمنا الحقيقي

كان يعتقد أنه ذكيًا وعبقريًا بتمنيه هذه الأمنية، فهذا ما يحاولون فعله منذ علقهم بهذا العالم، لكن الجني لم يكن يفهم حديثه وبقي يطلاعه بغرابة وعجز، وكان مارك يكاد يفيض من الغيظ وهو يقول بضجر:

-وكيف سيعرف من أين نحن!!

تنهد حكيم بفقدان صبرٍ وبقي صامتًا لا يعرف ماذا يتمنى، وجد سامي يقترب نحوه متفوِّهًا بحكمة:

-خليه يوّدينا عند علاء الدين ... يلا بسرعة

أومأ حكيم إيجابًا ثم رفع رأسه نحو الجني ليُخبره بثقة :

-أتمنى أن نذهب إلى علاء الدين

قطب الجني حاجبيه مُجددًا وكأنه لا يفهم حديثه، بل هو بالفعل لا يفهمه، فهو لا يعرف من هذا العلاء الدين:

-علاء الدين!!

قالها الجني بغرابة جعلت مارك يتدخل شارحًا:

-إنه لصٌ فقيرٌ وأجرب .... ولديه قردٌ يُشبه الفتيات حينما تستيقظ من النوم

طالعه سامي بنظراتٍ حادة لأنه يسخر من النساء ومن البشر مجددًا، انتبه مارك إلى نظراته وطفق يُحمحم باعتذارٍ لأنه قد قطع عهدًا على نفسه بأن يتغيّر:

-أوه .... أعتذر

هكذا اعتذر مارك قبل أن يلوذ بالصمت وينتبه جميعهم إلى الجني الذي بدأ تكوّينه يتغير وهو يسأل:

-هل يسكن في عجربة ؟ .... هل يُطارد من الحراس ؟ ..... هل لديه العديد من الأمنيات ؟...

طفق يتحوّل إلى العديد من الأشكال من بينهم علاء الدين والقصر والحرس ثم يلوّح بالسيوف ويطوف حوّلهم، وكانوا هُم يؤكدون على حديثه حتى وجدوه يتوّقف عن الحركة ملوّحًا بيديه وهو يقول:

-حسنًا إذًا .... فلنذهب إلى علاء الديـــن!!

امتزجت عُتمة السماء بالعديد من الألوان مع بزوغ شمسٍ جديدة في هذه العالم الغريب، كانت غيّد تتحرك بين الطُرقات المتعرجة تفتح عينيها بصعوبة وتتثاءب بين الفينة والأخرى، بينما كانت ميليندا تجاهد حتى تتبعهما وعلى وجهها آثار الإرهاق والتعب، فلا أحد منهن قد نال قسطًا من الراحة مُنذ ليلة البارحة، خاصة غيّد التي قضت يومها ما بين الهرب والترحال.

سبقتهن كاتي ببضع أمتارٍ توّقفت داخل بناية مهدمة ذات درجاتٍ مُتعرجة، آشارت غيّد بإصبعها نحو أحد البقاع بعد أن تذكرت هذا المنزل الصغير الذي أتته سابقًا، لازالت تتذكر تلك الأخشاب التي تقف في طريقهم مع هذه الأقمشة البالية الممزقة التي كانت تُغطي تشققات المنزل، تناست غيّد نعاسها لوهلة وبدأت تفرك عينيها وهي تتقدمهن وتتلفت حوّلها في تيه، تريد أن تعثر عليه حتى تنتهي من هذا الأمر وتواصل بقاءها هنا في سلامٍ وهدوء.

داهمهم صوّتٌ رفيعٌ أصدره هذا القرد الصغير الذي بدى على وجهه التفاجؤ وهو يرى غيّد للمرة الثانية؛ ابتسمت غيّد من لطافته وقفزه بحماس ثم تشبثه بسترتها والعوّدة إلى الداخل حيث يقبع علاء الدين، فما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى وجدت الآخر يُزيح الستار ليرميها بنظراتٍ متلهفة وفؤادٍ يتسابق مع الريح من السعادة.

-ها قد أتيتي مُجددًا

قالها ببسمة واسعة جعلت غيٌد ترتبك أكثر وهي تقول:

-أتيتُ حتى أوٌدعك .... و...

توٌترت أكثر ولم تكن تعرف ماذا تقول، كيف تُخبره أنه يجب أن يقابل الأميرة وليس هي ؟ وجدت كاتي تقترب نحوها حتى وثبت بجوارها تطالع علاء الدين بنظراتٍ ثابتة جعلته أكثر حيرة وتساؤلًا:

-من هؤلاء ؟

سألها وهو يُشير على كاتي وميليندا التي اقتربت نحوه هي الأخرى لتتحدث نيابة عن غيٌد:

-نحن أصدقاءها .... جئنا فقط حتى نُرسل لك رسالة واحدة

رفعت غيٌد رأسها لأعلى بعد أن استجمعت شجاعتها وهي تقول:

-ألم تقل أنك تُعاني من هذه الحياة ؟ ..... نحن سنساعدك حتى لا تعاني مجددًا

قطب حاجبيه بحيرة أكثر من حديثها وبدأ يطالعهن بغرابة وتساؤلٍ يزداد:

-تساعدونني !! .... لماذا ؟

تدخلت كاتي لتُجيبه بنظراتٍ واثقة:

-هناك كهفٌ يٌدعى كهف العجائب .... يوجد بداخله مصباحٌ سحري، سيُحقق لك الأمنيات ... عليك أن تحصل على هذا المصباح ... ثم_

قطع حديثها رياحٌ عاتية ضربت أجسادهن وجعلتهن يتراجعن لبضع خطواتٍ للوراء، وما هي إلا لحظة وجيزة حتى بزغ أمامهم هالة من الأدخنة التي تلاشت روٌيدًا ليظهر كلًا من حكيم وسامي ومارك و.... الجني.

-هذا مُدهش!!

قالها حكيم بحماسٍ طفولي وهو يتحسس جسده ويتأكد أنهم تركوا هذه البُقعة المُظلمة، سقط فك كلًا من كاتي وميليندا وغيِّد وكذلك علاء الدين والقرد وهم يشاهدوا هذه المفاجئة، خاصة علاء الدين الذي كاد ينفجر من كثرة الصدمات، ومن أولئك الغُرباء.

-هل... هل هذا هو المُصباح ؟

سألت ميليندا ببعض التردد وهي تُشير على المصباح الذي يحمله حكيم والذي يتفرٌع منه هذا الجني، وكانت كاتي على وشك أن تفيض ذرعًا منهم ومن إصرارهم على إفساد الحكايات، فكانت تضرب جبهتها وتكتم غضبها عن طريق الضغط على أسنانها.

-هذا الشيء مُدهش .... إذا كان بعالمنا لمَ اختفت سيارات الأجرة

واصل حكيم الحديث بحماس وهو يتحدث عن انتقالهم السريع بينما كان الجني يرفع قامته بغرورٍ مُبتزلٍ بدأ ينفث معه على أظافره ويلتف حوٌل حكيم متفوّهًا بمرح:

-انتهت أول أمنية .... تبقى لك اثنتان

رفعت غيِّد حاجبيها بذهولٍ طفقت معه تتحرك صوٌب حكيم وتُخبره بحماسٍ وكأنها تُعطيه إجابات الاختبار:

-أخبره أنك تتمنى أن يضحى لديك أكثر من أمنيتان

لاح الإعجاب على وجه حكيم وهو يُعلق على حديثها:

-أوه ... كيف لم أفكر في هذا من قبل .... هكذا يُمكنني أن أتمنى ما يحلو لي من الطعام

-طعام !! .... هل حقًا هذه هي طموحك !! .... لو كُنت مكانك لمَ تمنيتُ أن يضحى لدي قوة خارقة ..... مثل القدرة على الحديث مع الحيوانات ... أو قراءة الأفكار .... أو ربما إخضاع الجميع بلا أي مجهود

كاد حكيم يرُد على حديثها المتلهف ويغرق معها في هذا العبث لولا صوٌت كاتي الذي أوقفهما:

-هلّا أوّقفتما هذا الهراء الآن !! .... ما الذي جعلكم تأتون بهذا المصباح ؟ ... ألم أقل ألا نتدخل في هذه الحكاية ؟

أنهت الحديث بحدة جعلتهم يتوّقفون عن الحديث ويُمعنوا التركيز في تلك المُعضلة، لكن سامي كان يرمقها بتجهمٍ من حدتها غير المفهومة بالنسبة له، وكأنهم فقط المُذنبون:

-حقًا !! ..... نحن الآن من يتدخل بالحكاية !! .... وما الذي أتى بكم إلى علاء الدين إذًا ؟

اقتربت كاتي نحو سامي متفوّهة بكلماتٍ تقترب من الصُراخ:

-أتينا حُتى نُصلح ما أفسدته غيّد .... الآن كيف سنُصلح ما أفسدتموه ؟

كاد سامي ينفجر بوجهها هو الآخر، ليس بسبب هذه المُعضلة بل لأنه لازال غاضبًا منها وربما ينتهز الفُرصة، لكن علاء الدين تدخل بينهما وكان كالأصم بالعُرس وهو يقترب نحوهما متسائلًا:

-مهلًا مهلًا .... هلا أخبرني أحدكم عن أي حكاية تتحدثون ؟ .... وكيف تعرفونني ؟

تدخل مارك بالحديث ليقترب نحو علاء الدين ليجذبه من ذراعه ويدفعه قبالة أصدقاءه وهو يقول:

-دعك منهما .... نحن جئنا لنساعدك .... ألا تُريد أن تضحى غنيًا ؟

التفت علاء الدين نحو غيّد ليرميها بنظرة عابرة ثم عاود النظر نحو مارك ليُجيبه باستنتاج:

-هل أنتم أيضًا أصدقاءها ؟

-نعم ... نحن كذلك .... وهي التي أخبرتنا

قالها مارك بكذبٍ حتى لا ينفجر علاء الدين ويتركهم وشأنهم قبل أن يُنفذوا خطتهم، وبعد فترة من الصمت والتفكير نبس علاء ببعض الحيرة:

-وكيف ستجعلونني غنيًا ؟

ابتسم مارك ابتسامة مُنتصرة وهو يُجيب:

-هذا الأمر سهلٌ للغاية .... عليك فقط أن تتزوّج الأميرة ياسمين .... إبنة الخليفة

عقد علاء حاجبيه بذهولٍ وحيرة سأل معهما:

-ماذا !! .... الأميرة !! ... لكنني لا أعرفها

ربت مارك على كتفه مطمئنًا:

-لا يهم أن تعرفها .... المُهم أنك إذا تزوّجتها ... ستُصبح الأمير، وربما ولي العهد ..... وستعيش في قصرٍ كبير، ليس في هذه الحُجرة الضيقة

لمُعت عينا علاء وهو يستمع إلى كلمات مارك الذي يحاول إقناعه من خلالها بضرورة زواجه من الأميرة حتى يتخلص من تلك الحياة الفقيرة، هو حتى لم يُخبره أنه سيُحبها وأن قصتهما ستتحوّل إلى قصة غرامية أسطورية، اكتفى فقط بإخباره أن يتزوجها حتى ترتفع مكانته بين الناس، الأمر الذي جعل حكيم يضرب جبهته بنفادٍ صبرٍ علّق معه بسُخرية:

-مارك سيحوّل الحكاية إلى مُسلسلٍ تُركي

واصل مارك حديثه عن القصر وفخامته وعن الأميرة ياسمين حتى اقتنع علاء بحديثه وبات يعثر على طريقة لتنفيذ هذه الكلمات، لكنه تذكر حياته التعيسة مما جعله يقول:

-وما الذي سيجعل الأميرة تتزوّجني ؟ .... أنا مُجرد لصٌ فقير

تدخل حكيم في هذه اللحظة وهو يقول بثقة:

-إترك هذا الأمر لي

سرق نفسًا عميقًا ثم أخرجه ليُخرج المِصباح من جعبته ويقوم بحكه حتى يخرج منه الجني متفوّهًا بطريقة مرحة:

-شوبيك لوبيك ..... طلباتي بين يديك

حمحم حكيم قبل أن يرفع رأسه بتبهنسٍ أردف معه:

-أيها الجني .... أتمنى أن يضحى علاء الدين ..... أميرًا غنيًا

حلّق الجني عاليًا وهو يُشهر إصبعه لأعلى متفوّهًا:

-عُلم ويُنفذ...

ما هي إلا بُرهة قصيرة حتى تطايرت الأدخنة في كل مكانٍ ووجد القرد نفسه يرتفع لأعلى ثم يتحوّل إلى فيلٍ كبيرٍ ذو قبعة بنفسجية من كثرة ضخامته تسبب بتحطم السقف الخاص بهذه الحُجرة الضيقة، في نفس ذاك الوقت وجد علاء جسده يلتف بضع لفات قبل أن يتوّقف ويكتشف أنه يرتدي سُترة ملكية بيضاء ويضع على رأسه عمامة ضخمة، لم يتوّقف الأمر عند هذا الحد ليجدوا هذه الحُجرة الضيقة العتيقة تتحوّل تدريجيًا إلى قصرٍ أنيقٍ حيث أزيحت المفارش الممزقة وتم استبدالها بستائرٍ مزرقشة راقية وفراشٌ كبير مُرصعٌ بالذهب والألماظ وسلة صغيرة تتوّسط هذه الطاولة المُستديرة وفوقها شتى أنواع الفاكهة.

ابتسم علاء وهو يتلفت حوّله بذهولٍ ثم يتوّقف أمام الجني متفوّهًا:

-كـ... كيف حدث هذا ؟

قالها بعدم تصديقٍ وهو يتحسس ثيابه الفاخرة ثم يُحدق في البُساط الذي كان يطوف في الهواء بطريقة متمرسة.

اقترب سامي من علاء ليضع يده على كتفه لعله يحاول إرشاده للخطوة القادمة:

-ستستطيع الآن أن تطلب يد الأميرة .... ولا تنسى ... أنت الآن الأمير علي ببابوا

قطب الآخر حاجبيه بغرابة وبدأ يُردد هذا الاسم في قرارة نفسه لعله يحفظه وهو يتقدم للأميرة، وكان الجني في عالمٍ آخر يلعب بالبيادق مع البُساط ويقول بحكمة:

-الفتيات تُحب من يقوم بإضحاكهن ... لا تنسى هذا أيضًا

أومأ علاء بتأكيدٍ ثم طفق يتحرك داخل قصره الفاره لا يُصدق أنه يمتلك هذه الثروة الآن، لكنه يعرف أن ثروّته ستنتهي، أو هذا ما أخبروه إياه حتى يسعى للاقتراب من الأميرة.

طاف الجني مُجددًا صوّب حكيم ليخبره بطريقته الاستعراضية:

-تبقى لك أمنية واحدة

بادل حكيم نظراته بين الجني وأصدقاءه حتى اقترب سامي من أذنه هامسًا:

-المصباح لازم يكون مع علاء الدين

أومأ حكيم بضجرٍ لعدم رغبته بإعطاء المصباح لأحد، فلازال يُريد المزيد من الأمنيات، يعرف جيدًا أن هذه فُرصة لن تعوّض، لكنه مع ذلك اقترب نحو الجني ليقول بطريقة موّدعة:

-حسنًا إذا ..... أتمنى أن أحصل على رطلٍ من الذهب

ثم التفت صوّب أصدقاءه ليُبرر لهم أمنيته:

-فقط لنستطيع البقاء هنا

تفهم أصدقاءه سبب أمنيته وتحلّوا بالصمت بينما التف الجني حوّل نفسه بطريقة استعراضية أنهاها بإشارة من إصبعه وبعض الأدخنة التي انطلقت وانتهت ببزوّغٍ حقيبة قماشية كبيرة مليئة بالذهب.

ابتسم مارك وهو يقترب من الذهب ويحاول جمعه وتقسيمه بينهم بمساعدة من ميليندا وسامي وغيّد وكاتي، بينما اختفى الجني تمامًا وعاد سجينًا داخل مصباحه الذي كان يحمله حكيم ويتطلع إليه في حُزن.

كان علاء يقف أمام المرآة يُلقن بعض الكلمات بطريقة أرستقراطية مُبتزلة وكأنه يتدرب على كيفية الحديث أمام الأميرة، اقترب حكيم نحوه وهو لا يزال يحمل المصباح ويمده نحو علاء متفوّهًا:

-تفضل ... يجب أن يضحى هذا معك .... إذا قُمت بحكه سيظهر لك الجني الذي يُحقق الأمنيات .... ولا تنسى أن تُحرره في آخر أمنية

قالها بنبرة متضايقة وكأنه نادمٌ على عدم تحرير الجني، بقي علاء يُطالعه بغرابة وهو يجد حكيم يضع المصباح بين يديه ثم يهم بالرحيل لولا إيقافه من قِبل علاء الذي كاد ينفجر من كثرة الأسئلة التي تحوم حوّل رأسه:

-مهلًا .... لماذا تساعدونني ؟ .... لن أترككم حتى تُخبرونني الحقيقة

كانت نظراته حادة مترقبة وكأنه غير معتادٌ على المساعدة بلا مقابل، هو لا يفهم حتى أنهم يساعدونه حتى يستطيعوا الرحيل والانتهاء من تلك الحكاية.

تراجع حكيم بضع خطواتٍ وهو يُجيبه بطريقة مُبهمة:

-هناك أمورٌ لا يجب أن تفهمها .... لأنك لن تستطيع

أنهى الحديث بتلوّيحة مرحة تبعه رفاقه وهم يلوّحون لعلاء الدين الذي بقيت نظرات الغرابة على وجهه وهو يتابع رحيلهم دون أن يعطوه أية إجابة، وكأنهم أتوا من السماء فقط ليُساعدوه، لكنه على أي حال، سيتبع خطواتهم وسيبدأ خطته بالزواج من الأميرة...

-وأخيرًا انتهينا من هذا الأمر

قالتها ميليندا بأريحية وهي تتحرك في شوارع المدينة بعد أن يزغت الشمس وأصبح ضوئها ساطعًا، لازالت غيّد تتثائب بنُعاس وتجر أقدامها وحقيبة الذهب لعلهم يعثروا على أي بقعة للبقاء حتى تنتهي تلك الحكاية، بينما كان حكيم يقف بجوارها يساعدها على حمل حقيبة الذهب ويقول:

-أبشروا يا رفاق .... أصلحنا الحكاية بسهولة

أكد الجميع على حديثه بكلماتٍ مرحة تبعها وصلات من الضحك والحديث المتبادل حوّل ما حدث معهم بتلك المغامرة وما فعلوه بالحكايات السابقة حتى أوصلتهم أقدامهم إلى منزلٍ بسيط ليتجه سامي صوّبه ويبدأ الحديث مع أحد الباعة باستخدام

مهاراته الإقناعية التي نجحت في استمالة الرجل وموافقته على السماح لهم بالمبيت في ذاك المنزل مقابل حفنة من الذهب.

دلفوا جميعهم ذاك المنزل البسيط لترتمي غيّد على أقرب أريكة وتجلس عليها مُدة طويلة رغبت ألا تنتهي أبدًا، فهذه أول مرة تشعر فيها بالراحة، وكان مِذاق الراحة هذه المرة يُشبه مِذاق وجبة شهية تناولها الفقير بعد أيامٍ من الجوع.

-ما رأيكم أن نبتاع الطعام ونحتفل ؟

اقترحت ميليندا بحماسٍ أثنى عليه الجميع وبدأو بالتخطيط حوّل ما سيتناولونه هذه الليلة، وكان مارك في عالمٍ آخر ينزع سُترته بحركاتٍ سريعة مُرتعدة ثم يُخرج الذهب من جعباته بنفس الطريقة.

أحضر سامي الطعام من بعض الباعة بالخارج وفرّق الشطائر بينهم ليجلس الجميع في حلقة حوّل الطاولة الخشبية يتجاذبون أطراف الحديث، فكانت غيّد تقضم شطيرتها وهي تتحدث عن مغامراتها الطفولية وما فعلته مع علاء الدين، وميليندا تُعلق على حديثها بمرحٍ وعدم تصديق:

-هل تمزحي .... هل أخبرتيهم أن هاتفك قُنبلة ذرية !!

انفجرت بالضحك بعد حديثها ليشاركها الجميع في جوٍ من المرح والسعادة التي لم يُشارك فيها مارك أبدًا، فقد كان منزوٍ في إحدى البقاع يبدو على وجهه بوادر القلق.

-أيها العالم الجليل ... لمَ لا تُشاركنا الطعام ؟

وجه سامي حديثه المرح نحو مارك الذي لم يتفاعل معه وبقيت عوّالمه قلقة متجهمة حتى اقترب نحوّهم وهو يسأل:

-ميل .... هل معكِ الجهاز ؟

قطبت ميليندا حاجبيها بحيرة قضمت معها شطيرتها ثم آجابت وهي تلوّك الطعام:

-لا .... كان معك آخر مرة

شُحب وجه مارك أكثر وبات أشبه بقُرص الشمس بسبب اللون الأصفر الذي طغى على جنباته، بقي يتلفت حوّله في ذعرٍ ثم يُدقق عينيه في كل مكانٍ مما آثار ريبتهم وحيرتهم حتى سألت كاتي:

-ما الأمر مارك ؟ .... هل يوجد شيءُ بالجهاز ؟

بدأ العرق ينساب على جبهته وهو يحاول العثور على طريقة يُخبرهم بها عن هذا الكارثة التي حلُت عليهم، دار بحدقتيه في كل مكانٍ أمام نظراتهم القلقة والمتشككة وأسئلتهم التي لا تنفك تحاصره حتى جعلته يستسلم لهم ويبصق الحقيقة بكلمات مرتجفة:

-نعم .... أعتقد أنني أوّقعت الجهاز!!

الفصل الرابع والعشرون (أصبحنا عبيدًا)

ربما من الأجدر لهم ألا يثقوا بالحياة مُجددًا، فها هي كارثة أخرى تحلّ على رؤوسهم وتدفعهم إلى الهاوية، والهاوية هذه المرة قريبة للغاية، وربما سقطوا بها مُنذ فترة طويلة.

جحظت عيناهم في صدمة ما إن بصق مارك هذه الكلمات المُترددة أمامهم، مزيج من الغضب وعدم التصديق كان يلوح على وجوههم ويجعل عقلهم يكاد ينفجر، توّقفوا عن مرحهم وراحتهم قصيرة المدى وانتهبوا إلى تلك المُعضلة التي على الأحرى سُتنهي حياتهم ومستقبلهم للأبد.

وضعت ميليندا شطيرتها على الطاولة لتثب على الأرض والوجوم يُلطخ ملامحها، كانت الأكثر غضبًا من بينهم لأن مارك أخبرها أنه سيُحافظ على الجهاز وها هو قد أضاعه وربما يتسبب بعلقهم هنا ... في هذا العالم المجنون!!

-أضعت الجهاز !! .... هل تمزح معنا مارك !! .... هذه وسيلتنا الوحيدة للرحيل من هنا

أحنت غيُد رأسها وبدأت تضرب على جبهتها وهي تقول بخيبة أمل:

-يا إلاهي .... هل سنعلق هنا لهذا السبب في النهاية!!

بقيت كاتي في حالة من الصمت تتابع صدمتهم وتحاول التفكير في هدوء بينما تجهمت عوالم سامي وهو يقف أمام مارك متسائلًا بنبرة تكاد تقترب من الانفجار:

-أين أوقعته ؟ .... هل سقط ونحن بالكهف ؟

كان القلق بادٍ على وجهه لكن مارك نفى برأسه بسرعة حتى يُطمئنه:

-لا ... أقسم أنه لم يكن معي وقتها، لأنني أعلقه على خصري

-إذا أين تركته ؟

سألته غيّد بُفقدان أملٍ ليغرق مارك في وحلٍ من التفكير والاستذكار، بدأ يتذكر بداية رحلتهم وجميع الأحداث التي مرّوا بها بتفاصيلها الدقيقة، بداية من شجارهم مع الأمير أحمد وهروبهم من العساكر، ثم بقائهم بالزنزانة و...

توّقف عن التفكير مرة واحدة وكان الوميض ينبعث من عينيه وكأنه عثر على ضالته، فقد كان يرفع رأسه نحوهم متفوّهًا:

-تذكرت .... ونحن بالزنزانة .... وضعتُ الجهاز بجواري على الأرض، كُنت أحاول تصليحه لعله يُساعدنا على الرحيل .... لكنني فقدتُ الأمل ووضعته جانبًا

تدخلت كاتي بالحديث لتُعلق باستنتاج:

-إذا الجهاز .... لا يزال بالزنزانة صحيح ؟

أومأ مارك إيجابًا وكانت إيماءته بطيئة تحمل كمًا من الضيق والندم، فهو السبب في هذه الورطة، وهو السبب أيضًا في علقهم بذاك المكان مُنذ البداية.

وثبت كاتي عن الطاولة وبدأت تتجوّل أمامهم وهي تقول بتفكير:

-جعفر هو من يتوّلى مسئولية الزنزانة وما يخُص المساجين .... وإذا كان الجهاز هناك، فهو على الأحرى مع جعفر، أو أيٍّ من الجنود .... إذا يجب علينا الذهاب إلى القصر والبحث عنه في أسرع وقتٍ ممكن

أنهت الحديث بثقة رفعت معها رأسها لأعلى لتُخبرهم خطتهم التالية بطريقة قيادية جعلتهم يلوذون بالصمت لفترة وتبدأ عوالم خيبة الأمل تلوح على وجوههم، فيبدو أنهم لن يتخلصوا من الخطط والمؤامرات طالما بقوا في هذا العالم.

-المزيد من الخطط .... عظيم

قالتها ميليندا بضيقٍ أحنت معه رأسها لأسفل وباتت مُتيقنة أنها لن تشعُر بالراحة في ذاك المكان أبدًا، بينما كان سامي في حالة من الشرود يُفكر في ما تقوله كاتي وفي طريقة مُثلى لدخول القصر حتى قطع حكيم تفكيره بسؤاله الموّجه لهم:

-وكيف سندخل هذا القصر ؟

علّت الابتسامة ثغر سامي وهو يرفع رأسه لأعلى متفوّهًا:

-وجدتها !! .... علِمت كيف سندلف هذا القصر

بدأ الترقب يطغي على وجوههم وهم يُحدقون بسامي الذي وثب عن المقعد ليتوّسط دائرتهم وهو يقول بقيادية:

-إليكم هذه الخطة.....

أشرقت شمس يومٍ جديد لتبدأ معه مغامرة أخرى، تتحرك كاتي على أرضٍ صحراوية بخُفها الذهبي ذو التراز العربي وبنطالها الأبيض الفضفاض مع سُترتها البيضاء القصيرة المُرصعة بالذهب ووشاحها الذي وضعته على شعرها بعشوائية، وكانت ميليندا تسير بجوارها بثيابٍ خضراء تقترب من لون النعنع مع بعض النقوش الزخرفية الشرقية وشعرها المُجعد قد قامت بتصفيفه للوراء مع العديد من الجدائل المُتفرعة منه، وكانت غيُد ترتدي بنطالًا ورديًا فضفاضًا مع سُترة وردية ذات أكمامٍ طويلة من الشيفون ووشاحًا مُطرزًا جعلها تبدو أقرب إلى الجواري العربية، أما الرجال فاكتفوا بثيابٍ بسيطة مع عماماتٍ بيضاء وأحذية جلدية سميكة.

بقيت أقدامهم تتحرك حتى توّقفت أمام القصر مباشرة ليرفع سامي قامته لأعلى حتى يتحدث مع الحارس بطريقة واثقة لا تجعله مُثيرًا للشكوك:

-أريد مقابلة الأمير علي باببوا

نزع عمامته وهو يتحدث لتبدو طريقة حديثه أرستقراطية راقية جعلت عوالم الجمود تلوح على الحارس وهو يسأل:

-من أنتم ؟

عدّل مارك من عوّيناته وهو يتقدم ويُقلد حديث سامي الأرستقراطي:

-نحن معاونوه .... وضيوفه

بقيت نظرات الحارس تُحدجهم بشكٍ لفترة وجيزة أنهاها بكلماته الصارمة:

-سأخبره أولًا

بصق هذه الكلمات الغليظة ثم عاد إلى القصر حتى يتلقى الأوامر بإدخالهم، وما إن ذهب حتى اقترب حكيم من سامي متسائلًا:

-أمتأكدٌ أن هذا الأمر سيفلح ؟

طمأنه سامي بكلماته الواثقة:

-نعم ... لا تقلق

ما كاد يتفوّه بالمزيد من الكلمات حتى وجدوا الحارس يعود مُجددًا ويسمح لهم بالدخول، فما إن وطأت أقدامهم هذا القصر الفاره ذو النقوش الشرقية حتى وجدوا علاء الدين يقترب نحوهم وعلى وجهه ابتسامة واسعة مُرحبة:

-مرحبًا بكم .... هل أنتم بحاجة للمساعدة ؟

طغى الارتباك على جنباتهم وهم يتبادلون النظرات في حيرة وصمتٍ حتى تدخل مارك ببعض الارتباك:

-الحقيقة نحن ..... فقدنا شيئًا هنا ... ونُريد أن نعثر عليه

حاول أن يجعل إجابته مُبهمة قدر الإمكان لكنه لم يفلح في هذا الأمر وجعل عوالم الغرابة تلوح على وجه علاء وهو يُحدقهم ويسأل:

-حقًا .... وما الذي فقدتموه ؟ .... يُمكنني أن أساعدكم إذا أردتم

أنهى الحديث بهمسٍ تبعه بغمزة من عينيه وهو يُشير إلى كوْنه سارقًا ويستطيع الحصول على ما يُريدونه، لكن سامي لم يُرد له أن يتدخل في هذا الأمر كي لا تتعقد الأمور واكتفى بابتسامة ودودة وهو يقول:

-شكرًا لك .... نريد فقط أن نبقى هنا لليلة أواثنتين .... حتى نعثر على ضالتنا

اتسعت بسمة علاء وهو يُرحب بتلك الفكرة متفوّهًا:

-بالطبع .... سأخبر الخليفة أنكم ضيوفي

أنهى الحديث بمرحٍ ثم تحرك إلى الداخل ليتبعه بعض الرجال ثم يتحرك سامي والبقية خلفهم ليتجهوا إلى ذاك الجناح الذي من المُفترض أن يبقوا فيه لبضع أيامٍ حتى يستطيعوا البحث عن الجهاز بأريحية.

تحركوا في رُدهة عريضة على سجادٍ أحمرٍ فاخرٍ وبجوارهم العديد من الحُجر الكبيرة وكأنهم داخل أحد الفنادق، كانت غيّد تتلفت حوّلها في ذهولٍ ثم تُربت على كتف حكيم عندما ترى شيئًا يُثير حماسها وترغب أن يشاركها إياه، فهو الوحيد الذي يستطيع أن يُشارك في سذاجتها، بينما كانت كاتي في حالة من الصمت تراقب سامي من بعيد ولا تحاول حتى أن تتحدث معه خاصة بعد أن تشاجر معها في منزل علاء الدين.

توّقف الحارس عن السير أمام جناحٌ كبير تم فتح بابه ليدلف منه سامي وبقيتهم ويبدأو باستكشافه بنظراتٍ مذهولة، فكان هناك فراشين فسيحين محاطان بستائر من عدة طبقاتٍ من الشيفون، وطاولة صغيرة وُضع عليها جميع أنواع الفاكهة مع دوّرقٍ من الذهب مملوء بالمياه وبجواره المزيد من الكؤوس الذهبية، وكان هناك مرحاضٌ واسعٌ داخل الجناح وأريكة كلاسيكية تعتلي البهو مع مقعدين كبيرين، تركهم الحارس في تلك الحجرة الواسعة الأشبه بمنزلٍ صغير ثم رحل ليواصل خدماته في ذاك القصر.

شهقت غيّد بحماسٍ وهي تتحرك داخل الجناح وترتخي على الأريكة المُريحة، بينما التقط حكيم ثمرة من الموّز وبدأ يأكلها وهو يتجوّل بالقُرب من الفراش، وكانت ميليندا تستلقي بظهرها على الفراش الفسيح ومارك يجلس على الأريكة ينزع عوّيناته ويقوم بتنظيفها جيدًا.

اتجهت كاتي إلى الوسائد الملقية أمام الطاولة لتجلس بهدوءٍ على الأرض ويجلس سامي قبالتها يوّليها ظهره وكأنها غير موّجودة، كانوا في حالة من الصمت والاستكشاف حتى نبست غيّد بلهفة:

-ألا يُمكن أن نبقى هنا أكثر ؟ .... أتشوّق لحياة الأميرات هذه

تدخل مارك ليُجيبها بتجهم:

-لا يجب .... يجب أن نعثر على الجهاز

اعتدلت ميليندا على الفراش وهي تسأل ببعض الاندفاع:

-وكيف سنعثر عليه في هذا القصر الكبير ؟

آجابتها كاتي بنبرة حكيمة:

-لن نبحث في القصر .... سنبحث مع جعفر

ما إن بصقت كلماتها حتى وثب سامي عن الأرض متفوّهًا بتقرير:

-إذا هيا بنا ... لا وقت لنُضيعه

تطلعوا إليه بنظراتٍ حائرة لا تفهم سبب تسرعه واستعداده للمخاطرة، سأل حكيم وهو يضع قشرة الموز على الطاولة:

-أين ستذهب يا صاح ؟ .... نحن لا نعرف حتى أين هو جعفر

بات سامي أكثر استعدادًا وهو يقول بتقرير:

-إذًا سأبحث عنه الآن

تحرك نحو الباب كي يقوم بفتحه والخروج من الحجرة دون الانصياع لهم، ودون التخطيط للخطوة القادمة، وثبت كاتي عن الأرض لتهرول خلفه قبل أن يرتكب أية كارثة، فلا يجب أن يقبل على خطوة كهذه وحده، خاصة وهو لا يعلم الكثير عن تلك الحكاية، ظنُت أنها ستستطيع المساعدة ولو قليلًا، أو ربما آرادت أن تتحدث معه قليلًا، لا تعرف حقًا، لكنها قالت على أي حال:

-انتظر .... سآتي معك....

ساد السكون بينهما وهما يتحركان داخل القصر في تلك الردهة الواسعة المحفوفة بالمصابيح والزخارف، نظرات الترقب والحدة تنبعث من عيني سامي الذي كان يتجاهل كاتي تمامًا مما آثار حنقها، فلا يوجد سببٌ واضحٌ ليعاملها بتلك الطريقة الجافة، هي تُريده أن يعود صديقها المُقرب كما كان، لا أن يعاملها مثل الغرباء،

فهي ليست مجبورة على الدخول في علاقات وهي لا تزال هشة غارقة في بحر الخُذلان.

-جعفر هو الشرير في هذه الحكاية .... وهو الأصعب من بين جميع الحكايات

همهم سامي بلا مبالاة تبعها بكلماتٍ غامضة:

-هل هو الأصعب لأنه ذكر ؟ ... أم لأنكِ تخشين الذكور

ضوّت عينيها بوٌميضٍ من الغضب وهي تقول:

-أنا لا أخشى الذكور .... ولا تتحدث معي بهذه الطريقة

تنهد تنهيدة عميقة حاول معها أن يتجاهل اندفاعها بوجهه والتركيز بتلك المهمة حتى يتخلصوا من هذا الأمر:

-ليكن ... هيا لنعثر على ذاك الوضيع

توّقفت عن السير لتُطالعه بنظراتٍ ثابتة آشارت معها على بقعة مُحددة:

-لن نعثر عليه سوى هناك....

حاول النظر إلى البقعة التي تُشير عليها لكنه لم يستشف سوى الظلام، وجدها تسبقه ببضع خطواتٍ وهي تتحرك صوّب هذه العُتمة في ممراتٍ ضيقة صخرية تبدو وكأنها ممرّات سرية، تبعها سامي بنظراتٍ حائرة حاول إخفاءها ومواصلة السير والانحناء وهو يعبر تلك الممرات الضيقة التي انتهت أمام حُجرة واسعة يُضيئها مجموعة من الشموع.

كان جعفر يقف داخل هذه البقعة يستند على صوّلجانه الأشبه بثُعبان الكوبرا ويتحدث بتعالٍ وكِبرٍ أمام الببغاء الذي كان يُردد كلماته الشريرة، الأمر الذي جعل سامي يُعلق بسخرية وصوّتٍ يكاد يكون مسموعًا:

-هذه أول مرة أرى فيها الببغاء يمُثل رمزًا للشر

اعترضت كاتي حديثه بنفس الهمس والسذاجة:

-ليست أول مرة .... ألم تشاهد الملك الأسد ؟

كاد يحادثها سامي بنفس سذاجتها حتى انتبها إلى صوّت جعفر وهو يتلفت صوّبهما متفوّهًا:

-ما هذا الصوّت ؟

شهقت كاتي بذعرٍ وهي تلتصق بالجدار تضع يدها على فمها حتى لا تُطلق أي صوّت حتى ولو كانت أصوات الأنفاس، بينما وضع سامي إصبعه السبابة بمُنتصف فوهه وهو يحثها على الصمت حتى لا يكُشف أمرهما، بقيا على هذه الحالة حتى تأكد جعفر أنه لا يوجد أحد وواصل حديثه مع الببغاء، فكان يشرح له خطته الماكرة بالاستيلاء على السُلطة وإيهام الخليفة بأنه أنسب زوّجٍ لإبنته، الأمر الذي جعل سامي يُطالع الأمر ببلاهة أكثر، فهو لا يعرف لماذا يتحدث جعفر عن خطته أمام ببغاء ؟ فكان من الأفضل أن يُبقيها بداخله حتى وقت التنفيذ.

ابتعد سامي قليلًا عن الحائط وبدأ يطالع الحُجرة بعينيه لعله يعثر على الجهاز في أي مكان، لكن محاولته باءت بالفشل لصعوبة الأمر، فإن طالت نظراته سيُكشف أمره، لكنه أيضًا انتبه إلى حديث جعفر عن خطته التي سيفعلها في المساء والتي ربما تضحى جزءًا من الفيلم، فهو قد استمع إليه وهو يُخطط لخطف علاء وإزاحته عن طريقه حتى يخلو له الجو مع الأميرة.

-هل وجدت الجهاز ؟

سألت كاتي بنبرة هامسة تكاد تكون مسموعة حتى لا يُكشف أمرهما، وكانت عوالم الجمود تنطلي على وجه سامي وهو يقول بثقة:

-لا .... سنبحث مجددًا في المساء....

بزغ القمر المُنير في سماءٍ مُلبدة بالنجوم وأجواء تمتليء بالسكينة ولا تشوبها شائبة، وفي تلك الليلة الهادئة، كان الثلاثة رجال يتسللون على أطراف أقدامهم صوّب هذه الحُجرة المُعتمة ذات الشموع والنقوش العجيبة، يعرفوا جيدًا أنها ليست الحُجرة الخاصة بجعفر، لكنها الحُجرة التي يُخبيء بها مُخططاته وأفكاره الشيطانية الماكرة،

لهذا السبب كانوا مُتيقنون أنهم سيعثروا على جهازهم هنا، فبالطبع لن يترك جعفر هذا الشيء العجيب دون أن يستكشفه ويعرف ماهيته لعله ينتفع به فيما بعد.

كان سامي يحمل مصباحًا زيتيًا وهو يدلف الحُجرة المُعتمة ويضع المصباح على الأرض حتى يبدأ البحث، وحكيم يتجوّل ببطءٍ بالقُرب من الحائط وعيناه تجولان في كل مكان، أما مارك فبدأ البحث بسرعة بين الخرائط والمستندات الملكية التي أضحت متناثرة على الأرض بسببه.

أحنى سامي جذعه على الأرض وبدأ يبحث أسفل المنضدة وكان حكيم في عالمٍ موازٍ يحمل سُترة جعفر السميكة التي وجدها صُدفة وأخذ يضعها على كتفيه متفوّهًا :

-إنظروا إلي ... أصبحت شريرًا

رفع قامته لأعلى وهو يتحدث بنبرة عميقة ساخرة:

-سيُصبح هذا القصر لي وحدي .... هاهاها..

أنهى الحديث بضحكة شيطانية مبتزلة جعلت مارك ينفجر بالضحك على تمثيله بينما تجهمت ملامح سامي وهو يقول كما لو أنه ينهر ابنه الصغير:

-لا وقت للمزاح الآن .... يجب أن ننتهي بأسرع ما يُمكن

تجاهل مارك ما قاله سامي وهو يثب عن الأرض ليقترب نحو حكيم متفوّهًا:

-هل يُمكن أن تُعطيني هذه السُترة .... أريد أن أجرب أدوار الشر

بصق كلماته بصبيانية جعلت حكيم ينزع السُترة عن كتفيه ويُعطيها لمارك الذي غشاه الحماس وهو يُجربها ويُبدل ملامحه إلى ملامح الشر المُبتزلة، وكان سامي على الجهة الأخرى يكاد ينفجر من أفعالهما الصبيانية:

-تعلّم كيف يُصبح الشر الحقيقي

قالها مارك بتعالٍ بعد أن ارتدى السُترة وبات واثبًا في مُنتصف الحُجرة يرفع قامته لأعلى وهو يدّعي الشر بكلماته:

-أنا هو الأعظم في هذا العالم...

قهقه حكيم على طريقته الساخرة في تقليد الشخصيات الشريرة بينما كان سامي يكاد يفيض ذرعًا وهو يتابع سخريتهما التي لا وقت لها الآن، ومارك لا يزال يرتدي السترة ويقول بحماس:

-إنظر إلى هذا

سرق نفسًا عميقًا وهو يُغلق عينيه ليستحضر شخصيته الشيطانية قبل أن يفتح عينيه مرة واحدة وتتجهم ملامحه إثر هذا الصوّت الذي اخترق المجال:

-ها قد أتت نهايتكم أيها الأوغاد

رفع حكيم حاجبيه بإعجابٍ قال معه:

-أوه ... هذا مُدهش ... من أين أتيت بنبرة الصوّت هذه ؟

لم يُلاحظ حكيم شفاه مارك التي لم تتحرك ولا حتى ارتجافة جسده وهو يرفع يده ويُشير بها إلى هذا الجسد الطويل الواثب خلف حكيم مباشرة!!

تجهم سامي وتراجع بضع خطواتٍ للوراء بينما ازداد مارك ارتباكًا وهو يقول:

- هـ...هذا ... لم يكن أنا

استشف حكيم قلقهما وتغيّر ملامحهما مما جعله يلتفت بحركاتٍ بطيئة للخلف ليصطدم بتلك النظرات النارية تخترق جسده، كاد يبكي كالأطفال من هوّل الذعر، فها هو جعفر يقف خلفه مباشرة ومعه مجموعة من الحُراس يحاوطون الحُجرة من كل حدبٍ وصوّب؛ ابتلع حكيم رمقه وهو يردف ببلاهة طغت على ارتجافته:

-أأ..أعتذر ... لم أقصد أن آخذ السُترة

ارتسمت بسمة متُشفية على ثغر جعفر وهو يقترب نحوهم لا يزال يتذكر كيف خدعوه وهربوا بالمصباح الذي من المُفترض أن يعطوه إياه، لا يزال يكني لهم الغضب لأنهم السبب في مجيء علاء ومحاولته لإفساد خطته الشيطانية، وبما أنهم

أتوا إلى القصر بأقدامهم، هذا يعني أنه سينتقم منهم متى آراد، الأمر الذي جعله يُطلق قهقهة ماكرة شيطانية وهو يقول:

-لا بأس يا عزيزي .... فهذه قد تضحى آخر مرة تسرق فيها شيئًا .... أو آخر مرة في هذه الحياة

طغى الخوّف عليهم وهم يتراجعون للوراء حتى التصقوا بالحائط ليقترب الحراس نحوهم ويُشهروا سيوفهم وهم يرغموهم على الركوع على الأرض ليتم تكبيل أقدامهم وأيديهم، كان يحاول سامي التملص من قبضتهم ودفعهم بعيدًا عنه لكن جسده لم يكن يعادل هذه الأجساد الضخمة التي سددت له بعض الركلات وجعلته مكبلًا بالأغلال ليتم جذبه هو ورفاقه إلى مصير غير معلوم ... لكنه سوّداوي....!!

ارتمت غيّد على الفراش وهي تقرض أظافرها بتوّتر، تعد الثواني على أصابعها لأنها لا تعثر على أي ساعاتٍ هنا، لا تعلم كم من الوّقت مرٌ على رحيل الرجال لتنفيذ هذه المهمة، لكنها تعلم جيّدًا أن هناك كارثة ستحدث قريبًا، فلا يحدث هنا سوى الكوارث، هذا الذي اعتادت عليه منذ أتت إلى هذا العالم المجنون، يلتهمها القلق في كل ثانية تمرُ فقد بات غيابهم أشبه بغياب الجندي للذهاب إلى معركة كُبرى.

-فتيات .... أعتقد أنهم تأخروا .... يجب أن نتدخل

قالتها بقلقٍ جامٍ جعل ميليندا تستلقِ بجوارها على الفراش حتى تُطمئنها:

-لا تقلقي .... سيأتوا بعد قليل ومعهم الجهاز

ما إن أنهت حديثها حتى استمعن إلى صوّت طرقاتٍ على الباب جعلت ميليندا تثب عن الفراش متفوّهة بحماس:

-رأيتي !! .... أخبرتكِ أنهم سيأتوا

فُتح باب الجناح بعد هذه الطرقات التي ظنوا أنها تخُص رفاقهم، لكن ما لم يحسبوا حسابه هو ما حدث بعد ذلك، فما إن فُتح باب الجناج حتى توّغل منه مجموعة من الحراس ومعهم سيوفهم ونظراتهم المُتجهمة.

شُحبت غيُد وهي تثب عن الفراش بفؤادٍ منقبض خاصة وهي ترى جعفر يتوّسط أولئك الحراس ويرميهم بنظراتٍ مُستحقرة جعلت كاتي تبادله بمثيلتها وهي تتابع ما يحدث بثباتٍ سألت معه:

-ماذا تُريد ؟... لمَ أتيت هنا ؟

تشبث جعفر بصوّلجانه وبدأ يخطو داخل الحُجرة وهو يقول:

-لا يصح أن تتحدثي مع سيدكِ بهذه الطريقة أيتها القطة المشاكسة .... وإلا سيضحى مصيركِ مثل رفاقكم

سقط فؤاد غيُد بعد أن بصق كلماته التي جعلت خوّفها يزداد أضعافًا، حتى أن صدرها بدأ بالعلو والهبوط إثر ارتفاع حدة القلق لديها، هذا ما جعلها تسأل بنبرة مبحوحة أقرب للبكاء:

-مـ...ما الذي حدث لرفاقنا ؟

اقترب جعفر نحوها وبدأ يرميها بنظراتٍ شيطانية بثت الرُعب في عظامها خاصة وهو يقول:

-سأتخلص منهم .... كما سأتخلص منكم أيضًا

ما إن أنهى كلماته حتى آشار بآصابعه نحو حُراسه ليحاوطونهم من كل حدبٍ وصوّب وسيوفهم مرفوعة لأعلى مجتمعة مع نظراتهم المُهددة، كانوا يحاولون تكبيلهن وكانت الفتيات تقاوم بكل ما أوتيت من قوة حتى رفعت كاتي من صوّتها وهي تقول بتهديد:

-سيتم عقابك إذا علِم الخليفة بما تفعله

اضطرّت كاتي للانحاء كي يتم تكبيلها من رسغيها وهي تبصق تلك الكلمات المُهددة التي كان جعفر يقابلها بُسخرية ويقول:

-إنتهى عصر الخليفة أيتها الصغيرة .... وبدأ عصري أنا....!!

دفعتهم الأيادي الغليظة داخل هذه الحُجرة المُعتمة ذات الأرضية الصلبة والجدران الصخرية، كان سامي يجلس على الأرض مُكبلًا بالأغلال الحديدية بجواره حكيم يستند بظهره على الحائط وعلى وجهه علامات اليأس، ومارك يضم رُكبتيه نحو صدره ويدفن وجهه بينهما ليغرق في هالة من التفكير والشرود والندم.

ارتمت كاتي على الأرض إثر هذه الدفعة القوية التي ملأتها غضبًا وحنقًا، فهي لن ترضى أبدًا بهذه المعاملة المتدنية ولا تعرف لماذا يتم سجنهم من الأساس، جلست غيُّد بمُنتصف الحُجرة تكاد الدموع تتقاطر من عينيها من شدة اليأس بينما كانت ميليندا بجوارها لا تختلف حالتها عنها، إنما تزداد خوُّفًا وهلعًا، فأيًا كان ما سيحدث لهم، لن يضحى هيُّنًا أبدًا، والأسوأ من ذلك أنهم لم يعثروا على الجهاز!!

انتبهت كاتي لنظرات اليأس التي تحاوطهم فحاولت الاعتدال في جلستها وهي تبثهم بعض الاطمئنان:

-لا بأس .... مررنا بالكثير، وسنمر من هذا

قالتها بطريقة هادئة وكلماتٍ أشبه بدهانٍ يعالج الجروح، رفع مارك رأسه نحوهم لتظهر عينيه الغائرتين وهو يقول بندم:

-لا أعرف ماذا أقول .... لكنني أعتذر، أنا السبب في هذا .... وفي جميع الكوارث أيضًا

أحنى رأسه مجددًا ليتقاطر الندم من عينيه وهو يحاول تجنب النظر لهم مما جعل ميليندا تشعر بغصة في قلبها من أجله، فهي أكثر من يعلم عن معاناته وماضيه المؤلم والذي على الأخرى يخلط بينه وبين ما يحدث الآن، فقد كان يعاني من الرفض ويوصم بالفتى السيء دائمًا حتى نمت لديه عُقدة أزلية جعلته يعتقد أنه كذلك بالفعل رغم محاولاته المستميتة ليضحى ذو شأنٍ رفيع:

-ليس صحيحًا مارك ..... جميعنا ارتكبنا الكوارث في هذه الرحلة .... لكننا بقينا معًا .... ولن نفترق أبدًا

أنهت الحديث ببسمة هادئة بددت القليل من ضيقه وجعلته يطالعها بنظرات جامدة خلطت ما بين الضيق والسكينة، لُجمت ألسنتهم بعد هذه الكلمات القليلة ليغرقوا في وحلٍ من الصمت والوجوم حتى شعروا بالأرض وهي تهتز أسفل أقدامهم.

-ما الذي يحدث ؟

قالتها غيْد وهي تحاول الثبات والسيطرة على خوُفها من تلك الهزات الأشبه بهزات الزلزال، وكان القلق يلفح جنبات كاتي وهي تتلفت حوُلها تحاول أن تتغاضى عن شكوكها التي تيقنت فيما بعد أنها حقائق وليست شكوكًا.

فُتح باب الزنزانة مرة واحدة ليقتحم الحُجرة مجموعة من الحراس ليقتربوا نحوهم بمعاني وجهٍ غليظة حتى انتشلوهم عن الأرض وبقيوا يدفعونهم للأمام رغم اعتراضهم ومحاولاتهم المستميتة للتحرر من هذه القيود.

توّقف الحُراس أمام العرش الملكي الذي أضحى داكنًا تحوم حوُله الأدخنة ويقف جعفر قبالته يستند على عكازه الشبيه بُثعبان الكوبرا ويرمقهم بنظراتٍ مُتشفية وجه معها حديثه نحو الحراس بلكنة آمرة:

-حلُوا وثاقهم وضعوهم مع الخدم ..... هذا القصر بحاجة للتنظيف

جحظت عينا كاتي وهي تتبادل النظرات مع رفاقها وتتضارب نبضاتها في هلع، فهي لم تكن تتخيل أنهم سيبقوا في القصر حتى هذه اللحظة، كانت تعتقد أنهم سيعثروا على الجهاز ويرحلوا قبل أن تتعقد الأمور، لكن يبدو أن للقدر رأيٌ آخر.

-وما شأننا نحن بتنظيف القصر ؟

قالها سامي بنبرة حادة جريئة جعلت بسمة جعفر تتسع وتزداد شرًا ومُكرًا وهو يتقدم صوُبهم حتى توّقف أمامهم مباشرة ليُحدق بأعينهم وهو يقول:

-كيف تتحدث هكذا مع الملك أيها الحشرة!!

لُجم لسان سامي في صدمة وبقي صامتًا يردد في ذهول:

-ملك!!

قهقه جعفر قهقهة ماكرة تراجع معها بضع خطواتٍ للخلف ليتجه صوّب العرش الملكي باسطًا ذراعيه بتملكٍ وهو يقول بتأكيدٍ خالطه المُكر والدهاء:

-نعم .... أنا هو الملك ... وأنتم الآن عبيدي!!

الفصل الخامس والعشرون (للحكاية بقية)

لا يعني الاستسلام أن تتخلى عن أحلامك ومبادئك، بل يعني أن تتخلّى عن الطريقة التي تُحقق بها هذه الأحلام والمباديء....

اختلطت السماء بمزيجٍ من الأحمر القاطم والأسود المُثير للإذعان، صوّت البرق يشق عبير السماء ويزيد من رهبة هذه الأجواء المحاوطة للقصر، لم يكن قصر الخليفة وقتها مُشبعًا بالبهجة والألوان الساطعة، بل كان داكنًا يحفه السوّاد من كل جانب، ويعتلي جبلًا صخريًا استطاع أن يرفعه عن الأرض ليضحى فوق الجميع، فهذا ما يُريده جعفر بالضبط، أن يُصبح الأعلى مكانة...

كاد سامي ينفجر غيظًا وهو مُكبلًا بالأغلال يحمل مكنسة بدائية يُنظف بها أرضية القصر الذي كان من الداخل أشبه بكهفٍ أحمر اللون، كان حكيم بجواره يحمل قطعة من القماش يُنظف بها الحائط ومارك ينحني على الأرض يُنظفها برقعة مُبللة من القماش، بينما كانت غيّد وميليندا يثبان بجوار العرش يقوّمان بتحريك قطعة ضخمة من الريش لإحداث بعض الهواء وعلى وجهيهما عوالم الإجهاد والضجر، وكاتي على الجهة الأخرى، تقوم بترتيب ثمرات الفاكهة وتنظيف الطاولات، وكان الحراس يتفرقون على أطراف القصر يحملون سيوفهم ويرمونهم بنظراتٍ حادة مُهددة.

أزاح مارك قطرات العرق المنسابة على جبهته وهو يرفع جذعه لأعلى ويُعدل عوّيناته التي كانت تجاهد حتى تبقى على وجهه ثابتة، حاول أن يلتقط أنفاسه ويشعر ببعض الراحة لولا زمجرة الحارس بجواره مُهددًا:

-انتهي من عملك أيها العبد

أطبق مارك على شفتيه وهو يرد على ذاك الحارس حِفظًا لكرامته ورفضه أن ينعته أحدهم بالعبد:

-لا تتحدث معي بهذه الطريقة أيها الحقير

رفع سبابته وهو يتحدث ببعض التهديد لتتقابل عيناه مع نصل السيف الذي تم إشهاره بوجه مارك وجعله يبتلع رمقه بهلعٍ ثم يواصل تنظيف الأرض ولسانه لا يتوّقف عن التمتمات الحانقة.

تحرك سامي بالُقرب من كاتي وهو يُنظف الأرض بالمكنسة ويقابلها بعينيه من الحين للآخر، يراها تضع الثمرات على صحنٍ كبيرٍ من الذهب ثم تُرتب الطاولة بمهارة تغافلت معها عن رسغيها المُقيدين، كان يُريد مساعدتها ليرفع عنها عبء العمل لكن نظرات الحرس كانت تقابله وتجبره على مواصلة عمله وعدم الالتفات لها، فبقي يراقبها من بعيد وقلبه يتحرق شوُقًا للحديث معها، حتى ولو لم تقبله زوُجًا لها، يكفي فقط أن يتحدث معها ويستشعر عبيرها.

حاول أن يتجاهلها حتى لا يتلقى عقوبة الحراس لكنه توّقف مرة واحدة حينما وجد هذه النظرات الحقيرة تُمشط كاتي من أعلاها لأسفلها، وما كانت هذه النظرات سوى نظرات هذا الحارس الذي يتُابعها بحقارة جعلت الدماء تتغلغل في عروق سامي خاصة عندما وجده يقترب نحوها متفوّهًا:

-دعكِ من هذا العمل أيتها الجميلة .... يمكنني أن أخبر الملك أن يُعطيكي بعض الراحة

لاحظت كاتي نظراته التي تمُشطها فشعرت بالارتباك وهي تحاول الابتعاد عنه متفوّهة:

-لا شُكرًا لك

تجاهلته قدر الإمكان وواصلت عملها لكن الحارس لم يتوّقف وبدأ يقترب نحوها بوضاعة حتى قبض على ذراعها ليوُقفها عن الحِراك وهو لا يزال يرمقها بحقارة:

-ما بكِ أيتها الحسناء ؟ .... أترفضي نعمة البقاء معي!

انقبضت أوزارها وهي تحاول التملص من قبضته وعيناها تُذرفان القليل من الدموع، لكن الرجل لم يُعطي أهمية لخوُفها وبقي يقترب نحوها أكثر وهي تحاول الابتعاد وتصرخ به:

-إبتعد ... إبتعد عني...

كان هذا قبل أن تهوِّي هذه الضربة على رأس الرجل بواسطة هذه العصا الخشبية التي أظهرت بعدها نظرات سامي النارية وهو يقول:

-كيف تجروء على الاقتراب منها أيها الحقير

صرخ سامي بوجه الحارس وهو يُسدد له الضربات بواسطة عصاه الخشبية دون أن يكترث لعواقب ما سيحدث، فهو لم يشعر بنفسه وهو يهرول نحوها ليُساعدها.

التفت سامي نحو كاتي التي يبدو عليها الذعر بوجهها الشاحب وجسدها المُرتجف، كانت عيناه مليئة بالقلق وهو يسألها:

-هل أنتِ بخير ؟

أومأت كاتي دون أن تنبس ببنت شفة ولم تكن تعرف كيف تشكره، هي لا تعرف حتى كيف أدرك أنها في خطر، أليس من المُفترض أنه يعمل في مكانٍ بعيد!!

بقيتُ نظرات سامي القلقة تُحدق بها وكان الحارس ملقيًا على الأرض وعلى وجهه مزيجًا من الكدمات والغضب، فهو لن يقبل أن يتعرض للإهانة من شخصٍ وضيعٍ كسامي، كانت النيران تفيض من عينيه وهو يقبض على سيفه ليصطك بغمده وهو يرفعه عاليًا عازمًا على النيل من سامي والانتقام منه، وثب عن الأرض وكاد يُنفذ فعلته لولا هذا الصياح المُحذر الذي انطلق مرة واحدة وتبعها يدان حادتان تقبضان على رقبته وتُرغماه على إلقاء سيفه على الأرض.

انتفض سامي إثر هذا الصياح ليلتفت خلفه ويلاحظ حكيم وهو يتشبث بظهر الحارس الذي آراد قتله لتنجم هذه الحركة عن المزيد من الفوضى، فما إن رآى بقية الحراس ما يحدث لزميلهم حتى تجهمت عوالمهم ورفعوا سيوفهم استعدادًا لمعاقبة أولئك المتمردون.

ترك مارك ما يفعله ليُشاركهم هذا القتال بانقضاضه على واحدٍ من الحراس وتكميمه بواسطة الرُقعة المبللة التي كان يُنظف بها، بينما أحنى سامي جذعه ليلتقط سيفًا كان على الأرض ويُشهره أمامه بمهارة اكتسبها مؤخرًا ليتبارز مع بقية الحراس بمهارة استطاع خلالها أن يفك قيده ويجرح أحدهم ثم يتخلص من الآخر ويُصاب بجرحٍ بسيط بكتفه.

تراجعت كاتي للوراء وهي تشاهد هذا العراك الذي نشب فجأة وقررت أن تنتهز الفرُصة وتساعد بقية رفاقها لعلهم يستطيعون الهرب من هنا، طفقت تهرول صوّب

غيُد وميليندا دون أن تكترث لجعفر الذي من الُممكن أن يراها ويقتلها بسحره، لاحظت غيُد هرولة كاتي وملامح الذعر على وجهها مما أرغمها على التوّقف عن تحريك قطعة الريش وسؤالها:

-ما الأمر ؟... ماذا حدث ؟

حاولت كاتي أن تلتقط أنفاسها وتنتهز انشغال جعفر مع الأميرة ياسمين والجني الذي آراده أن يجعل الأميرة تقع في غرامه، فكانت تقول بين لهاثها:

-علينا أن نهرب .... سامي وبقيتهم في خطر...

ما كادت تُخبرهما المزيد من التفاصيل حتى ضربت آذانهم أصوات البرق والرعد والتفات جعفر خلفه ليلحظ مجيء علاء الدين ومحاولته للحصول على المصباح وإنقاذ الأميرة.

أطلقت ميليندا شهقة مذعورة تركت على إثرها قطعة الريش وكانت تحاول الهرولة بعيدًا لكنها لم تلاحظ حالة جعفر الجنونية وملاحظته لها وهي تهرب مما جعله يُشير بصوّلجانه نحوها ليضربها بصاعقة نارية جعلت جسدها يرتد للوراء وترتطم بالحائط.

-ميــــل!!

صرخت غيد بتلك الكلمات وهي تُلقي عصا الريش على الأرض وتهرول لإسعاف صديقتها لولا تلك الصاعقة التي ضربتها هي الأخرى وجعلت جسدها يتطاير ويسقط بقوة على الأرض!!

سُجنت الأميرة داخل ساعة رملية وتحول البُساط السحري إلى رمادٍ بنفسجي والقرد أصبح لُعبة صغيرة ولا يزال علاء يحاول إنقاذ الأميرة التي أدرك أنه أحبها بعد هذه الأحداث.

هروّلت كاتي نحو صديقتيها لتنتشلهما عن الأرض وتساعدهما على القيام حتى يستطيعوا الهرب بأسرع ما يُمكن، وكان حكيم بالجهة الأخرى قد تخلص من عراكه مع الحرس وطفق يهرول حتى وجد المصباح أمامه ملقيًا على الأرض؛ حاول أن

يلتقطه بأسرع ما يُمكن لولا هذه الصاعقة التي ضربت جسده وجعلت المصباح يتطاير من بين يديه.

كانت الدماء تنسال من كتف سامي وهو يركض في فناء القصر يبحث عن أصدقاءه ويحاول الاطمئنان عليهم، لا زال يحمل السيف كي يُدافع به عن نفسه وهو يهرول في كل مكانٍ حتى يُصدم بهذه النيران الهاجرة التي ارتفعت في المكان فجأة وبدأت تلتهم بهو القصر، كان جعفر قد أصبح أكثر جنونًا وهو يتحرك بين النيران دون أن تحرقه ويُخرج لسانه الأشبه بلسان الحية مع نظراته الماكرة وهو يقترب صوّب علاء عازمًا على النيل منه، كان هذا قبل أن يتحوّل إلى ثُعبانٍ ضخمٍ يتعدي طوّله العديد من الأمتار.

سقط فك مارك في ذهولٍ وصدمة وهو يتابع ما يحدث دون أن يتحرك قيد أنملة، لكنه يجد سامي يجذبه من ذراعه ليتحرك معه ويستجيب إلى كلماته التي كانت:

-علينا أن نهرب ... هيا...

تحرك مارك معه عنوة وطفقا يركضان حتى توّقفا عند البقية، فكان حكيم يحاول الوثوب عن الأرض وهو لا يزال يشعر بتلك الصاعقة التي ضربته وميليندا وغيّد يساعدانه على الوثوب بينما كان الذعر يُلطخ وجه كاتي وهي تقترب نحو سامي تُحدق بالدماء المنسالة من ذراعه متفوّهة بقلق:

-سام أنت تنزف .... يجب أن_

أوقفها سامي بكلماتٍ مُطمئنة:

-لا عليكِ ... لا أشعر بالوجع ... المهم أن نرحل من هنا

قالها بكذبٍ حتى يُطمئنها ولا يجعلها تكترث لجرحه الذي يؤلمه، فالأهم الآن هو الهرب، مهما كانت العواقب، حاولت كاتي أن تُصدق حديثه وهي تهرول بجواره وتراقبه بين الفينة والأخرى، لاحظت حركاته البطيئة وتوّقفه مرة واحدة ليلتقط أنفاسه ويتُحسس جرحه الذي أخذ ينزف بغزارة، لاحظته وهو يتحامل على ذاته ويواصل العدو بجوارها حتى سبقهم رفاقهم وبقيت هي بجواره تركض بنفس

خطواته وتتابعه بقلق، كان هذا قبل أن يداهمها هذا الحارس الحانق ذو الوجه المليء بالكدمات والنظرات التي تشع حِقدًا وانتقامًا!!

-أظننت أنك ستهرب بهذه السهولة أيها العبد ؟

قالها الحارس بتهديدٍ وهو يقبض على سيفه أمام سامي الذي أطبق على شفتيه وحافظ على ثباته وهو يبسط ذراعه أمام كاتي ليُخبئها خلف ظهره ثم يوُجه نظراته الحادة صوّب الحارس وهو يقول:

-إبتعد عن طريقنا

تراجع للوراء خطوة واحدة ليتفاجأ بالمزيد من الحراس يقفون خلفهما ويشهرون سيوفهم ونظراتهم الشيطانية؛ ارتعدت كاتي وبدأت نبضاتها تتسارع بهلعٍ وهي تتشبث بذراع سامي وتتلفت حوّلها بحثًا عن طريقة للنجاة، لكنها تُصدم بحقيقة حصارهما من كل حدبٍ وصوّب من قِبل أولئك الحراس المسخرون لحماية جعفر الشيطان.

حدجهم سامي بنظراته الثابتة رغم قلبه المُرتعد ومحاولاته المستميتة لإبقاء كاتي آمنة دون أن يمسها سوء، حاول إخفاءها قدر الإمكان خلف ظهره وهو يجد الحراس يتقدمون نحوهما يُضيقون الخِناق عليهما خاصة هذا الحارس الذي بقيت نظراته الجائعة تُمشط جسد كاتي المُندثر خلف سامي الذي كان يواجهه بجرأة ويحاول التراجع للوراء والهرب.

رفع سامي سيفه لأعلى وأشهره أمام الحارس وهو يقول بنظراتٍ مُهددة:

-ابتعد وإلا قتلتك

قهقه الحارس بشيطانية رفع معها سيفه وكان يهوي به على سامي بكلماته:

-إفعلها إذًا أيها الشهم

واجه سامي ضربته بسيفه وبقي يتبارز معه بنظراته الحادة وعيناه اللتان تلتفان نحو كاتي من الحين للآخر، لم يكن بهذه المهارة ليتقاتل مع ذاك الحارس لكن ما اكتسبه بهذا العالم جعله يستطيع استخدام السيف جيدًا والدفاع عن نفسه، صحيحٌ أن جرحه

لا زال يُعيق تحركاته لكنه لم يكن ينوّي قتل هذا الحارس، يُريد فقط أن يلوذ بالهرب.

أدى عراكهما المرير إلى ضربة قوية ضربها بقدمه وجعلت الحارس يرتمي على الأرض ملقيًا سيفه بعيدًا، بدأ سامي يلتقط أنفاسه ويزيح العرق عن جبهته وهو يتراجع للوراء لإنقاذ كاتي التي كبلها بقية الحُراس، لكنه قبل أن يلتفت نحوها وجه نظراتٍ أخيرة صوّب هذا الحارس حتى يُخبره:

-هزمتك أيها الوغد ... لا تقترب حتى لا أقتلك هذه المرة

بصق كلماته المُهددة ثم استدار صوّب كاتي بينما كانت نظرات الحارس تشطاط من الغضب، فما هي إلا بضع ثوانٍ حتى وثب عن الأرض ليضع يده في خصره وينتشل خنجره الحاد عازمًا على إنهاء الأمر، والانتقام!!

لم يُعره سامي انتباهًا وواصل عدوّه صوّب الحراس لينتشل كاتي من بينهم، لكنه يجد نظراتها تنقبض مرة واحدة مع صراخها الذي ارتفع طنينه:

-ســـــام ... انتبه

لم يكن يعرف أنها كانت ترى هذا الحارس وهو يتحرك نحوه من الخلف رافعًا خنجره على أمل أن يُدثره بسامي ويتخلص منه، ولم يكن يعرف أيضًا أنه سيتعرض لتلك الطعنة الغادرة التي آصابته وجعلت صوّت تأوهه يشق السماء ويختلط مع دموع كاتي وبكاءها.

انغرس الخنجر بظهر سامي وانسالت دماءه على الأرض لُتغرق أرضية القصر، تهاوى على رُكبتيه تتشوّش الرؤية أمامه ولم يكن يرى سوى وجه كاتي المُنفطرة من البكاء ومحاولاتها المُستميتة للتملص من قبضات العساكر حتى تقوم بإنقاذه!!

توّقفت ميليندا عن الركض لتلتقط أنفاسها وتلتفت نحو القصر الذي ابتعدوا عنه بضع أمتار، كانت تحني جذعها لأسفل وتزفر بأريحية لأنهم استطاعوا الهرب من هذا القصر المجنون، بدأت تتلفت حوّلها صوّب حكيم الذي يضع يده على خصره وأنفاسه تتعالى بإجهاد وغيّد التي كانت تزيح العرق عن جبهتها وتتحسس وجنتها

الساخنة بينما كان مارك ينزع عوّيناته ويقوم بإزاحة الضباب العالق بها حتى يستطيع الرؤية.

-رفاق .... أين كات وسام ؟

سألت ميليندا بين لهيثها عندما لاحظت اختفاء بعض أصدقاءها، الأمر الذي جعلهم يتبادلون النظرات في حيرة ويتلفتون حولهم لعلهم يجدونهم في أي بقعة مُتدثرة، لكنهم يُصدموا من حقيقة اختفائهم وربما بقائهم بالقصر!!

-يجب أن نعود .... علينا أن نعرف أين هما

قالتها غيِّد بقلقٍ وهي تتلفت حوّلها ليُضيف حكيم على كلماتها:

-نعم ... يجب أن ننقذهما

تبع حديثه بحركاتٍ سريعة أخذها صوّب القصر الذي كانوا يهربون منه، تبعه بقيتهم وطفقوا يعدون اتجاهه يعلمون جيدًا أنهم سيلقوا ضروبًا من الجنون لكنهم سيفعلوا ذلك فقط من أجل أصدقائهم.

اهتزت الأرض مرة واحدة وكان الاهتزاز هذه المرة أكثر حدة، ربما لأنهم يثبون على أطراف القصر، وفي أقل من ثانية، اختفت عُتمة السماء وحلّ محلها سماءٌ زرقاء صافية جملتها الطيور وأصوات العصافير مع شمسٍ ساطعة مُنيرة بددت الخوّف الذي سرى بجنباتهم، أضحوا أكثر اطمئنانًا وهم يتحركون صوّب القصر وقد تيُقنوا تمامًا أن المعركة الأخيرة قد انتهت وها قد أتت نهاية الحكاية!!

وطأت أقدامهم القصر الذي أصبح أكثر إشراقًا بعد الانتهاء من جعفر وسجنه داخل المُصباح، حاولوا العثور على كاتي وسامي لعلهما يختبئان في إحدى البقاع ويتنعمان بهذا الهدوء، لكن ما حدث كان يفوق جميع التوّقعات، تيبست أقدامهم مرة واحدة عندما رأوا بُقعة كبيرة من الدماء تفترش أرضية القصر النظيفة تتوّسطها كاتي التي كانت ترتجف بانتحابٍ أمام جسدٍ ساكنٍ أقرب إلى ... الجُثة!!

-سام ... سام أرجوك استيقظ .... لا ترحل أرجوك...

خرجت هذه الكلمات من جوّفها وهي تضع يدها على صدر سامي دون أن تهتم لهذه الدماء التي التصقت بيدها، كان سامي يستلقي على ظهره يراها بصورة مشوشة، شفاهه أكثر زُرقة من المياه ووجهه شاحبٌ يخلو من معاني الحياة، كانت الدماء تنبثق من فمه وسبابته ترتفع لأعلى بحركاتٍ بطيئة حاول أن يقول معها:

-أنا أعتذر .... لم أقصد أن .... أحادثكِ ... بفظاظة...

قالها ببطءٍ وصعوبة زادت من دموعها ونحيبها خاصة بعد ارتماء سبابته على الأرض وإغلاقه لعينيه ببطءٍ تدريجي؛ تعالى نحيب كاتي وقتها ووجدت رفاقها يتجمعون حوّلها وعلى وجوههم علامات الصدمة، فكان مارك ينحني على الأرض والدموّع الساكنة تُذرف من عينيه وحكيم يتيبس على الأرض ينفجر بالبكاء بينما كانت غيّد تحتضن ميليندا وتبكي على صدرها، وجميعهم يراقبون كاتي التي كانت أكثر هيستيرية وهي تُحرك جسد سامي الساكن وتُخبره بما يجيش به صدرها:

-سام لا ترحل .... لا ترحل سامي .... أنا أحبك .... أقسم أنني أحبك .... لا ترحل أرجوك...

بقيت تنتحب على صدره وهي تبصق هذه الكلمات وتعترف له أنها تُحبه ولن تقدر على الحياة بدونه، طفقت تترجاه حتى يُستيقظ ويُخبرها أنه بخير، يُخبرها أنه سيتزوجها وسيُقامٌ لهما عرسٌ كبير، تُريده أن يحميها كالسابق ويحادثها بشتى المواضيع، تريده أن يتحدث معها بتلك الطريقة التي يتحدثان بها سوّيًا، والتي لا يفهمها غيرهما، لكنه يُخيِّب ظنونها ويبقى ساكنًا مغمضًا لعينيه وكانت هي تبكي على صدره وترجوه أن يتحدث معها.

تباطأت أنفاسه أكثر وازداد وجهه شحوبًا، أدركوا جيِّدًا أن صديقهم سيرحل، فلا توجد مشفياتٌ حديثة هنا لإسعافه، ولا يوجد من يُمكنه أن يساعدهم، استسلموا لحقيقة الفقد هذه المرة، صحيحٌ أنهم آرادوا مواصلة هذه المغامرة وهم عُصبة واحدة، لكن يبدو أن الحياة ستكتب عليهم الفراق رغمًا عنهم، سيرحل من كان عامودًا مهمًا من عوّاميد صداقتهم حديثة العهد....

واصل انتحابهم وبكائهم على صديقهم الذي أضحى قريبًا من الجثث الهامدة، كان هذا قبل أن تفاجئهم الحياة مجددًا، ويجدوا بعض الأدخنة تحوم حوّلهم ليتفاجئوا

بعدها باستعادة سامي لأنفاسه مرة واحدة، وفتحه لعينيه بحركاتٍ بطيئة جعلت أجسادهم ترتد للوراء استقبالًا لهذه المُعجزة، فقد كان سامي على شعرة من الموْت، وها هو الآن .... حيٌ يُرزق!!
شهقت غيْد بسعادة كفكفت معها دموعها وانحنت على الأرض لتطمئن على سامي هي وميليندا، قهقه مارك بعدم تصديق بينما كان حكيم يُصفق بمرحٍ كالأطفال ويعانق سامي الذي شعر بجروحه وهي تُقطب لسببٍ لا يعرفه، لكنه يشعر أنه أفضل حالًا.

عانقه حكيم بحرارة بينما اكتفى مارك بتربيتاتٍ على ظهره ونظراته تشع راحة واطمئنانًا، كان هذا قبل أن يلاحظوا نظرات علاء الدين وهو يقترب نحوهم وعلى وجهه إماراتُ الراحة، كان يحمل المصباح بين راحتيه ويسير الجني بجواره يستمع إليه وهو يقول:

-كانت لدي أمنيتان ..... أصبحوا أمنية واحدة .... لكن المُهم أنك بخير

أدركوا فيها بعد أن علاء قد تمنى لسامي أن يتعافى من جروحه قبل أن يفقد الحياة، لأنه لا يستطيع أن يتمنى إعادة الموْتى، ساعد حكيم سامي على الوثوب ليقتربوا نحو علاء الدين ويتشكرونه بحرارة على هذه المساعدة، لكن علاء كان متوّاضعًا وهو يقابلهم بابتساماتٍ هادئة ثم يلتفت صوّب الملك الذي خرج من مضجعه عازمًا على البدء من جديد، فأول ما سيفعله هو أنه سيحكم دوّلته بعدلٍ ومباديء، وسيوافق على زواج ابنته من علاء الدين ليُصبح هو خليفته على هذا العرش.

طغت السعادة على جُدران المكان، وبدأت قلوبهم تصبو إلى الهدوء والسكينة، انتشروا في كل بقعة من القصر يحاولون العثور على سُبل الراحة المدفونة بينما بقي سامي وحيدًا بالقُرب من كاتي يطالعها في صمتٍ وهناك ورودٌ تطوف داخل فؤاده، فهو قد استمع لاعترافها الصريح أمامه، استمع إلى كلماتها الصادقة ومشاعرها المدفونة لأول مرة.

لاحظت كاتي نظراته التي تُمشطها وتجعلها تحني رأسها بارتباكٍ وخجلٍ جعله يبتسم بمشاكسة:

-إييه ... هل ... أنت بخير ؟

سألته بطريقة أكثر ارتباكًا جعلت ابتسامته تتسع وهو يوميءٍ برأسه متفوُهًا:

-نعم .... في أفضل أحوالي

ازداد خجلها من طريقة حديثه السجية التي جعلتها تحاول التهرب من نظراته والذهاب إلى رفاقها معللة:

-سـ...سأذهب إلى غيّد .... هل تُريد شيئًا ؟

سألته وهي تتراجع للوراء فحرك رأسه نفيًا ولازالت الابتسامة تلوّح على وجهه حتى استدارت كاتي وكانت على وشك الرحيل لولا كلماته التي أوقفتها:

-كات!!

استدارت كاتي نحوه لتجده يقترب نحوها ويطالعها بنظراتٍ مبهمة هادئة قال معها بمُكر:

-لم أكن مُتغيِّبًا عن العالم تمامًا .... استمعتُ إلى كل شيء!!

كانت الحياة صعبة عليهم، فاضطروا للهرب إلى عالمٍ خيالي، ليُصدموا بحقيقة أن هذا الخيال ما هو إلا حياة أكثر صعوبة وقسوة، فهو خيالُ من صُنع البشر.

مرّوا بالعديد من الأزلام والتخبطات، نجو من الموت أكثر من مرة وكادوا يتعرضون لشعور الفقد واليأس والاستسلام، لكنهم الآن وبعد مرور أكثر من شهرٍ على بقائهم في هذا العالم، قرروا أن يتمتعوا بحياتهم أو ما تبقى منها، لم يعد حُلم الرجوع يطغي على كيانهم بل أنهم اعتادوا هذه الحياة البهية وبقائهم في القصر الملكي لم يكن سوى دافعًا لهم للاستمرار في تلك الحياة الهادئة، حتى أنهم توّقفوا عن البحث على الجهاز بعد أن فقدوا الأمل.

كان مارك يجلس على مقعدٍ وثيرٍ يحتسي فنجانًا من الشاي ويُراقب العالم من فوّق شُرفة القصر ليرى كم أن هذه المدينة الفوضوية قد تغيُرت مئة وثمانون درجة، انتشر العدل والمساواة بعد عودة الملك ورحيل جعفر إلى الأبد، كان يرتشف رشفة

ثم يُمعن التحديق أمامه لعله يكتسب بعض الهدوء، كان هذا قبل أن تقتحم ميليندا خلوّته بسؤالها:

-بماذا تُفكر ؟

كان سؤالها فضوليًا مرحًا لرغبتها الشديدة بمعرفة ما الذي سيفعله في هذا العالم وهو عالمٌ جليلٌ يعمل فيما يخص التكنولوجية والتي على الأحرى لم يتم اكتشافها هنا.

حدق مارك أمامه بشرودٍ وهو يجيب بنبرة مُبهمة:

-أفكر في هذه الحياة .... وفي تلك الرحلة التي غرقنا فيها

همهمت ميليندا بفهمٍ لتتوّقف عن الحديث لبرهة ثم تعاود السؤال:

-أما زلت تُفكر بالماضي ؟

لاح الغضب على وجه مارك وهو ينفي حديثها بحدة أكدت لها أنه يكذب، وأنه لا زال عالقًا بهذه الدائرة:

-لا ... لا أفكر به

بقيت تطالعه بنظراتٍ غير مُصدقة وجهتها إلى تلك الصوّرة التي لازالت في جعبته وقد ظهر نصفها وهو يجلس:

-إذا لماذا تحتفظ بهذه الصورة ؟

ارتبك مارك وهو يتلفت حوّله إلى تلك الصورة التي تُشير عليها ميليندا بعينيها وهو الذي يعلم جيدًا أنها تعرف لمن هذه الصورة، فهو قد أخبرها سابقًا عن الفتاة التي أحبها وهام بعينيها وكيف طعنته وحطمت فؤاده:

-عن أي صورة تتحدثين ؟ .... أنا ا .... لا أحتفظ بها ... هذه صورة أخرى

وضع فنجان الشاي جانبًا ليُدثر الصورة جيدًا داخل جعبته أمام نظراتها غير المُصدقة وسؤالها الذي حاصرته به:

-حقًا .... ومن أين لك بصورة في هذا العالم ؟

أطبق مارك على شفتيه بنفاد صبرٍ كاد يجعله ينفجر بوجهها ويؤكد صدق كلماتها لولا حديثها الهاديء المليء بالنُصح:

-مارك .... ألا زلت تُحبها ولا تُريد نُسيانها ؟

آشاح وجهه وهو يُجيب بقطع:

-لا ....

-إذا لماذا تحتفظ بصورتها إذا ؟

هكذا اندفعت بوجهه لتجعله يستسلم أمامها وهو يُجيب:

-النسيان ليس بهذه السهولة

-سيضحى أصعب إن لم تحاول .... وأنت لا تحاول حتى

صارحته بهذه الكلمات لتجعله غارقًا في الصمت وداخله نيرانُ تعتمر، يُفكر في حديثها وكلماتها الصادقة، فهو أيضًا لا يعرف لماذا يحتفظ بهذه الصورة، ولا يزال يحتفظ بكل ذكرى مرّت عليه مُنذ أن كانت والدته تسجنه بتلك الحجرة المُظلمة ومنذ أن كان يتلقى جميع أنواع العقاب ويتعرض للأذى دائمًا، يتذكر كيف كان وحيدًا منبوذًا حتى بعد أن هربت والدته مع عشيقها، يتذكر كيف كان يجاهد ويذاكر جيدًا في الثانوية والجامعة فقط حتى يخترع هذا الجهاز الذي سيُخلصه من هذا العالم، وها هُم الآن، عالقون بسبب ماضيه الأليم الذي تبعه أيضًا إلى هذا العالم.

أخرج تنهيدة عميقة من جوّفه تبعها بإخراج تلك الصوُرة من جعبته والتحديق بها لبضع ثوانٍ، تأمل عيني ريبيكا البُنية وبسمتها الصافية التي تؤلمه في كل مرة يتطلع بها إلى هذه الصورة، وجه نظرة عابرة صوّب ميليندا التي كانت تحثه بعينيها وتحاول بثه بعض التفاؤل والبدء من جديد، الأمر الذي جعله يقول بتقرير:

-معكِ حق ....

بصق تلك الكلمات ثم مزّق الصورة إلى قطعٍ صغيرة وألقاها من شُرفة القصر لتتطاير أجزاءها في الهواء ويتطاير معها رماده الناشب عن قلبه المُحترق، كان

يظن أنه سيتقاعس ولن يقدر على الإقدام على هذه الخطوة، لكنه يتفاجأ بفؤاده الذي أشرق وعاد إلى الحياة مُجددًا وكأنه تخلص من حِملٍ ثقيلٍ كان يطبق على صدره.

-لنبدأ حياة جديدة...

أنهى الحديث ببسمة واسعة كانت لأول مرة تراها على وجهه وترى هذا التفاؤل الذي طغى عليه مُنذ أن قرر أن يتناسى الماضي، تعلم أن طريقه لا زال طوّيلًا حتى يستطيع ترميم شقوقه والتخلص من هذا الجفاء والبُغض الناتج عن هذا الماضي الأليم، لكنها شعرتُ بالسعادة لأنه بدأ يخطو أولى خطواته نحو التغيير ... وفي هذا العالم....

حلّ المساء وكان جميعهم يجلسون في حلقة وحوّلهم مائدة كبيرة وُضع عليها شتى أنواع المأكولات، فكانت كاتي تجلس بالقُرب من سامي تتحدث معه بابتساماتٍ واسعة مُتلهفة ويبادلها هو الحديث بطريقة مُبهمة أعرب معها عن حُبه الذي ازداد مع هذه الأيام، وكانت غيْد على الجهة الأخرى تتعارك مع حكيم على ورك الدجاج وتصرّ على أخذه لينقلب عراكهما إلى عراكٍ بالروّضة، ومارك يأكل الطعام بهدوءٍ دون أن يتحدث ببنت شفة بينما كانت ميليندا غارقة في أفكارها وكيف سيضحى مُستقبلها في هذا العالم، كان هذا قبل أن يقطعهم سامي بنبرة صارمة:

-يا رفـــاق.... حافظوا على صمتكم دقيقة

رفع من نبرة صوّته وهو يقول هذه الكلمات ليتحلّى الجميع بالصمت وتتوّقف غيْد عن شجارها مع حكيم ليوّجه الجميع نظراته نحو سامي الذي سرق نفسًا عميقًا ثم أخرجه قبل أن يقول بنبرة تقريرية واثقة:

-أنا وكات....

وجه ابتسامة عابرة صوّب كاتي التي أشاحت نظرها في خجلٍ وهي تستمع إلى ما تبقى من قراره:

-قررنا أن نتزوّج

ما إن بصق هذه الكلمات حتى انطلقت الشهقات السعيدة من غيِّد لتثب عن موْضعها وتهنئهما بصدرٍ رحب ثم تعانق كاتي بحُب بالغٍ تبعتها ميليندا لتنتشر بينهما التهنئات والمباركات، فكان حكيم يُربت علي سامي متفوّهًا بمرح:

-مبروك يا عريس .... عُقبال ما اشوفك راجع من السوبر ماركت ببامبرز وعيش فينو

قهقه سامي على مزحته التي يعلم جيدًا أنها لن تتحقق وهم في هذا العالم، بينما تقدم مارك صوّب سامي ليُربت على ظهره ويُهنئه بسُخرية:

-هنيئًا لك يا صاح .... نجوّت من الموّت مرتين، والآن ستذهب إليه بقدميك

انتشرت المزحات والقهقهات وهمُ يباركون لبعضهم لتنتهي مباركاتهم إلى صمتٍ مؤقتٍ جعلهم يُمعنون التفكير في تلك الحياة الجديدة ليبدأ كلًا منهم التحدث عمَ سيفعله في هذا العالم، فكانت غيِّد تقول بحماس:

-وأنا أيضًا قررتُ شيئًا .... قررتُ أن أضحى أول صحفية هنا

تبعها حكيم وهو يرفع سبابته ويردف بلهفة:

-وأنا سأصبح عازفًا

قالها بثقة لأنه ماهرٌ بعزف الجيتار وربما يضحى مشهورًا بعزفه على تلك الآلة في عالمٍ يغرق في العروض الشرقية والاستعراضات، ربما أيضًا يتعلم بعض الموسيقى الشرقية حتى يتوافق مع هذا العالم.

بعد بُرهة من الصمت قرر أن يتدخل مارك ويُعرب عن أحلامه بثقة:

-وأنا سأعمل بتصليح الأدوات .... لا أعتقد أن هناك آلاتُ كثيرة هنا، لكن ربما تسنح لي الفرصة باختراع آلاتٍ مثل_

-الجهاز!!

قطعت ميليندا حديثه بتلك الكلمة القاطعة التي لم ينتبه لها مارك كثيرًا وواصل الحديث عن أحلامه:

-لا .. بالطبع ليس كهذا الجهاز الملعون .... كنت سأقول أنني سأخترع_

قطعت ميليندا حديثه بنظرة صارمة وعينان جاحظتان جعلت الجميع يُطالعها بغرابة خاصة وهم يرونها تُشير بسبابتها على بُقعة بعينها وتقول بنبضاتٍ متصاعدة:

-الجهاز !! ... ها هو الجهاز!!

التفت الجميع حيث تُشير وكانت معاني وجوههم تنوح بعدم التصديق، فطوال هذا الشهر كانوا لا يتوقفون أبدًا عن البحث عن الجهاز حتى فشلت جميع محاولاتهم واستسلموا إلى حقيقة علقهم بهذا العالم، لكنهم ما إن يلتفتوا إلى حيث تُشير حتى تسقط فكوكهم في صدمة وتتصاعد ألسنة اللهفة والحنين بداخلهم، فها هو الجهاز يظهر أخيرًا، صدق من قال أن الأشياء المفقودة تظهر حينما لا تبحث عنها، وها هو الجهاز، ظهر بعد فترة من الاختفاء وكان يحمله هذا القرد أبو الذي سرقه من غرفة جعفر وخبأه بين أغراضه لعله كنزًا ثمينًا.

انتفض الجميع ووثبوا من أماكنهم وكان سامي يتقدمهم ويهرول صوّب أبو الذي لاحظ انقضاضهم عليه فهرول بعيدًا ومعه الجهاز يضعه بين فكيه ويقفز عاليًا ليتعلق بالستائر؛ اشطاط سامي من الغضب من ذاك القرد المشاكس وواصل الهرولة خلفه بينما كان رفاقه يُحركون الستائر ليُثيروه رهبة والقرد يقفز من بقعة إلى بقعة يحاول الابتعاد عنهم قدر الإمكان والفرار بكنزه الثمين الذي عثر عليه.

-تعالى إلى هنا أيها القُرد المشاكس

قالها مارك ببعض الغضب وهو يحاول تسلق الستائر والإمساك بأبو من ذيله لكن محاولاته تبوء بالفشل وتجعله يسقط على الأرض لتتمزق الستائر وُتنتزع من رافعتها بعد أن فشلت في تحمل وزنه.

ازداد الهرج والمرج في المكان وبدأت حُجرة الطعام تتحوّل إلى مسرحٍ من الفوضى، فكانت الكؤوس والأوعية تتطاير في كل مكان والطاولات تُرتمى على الأرض بعشوائية لطخها صوّت تألمهم وتناطحهم ببعضهم وهم يهرولون خلف هذا القرد سريع الحركة، كان هذا قبل أن يجدوا باب الحُجرة يتم فتحه ليدلف منه علاء الدين بزيّه الملكي وعلامات الحيرة على وجهه، كان يرى الفوضى في كل مكان وقرده العزيز بينها لا يعرف ماذا يفعل.

-ماذا يحدث هنا ؟ .... ما الأمر أبو ؟

انتفض القرد في ذعرٍ ألقى معه الجهاز على الأرض من مسافة عالية حتى لا يعرف علاء أنه عاد للسرقة مجددًا، فكان أبو يقفز على علاء بينما يسقط الجهاز من تلك المسافة التي على الأحرى ستجعله يتحطم إلى مئة قطعة!!

شهقت غيُد في ذعرٍ وأخذت تهرول صوّب الجهاز الذي بدأ يُطلق إشاراتٍ ضوُئية، لا يعلموا إن كانت ناقوسًا للخطر أم إشاراتُ للعودة، لكن الذعر انتشر مرة واحدة بين الجميع لينتفضوا من أماكنهم يهرولون بأقصى ما لديهم صوّب الجهاز قبل أن يتحطم وتتحطم آخر فُرصة للنجاة.

لاحت الحيرة على وجه علاء الدين وهو يقف بعيدًا يُتابع هروّلتهم وصياحهم ثم انقضاضهم مرة واحدة على الجهاز الذي غمر ضوءه الساطع المكان لينتهي الأمر بابتلاعهم مُجددًا .... وإلى عالمٍ مجهول!!

الفصل السادس والعشرون (شوّهنا الطفولة)

ضوّء ساطعٌ ابتلع أجسادهم وأغرقهم في عُتمة أخرى، عتمة جعلت أجسادهم ترتد وتنتفض كما يحدث في كل مرة، كانت أجسادهم مُلتصقة بالأرض يزداد الدوّار حوّلهم وكأنهم كانوا مُعلقين بإطار دراجة نارية تدوّر بهم وتنقلهم من مكانٍ إلى آخر.

جاهد سامي حتى يرفع رأسه الثقيل عن الأرض ليرى العالم من حوّله وما سيحدث بالمغامرة الأخرى، تسلم إلى حقيقة أنهم لن ينتقلوا أبدًا من هذا العالم، وكان على وشك التكيُّف والتعايش لولا هذه الانتقالة المفاجئة غير المحسوبة، حتى أن مارك لم يلحق ضبط الجهاز كما يحدث في كل مرة.

اعتدل على الأرض يُفرك جبهته بإجهاد ويحاول التحديق فيما حوّله بنظراتٍ عجيبة، يرى جُدرانًا طبيعية مليئة بالرسوم والبيانات، أدواتٌ في كل مكان، أجهزة حديثة تم وضعها بطريقة عشوائية تجتمع مع أجهزة متطوّرة كبيرة الحجم زادت عوالمه غرابة.

فتحت ميليندا عينيها وطفقت ترفع جسدها عن الأرض لتضحى جالسة بجوار سامي تتلفت حوّلها وتسأل بضجر:

-هلا أخبرتمونا أين نحن الآن ؟

جحظت عينيها مرة واحدة وهي تطالع تلك الحجرة ليلوح عليها بوادر عدم التصديق التي جعلتها تفرك عينيها أكثر من مرة لتتأكد من شكوكها، سقط فك غيّد وهي تثب عن الأرض بنبضات قلبٍ متصاعدة ويدٍ تتحسس ثيابها التي لم تكن ترتديها في ذاك العالم مع لسانها الذي يقول بعدم تصديق:

-هل تمزحوا !! ....هل نحن...

لم تستطع أن تواصل الحديث من هوّل الصدمة والسعادة التي تغلغلت أوّردتها مرة واحدة، فما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى ارتفع صُراخ ميليندا وبدأت تقفز داخل الحجرة وهي تقول بسعادة:

-لقد عــُدنا!!

انتشرت التهليلات والأحضان والقفزات ما إن تأكدوا من هذا الأمر، هذه ليست حُجرة بعالمٍ خيالي، هذه حُجرة المعمل، الحجرة التي بدأ من عِندها جميع الأحداث وبدأت معها هذه المغامرة المجنونة.

-يا فرج الله ... أخيرًا رجعنا

قالها حكيم بثقة وسعادة هذه المرة وبدأ يرفع قبضته لأعلى ويخفضها ثم يحتضن مارك رغمًا عنه ويدفعه للقفز والاحتفال معهم رغم أن مارك لا يزال يمقت الالتصاق بأحدهم، لكن سعادته بهذا الأمر ربما بددت القليل من جفاءه وجعلته يشاركهم الاحتفال.

توّقفت غيّد عن التهليل لوّهلة لتفتح هاتفها وتتأكد أنه يعمل، اشتاقت لهذا الهاتف حتى أنها احتضنته بشوّقٍ عندما رأته يعمل، لكن ما يبس جسدها مرة واحدة هو تاريخ هذا اليوم:

-العشرون من سبتمبر !! .... أليس هذا اليوم الذي تقابلنا به ؟ .... أكانت هذه المغامرة في بضع ساعاتٍ فقط!!

قالتها بعدم تصديقٍ ما إن لاحظت أنهم في نفس ذات اليوم ولكن بالمساء، أي أن هذه الأشهر السابقة لم تكن سوى مُجرد وهمٍ ليس إلا وتلك المغامرة الطويلة لم تأخذ منهم سوى عشر ساعاتٍ فقط.

-الرسوم المُتحركة تعتمد على الاختزال الزمني .... فالشهور والأيام لا تأخذ في هذا العالم سوى ساعة أو ساعتين

نبس مارك بتلك الكلمات بطريقة علمية جعلتهم يومؤون بتفهمٍ ثم يغرقوا في حالة من الصمت والغرابة، وكأنهم غير معتادون على هذا العالم الحقيقي، أو أن عالم الخيال بدأ يطغي على أفكارهم ويجعلهم يشعرون بهذه الغرابة .... وبعض الحنين.

بعد فترة من الصمت رفعت ميليندا رأسها نحوّهم متسائلة ببعض الضيق:

-هل هكذا انتهى كل شيء ؟ .... ألن نتقابل مُجددًا ؟

طغي الضيق على كلماتها المؤّدعة التي ذكرتها أنها لن تراهم مجددًا، صحيحٌ أنهم ليسوا أصدقاءها مُنذ الصغر لكن المغامرة التي مروٌا بها سوٌيًا جعلتهم بمثابة عائلتها، لا تعرف حتى كيف ستواصل حياتها بدونهم.

اقتربت كاتي نحوٌها لترميها بابتسامة هادئة اردفت معها بصدق:

-بالطبع لا .... سنبقى سوٌيًا أليس كذلك ؟

وجهت سؤالها نحو الجميع ليومؤوا برؤوسهم وداخلهم بعض الشك، فالعالم الحقيقي يستطيع أن يلهيهم بشتى الطُرق رغم محاولاتهم للمحافظة على صداقتهم.

محّى حكيم نظرات الشك من عينيه وهو يوٌجه الحديث نحوهم بثقة:

-لا تقلقي ميل .... سنبقى سوٌيًا مهما حاولت الحياة تفريقنا

أنهى الحديث ببسمة مرحة جعلت ميليندا تبادله بنفس البسمة ليسكن فؤادها تمامًا بعد كلماته، فهي قد عانت من الوحدة والتنمر طوال حياتها لذلك كانت تشعر بالسعادة لاكتسابها أصدقاءٌ جُدد.

بعد فترة أخرى من الصمت والتفكير العميق، قرر مارك إنهاء الأمر بكلماته المقررة التي كانت كالغصة في حلقه، فهو ليس مُستعدٌ أيضًا لمباشرة الحياة الطبيعية التي عزم دائمًا على الهروب منها:

-لا أعرف كيف أقولها .... لكن .... ها نحن عُدنا، يجب أن نتناسى هذه الأيام السابقة ونبدأ من جديد

أنهى الحديث بنبرة نصوحة جعلتهم يومؤون ويؤكدون ثم تتبدل سعادتهم ولهفتهم إلى ضيقٍ وحزنٍ غائرٍ تبعوه بنظراتٍ مؤّدعة لتعانق غيٌد كاتي وتُخبرها كم أنها ستشتاق لها هي وميليندا وأنها لن تقطع علاقتها بهما مهما فرٌقتهن المسافات، فهي الوحيدة التي ستسافر وستعود إلى دوٌلتها، وكان سامي بالجهة الأخرى يُربت على حكيم ويوٌدعه ثم يصافح مارك ويطلب منه المحافظة على حياته وصحته النفسية والجسدية على أمل أن يلقاهما مجددًا.

بدأ جميعهم بتوّديع بعضهم قبل الرحيل عن الحجرة لتتوّقف نظرات سامي أمام كاتي التي كانت تتابعه بنظراتٍ مُرتبكة، فأفضل ما كان في هذه الرحلة هي معرفتها وتعلقها السافر به، الأمر الذي يجعلها تشعر بضيقٍ عميقٍ وهي ترميه بتلك النظرات المؤّدعة التي جعلته يتقدم صوّبها متسائلًا بقلق:

-متى سنتقابل مُجددًا ؟

ابتسمت كاتي بخجلٍ وهي تُجيبه:

-ويحك سام .... لم تنتهي مقابلتنا حتى

-لكنني اعتدتُ على رؤيتكِ يوميًا

هكذا أردف بعفوية وهو يتأمل ملامحها البريئة التي اعتاد أن يراها يوميًا في هذه الرحلة، الأمر الذي زاد من خجل كاتي وهي تقول بصدق:

-وأنا أيضًا .... لكن علينا الالتفات لحياتنا .... ثم...

توّقفت عن الحديث لتقترب نحوه وترميه بنظراتٍ هائمة قالت معها:

-ألم تقل أننا سنتزوٌج ؟

ابتسم إثر كلماتها التي أعربت بهم عن استعدادها للزواج منه والبقاء معه ما تبقى من حياتها؛ أومأ رأسه مؤكدًا قبل أن يُنهي الحديث بكلماتٍ مُقررة:

-نعم .... وقريبًا للغاية....

أشرقت شمس يومٍ جديدٍ في حياتهم الواقعية حيث الشمس الخافتة والغيوم الكثيفة التي تجتمع مع بعض الأمطار الشتوية رغم أن الشتاء لم يأتي بعد، يتحرك سامي بخطواته السريعة وحذاءه الذي يطرق على الأرض وكأنه سيُدمرها، كان يرفع يده يحاول ضبط خصلاته التي يتقاطر منها حبيبات المطر وتجتمع مع ثيابه الرثة ورابطة عُنقه التي لم يجد ما يكفي من الوقت لضبطها فتركها مُعلقة على رقبته مع

قميصه الأبيض ذو الأزرار العلوية المفتوحة وعدم إدخاله في جوّف البنطال جعل هيئته مزرية أكثر.

يلهث من الركض وهو يتوّقف أمام حُجرة مديره بالعمل بجسدٍ يرتجف خوّفًا وهلعًا، فهو لم ينم ليلة البارحة وبقى متيقظًا حتى غفا تلقائيًا بالسادسة صباحًا واستيقظ بالحادية عشر متأخرًا على عمله فيُسرع بارتداء ملابسه بأسرع ما يُمكن حتى لا يوّبخه مُديره بالعمل، وها هو الآن يقف داخل المكتب يحاول أن يُرتب الكلمات داخل عقله وهو يحمل أوراق الصفقة الأخيرة ويتصفحها بسرعة قبل أن يُعطيها للمدير الذي على الأحرى يكاد ينفجر من الغضب لتأخره.

دلف سامي الحُجرة بعد أن أذنت له موظفة السكرتاتيرية وكان يلهث وهو يقترب من المدير متفوّهًا باعتذار:

-أعتذر سيدي على هذا التأخير

وضع أمامه أوراق الصفقة ليُحدجه المدير بنظراتٍ حادة نارية رمق معها الصفقة باستحقارٍ قال معه:

-لا أحتاج لهذه الأوراق ... عيّنتُ أحدهم ليتكفل بها في غيابك

ألقى المدير أوراقه على الأرض بنظراتٍ مُستحقرة زادت من توّتر سامي وجعلته ينحني ليلتقط أوراقه ثم يقول باعتذار:

-أعتذر سيدي عن هذا التأخير أعدك أنني لن أتأخر مجددًا

أرخى المدير ظهره على مقعده ليُشبك يديه راميًا سامي بنظراتٍ متفحصة قال معها بحدة:

-هذا ليس أول خطأ لكِ يا سيد سام .... أنت جعلتني أفقد أهم عميلٍ لي بهذه الشركة ... وهذا الخطأ لا يُغتفر أبدًا

ابتلع سامي ريقه بهلع وبدأت أفكاره تترك مسارها وتتجه إلى مسارٍ أكثر سوّداوية.

-أ...أي عميلٍ يا سيدي ؟

قالها بخوٌفٍ بالغٍ جعل المدير يفقد السيطرة على ثباته ويثب عن مقعده متفوٌهًا بحدة:

-أنسيت هذا العميل الذي أخبرتني أنك ستتوّلى أمره ؟ .... هل أخبرتك أن تختطف ابنه وتجبره على إبرام الصفقة معنا!!

جحظت عينا سامي في صدمة من حديث المدير، فعن أي إبن يتحدث ؟ هو لم يختطف أحدًا.

-ماذا !! .... أنا!!

ضرٌب المدير على الطاولة بباطن كفه ليواصل الحديث بنبرة مٌوبخة:

-نعم أنت أيها المُجرم .... لولا أننا عثرنا على الطفل لما أضحيت مسجونًا الآن

بدأت ألسنة اللهب تتصاعد داخل سامي وهو يحاول التبرير حفظًا لكرامته التي أهدرت مرتين.

-أنا لم أختطف أحدًا_

قطع المدير حديثه بتكذيب:

-لا تكذب .... قال ماثيو أنك اختطفته وأنه هرب منك قبل أن تأذيه .... كيف تجروء على اختطاف طفلٍ صغير !! .... هل تظن أنني بهذه الطريقة سأجعلك في أعلى مكانة ؟

رفع سامي من نبرة صوٌته وهو يحاول تبرئة ذاته من هذه التُهمة:

-أقسم أنني لم أختطف هذا الصغير ... إنه يكذب

-وهل تُريدني أن أصدقك ولا أصدق طفلًا صغيرًا بريئًا!!

أطلق سامي زفراتٍ حارقة من جوٌفه آراد معها أن يكيل لهذا الصغير المشاكس ضربة أليمة هو ووالده وهذا المدير الأرعن ثم يُفجر هذه الشركة وربما الأمم المُتحدة، لكنه لم يُنفذ أي شيءٍ من أفكاره واكتفى بسب هذا الصغير الماكر الذي هرب منه وهو بالمعرض والآن يتبلى عليه ويُخبر الجميع أنه اختطفه حتى لا يعرف أي شخص عن أي مصيبة كان يقترفها، والأصعب أن لا أحد يُصدقه لأنه

مُجرد عربيٍ غريبٍ على عالمهم، وعلى الأحرى يرونه بربريًا يُحب ارتكاب الجرائم لذلك لا أحد يُصدقه، بقي يستمع إلى توّبيخ المدير بنيران تزداد اشتعالًا حتى أنهى المدير حديثه بصرامة:

-هيا .... خُذ متعلقاتك وارحل من هنا .... لن أقبل أن يضحى أحد موّظفيني مُجرمًا

أطبق سامي على شفتيه بحنقٍ جعله يُلقي الأوراق على الأرض ثم يقترب نحو مديره بنظرات نارية مُشتعلة تبعت حديثه الذي كان:

-حسنًا ... سأرحل من هذه الشركة عديمة النفع ..... لكن أريد أن أهديك شيئًا قبل أن أرحل

تبع حديثه بلكمة قوية سددها نحو المدير الذي كان في حالة من الصدمة وهو يتحسس جبهته والكدمة التي تعتلي أسفل عينيه، بينما كان سامي يرميه بنظراتٍ متشفية ثم يرحل من المكتب بهدوءٍ ومن الشركة بأكملها، فهو بعد هذه اللكمة، وهذه الإشاعة التي التصقت به، أضحى مُتيقنًا أنه لن يجد عملًا بكاليفورنيا مجددًا، وربما بالولايات المُتحدة!!

تتقاطر حُبيبات المطر على النافذة لتتسابق كل قطرة مع قرينتها على من ستصل إلى الأرض أولًا، كانت كاتي في تلك الحُجرة تُراقب الأمطار وهطولها على الأرض لتُنظفها وتُنظف سكانها من هذه الأوجاع، تتدثر أسفل غطاءٍ سميكٍ ومعها كوّبٌ من الشوكولاة الساخنة وبجوارها طفلة صغيرة تشاركها الغطاء واحتساء هذا المشروب الساخن الذي يستطيع أن يُبدد برودة الطقس هذه.

كانت الطفلة الصغيرة ذو الثمانِ أعوام تحمل كتابًا بين يديها وتقرأ منه بجوار كاتي التي كانت تساعدها على القراءة وتُقلب في صفحات الكتاب وتلك الصوّر الملونة حتى أغلقته عندما وجدت الطفلة الصغيرة تثب عن الأرض وتتجه إلى جهاز التحكم متفوّهة:

-هل يُمكن أن أشاهد التلفاز ؟

ابتسمت كاتي وهي تومىء برأسها لتُهلل الطفلة الصغيرة بسعادة وتعاود الجلوس بجوار كاتي لتفتح التلفاز على إحدى أفلام الرسوم المُتحركة، ويالا حظها، كان هذا الفيلم هو فيلم السندريلا وكان في بدايته أيضًا.

اعتدلت كاتي في جلستها لتحاوط الطفلة الصغيرة بذراعها وتشاركها مشاهدة الفيلم كما تفعل دائمًا، كانت تعتقد أنها ستشاهد الحكاية المتعارف عليها لكن الصدمة تباغتها حينما وجدت شخصياتٍ أخرى تخترق مجال الحكاية الطبيعية وتُذكرها بتلك الأيام، بل هي ترى هذه الأيام!!

وجدت شخصية كارتونية تُشبهها في التكوّين تقتحم مجال الحكاية وترقص مع الأمير ثم تستأذن ويخبره أحدهم أنها متزوّجة، بقيت تتابع الفيلم في صدمة كادت تجعل فؤادها يتوّقف عن العمل، مارك لم يُخبرهم أنهم سيُغيروا الحكاية الحقيقية.

-لماذا رقصت مع الأمير وهي تُحب رجلًا آخرًا ؟

خرج هذا السؤال بعفوية وبراءة من الطفلة الصغيرة عندما أتى المشهد الذي أخبر فيه سامي الأمير أن كاتي زوّجته وأنه لن يوافق أن ترقص معه أو أن يقترب منها حتى، وكانت كاتي في حالة من الارتباك لا تعرف كيف تُفسر تلك المشاعر المتضاربة التي كانت تمُر بها أمام طفلة صغيرة، لذلك استخدمت طريقتها الغامضة المعتادة حتى تشرح الأمر للطفلة دون أن تُبدد برائتها:

-لأنها تُحب زوّجها .... وتريده أن ينتبه لها

لم يبدو أن الصغيرة فهمت حديثها، فكانت لا تزال تسأل بعفوية:

-ولماذا لا ينتبه لها زوّجها ؟

توّترت كاتي أكثر ولم تكن تُعرف كيف تُجيبها، لا تريد أن تُلطخ براءة الصغيرة وتجعلها تغرق في تلك العلاقات المُعقدة، حاولت أن تحيد بنظراتها عنها وتتهرب من الإجابة بأية طريقة لولا هذه الطرقات الخافتة التي ضربت الباب وتبعها أقدامٍ هادئة تدلف الحجرة فتلتفت كاتي خلفها وتتفاجأ من ظهور سامي والمياه تتقاطر من جسده بفعل المطر.

وثبت الصغيرة عن الأرض لتصافحه بعفوية ويرميها هو بابتسامة مرحة ثم يوّجه نظراته صوّب كاتي التي كانت ترمقه بمزيجٍ من الحيرة والقلق.

-لماذا لم تأخذ معك المظلة ؟ .... هكذا ستُصاب بالحُمى

ابتسم سامي على حديثها الحاني الذي ذكره بوالدته عندما كانت تُغرقه في عطفها وحنانها، وطأ داخل الحجرة ليجلس مباشرة على الوسائد التي تفترش الأرضية ويبدأ بتمرير أصابعه بين خُصلاته التي حاول جاهدًا أن يُجففها ويُبقي عوالمه ثابتة قدر الإمكان.

هرولت الصغيرة خارج الحُجرة بعد أن أغلقت التلفاز وقررت أن تلهو مع أشقاءها، تركت باب الحجرة مفتوحًا وبقيت كاتي جالسة قبالة سامي تتابعه بقلقٍ ثم تتجه إلى المدفئة حتى تفتحها كي تجف المياه التي أغرقت ملابسه.

-ما الأمر .... ما الذي أتى بك في هذا الجو المطير ؟

أعطته منشفة ليُجفف بها خلاصته فكان يفرك خصلات شعره ثم يرميها بابتسامة مرحة قال معها:

-ماذا !... ألا تُريدي رؤيتي ؟

لم تتفاعل مع كلماته المرحة وبقيت نظرات القلق تلوح على وجهها وهي تقول بجدٍ:

-لا أمزح سام ..... أنت لا تبدو بخير

توّقف سامي عن تجفيف شعره ليسبل بعينيه لأسفل غارقًا في وحلٍ من الشرود والخُذلان، فهي بالفعل على حق، هو ليس بخير، فُصل من عمله ولن يستطيع العثور على عملٍ آخر، وحتى علاقته بعائلته قد تدهوّرت تمامًا وأضحى وحيدًا، ربما أتى إليها في هذا الجو المطير فقط لينال منها بعض الأمل، لكنها أيضًا تحصره في الزاوية وتجبره على الحديث عمَ يُصيبه لعله يُخفف القليل من الحِمل عن كاهله.

-وكيف سأبدوا بخير وأنا في هذا العالم ؟

صمت عن الحديث برهة لتزداد عوالمه خذلانًا وهو يواصل ببعض المباشرة:

-فُصلت من العمل .... وضربت المدير أيضًا .... لا أعرف لماذا فعلتُ ذلك، لكنني أردتُ التنفيس عن غضبي .... لم يُعد بقائي هنا يُجدي نفعًا

اقتربت نحوه بجذعها لتُربت على يديه الباردتين وتُطيل التحديق بعينيه وهي تقول بإصرار:

-إذا عُد إلى عائلتك ... هم الآن بحاجة إليك

امتنع عن الحديث وبقي صامتًا يُفكر، ليس غاضبًا مهمومًا بسبب فصله عن العمل وتحطم أحلامه، بل هو مهمومٌ من هذا الأمر، العودة .... لا يعرف كيف سيُقابل عائلته مجددًا، كيف سيواجه أبويه بعدما آذاهما ؟ مُجرد التفكير في هذا الأمر يجعله غارقًا في الخوّف والقلق، هو ليس مُستعدًا لهذه المواجهة ولا يعرف متى سيضحى مُستعدًا.

-ماذا !! .... ألم تعدني أنك ستُرمم أخطائك ؟

قالتها بتذكيرٍ جعله أكثر ارتباكًا وهو يُجيبها:

-نعم ... لكن ... لا أعرف، لا أعرف كيف

بدا أكثر تشتتًا وهو يبصق إجابته وتزيغ عينيه في تيّه، فهذه الوعود كان يُلقيها وهو يعلم جيدًا أنهم لن يعودوا، والآن قد عاد وأصبح عالقًا مجبورًا على المواجهة.

حاول أن يتهرب من نظراتها قدر الإمكان ويُماطل حتى لا تجبره مجددًا، لكن إرادته تُسلب تمامًا أمام ابتسامتها البريئة وعيناها العسليتان الواسعتان اللتان جعلته يسكن تمامًا وهو يستمع لحديثها المُطمئن:

-لا تقلق .... سأصبح معك

تصاعدت ضرباته وهو يرفع أعينه نحوّها متفوّهًا بعدم فهم:

-كـ..كيف هذا ؟ ... كيف ستُصبحي معي وأنا أواجه عائلتي ؟

اتسعت بسمتها وهي تبتعد عنه متفوّهة بتقرير:

-بسيطة .... سأسافر معك إلى مصر....!!

خفتت حدة الأمطار وعاد سكون الليل يطغي على البلدة بلمعة نجومه وقمره المُنير، وفي إحدى الفنادق الكبيرة بكاليفورنيا، كانت غيُّد تقف بالمدخل تحمل حقيبة سفرها وتنتظر سعدون مساعدها وبقية المُعدون والصحفيون الذين أتوا معها بتلك الرحلة، فبعد أن التقطوا ما يكفي من الصوٌر، انتهوا من إعداد التقارير والقصص الخبرية وأضحت جاهزة للنشر.

شعرت غيُّد بالضجر من كثرة الانتظار وبدأت تطرق على الأرض بقدمها تارة ثم تغرق في عالمٍ آخرٍ تُفكر فيه بتلك المغامرة وبرفاقها الجُدد، كانت تُريد أن توٌدعهم قبل سفرها لكنها تخشى الانحدار في هوٌة أخرى قد تجعلها تصرٌ على البقاء مهما حدث، فهي تعلم جيدًا أن المسافات قد تُعيقها على مقابلتهم مرة أخرى، خاصة وهي الوحيدة التي لا تشترك مع أيٌ منهم في الجنسية.

أطلقت زفيرًا حارقًا من جوفها وقررت انهاء وصلة شرودها وانتظارها بإخارجها لجوالها والعبث به قليلًا ثم وضعه على أذنها متفوٌهة بنفاد صبر:

-شو في سعدون .... ليش ما عم تيجو .... لك استعجلن شوي...

بقيت تتحدث بنفاد صبر أنهت معهم المكالمة ورفعت رأسها لأعلى لتُصدم من ظهوره أمامها يبتسم إليها ابتسامة بلهاء ويقول بمرحه المُعتاد:

-مالِك مستعجلة كدة ليه ؟ .... أديكي قاعدة شوية مش خسرانة حاجة

زفرت الهواء من فمها بضجرٍ ظاهريٍ رغم أن بداخلها فراشاتٌ تُحلق عاليًا من السعادة، لكنها لا تُريد أن تجعل سعادتها ظاهرة للعيان حتى لا تزداد ضعفًا بقرارها للرحيل.

-شو جابك إنت كمان ؟

قالتها بفظاظة نشبت عن نفاد صبرها ورغبتها بالرحيل ومواصلة الحياة بصورة طبيعية، لكن حكيم لم يكن يُريدها أن ترحل لسببٍ لا يعلمه حتى الآن، هو فقط لا يريد نسيانها ولا يُريد للمسافات أن تُفرقهما.

-شو جابك !! .... يعني الحق عليا إني بصون العِشرة وبسلم عليكي قبل ما تسافري

كادت كلماته تجعلها تستسلم وتُسلم الراية لذلك قبضت على حقيبة سفرها وبدأت تعدو نحو البوابة متفوّهة:

-لكك سلّمت .... اتركني بقى لإمشي

أوقفها حكيم عن طريق وثوبه أمامها وحديثه معها بإصرار:

-يعني أفهم من كدة إنِك عايزة تقطعي علاقتِك بينا

توّقفت عن السير ليلوح على وجهها علامات الضيق واليأس وهي تقول:

-لأ ... بس ما في شي هون حتى إبقى .... بعدين إنت وسام قُلتو إنه راح تسافرو

-أيوة بس على الأقل هنسافر نفس البلد ..... إنما إنتِ هتبعدي خالص

أنهى الحديث بضيقٍ استشفته من نبرة صوّته الملتاعة لرحيلها، وكانت هي أكثر ضيقًا من افتراقها القسري عنهم لكنها حافظت على ثباتها وهي تقول باستسلام:

-وشو بدك ياني سوّي .... أنا راح روح لعيلتي مو عند حدا غريب

قبضت مُجددًا على حقيبة سفرها وبدأت تخطو خطواتُ للأمام وهو يهرول خلفها متفوّهًا بإصرار:

-طب استني بس ....

توّقفت غيّد مُجددًا وعلى وجهها علامات فقدان الصبر وهي تستمع إليه:

-إيه رأيِك تيجي زيارة مصر ؟.... وأنا هعرفك على أهلي، دول هيحبوكِ جدًا

قطبت حاجبيها بغرابة من عرضه الذي جعلها تسأل:

-وليش لتعرفني عـ أهلك ؟

ارتبك حكيم وهو يحني رأسه ويَفرك عنقه متمتمًا:

-طب أجبهالها ازاي دي ؟

رفع رأسه مجددًا نحوها وطفق يلح عليها بمرحٍ غطى على السر الكامن خلف طلبه :

-عادي يعني .... تبادل ثقافات، يعني شوية تجيلي مصر، شوية أجيلِك سوريا، شوية احنا الاتنين نروح أمريكا .... كدة يعني

همهمت غيّد بسُخرية قالت معها:

-والله فكرة .... بعد هيك بنصير نشحت بالسرايا لهديك السفريات موهيك ؟

دثّر يديه في جعبته وهو يرد على سُخريتها بتكبرٍ:

-أنا معايا فلوس والحمد لله مش محتاج أشحت ... بس لو الموضوع تقيل عليكِ أنا ممكن ادفعلِك تمن السفر عادي

قطبت غيّد حاجبيها بغضبٍ من حديثه الذي ذكرها بطبقتها المتوّسطة، الأمر الذي جعلها تشعر بالإهانة وهي تندفع بوجهه:

-مين ياللي بدك تدفعلا ولاك ... شو شايفني مشققة ؟

وُجل إثر حديثها الغاضب المُندفع الذي جعله يعتدل في وقفته متفوّهًا بأسفٍ غشاه بعض الجهل:

-أنا تقريبًا مش فاهم إنتِ بتقولي إيه ...بس أنا مش قصدي .... أنا كُل إللي عايزه إني أشوفِك تاني .... ومستعد أعمل أي حاجة عشان كدة

أنهى الحديث بنبرة هادئة لأول مرة ترى فيها صدق عينيه وكلماته النابعة من فؤاده، هذا ما جعلها تحني رأسها ببعض الخجل لتخفي ابتسامة هادئة كانت تلوّح على ثغرها وتبقى في حالة من الصمت أمام نظراته المتلهفة ورغبته الصادقة في رؤيتها مُجددًا، فهو لا يُريد أن تفرقهما المسافات، ربما أفضل ما كان في هذه الرحلة هو رؤيته لها وتعرفه عليها.

رفعت رأسها بعد بُرهة من الصمت وبقيتٌ تتطلع لنظراته فترة من الزمن كانت تتأمل فيها إصراره على موافقتها، مما جعلها تومىء برأسها بهدوءٍ مع كلماتٍ صادقة نبعت من جوٌفها:

-طيب .... راح إجي .... بس راح روح عـ سوريا بالأول.....

صباح اليوم التالي، بدأت حياتهم تتجه إلى الروتينية وتعود إلى سابق عهدها، ليس كُليًا لكنها تعود بصورة تدريجية، هذه الرحلة ساعدتهم على معرفة دواخلهم وأسرارهم، جعلتهم يواجهون الماضي ويتحدونه بكل ما أتوا من قوة، تعلموا كيف يواجهون المتاعب، وكيف يُضحون من أجل الغير، كيف يتخطون الصِعاب، ويتحدوا الأزلام، لم تكن مُجرد مغامرة عادية بالنسبة لهم، بل كانت بمثابة حياةٍ جديدة قصيرة المدى أعطتهم العديد من الدروس وجعلتهم أكثر صلابة في مواجهة عالمهم الحقيقي، فها هو مارك يصف سيارته في مكانٍ بعيدٍ ويُقرر السير في شوارع مدينة بربانِك ينعم بالقليل من النسمات العليلة التي أتت بعد ليلة عاصفة ويرفع يده في كل ثانية ليتأمل ساعته ويُحدد كم بقى له من الزمن حتى يبدأ عمله.

اصطدم بميليندا في طريقه وكانت ترتدي سُترة منقوشة بأوراق الشجر الخريفية الخضراء مع بنطالٍ أبيضٍ جعلها تبدو أكثر حيوية من كل مرة، خاصة مع شعرها المجعد الذي جدلته وجعلته مجموعة من الجدائل الصغيرة.

-صباح الخير

رحبت به بتلك الكلمات الودودة التي جعلته يبتسم لها ويُجيبها بنبرة هادئة ثم يواصل سيره بجوارها دون أن يشعر بالاشمئزاز أو يجعلها تبتعد عنه كما يفعل سابقًا، الأمر الذي جعلها تُعلق بمُزاح:

-أرى أنك تغيٌرت .... لو أننا لم نمر بهذا لكان حذائك يلتصق بوجهي ويمتزج مع صوٌت شجارنا ووعيدنا

وجه نحوها نظرة عابرة قال معها بمُزاح:

-هل اشتقتِ للتشاجر معي أم ماذا ؟

ابتسمت إثر مزاحه ثم نفت برأسها وهي تُجيب بمرح:

-لا ... أمزح فقط

لاحت بينهما بُرهة من الصمت وهما يقتربان من مِقر المعرض لتُباشر ميليندا الحديث مُجددًا بسؤالها الافتتاحي:

-صحيح ... لماذا لم تُخبرني أنك من تكساس .... قرأتُ ذلك في إحدى المدوّنات الخاصة بك

زفر مارك بضجر على ذكر هذه الولاية التي قضى بها طفولته لذلك كان يُجيبها بنظراتٍ شاردة تجتمع مع الصدق:

-نعم ... قضيتُ طفولتي هناك لأن والدتي لم تكن تُريد الابتعاد عن عائلتها وربما عن عشيقها .... وعندما رحلَت، سافرت إلى فلوريدا وأنا بالثانية عشر ..... ثم سافرتُ إلى ماسشوتش لألتحق بجامعة هارفرد .... وبعد الجامعة أتيتُ إلى هنا من أجل العمل

ضمّت شفتيها وهي تقول بذهول:

-أوه .... يبدو أنك تنقلت كثيرًا .... لكن لازالت طباعك تُشبه سكان تكساس .... فجميعهم عُنصريون

توّقف عن السير ليُحدجها بنظراتٍ حادة غاضبة دافع فيها عن الولاية التي نشأ بها:

-هذا ليس صحيحًا .... لا يعني أنني وُلدتُ بتكساس أنني سأصبح عنُصريًا

طالعته بنظراتٍ مُكذبة ذكرته بها أنه بالفعل عُنصريٌ ضد النساء ولا يزال يرى أنهم غير صالحاتٍ لشيء، هذا ما جعله ينتبه إلى صدق نظراتها ويردف بصدقٍ خالطه بعض الحدة:

-حسنًا ... أنا عُنصريًا ... لكن ليس لأنني من تكساس

زفر بحرقة بعد حديثه وواصل السير أمام نظراتها التي كانت تتابعه بابتسامة ساخرة لم يُلاحظها مارك وهو يسير صوّب المعرض حتى وصل كلاهما، كانا على وشك

الدخول لولا هذه الفتاة التي اعترضت طريقهما هي وابنها الذي لا يتعدى عُمره الخمسة أعوام.

-مارك !! ... يا لهذه الصدفة .... لم أتوّقع مقابلتك

لُجم مارك مكانه وبقي في حالة من الصدمة وهو يرمق تلك الفتاة وداخله نيرانٌ تعتمر، بدأت نبضات قلبه تتصاعد ووجهه يزداد شحوبًا حتى بدأت قطرات العرق تنهمر على جبينه ونظراته تبتعد عن تلك الفتاة التي كانت سببًا بتحطم فؤاده، بل كانت سببًا بغرقه في بحرٍ من الخُذلان والانكسار.

لاحظت ميليندا تغيُّر ملامح وجهه وأدركت فوّرًا أن هذه هي ريبيكا التي رأت صوٌرتها ذات مرة، فتاةٌ ممشوقة القوام ذات ملامح حسنة وشعرٌ بُنيٌ أملسٌ مع عينين بُندقيتين واسعتين وبشرة صافية ناصعة البياض مع ثيابٌ تكشف أكثر مما تخفي، كانت ترمقها ميليندا بنظراتٍ بغيضة قررت معها التدخل والإجابة بدلًا من مارك الذي كان على شفا جرفة من الانهيار والعودة إلى الصفر.

-ماذا حبيبتي ؟.... ألا تري اسمه الذي يلمع في هذا المكان ؟

ابتسمت ريبيكا ابتسامة عذبة كانت تراها ميليندا ابتسامة ماكرة وهي تتحدث بغنج:

-بالطبع رأيته .... سعيدة لأنك تعمل في شركة كبيرة كهذه .... لا زلتُ أتذكر كم كُنت طالبًا نجيبًا

بدأت النيران تشتعل أكثر داخل صدره الذي بدأ يتصاعد ويهبط مع عوّيناته التي كانت تنزلق وهو يجاهد حتى ينظر إلى عينيها ويقول بثباتٍ يُحسد عليه:

-نعم ... وأنا أيضًا أتذكر كم كنتِ تتودنين لي حتى أذاكر لكِ

قالها بغلٍ دفينٍ جعل ريبيكا تُطلق قهقهة رقيعة وميليندا على الجهة الأخرى ترمقها بنظراتٍ مُشتعلة حتى وجدتها ترفع رأسها وتقول:

-صحيح .... ألازلت أعذبًا ؟.... فأنا لا أتخيّلك أبدًا وأنت متزوٌج

أطبقت ميليندا على شفتيها بحنقٍ خاصة وهي تتابع مارك الذي كاد ينصهر وهو غارقٌ في ارتباكه وشروده ولمحاتٌ من الماضي تُطارده وتزيده عذابًا، حتى أنها

دون أن تنتبه وجدت يداها تتشبثان بذراع مارك ونظراتها المشُتعلة تُوجه نحو ريبيكا وهي تقول:

-ولماذا خيالكِ الضيِّق لا يستطيع أن يراه وهو متزوِّج .... ألا ترينني أمامك أم أنني سرابًا ؟

انتبهت ريبيكا إلى كلمات ميليندا الحادة التي جعلتها ترميها بابتسامة مُستفزة قالت معها بعدم تصديق:

-أوه عفوًا .... هل أنتما على علاقة ؟

-نعم .... وهل هذا غريبٌ بالنسبة لكِ .... ثم أن مارك أفضل رجلٍ قابلته بحياتي...

أدعّت نظرات العِشق وهي ترمق مارك وتتحدث بهيامٍ زائف:

-إنه حنون ... طيب القلب، شجاع ... وذكي للغاية .... إضافة إلى ذلك .... يُحبني

لُجمت نظرات ريبيكا وذبلت معاني وجهها وهي تُحدق بهما بعدم تصديق، فقد كانت تعتقد أن مارك سيُخبرها أنه لم ينساها وأنه لا يزال يُحبها لكن يبدو أنه حطّم آمالها وقرر أن يبدأ من جديد، والحقيقة أنه كان يرمق ميليندا بصدمة لا يُصدق حديثها ولا يعرف ماذا يقول، فقط يستمع إلى ريبيكا التي يبدو أن هذه الخدعة انطليت عليها وهي تقول:

-هنيئًا لكما ..... أتمنى لكما حياة سعيدة .... هيا هاري

أنهت حديثها نحو ابنها الصغير الذي دفعته داخل المعرض حتى يلهو كأقرانه، وما إن ابتعدت عن ناظريهما حتى حررت ميليندا ذراع مارك وابتعدت عنه بضع أمتارٍ لتسبقه بخطواتها نحو المعمل ولازالت النيران تشتعل بداخلها وهي تُقلد حديث ريبيكا بُسخرية:

-أتمنى لكما حياة سعيدة .... وكأنها ستُصبح سعيدة بعد أن ظهرت...

كان مارك يُتابع غضبها بحيرة ويتعجب من شعورها بالضجر بمجرد أن ظهرت تلك الفتاة، لكنه مع ذلك لم يمنع سعادته من الظهور على وجهه وتلك الابتسامة

الشامتة التي شقت ثغره كلما تذكر ريبيكا وهي ترحل خالية الوفاض، ها هو الآن يشعر أنه استطاع المواجهة دون أن يشعر بالضعف والانكسار، ودون أن ينفجر بلا أي داعٍ.

آراد أن يشكر ميليندا على ما فعلته من أجله ويُخبرها كم كانت سببًا بتخلصه من هذا الماضي هي وبقية أصدقاءه الجُدد، حتى أنه لم يكن ينتبه إلى عمله على قدر ما كان ينتبه إلى ما فعلته ميليندا من أجله، وهو الذي لم يشعر باهتمامٍ أحدهم من قبل.

كان يبتسم تلقائيًا وهو يُرتب بعض الأدوات بينما كانت ميليندا على جهة أخرى تعبث بأوراق العمل بعد أن هدأت نيرانها وقررت أن تتناسى هذا الموقف لتبدأ العمل، كان هذا قبل أن تجحظ عيناها بصدمة وذهول!!

-مارك ... إنظر إلى هذا

قالتها بصدمة وهي تحمل بعض المُلصقات الخاصة بأفلام الرسوم المُتحركة تحديدًا هذا الفيلم الخاصة ببياض الثلج والأقذام السبعة، لكن ما لم تكن تتوّقعه أنها ترى بعض الشخصيات الخيالية الأخرى التي تتوافق ملامحها مع ملامحها هي وبقيتهم!!

-أه .... حدث ما كُنت أخشاه

نبس مارك بتلك الكلمات وعلى وجهه عوالم الضجر، فقد كان يعلم أنهم قد يعبثوا بالأفلام الحقيقية بعد أن جعل الجهاز مُتصلًا بالواقع، مما جعلهم فعليًا يعبثون بأفلام الرسوم المُتحركة وربما شوّهوا الطفولة بأكملها.

-أتعتقد أن السيد إيجر سيعرف بالأمر ؟

لم تكد تُنهي حديثها حتى استمع كلاهما إلى صرخة عالية وغاضبة تأتي بالقُرب من الحجرة:

-مـــــارك!!!

الفصل السابع والعشرون (فضيحة بجلاجل)

سيأتي الوقت الذي تكتشف فيه أن لاوعينا هو الذي يتحكم بواقعنا المُتجسد أمامنا ويدفعنا للوقوع في الكوارث والأخطاء المُتكررة، فغياب الوعي يخلق عالمًا أكثر جنونًا وأفعالًا أكثر تهوّرًا، وهذا بالفعل ما حدث مع مارك الذي كان كالصنم بترسخه على الأرض ونبضات قلبه تتسارع مع بعضها، وكانت ميليندا بجواره تكاد تنصهر من شدة الخوف وهي تستمع إلى صياح السيد إيجر الغاضب مع خطواته الأشبه بناقوس الخطر.

وجداه يدلف الحُجرة بوجهٍ جامدٍ وكلماتٍ عالية النبرة:

-مـــــارك....

انقبضت أوزار مارك وبات يشعر أنه سيتلقى كمًا من التوّبيخ والصراخ خاصة وهو يرى السيد إيجر يثب أمامه بملامح جامدة أردف معها:

-السيد جاكوب رئيس حلقة الاستثمارات بسان دييجو أخبرني أنه حصل على ترخيص بتموّيل مشروعك بعد حصولنا على براءة الاختراع

كانت كلماته أشبه بطلاسم يتم إلقاءها نحو مارك الذي رغم ذكاءه الحاد إلى أنه لم يفهم أي كلمة مما قالها السيد إيجر وأمسى يرتجف ويسمح للارتباك بالطُغيان على جسده مما جعله يرمق إيجر بملامح باهتة تحمل القليل من البلاهة وعدم الفهم.

-أتعرف ما معنى هذا ؟

فتح مارك فمه ببلاهة ولم يُعقب خاصة عندما تحدث إيجر بنبرته الحادة التي استكانت مرة واحدة لتتحوّل إلى سعادة بالغة جعلته ينقض على مارك ويأخذه في عناقٍ قوي أردف معه بسعادة جلية:

-أنني سأصبح غنيًا

بات يقفز كالمجنون وهو يعانق مارك الذي شعر بضلوعه تتهشم بين قبضتيه، ابتعد عنه إيجر لتظهر ابتسامته الواسعة وهو يقول بإطراءٍ وتشجيع:

-انتهي من التعديلات بأسرع ما يُمكن .... لا يوجد وقتٌ لنُضيعه أفهمت....

أنهى الحديث بلكنة آمرة ثم هرّول خارج الحُجرة تاركًا عوالم الصدمة وعدم التصديق على وجه مارك وميليندا التي كانت تثب بجواره تتابع تغيُّرات ملامح إيجر الأشبه بالتغيرات المناخية في دوّلتهم.

-أظن أنه لا يعرف شيئًا

قالتها ميليندا باستنتاجٍ بعد أن تيقنت أن إيجر لا يعرف أنهم اخترقوا الجهاز وعبثوا ببعض الأفلام الخاصةً بالأطفال، وكان مارك يحمد ربه في سره ويُعقب على حديثها بارتياح:

-هذا جيد....

لم تكن الأيام بهذه السهولة بعد عوّدتهم، فكانت تتخبط ما بين الروتينية والأعمال الشاقة وربما الغرق في ذكرياتٍ أليمة، لكنهم مع ذلك يجاهدون ويواصلون آخذين على أنفسهم العهد بعدم التفرق والابتعاد، كانوا يتقابلون في كل ليلة يقصون على بعضهم ما مرّ بحياتهم من مواقف مُثيرة ثم يستعيدون ما حدث معهم في ذاك العالم المجنون.

عاد حكيم إلى مصر ليبقى قليلًا مع أهله وأصدقاءه قبل أن يسافر إلى دوّلة أخرى لاستكمال مقاطعه التصويرية، بينما كانت غيّد في سوريا_ دوّلتها_ تباشر عملها في القناة الإخبارية القطرية بفرعها داخل سُوريا وتسافر أحيانًا إلى بعض الدوّل العربية والغربية نقلًا للأخبار، اكتفت بمهاتفة أصدقاءها من الحين للآخر عن طريق الجوال مع وعدها لحكيم بأنها ستأتي لزيارته وسيفعل هو المثل.

أما في هذا اليوم، وبعد مرور إسبوعين كاملين، قرر سامي أخيرًا أن يعود إلى دوّلته ليواجه عائلته بعد هذا الغياب الطوّيل، كان يماطل في الأيام السابقة حتى لا يعود، فتارة يقول أن هناك بعض المُشكلات في إجراءات السفر وتارة يدّعي أنه أضاع جواز السفر حتى ينتظر المزيد من الوقت حالما يستخرج جوازًا جديدًا، وتارة أخرى يعاود البحث عن عملٍ جديدٍ وينتهي به الأمر نادلًا في إحدى مطاعم الوجبات السريعة بعد أن رفضت جميع الشركات أن تُعينه بسبب ماضيه " الإجرامي"

سرق نفسًا عميقًا وهو يترجل من سيارة الأجرة بمحافظة القاهرة داخل حيٍ شعبيٍ بالكوربة، كانت كاتي تترجل من الجهة الأخرى بعد أن وعدته بمشاركته هذا الأمر والوقوف بجواره لتزيده دعمًا ومثابرة، فكان كلما خطى خطوة إزداد فؤاده خوٌفًا وهلعًا وكأنه يتقدم نحو نارٍ هاجرة ستلتهم أحراشه.

تلفتت كاتي حوٌلها لتتأمل المباني البسيطة ذات اللمحة الشرقية والنظرات الثاقبة التي ترمقها بين الحين والآخر لتُذكرها بأنها أجنبية غريبة عن هذه الدوٌلة، حاولت التقدم لتثب بالقُرب من سامي الذي أضحى شبيهًا بحلوى هلامية رخوة، تقدم خطوة أخرى صوٌب البناية ليصعد الدرجات المتهالكة ببطء ثم يتوٌقف أمام بناية بالطابق الأول ليسرق نفسًا عميقًا ثم يُخرجه ويرمق كاتي بنظرة عابرة ليجدها تُشجعه على الإقدام وتحدي خوٌفه.

حاول أن يبعث القليل من الشجاعة والإطمئنان بداخله وهو يضع يده على الجرس ويدق الباب مرتين ثم يثب مكانه بنبضات قلبٍ متصاعدة، قبض على حقيبة سفره لعله ينقل لها بعضًا من توٌتره وقلقه من طول الانتظار، وبعد عشر ثوانٍ متواصلة استمع إلى صوٌت والدته وهي تقول من الداخل:

-حاضر ثواني...

تضاعفت سُرعة نبضاته وهو يستمع إلى خطواتها تقترب نحو الباب يتخيل يدها وهي توٌضع على المقبض ويتخيل ملامحها وهي تراه بعد غياب أربعة أعوام متتالية دون حتى أن يتصل بهما، بات يتخيل ردة فعلها عندما تراه أمامها بعد أن خذلها وسرقها وجعلهما يعانيان، هل ستغيب عن الوعي أم ستصفعة صفعة قوية ؟ هل ستصرخ به وتوٌبخه أم تأخذه في عناقها الدافيء الذي أبعده عنه بإرادته ؟ كانت هذه الأسئلة تُسيطر على عقله وتجعله أكثر ارتباكًا، حتى أنه فكر مرارًا بالهرب لولا نظرات كاتي التي كانت تحثه في كل ثانية، يستمع إلى أزيز الباب وهو يُفتح ليختلط صوٌته مع صوٌت فؤاده الخائف وعقله الذي يدعوه للثبات.

تصلبت والدته حنان وسقط فكها في صدمة، كانت ترتدي جلبابًا بيتيًا بسيطًا وتعقص شعرها المجعد لأعلى وكانت رائحة الطعام تنبعث من داخل، رائحة الأرز الطازج

بالشعيرية والبامية الطازجة الغارقة بالصلصة الحمراء والتي آعادت عليه تلك الذكريات الدافئة حينما كان صغيرًا يتمتع بطعام والدته الشهي.

-سـ... سامي!!

قالتها والدته بصعوبة ارتجفت معها أطرافها بينما بقي هو يطالعها بنظراتٍ مشتاقة آراد معها الاندثار بأحضانها لكنه بقي ثابتًا متصلبًا أمام دمعاتها التي بدأت تترقرق على وجنتيها.

-مين إللي عالـ باب يا حنان ؟

أتى هذا الصوّت الجهوري من الداخل ليستنتج سامي فوّرًا أنه صوّت والده السيد بخيت، فما هي إلا لحظاتٌ وجيزة حتى ظهرت نظرات والده الحادة وهو يثب خلف زوجته حنان يطالع سامي بنظراتٍ مُتجهمة زادت من ارتباك الآخر وجعلته يقول بتلجلج:

-إز ... إزيك يا بابا

بقيت نظرات بخيت تصوّب نحوه بازدراء حتى قال بحدة:

-أنا مش قولت متفتحيش لحد غريب ؟

وجه حديثه صوُب حنان رغم نظراته التي قصدت سامي وجعلت فؤاده يتحطم، فوالده الآن يراه غريبًا ويتعمد أن يجعله يعرف ذلك رغم رغبة بخيت باحتضانه ومسامحته.

أحنى سامي رأسه ببعض الذنب ثم رفعها مجددًا وهو يتقدم خطوة صوّب المنزل متفوّهًا قبل أن يُغلق بخيت الباب بوجهه:

-أنا عارف إنكم شايفني عيّل زبالة ومستاهلش حاجة .... بس من فضلكم اسمعوني .... أنا جاي اعتذر عن إللي عملته

ابتسم بخيت نصف ابتسامة متشفية أعقبها بكلماتٍ حادة موّبخة كانت أشبه بالسهام التي تنحر عُنق سامي وتجعله غارقًا بدماءه:

-تعتذر !! .... بعد إيه ؟ .... بعد ما سرقتنا وخلتنا نشحت في الشوارع ونتداين من إللي يسوى وإللي ميسواش .... دا إنت حتى فلوس العلاج مكنش هاين عليك تسيبها في حالها وأخدتها عشان مصلحتك.... جاي دلوقتي وعايز تعتذر ... ما كان من بدري يا حيليتها

خفق قلبه بحدة وهو يستمع إلى تلك الكلمات التي جعلته يشعر بالحقارة والندم، أدرك الآن فداحة ما فعل، أدرك أنه أناني لدرجة أنه آذى أقرب الناس إليه، بات أشبه بمن يقف أعلى خشبة المسرح بعد أن أخطأ في إحدى المشاهد وجعل الجميع يطالعونه بنظراتٍ غاضبة لإفساده للعرض المسرحي، وهو لم يكن يقصد ذلك، لم يقصد إفساد العرض المسرحي، ولم يقصد أذية أحد، هو فقط آراد المجد والمكانة العالية وظنٌ أنه سيأخذها بهذه الطريقة، لكنه يكتشف أنه فقد كل شيءٍ، حتى عائلته.

-من حقك تقول عليا إللي إنت عايزه ..... من حقك تشتمني وتضربني زي ما إنت عايز ..... بس أرجوك متطردنيش برة، أنا خسرت كل حاجة ..... ومش عايز اخسركم

جاهد حتى يحجب دمعاته أمام نظرات والدته المُشفقة ووالده الحادة الذي لا يزال يتذكر كيف عانى ووقع في العديد من الكوارث حتى يعثر على أموال العلاج الخاص بزوٌجته التي تعاني من داء السكري، تذكر كيف كان يعمل بالمتاجر ووٌرش السيارات وهو كهلٌ عجوزٌ لا يقدر على تلك الأمور، تذكر كيف تلقى الإهانة والطرد والتوٌبيخ وكيف تدهوٌرت صحته وأصيب بهشاشة بالعظام بسبب تلك الأعمال الشاقة التي يفعلها حتى يأتي بالعلاج لزوٌجته المريضة، حتى أن زوٌجته كانت تتناسى مرضها وتعمل بالمنازل حتى تساعد زوٌجها بسبب ابنهما الأناني الذي سرق مدخراتهما والآن يأتي بهذه البساطة ليطلب منهما العفو والصفح.

-إطلع برة يلا .... أنا ابني مات من أربع سنين

قالها بخيت بنظراتٍ حادة ثابتة رغم النيران التي تصاعدت بفؤاده، وكان سامي يكاد ينصهر من كثرة قطرات عرقه المنسابة وارتجافة جسده الذي لا يُصدق هذه الكلمات التي ألقيت على مسامعه وجعلت دموعه تترقرق على وجنتيه.

رفع رأسه قليلًا ليُجابه تعبيرات والده الجامدة ويبقى مُتصلبًا مكانه لا يزال غير مصدقًا لما قيل، هل أضحي يتيمًا الآن ؟ أم أن والده سيُعاقبه لفترة وجيزة ؟ كان لا يزال في حالة من التيه لا يعرف ماذا يفعل، فقد كان داخل المنزل يقف على أعتاب الباب لا يريد الرحيل، فلا يعرف أي أحدٍ هنا، أو هو الذي قطع علاقته مع الجميع ولا يعرف كيف سيُعيد هذه العلاقات الممزقة مرة أخرى.

آفاق من شروده على دفعة والده القاسية وهو يدفعه خارج المنزل وكأنه يطرد عدوى سامة، فكان يصيح بحدة وهو يفعل ذلك:

-أنا مش قولت اخرج من هنا

تهاوت أقدام سامي أمام قسوة والده التي جعلته يُنحي كبرياءه جانبًا ويرتمي على الأرض فوق رُكبتيه يجهش ببكاءٍ مريرٍ وهو يقول بتوّسل:

-أبوس إيدك متطردنيش ..... أنا هعمل إللي انتو عايزينه حتى لو قولتولي أشتغل تحت رجليكم .... بس أرجوك متعملش كدة .... أنا اتبهدلت في الغُربة وخسرت كل حاجة ..... أبوس إيدك اديني فُرصة تانية وأوّعدك إني مش هخذلك تاني

كان يحني رأسه ويتحدث بدموعٍ غزيرة لم تساعد بتغيير ملامح بخيت الذي بقي يطالعه بنظراتٍ مُتجهمة كاد يطّرده معها مجددًا لولا تدخل حنان وركوعها على الأرض بجوار سامي بدموعٍ تنزلق من عينيها، فمهما أخطأ بحقهما لن تستطيع أن تتخلّى عن ابنها الوحيد.

آحاطته بذراعها الحاني وبدأت تُربت على كتفه مما سبب له بعض القشعريرة، فربتاتها الحانية كانت أشبه بدهانٍ يتم وضعه على الجروح.

-قوم يا حبيبي قوم .... أنا مش هستغنى عنك أبدًا

ساعدته على الوثوب على الأرض وبقيت تعانق ذراعه وكأنها لا تُريده أن يرحل ويبتعد كالمرة السابقة، لا زالت نظرات بخيت جامدة وهو يطالعه ويكاد ينفجر بوجهه مُجددًا لولا تدخل حنان بكلماتها الراجية:

-عشان خاطري يا بخيت سامحه .... هو مش هيعمل كدة تاني .... وهيفضل عايش معانا هنا...

أنهت الحديث بنبرة مُترجية لم يُعقب عليها سامي وبقي يطالع والده بمزيجٍ من الندم والرجاء حتى لانت ملامح بخيت قليلًا ليُطلق زفرة حارقة من جوّفه ثم يتراجع بضع خطواتٍ للوراء ليتجنب النظر لسامي، فهو لن يسامحه بهذه السهولة، وسامي يعرف ذلك جيدًا ويعرف أن والده ليس كوالدته التي ستسامحه _حتى إذا رأته يقتل إنسيًا _بمجرد أن يأتي ويطلب السماح منها.

ارتبكت كاتي وهي تدلف المنزل بخطواتٍ هادئة ويدانٍ تقبضان على حقيبة سفرها، كانت قد أخبرت سامي أنها ستتركه ليتحدث مع والديه وحده ثم تدلف ما إن تهدأ الأصوات وتستقر الأمور، وما إن حدث ذلك بالفعل حتى قررت الولوج حتى لا تبقى وحيدة بذاك الحي الفقير الذي يمتليء بالوحوش البشرية.

دلفت بضع خطواتٍ داخل المنزل لتتجه جميع الأنظار نحوها، نظرات الارتياح من سامي والحيرة من والديه خاصة وهي تلوّح بيدها تلوّيحة ودودة قالت معها بلكنة أجنبية:

-مرحبًا

قطبت والدته حاجبيها بعدم فهمٍ ثم وجهت نظراتها المُتشككة صوّب سامي الذي طغى الارتباك عليه وهو يقول باستذكارٍ زائف:

-إييه .... أه صحيح ... دي .. دي كاتي ... صاحبتي من أمريكا .... وهتبقى مراتي....

____

طغي الحماس على وجهها وهي تترجل من سيارة الأجرة تتلفت حوّلها بذهولٍ وإعجاب، فبعد أن تلقت دعوّته وهي تعد الأيام حتى تسافر إلى مصر، ليس فقط لأنها ستسافر إلى دولة الأهرامات والحضارة الجليلة بل لأنها ستقابله مجددًا، نعم، فهي بالفترة الأخيرة أصبحت تحلم به بصورة شبه يومية وأحيانًا تتخيله أمامها يحادثها بطريقته المرحة ويُغرقها بنكاته الساذجة وطريقته العفوية.

كانت تفتح فمها بإعجابٍ وهي تطالع هذه الحدائق الشاسعة والشوارع النظيفة مع المنازل الراقية الفاخرة، كانت بإحدى المجمعات السكنية بالتجمع الخامس حيث

العنوان الذي أرسله حكيم، فهو قد أخبرها أنه يقطن في ذاك المنزل مع أبويه وشقيقته الصغيرة ويُريدها أن تتناول معهما وجبة الغداء، لو كان رجلًا آخرًا لرفضت هذه العزيمة ووٌبخته أيضًا، لكنها تعرف حكيم جيدًا، وتعرف أنه أكثر سذاجة من أن يخدعها ويوٌقعها في تلك المكائد.

اتجهت صوٌب قصرٍ كبيرٍ يحمل رقم اثنين وعشرون لتثب أمام سوٌرٍ عريضٍ من الحديد المتين أمامه رجل الأمن الذي حصل على بياناتها وبطاقتها الشخصية قبل أن يقرأ اسمها بإحدى المُستندات ثم يسمح لها بالدخول مما جعلها تعتقد أنها فتاةٌ مرموقة ذات مكانة عالية.

كان حكيم قد أخبرها مُسبقًا أن والده نائب وزير الداخلية ويحظى بمكانة عالية، ووالدته تُدير إحدى المدارس الخاصة الأمريكية، أي أنه من عائلة مرموقة ذات مكانة عالية تجعلها تعتقد أن حكيم سيضحى باردًا كالثلج يعامل الجميع بكبرٍ وتعالٍ، حتى أنها تعجبت من طبيعته الساذجة المرحة.

دقت جرس المنزل وبقيت أمامه لفترة حتى فتحت الخادمة الباب ودعتها للولوج بكلماتٍ أجنبية وثيابٍ خاصة، كانت غيٌد تزداد ارتباكًا وهي تقف داخل البهو الفسيح تراقب الأثاث الفاخر ذو الصيحة العصرية والبريق الذي ينبعث من كل مكانٍ من شدة النظافة، كان هذا قبل أن يظهر حكيم أمامها يُعدل من سُترته ويبتسم لها بتُرحابٍ قابلته هي ببعض الشك وهي تقبض على الحقيبة البلاستيكية التي معها لأنها لم ترى غيره بالمنزل.

-شو عايش لحالك هون ؟

ارتفعت قهقهة حكيم وهو يُجيبها بصدق:

-لوحدي إيه يا بنتي .... يعني يوم ما هجيبك في شقة لوحدي هجيبك فده كله

رمقته بنظراتٍ حادة غاضبة وكادت ترحل عن المنزل لشعورها ببعض الذنب لولا طمئنته لها:

-بهزر بهزر .... ماما وبابا وأختي جوة ... تعالي أعرفِك عليهم

آشار لها بيده حتى تتبعه فتحركت بخطوات قليلة تذكرت معها تلك الهدية التي ابتاعتها لهذه العزيمة:

-وقف وقف .... جبتلك شي راح تحبه كتير

توّقفت عن السير لترفع حقيبتها البلاستيكية أمامه بينما كان هو يطالعها بلهفة وهي تقول بابتسامة مُتحمسة:

-جبتلك بلح الشام

ابتسم بسعادة إثر حديثها وهو يلتقط منها تلك الحقيبة البلاستيكية وعقله يُفكر بتلك الحلوى التي ظنٌّ أنها أحضرتها لكن ظنونه هوّت على الأرض لتتغيّر ملامحه إلى الغرابة وهو يقول:

-إيه ده !!.... ده بلح بس

-إيه ... بس من الشام

أومأ رأسه بتفهمٍ حاول معه أن يُغطي على خُذلانه بعد أن ظنٌّ أنها أحضرت له تلك الحلوى المسماة ببلح الشام، لكنها في الحقيقة لم تحضر سوى هذه الفاكهة الطازجة التي يبدو أنها تختلف كثيرًا عن الموجودة ببلدته.

أغلق الحقيبة البلاستيكية وهو يتشكرها بابتسامة ودودة ويدعوها لمواصلة السير حتى ظهرت فتاةٌ ذات شعرٍ ذهبيٍ مُصففٌ بعناية وملابس فاخرة تتكوّن من تنورة ضيقة تصل إلى الركبة مع حذاءٌ عالٌ ذو كعبٍ رفيع يكاد يخترق الأرض مع سُترة بيضاء تُغطي أكمامها وتكشف على صدرها البض وملامحها العشرينية، الأمر الذي جعل غيّد تطالعها بنظراتٍ جاحظة وفؤادٍ يتضارب بهلع، فقد كانت ترتدي ملابس بسيطة تتكوّن من بنطالٍ فضفاضٍ زيتي مع سترة بُنية تُغطي أكمامها والقليل من مُستحضرات التجميل مع حذاءٌ رياضي.

-إزيك يا حبيبتي عاملة إيه ؟

قالتها هذه السيدة وهي تمد يدها لتُصافح غيّد بابتسامة هادئة بادلتها غيّد بنظراتٍ جاحظة جعلتها تصافحها بجمودٍ، ثم تلتفت صوٌب حكيم حتى تسأله:

-مين هاي ؟

كانت نبضات قلبها تتصاعد خوفًا من أن يُخبرها أنها زوّجته أو خطيبته أو ابنة عمه الذي من المُقرر أن يتزوّجها، فهي تعرف أنها ليست شقيقته لأن شقيقته بالعاشرة من عُمرها وهي على الأحرى تلك الفتاة الصغيرة التي تحمل دُمية وتبتسم لها من بعيد.

وما زاد من صدمة غيّد هي إجابة حكيم التي كانت:

-أه .... دي ماما ميس عادلات ..... بس إحنا بنقولها يا دودو

سقط فك غيّد بصدمة أكثر وهي تُشير على والدة حكيم الأشبه بفتاةٍ عشرينية فاتنة، والأكثر صدمة أن اسمها لا يمت لهيئتها بأي صلة، الأمر الذي جعلها تُعلق بصدمة:

-هاي عدالات !! .... لكان شو بكون أنا ... فلطح أفندي!!

قهقه حكيم على دعابتها بينما اقتربت عدالات نحوها لتجذبها من يدها بابتسامة حانية جعلتها تتحرك معها صوّب طاولة الطعام وهي تقول:

-تعالي تعالي .... كاترينا محضرة الأكل من بدري

تبعتها غيّد صوّب طاولة البهو لتجد تلك الفتاة الصغيرة تنقض عليها وتصافحها بمرحٍ طفولي وهي تُخبرها:

-حكيم بيتكلم عنِك كتيـــر أوي .... بيقول إنِك_

كمم حكيم فمها بسرعة قبل أن تفصح عن أسراره وتجعله أضحوكة بالنسبة لغيّد، أصدرت شقيقته بعض الهمهمات وهي تحاول إزاحة قبضته بينما أردف هو مُعرفًا:

-دي حِكمت أختي الصغيرة .... بس لسانها فالت منها حبتين

أزاح يده عن فم شقيقته ليدفعها للأمام بنظراتٍ متوّعدة استجابت لها الصغيرة وهي تهرول بمرحٍ صوّب والديها الجالسان على طاولة الطعام، ما إن تقدمت غيّد نحوهم بخطواتٍ مُرتبكة حتى وجدت رجلٌ بالعقد الخامس يثب عن مقعده بابتسامة واسعة:

-مش تعرفنا يا أستاذ حكيم ؟

ارتبكت غيّد وهي تحني رأسها لأسفل بينما تدخل حكيم وهو يُشير على غيّد متفوّهًا :

-أه طبعًا .... دي غيّد .... اتعرفت عليها في أمريكا

رفعت غيّد رأسه لتقابل والده بابتسامة ودودة مُرحبة أردفت معها:

-كيفك عمو ؟

اتسعت بسمة عدلي_ والد حكيم_بعد أن استقبل كلمات غيّد التي علّق عليها بمرح:

-الله الله الله .... وكمان تُركية!!

تلاشت بسمة غيّد ليحلّ محلها غضبٌ عارمٍ جعلها توّجه نظراتٍ حادة صوّب حكيم ثم تزفر بملل من هذا الوالد الذي يتحدث بنفس طريقته وحماقته، فهي قد عانت مع حكيم حتى يقتنع أنها ليست من تُركيا وأنها مُجرد دبلجة ليس إلا، والآن ستعاني أيضًا مع والده.

قهقه حكيم بارتباكٍ وهو يتدخل بالحديث مُصححًا:

-تركية إيه يا حج دي من سوريا .... بس هي كانت في أمريكا سفرية شُغل

رفعت عدالات حاجبيها بفضولٍ سألت معه:

-وبقالكم قد إيه تعرفو بعض ؟

آجابها حكيم بعفوية جلس معها أمام الطاولة:

-مش كثير .... حوالي خمس ست شهور بس

زادت الغرابة على وجه عدلي وهو يسأل:

-ست شهور إزاي .... إنت مش قولت عرفتها في أمريكا ؟....ست شهور إزاي وإنت سافرت أمريكا تلات أيام بس من حوالي أسبوعين

ابتلع حكيم ريقه وهو يبادل نظراته مع غيّد التي كانت أكثر ارتباكًا من افتضاح أمرهما، فلا أحد سيُصدق أنهم بقوا لأكثر من خمسة أشهرٍ بعالمٍ افتراضي، لهذا السبب اختلق حكيم كذبة وهمية وهو يجذب إحدى الصحون:

-لا منا أعرفها قبل ما اسافر أمريكا ... كنت صحاب على الفيس ولما روحت هناك قابلتها صُدفة

أومأت غيّد رأسها تأكيدًا على كذبته ليتدارك كلاهما الأمر ويجذبا الصحون ليملأها ببعض المأكولات الشرقية وسط جوٍ مشحونٍ بالمرح والأحاديث المتبادلة، فكانت عدالات لا تتوّقف عن الحديث مع غيّد عن مستقبلها وتعليمها وعائلتها ليتدخل حكيم بمُنتصف الحديث ويُخبرهما أن والديها قد توّفيا براشقة صاروخية وأنها تعيش مع خالها بحِمص.

أخذت الأحاديث تتبادل بينهم وهم يتناولون الطعام حتى سأل عدلي:

-وإنتِ بقي هتفضلي في مصر علطول ولا هترجعي سوريا ؟

كادت تُجيبه غيّد وتُخبره أنها مُجرد زيارة خاطفة وستعود بعدها إلى سوريا لولا تدخل حكيم ليفاجئها بإجابته:

-لأ كلنا هنروح معاها سوريا عشان أطلب إيديها

سعلت غيّد بحدة بعد حديثه الذي جعل الطعام يتوّقف بحلقها وتستمر بالسعال حتى تحوّل وجهها إلى كتلة حمراء، بينما عمّ الصمت بينهم وهم يرمقون حكيم بنظراتٍ مذهولة من حديثه المفاجيء، فلا أحد كان يتوّقع أن حكيم قد أتى بها إلى منزله لتتعرف على عائلته قبل أن يطلب يدها للزواج!!

-إنت هتتجوزٌ ؟

سألت حكمت بحماسٍ طفولي وابتسامة مرحة جعلت حكيم يبادلها بنفس الابتسامة ثم يلتفت صوّب غيّد التي لا زالت تسعل بحدة حتى ربت على ظهرها لتستعيد أنفاسها ثم تبتعد عنه تلقائيًا وهي ترمقه بنظراتٍ مرتبكة.

ما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى انتشرت التهليلات والتصفيقات الحارة لتثب عدالات من مقعدها وتحتضن حكيم من فوق الطاولة مع كلماتها الحنونة المُهنئة وعندما جلست أخذ عدلي يُربت على كتفه ويرميه بابتسامة مشاكسة أردف معها:

-وعمال تقول صحبتي صحبتي وإنت عُمرك ما عرفتنا على حد من صحباتك .... ماشي يا عم

بينما كانت حكمت تصفق وتهلل بمرحٍ وغيِّد في عالمٍ آخرٍ تكاد تنصهر من الارتباك والحرج حتى قررت الرحيل قبل أن يلاحظ أحدهم وجهها الذي تحوّل إلى كرة حمراء دامية، كانت تعرف أن هناك شيئًا غامضًا خلف هذه العزيمة لكنها لم تكن تعرف أن الأمر هكذا، وأنه سيفاجئها بهذه الطريقة.

-لازم روح

استأذنت بكلماتٍ جافة وهي تثب عن المقعد تحاول تغطية تعبيراتها الحرجة لتتحرك صوّب الباب عازمة على الرحيل أمام ابتساماتهم التي تلاشت وحلٌ محلها بعض الحيرة.

وثب حكيم هو الآخر ليتبعها ويهرول خلفها ليجدها تفتح باب المنزل عازمة على الرحيل:

-استني إنتِ رايحة فين ؟

التفتت غيِّد نحوه ليسترفد نظراتها المتجهمة وتعبيراتها الأقرب إلى الغضب وهي تقول:

-شو يالي قلته ؟ .... شو مفكر إنك هيك راح تردلي كرامتي .... لك أنا يالي غلطت لما إجيت لهون

ظنّت أن هذا العرض كان وهميًا حتى يُبرر لوالديه مجيئها وهذا ما جعلها أكثر غضبًا منه، لا تريده أن يُعلقها بتلك الآمال الواهية، فهي تعرف جيدًا أن عائلته المرموقة لن ترضى بفتاةٍ مثلها وكانت تُخبره ذلك أكثر من مرة حتى أصرٌ هو على عزيمتها حتى تُدرك حقيقة الأمر، حقيقة أن عائلته ستتقبلها بصدرٍ رحبٍ وأن نظرتها النمطية عن الأغنياء لا تنطبق عليهم جميعًا، كان فقط يريدها أن تتأكد أن

عائلته لن تكن عثرة بطريقهما قبل أن يطلب يدها للزواج، صحيح أن عرضه خرج من فمه بصورة تلقائية لم يُخطط لها، لكنه آراد أن يفعل ذلك مُنذ قديم الأزل، منذ أول مرة تعارك فيها معها وأخبرها أنها فتاةً تركية لأنها تُذكره بتلك المسلسلات التي كان يعشقها بصغره، لكن الآن لم يعُد يعشق سوى هذه الفاتنة الشامية التي أنسته جميع هذه المسلسلات وأغرقته بملامحها العربية الأصيلة وبشرتها البيضاء الناعمة.

-استني هنا .... أنا مكنتش بقول أي كلام وخلاص

توّقفت عن السير لتُحدق بعينيه الصادقتين وكلماته النابعة من فؤاده:

-أنا فعلًا كدبت كتير عشان اغطي على إللي حصلنا .... بس دي الحاجة الوحيدة إللي مكدبتش فيها .... أنا فعلًا عايز أتجوزِك

-يعني إنت دونًا عن البنات كلها جايبلي خواجية عشان تتجوّزها وتمشي وتسيبنا تاني!!

قالتها والدة سامي بحُزنٍ بالغٍ ما إن دلفت كاتي إلى الداخل واستقرت على أحد المقاعد تُمشط المنزل البسيط بعينيها وتتجاهل حديث حنان الذي على الأحرى لم تفهمه بتاتًا، وكان سامي يعانق كف والدته ويرميها بنظراته المُطمئنة وهو يقول:

-متقلقيش يَما .... أنا وكاتي هنعيش هنا في مصر .... وأنا هدوّر على شُغل من دلوّقتي

بقيت نظرات والدته القلقة تحاوطه لتتوّجه نظراتها صوّب كاتي التي اكتفت بابتسامة مُرتبكة وهي تستقبل أسئلة حنان الجافة:

-وإنتِ بقى يا حبيبتي بتشتغلي إيه ؟

تلاشت بسمة كاتي ليحلّ محلها الحيرة وعدم الفهم مما جعل سامي يتدخل ليوّجه نظراته صوّب والدته ليُجيبها عوّضًا عن كاتي:

-بتشتغل في دار أيتام .... وهتروح هناك في الأجازات....

واصلت حنان أسئلتها عن كاتي التي يُجيبها سامي تارة ويُخبرها أن كاتي يتيمة الأبوين وتربت بدار الرعاية التي تعمل بها، هذا ما جعل الرفض يلوح على وجه حنان لكنها تتدارك الأمر بسبب سامي الذي يُخبرها أن كاتي هي التي أصرّت على مجيئه هنا وطلبه العفو منهما، وبعد وصلة من الحديث عن الشبكة وجهاز العروس وحفلة الزفاف والخُطبة وبعد العديد من العراكات قررت حنان أن تثب لتُعد لهما بعض الشاي والكعك تلبية للضيافة بعد أن تناولوا غدائهم مُنذ فترة طويلة وقرر بخيت أن يتناول غداءه في حُجرة نوّمه لعدم قُدرته على مواجهة ابنه لأنه لايزال غاضبًا، وسامي يعرف جيدًا أنه سيعاني قليلًا حتى يطلب العفو من والده، لكنه لن ييأس أو يستسلم أبدًا.

ذهبت حنان إلى حُجرة الطعام وتبقت كاتي بحُجرة البهو ترسم بسمة هادئة على ثغرها وهي تقول:

-والدتك تبدو لطيفة

أومأ سامي بابتسامة راضية وهو يقول مؤكدًا:

-نعم ... هي كذلك بالفعل

أرخى ظهره على الأريكة المتهالكة ليطغي على وجهه علامات الرضا التي استشفتها كاتي وهي تقول:

-صدقتني حينما أخبرتك أنك ستشعر بالراحة حينما تُصالح أبويك

تلاشى القليل من ارتياحه وهو يجُيبها ببعض اليأس:

-معكِ حق .... لكني لا أعتقد أن والدي قد سامحني

ربتت على كتفه باطمئنانٍ وهي تقول:

-لا تقلق .... فالجروح لا تُقطب إلا بعد القليل من الوقت

رماها سامي ببسمة عاشقة تأمل معها عينيها الساحرتين وهو يقول بهيام:

-لكن جروحي ترممت فوّر أن رأيتكِ

أحنت رأسها بخجلٍ وهي تبتسم له لينتفض كلاهما مرة واحدة ويبتعدان عن بعضهما حينما اخترقت حنان المجال بكلماتها المتوّعدة:

-ســـامي!!

هناك بعض الجروح تبقى معنا إلى أبد الدهر وربما تتسبب بالوفاة أيضًا إن لم نعثر لها على علاج، والأصعب أن علاج هذه الجروح لا يكمن ببعض الأدوية والدهانات، فعلاجها يكمن بتحدي النفس ومجابهة العالم...

في تمام الرابعة عصرًا وبعد مرور بضعة أيامٍ أخرى، عاد مارك من العمل بجسدٍ مُجهدٍ وعقلٍ شاردٍ كالعادة، فتح باب المنزل ببطءٍ ليدلف إلى البهو الصغير ذو الأثاث البسيط والتلفاز الذي عفا عليه الزمن وأصبح مليئًا بالأتربة، فهو لا يشاهد التلفاز مُنذ نعومة أظافره ويكتفي بقراءة الكُتب والحكايات.

كان يجذب قدميه الثقيلتين صوّب حُجرة النوم ليُبدل ثيابه ويتمدد قليلًا، ارتمى على حافة الفراش يفتح أزرار قميصه العلوية ثم يتوّقف مرة واحدة ليتذكر تاريخ هذا اليوم؛ تنهد بحرقة وبدأ يمُسد على الفراش بيديه حتى استلقى بظهره ليغرق في إحدى ذكرياته الأليمة التي يجب أن يواجهها كما وعد أصدقاءه.

عاد إلى ذكرى أليمة كان فيها بالتاسعة من العُمر يتمدد بظهره على أرضية صلبة داخل حُجرة مُظلمة شديدة البرودة، كان جسده نحيلٌ يبرز به العظام ولا يرتدي سوى الملابس الداخلية التي تلطخت بالدماء والأوساخ، لا يزال يتذكر أن والدته أبقته بتلك الحجرة لأسبوعين كاملين حتى تعاقبه لأنه خدش عشيقها عندما كان يحاول الاعتداء عليه، ولا يزال يتذكر كيف تضربه بالعصا الغليظة في كل ليلة ويشاركها عشيقها السادي في ذلك حتى أضحى لعبة بين يديهما، تركته في تلك الحجرة الباردة حتى أتى عيد الشُكر وهو لا يزال مستلقيًا على الأرض يحمل قطعة من الجير الأبيض ويرسم بها على الحائط بعض المجسمات لهذا الجهاز الذي سيُخلصه من ذاك العالم الأسود، بات يحلم بهذا الجهاز في كل ليلة ويتخيّل أنه تخلص من عقاب والدته واعتداءات صديقها، تخلص من شعوره بالألم والجوع والوحدة والقهر ليحيا حياةٌ هادئة يحياها جميع الأطفال عداه.

تذكر صوّت الباب وهو يُفتح ليظهر ظلّ والدته وهي تقول بلكنة آمرة حادة:

-هيا ... إخرج من هنا بسرعة

وثب مارك عن الأرض فوّر استماعه لنداءها وأخذ يجاهد حتى يعتدل في وقفته ويتجه صوّب شعاع الضوء الذي حُرم منه للعديد من الأيام، كان يرى المنزل نظيفًا مُرتبًا على غيّر العادة ووالدته ترميه بنظراتٍ مُزدرية منعته عن مواصلة العدو وجعلته يُهدل كتفيه بخضوعٍ حتى لا تسجنه مُجددًا:

-نظف هذه القذارة لأن والدك سيأتي....

تهللت أساريره فوّر أن استمع إلى حديثها الذي بث بداخله بذرة من الأمل، فبوجود والده لن يتعرض لأي نوّعٍ من هذا العذاب، كاد يخطو صوّب المرحاض ليتحمم ويُبدل ثيابه لولا ذراعها الّذي أوقفه لتحني جذعها قبالته وتُرغمه على استنشاق رائحة السجائر من فمها وهي تقول بتهديد:

-أخبر والدك أنك تشاجرت مع أصدقائك .... وإلا .... أنت تعرف ما الذي سيحدث لك

ابتعدت عنه لتواصل تهديدها باستحقار:

-ولا تعتقد أن والدك سيفعل لك شيئًا أيها الغبي

أومأ رأسه بخنوعٍ ثم تحرك كالآلة صوّب المرحاض ليتحمم ويُزيل آثار القيح عن جلده ثم يُرطب القليل من جروحه حتى يبدو الأمر طبيعيًا أمام والده، كان يشعر بالغضب وهو يفعل ذلك، يشعر بالغضب وهو آلة بين يديها، يسمح لها بضربه وحرمانه من الطعام ومعاملته كأشياء لا قيمة لها، كان فقط يتمنى أن تُحبه وتغرقه بحنانها لكنها لم تفعل، هي لم تكن تريد إنجابه حتى لولا إصرار والده.

خرج من المرحاض بعد أن بدّل ثيابه وارتدي منامة شتوية سميكة ثم اتجه إلى الفراش مباشرة ليتجاهل معدته التي تطالبه بالطعام لأنه لم يتناول شيئًا لإسبوعٍ كامل وعلى الأحرى لن تسمح له والدته بتناول الطعام حتى يأتي والده، ارتمى على فراشه وبدأ يتحسسه بشوقٍ ثم انتشل إحدى الحكايات الخاصة بفيكتور هيوجو وبدأ يقرأها ويتخيل نفسه مكان البطل بقوّته وذكاءه وانتصاره على الأعداء، يتخيل أنه

بهذه القوة والبسالة وأن الشر لا ينتصر أبدًا، يبقى غارقًا في خياله الصغير حتى ينتصر عليه النوم فيغرق في سُباتٍ عميقٍ ويستيقظ على كلماتٍ حانية وربتات هادئة على ظهره:

-مارك ... صغيري العبقري .... ألن تُصافح والدك

انتفض مارك وهو يفتح عينيه ويلتفت صوّب والده ليُطلق شهقة مشتاقة وهو يعانقه بسعادة بالغة، فها قد أتى مُنقذه أخيرًا.

-إنظر ماذا أحضرت لك أيها العبقري .... أحضرت لك_

قطع حديثه مرة واحدة حينما لاحظ هذه الكدمة التي تعتلي أسفل عينيه مع جرحٍ طفيفٍ بجانب شفتيه مما جعل جاك_ والد مارك_ يُقطب حاجبيه بقلقٍ سأل معه:

-ما هذا مارك ؟

قالها وهو يضع يده برقة على وجنته المصابة ليزداد مارك ارتباكًا وهو يقول بكذب :

-تـ...تشاجرت مع صديقي

تنهد جاك بنفاد صبرٍ من هذا الذي يستمع إليه دائمًا، فهو لا يعلم حتى أن مارك لا يملك أي أصدقاء ودائمًا ما يتعرض لأنواعٍ من النبذ والتنمر بسبب هيئته الرثة ورائحته الكريهة.

-ألم أقل لك أن تتوّقف عن هذه المشاغبة ؟.... كيف لعبقريٍ مثلك أن يتشاجر مع أقرانه بهذا العُنف

بصق كلماته بعتابٍ واضحٍ جعل مارك يحني رأسه بأسفٍ ويعتذر على شيءٍ لم يرتكبه من الأساس، لكنه يخشى أن يقول الحقيقة حتى لا ينل المزيد من التوّبيخ حينما يرحل والده.

-انظر ماذا أحضرت لك....

أخرج والده بعض الكُتب العلمية الكبيرة الخاصة بالفيزياء مع بعض الأدوات الميكانيكية والمجسمات التي طلبها مارك بسبب حُبه لصناعة الأجهزة، أو رغبته بصناعة هذا الجهاز.

شهق مارك بسعادة وهو يرمق هذه الهدية ويتشكر والده بلهفة طفولية، كان هذا قبل أن يُخرج جاك منامة شتوية أنيقة تحمل بعض الأشكال الخاصة بحيوان الرنة ورجل الثلج لتتوافق مع عيد رأس السنة الذي من المُفترض أن يحتفلوا به بعد أيام.

-أحضرت لك هذه المنامة حتى ترتديها ونحن نحتفل

بسط جاك المنامة ليراها مارك جيدًا ثم أمسكها من أطرافها ليضعها أمام مارك متفوهًا:

-دعني أساعدك على ارتدائها

قالها والده بصدرٍ رحبٍ وهو يقترب من مارك لينزع عنه سترته ويساعده على ارتداء تلك المنامة وهو يحتفل معهما بعيد الشُكر، بينما كان الارتباك يطغي على الآخر وكان يحاول أن يدفع والده بعيدًا عنه متحججًا:

-لا بأس .... أستطيع ارتدائها وحدي

لم يكن يريد أن يعرف والده ما يحدث معه ويرى آثار التنكيل على جسده، فقد جاهد حتى لا يتأوه من الألم بحضرة والده وبقي ثابتًا حتى لا يُكشف الأمر ويتلقى المزيد من الضربات القاسية، لكن والده لم يُعطي لحديثه بالًا وظنٌ أن صغيره يحاول أن يجعله يشعر بالراحة ليس إلا، لذلك واصل نزع سُترته بابتسامته المرحة ورغبته برؤية هذه المنامة الجميلة وهي تُزين صغيره العبقري كما يناديه.

-لا تخجل مارك ... أنا والدك

كان يقول ذلك حتى يُطمئنه وهو يرفع سُترته لأعلى بينما شُحب وجه الآخر وازداد ارتباكًا خاصة بعد أن أضحى عاري الصدر أمام والده التي صُدم من آثار الخيزران والحروق على جسده الصغير والذي لا يُمكن أن يضحى نتيجة مشاجرة عادية؛ غلُت المراجل بداخله وهو يرمق جسده المشوّه ويسأل بحدة:

-ما هذا مارك ؟؟ .... هل هذه أيضًا من تلك المشاجرة ؟

كان واضحًا أنه يعرف إجابة السؤال مما زاد من ارتباك مارك وجعله يوميء برأسه إيجابًا ليتأكد جاك أنه يكذب، فهذه ليست مُجرد مشاجرة، هذا تعذيب صريح، وكذب مارك يجعله أكثر غضبًا وهو يسأل:

-مارك لا تكذب .... من الذي فعل بك ذلك ؟ .... هيا أجب

شُحب وجهه أكثر وكاد ينصهر أمام نظرات والده التي لا تُبشر بالخير أبدًا، بات يتخيل عقاب والدته الجديد حينما يرحل والده، يتخيلها وهي تحرقه بسجائرها أو تضربه بعالقة الملابس أو الخيزران أو عقوبة سادية أخرى، الأمر الذي يجعله يزداد خوّفًا ويبقى في حالة من الصمت حتى وجد والده يجذبه من ذراعه ويدفعه خارج الحُجرة والنيران تتصاعد من عينيه.

كانت والدته كارول تُعد مائدة العشاء لتجد زوّجها يباغتها بكلماته الحادة ويده التي تقبض على مارك الذي لا زال عاريًا تظهر جروحه وكدماته للعيان.

-ماذا فعلتي كارول ؟ ..... كيف تجروئي على ضرب ابننا ؟

ابتلع مارك ريقه بهلعٍ وهو يرمق نظراتها المتوّعدة التي تنقلب مرة واحدة إلى البراءة وهي تقول:

-ماذا !! .... أتعتقد أنني فعلت به هذا ؟

آشارت على نفسها وهي تتحدث لتبقى نظرات جاك حادة وهو يواجهها:

-ومن الذي ضربه بهذه الطريقة إذا ؟

أطبقت كارول على شفتيها بحدة دافعت معها عن نفسها رغم أنها تعرف أنها السبب فيما يحدث لصغيرها:

-وما دخلي أنا بهذا الأمر ..... مارك ولدٌ سيءٌ ولا يُحبه أحد .... لذلك يضربونه بالمدرسة .... ألا يكفي أنك تتركني وحدي أواجه مشكلاته التي لا تنتهي .... ألا تعرف أنه قتل الكلب الخاص بالجيران لذلك ضربوه بهذه الطريقة!!

أخذت تبكي بعد حديثها بدموعٍ زائفة استطاعت السيطرة بها على جاك وجعلته يهرع إليها ويُربت على ظهرها أمام مارك الذي كان في حالة من الصدمة، فكيف لها أن تدعي البراءة وتظهره بصورة الوحش الثائر بهذه البساطة.

كانت تبكي على صدر جاك وهي تشكو وتتبرم من تصرفات مارك_المشاكس_والمتاعب التي يفتعلها دائمًا وكم أنها تعاني من تربية هذا الطفل الفاسد وحدها.

-أنت لا تُصدقني.....

بقيت تقول هذه الكلمات بين نحيبها وبكاءها ونظرات مارك المصدومة حتى وجد والده يرميه بنظراتٍ مُشتعلة معاتبة وكأنه بالفعل أذنب.

-هل فعلت هذا مارك ؟ .... هل قتلت الكلب الخاص بالجيران ؟ .... هل ضربوك من أجل هذا ؟

تيبست أقدامه على الأرض ولم يستطع النُطق بحرفٍ واحدٍ وكأنه فقد القُدرة على الحديث، فقط يستقبل نظرات والدته المتوّعدة التي تجعل الخوّف يطغي على كيانه وهو يقول:

-نــ..نعم .... لــ..لم أكن أقصد

ما أن أدلى هذه الكلمات حتى زادت كارول من بكاءها الزائف وهي تقول:

-أرأيت !! .... أرأيت أنني صادقة ؟

سقط جاك صريعًا أمام دموعها الزائفة وتمثيلها الجيد الذي جعله يهرع نحوها ويعانقها ثم يرمق مارك بنظرات حادة أخبره معها بصوّتٍ آمر:

-إذهب إلى حُجرتك مارك .... ولا تخرج حتى العشاء .... سنتكلم فيما بعد عمَ حدث

تحطم فؤاده وهو يتقهقر للوراء ثم يدلف الحُجرة بخطى متثاقلة ونيرانٌ تتدفق من أوّردته، فما إن أصبح وحيدًا في الحجرة حتى انفجر كالينابيع وبدأ يركل الأرض بقدمه ويُلقي كتبه وهدايا والده على الأرض وهو يتنفس الصُعداء بوٌجهٍ قد تحوّل إلى

كُتلة من اللهب، غاضبٌ لأنها استطاعت العبث بوالده ككل مرة، وغاضب لأنه جبانٌ لم يقدر على قول الحقيقة حتى أضحى المُذنب الوحيد في هذا المنزل، وما زاد من حطامه هي دموعها وتمثيلها اللذان يجعلاها كالملاك البريء وهي في الحقيقة شيطانٌ ماكر.

عاد من ذكرياته وهو مُستلقٍ على الفراش يرمق السقف بشرودٍ ويتذكر ما حدث ببقية اليوم حينما جلس على مائدة العشاء يتناول الطعام بشراهة ثم يتوّقف مرة واحدة حينما يستقبل نظراتها المتوّعدة، يتذكر كيف بكى أمام والده حتى لا يرحل ويتركه بالأسابيع بين يديها لكن والده ينهره ويجبره على البقاء مُدعيًا أنه لن يستطيع أن يهتم به وحده وأن والدته تُحبه وسترعاه جيدًا، كان يُريد أن يُخبره أنه يتعرض للأذى في غيابه لكنه يتراجع في كل مرة حتى لا يصده والده ويُكذب أحاديثه بسبب والدته التي تدّعي البراءة وتخبر الجميع بأنه طفل سيء، وهو لا يعلم حتى ما ذنبه.

كان يعلم أن طفولته المشوّهة ستجعل حياته صعبة وهي بالفعل كانت كذلك، جعلته وحيدًا منبوذًا حتى عندما تخلص من والدته أصبح يُعامل الجميع بجفاء متأثرًا بأقاويل والدته التي تقول أن الجميع لا يُحبه، أصبح يكره النساء ويراهم كائنات لزجة ماكرة داخلها مزيجٌ من الشرّ والبراءة، وبعد هذه الرحلة، استطاع أن يُرمم القليل من ماضيه المُحطم، استطاع أن يعثر على بعض الأمل في هذه الحياة، لكنه مع ذلك لا يزال يشعر أنه غارقًا في مستنقعه لا يقدر على المواجهة، لا يزال جبانًا....

آفاق من شروده وذكرياته على جرس الباب الذي طفق يصدح بطريقة مُتكررة؛ تنهد بإرهاقٍ قبل أن يثب عن الفراش مُتجهًا صوّب الباب حتى يفتح لوالده الذي أتى كما أخبره بالضبط، كان كهلًا يتعدى عُمره العِقد السابع ليجعل خصلات شعره بيضاء ووجه مليءٌ بالتجاعيد وجسده لا يزال رشيقًا به بعض الترهلات الناتجة عن عوامل العُمر، قرر والده أن ينتقل إلى كاليفورنيا بعد أن تقاعد عن العمل وقرر أن يتلقى معاشه عن طريق الشحن، يعلم أن هذه الطريقة غير مضمونة وربما تضيع أمواله وهي في طريقها إليه لكنه الآن لم يعد يكترث للأموال، فقط يُريد أن يبقى بجوار ابنه الوحيد الذي كان يتركه بالأيام بحثًا عن المال، فحتى بعد أن ذهب مارك ليقطن معه بفلوريدا، كان يتركه وحيدًا طوال اليوم ويكتفي بدفع مصاريفه ومستلزماته.

ابتسم جاك وهو يضع حقيبة سفره على الأرض ليعانق مارك الذي لم يبادله العناق واكتفى بنظراتٍ جامدة خالية من المشاعر.

-مرحبًا مارك .... أعتذر عن التأخير .... فأنت تعلم، فلوريدا بعيدة عن كاليفورنيا لذلك كان الطريق طوٌلًا

لم يكترث مارك لاعتذاره ومدٌ يده ليلتقط حقيبة والده ويجذبها على الأرض صوٌب حُجرة متوٌسطة الحجم من المُفترض أن تضحى حُجرة والده في أيامه التالية.

-هذه حُجرتك .... يُمكنك أن تستريح بها قليلًا

أبعد مارك نظراته عن والده وهو يتحدث بطريقة جافة جعلت جاك يشعر بالريبة، فقد كان يظن أن مارك سيُهلل من السعادة حينما يراه بعد هذه الغيبة، فهذا ما كان يفعله وهو طفلٌ صغير، لكنه الآن يجده يعامله كالغرباء ويحاول الرحيل عن المنزل حتى لا يبقى معه.

تحرك مارك صوٌب حُجرة المعيشة ليرتمي على الأريكة مُخرجًا جواله ليعبث به قليلًا، وكانت نظرات جاك لا تزال تمتليء بالريبة حتى تقدم صوٌب مارك متسائلًا:

-ما بك مارك .... ألست سعيدًا أنني سأعيش معك ما تبقى من حياتي ؟

حاول مارك المحافظة على ثباته وهو يُجيب بنظراتٍ مُصوٌبة نحو الهاتف:

-ولماذا لأضحى سعيدًا ؟ ..... لم أجرب أن أعيش معك من قبل حتى أعرف هل سأصبح سعيدًا أم لا

كان يُلمح إلى كوٌن والده لم يبقى معه طوال هذه السنوات وكان بالنسبة له كالضيف الذي يأتي ببضع ساعاتٍ ومعه الهدايا ثم يرحل مع وعدٍ بالمجيء مرة أخرى، وكان والده يشعر بغصة تعتلي فؤاده بسبب كلمات ابنه الذي ظنٌ لوهلة أنه لن يتركه وحيدًا.

-ما الذي تقوله مارك ؟ ...... أنا والدك .... هل تظن أنني سأضحى عُثرة بحياتك

بدأت النيران تتصاعد داخل مارك وهو يرفع عينيه عن الهاتف مؤليًا نظراته صوٌب جاك وهو يقول:

-وكذلك هي كانت والدتي .... وكانت السبب أيضًا بتحطيمي .... وأنت .... أنت لا تختلف عنها

أنهى الحديث بنظراتٍ مُستحقرة جعلت المراجل تغلي داخل جاك وهو يتذكر تلك الخائنة التي تركت صغيره وحيدًا وقررت الهرب مع عشيقها، بل تذكر كذلك حينما ذهب لزيارتهما وأخبره مارك أنها رحلت وأنها لن تأتي مجددًا، وأنها كانت تخوّنه طوال هذه السنوات وتقوم بضربه وعقابه بشتى الطُرق حتى لا يُفشي سرها، وهو كالأحمق يُصدقها دائمًا.

-كيف تجروء على تشبيهي بهذه الخائنة ؟_

هتف جاك بتلك الكلمات الحادة التي جعلت مارك يفقد صوّابه وهو يلقي هاتفه على الأريكة ويقطع كلمات والده بصُراخٍ حادٍ أعرب عمَ يسجنه داخل فؤاده طوال هذه السنوات:

-لأنك لا تختلف عنها .... كلاكما حطمتماني....

آشار على ذاته وهو يثب عن الأريكة متفوّهًا بنبرة منكسرة وصوّتٍ مُرتفعٍ مُستذكر :

-كم مرة توّسلت إليك حتى تأخذني ؟ ..... كم مرة بكيت وأنا أترجاك حتى لا تتركني معها ؟ ..... كم مرة حاولتُ أن أخبرك عمَ تفعله وأنت لا تُصدقني ؟

آشار على والده بأصابع الاتهام ثم واصل الحديث كقنابل مُنفجرة:

-تركتني معها وأنت تعرف أنها تأذيني وأنها لم تُحبني أبدًا ..... وعندما رحلَت .... بقيتُ وحيدًا بالمنزل أحاول الاتصال بك وأنت لا تُجيبني ..... اضطررت للعمل وأنا بالثانية عشر حتى أحصل على قوت يومي بعد أن أخذت هي الأموال ورحلت ..... وأنت .... أنت لم تتصل بي لشهرٍ كامل ..... وحتى بعد ذهابي معك إلى فلوريدا كُنت تتركني وحيدًا بالأيام وتكتفي بإعطائي أموالك اللعينة

بدأ يتنفس الصُعداء وهو يتحدث أمام والده الذي أصابته حالة من الصدمة من حديث ابنه الأشبه بالسهام المارقة، كان يحاول التبرير لمَ كان يفعله يُريد أن يُخبر مارك أنه يُحبه وأنه ليس كزوجته الخائنة فكان يقول بدفاعٍ عن ذاته:

-لكنني كُنت أفعل ذلك من أجلك، كنت أعمل بالاثني عشرة ساعة حتى أوٌفر لك ما تحتاجه من المال_

-وأنا لم أكن أريد أموالك اللعينة .... كُنت أريدك أنت .... أريدك أن تحميني منها، أتعرف أنها كانت تحرمني من الطعام ؟ .... أتعرف أن عشيقها كان يعتدي علي أمامها ؟.... أتعرف أنها تضربني يوميًا حتى أغيب عن الوعي ؟..... أتعرف أنها تسجنني بالأيام في حُجرة القبو ؟ ..... كيف ستعرف وأنت دائمًا بعيدًا عنا ؟

تحوٌل وجه مارك إلى كتلة من اللهب وهو يصرخ بمَ يجيش بداخله ودموعه التي تجمعت داخل حدقتيه لشعوره بألم هذه الأيام، وكان والده يحني رأسه بخُذلانٍ وندمٍ لا يُصدق أن صغيره كان يعاني من هذا وحده، وهو لم يكن يعرف، وكان يظن أنه يحيا حياةً طبيعية، بل كان أحيانًا يتغافل عن هيئته المزرية ويدٌعي أنها مشاجرات أطفال.

بقي مارك في حالة من الصمت حاول معها أن يُنظم أنفاسه المتلاحقة ثم يُغلغل أصابعه بين خُصلاته ويُعيدها للوراء لعله يستطيع السيطرة على نفسه المتزعزعة، بينما كان والده غارقًا في بحرٍ من الندم وهو يقول باعتذار:

-مارك أناا .... أعتذر عمَ كُنت تعانيه .... أعدك أنني سـ_

أوقفه مارك للمرة التي لا يعلم عددها قبل أن تنهمر دموعه ويظهر أمام والده كالضعيف الذي ينتظر طوٌق النجاة، وهو أكثر من يكره الشعور بالضعف أمام أحد لذلك قرر إنهاء هذه المشادة بكلماته القاطعة:

-سأتجوٌل قليلًا بالسيارة .... خُذ راحتك بالمنزل

انطلق بعد حديثه إلى الباب ليفتحه ويتحرك في شوارع سان دييجو يحاول نفض هذه الأفكار عن ذهنه لكن النيران كانت لا تزال ناشبة بداخله، لا يُصدق أنه انفجر هكذا أمام والده، لا يُصدق أنه أفصح بسهولة عمَ يجيش بصدره، فلطالما اعتاد التخبئة والكُتمان حتى أصبح جافًا لا يُستطيع أن يُقدر مشاعره، فتح باب السيارة ليستقلها لا يعرف إلى أين سيقودها لكنه لا يُريد أن يبقى بالمنزل، يُريد أن يتحرك في شوارع المدينة لعله يتناسى القليل من هذه اللحظات، وما إن أضحى وحيدًا بالسيارة حتى ترقرقت دمعاته على وجنتيه لتتحوٌل مرة واحدة إلى دموعٍ منهمرة وشهقاتٍ تتصاعد

من داخله، أسند رأسه على مُحرك السيارة ليرتجف بدنه وهو يبكي كما لم يبكي من قبل، فهذه أول مرة يبكي فيها بهذه الطريقة، يبكي على حياته التي قضاها مكروهًا وطفولته التي تشوّهت والتي كان يعاقب فيها حينما يبكي.

وبعد فترة وجيزة من البكاء والتنفيس عن مشاعره المسجونة، رفع رأسه عن المُحرك لينتشل حفنة من المحارم ويُجفف دمعاته ومخاطه ثم يرتخي بظهره للوراء ليلتقط أنفاسه ويستعيد هدوءه، يشعر أن هذا البكاء أشبه بالدواء الذي عالجه من سُقمه، فهو يشعر براحة لم يشعر بها من قبل.

لم يعُد يحاول أن يتناسي ماضيه هذه المرة، بل بدأ يُفكر في طريقة يحوّل فيها ماضيه إلى مُستقبلٍ مُشرق، فبدلًا من الهروب، عليه بالمواجهة، بدلًا من الهروب من طفولة مُحطمة، عليه أن يُفكر في طريقة لإنقاذ بها طفولة الآخرين، بات يُفكر جديًا في كيفية فعل ذلك متخيلًا أنه ينقذ العديد من الأطفال ويوّفر لهم حياةً جيدة يستحقونها وكيف سيفعل ذلك لهم وهو لا يزال يقوم ببعض التعديلات في مشروعه الجديد.

وفي ظل تفكيره إذا يقطعه رنين الهاتف الذي أخذه معه قبل رحيله من المنزل، وجده يُطلق العديد من الاهتزازات وهو بجعبته ليُخرجه ويرى اسم سامي يُنير الشاشة!!

أوشكت الساعة على الثانية عشر مساءً وهو يتجوّل بإحدى الأحياء الشعبية يشعر بالسعادة تتغلغل أوُردته، فقد تمت أخيرًا خُطبته المبدئية على كاتي وقدم أوراقه بإحدى الشركات متوّسطة الحال بعد أن رآى إعلان الوظيفة وتم قبوله في أول اختبار.

توّقف سامي عند إحدى المقاهي الشعبية التي لطالما قضى بها فترة مراهقته، حينما كان يذهب إليها هو وصديقه طارق ليُذاكرا سوّيًا ويستعدا لاختبارات نهاية العام وينتهي بهما الأمر بكوبين من القهوة واللعب بأوراق اللعب بالساعات، كان يبتسم وهو يتذكر تلك الذكريات ويتذكر صديقه الذي أهانه وكيف انقطعت علاقته معه بتلك الطريقة السيئة، كان يتلفت حوّله لعله يجد طيفه بين الحضور ويعتذر منه عمَ

سلف، وبالفعل وجده يجلس بهدوءٍ على أحد المقاعد المستديرة يعبث بهاتفه ثم يُجري بعض المكالمات ويضعه أمامه ليواصل أخذ أنفاسٍ من أرجيلته ذات رائحة التفاح، والتي يعلم سامي جيدًا أنه يُحبها، فصديقه لم يتغيّر أبدًا، لا يزال يحتفظ بهيئته البسيطة وعاداته القديمة، لا زال يأتي إلى هذا المقهى ويحتسي من تلك الأرجيلة في هذا الوقت المتأخر من الليل.

رسم سامي بسمة هادئة على ثغره وجاهد حتى يتحرك صوّب طارق وهو يُرتب الكلمات التي سيعتذر بها ويُخبره كم أنه نادم، جذب أحد المقاعد لبجلس بها أمامه متفوّهًا:

-مسا مسا على الناس الكويسة

بدأ الحديث بطريقة مرحة لعله يجذب انتباه طارق ويجعله يلتفت إليه، فما إن رآه طارق حتى لاح على وجهه الجمود وعدم التصديق لكنهما يتحوّلان مرة واحدة إلى الغضب وهو يقول بعد أن تنهد تنهيدة حانقة:

-إيه إللي جابك ؟ ..... مش أنا صاحبك الجربوع إللي بتتكسف منه

طغي الحنق على وجه طارق وكاد يثب من مقعده لولا سامي الذي تشبث بذراعه هاتفًا بتوّسل:

-استنى بس الكلام اخد وعطا .... بعدين أنا جاي أعتذر منك

-تعتذر بعد إيه .... بعد ما هينتني قُدام إللي ميتسموش

تنهد سامي بحسرة أحنى معها رأسه لأسفل وبقي صامتًا لفترة وجيزة حتى أردف بأسف:

-عارف إنك موجوع مني .... بس صدقني أنا اتغيرت، ومستعد أعمل إللي إنت عايزه عشان تسامحني .... حتى لو قولتلي أقلبلك قرد دلوقتي

-وتقلب ليه .... إنت أصلًا مش محتاج

بصقها طارق ببعض السُخرية التي جعلت سامي يتناسى طريقته المُعتذرة ويبدأ بالضحك على صديقه الذي آعاد عليه ذكرياته وكم كانا يتشاكسان بتلك الطريقة التي اشتاقها.

رفع يده ليُربت بها على كتف طارق متفوّهًا بوِّد:

-مقبولة منك يا شقيق

نزع يده ليراقب طارق وهو يأخذ أنفاسًا من أرجيلته ليُطلقها في الهواء أمام سامي الذي أردف بنبرة هادئة وصادقة:

-متغيرتش على فكرة ..... لسة نفس اللبس ونفس الطريقة في الكلام

أبعد طارق الأرجيلة عن فمه وهو يقول بنبرة مُعاتبة :

-بس انت اتغيرت أوي ..... نسيت العِشرة إللي كانت بينا عشان خاطر القرش

-عارف إن أنا اتغيرت ..... بس صدقني الأيام إللي فاتت دي اتعلمت فيها حاجات كتير .... أهمهم إني مش عايز اخسر صاحبي إللي طلعت بيه من الدنيا

بقي طارق يطالعه في صمتٍ وعدم تصديقٍ من تغيره المفاجيء، لازال يتذكر كيف كان سامي يُفكر في مصلحته قبل مصلحة الجميع ويسعى دائمًا للنجاح حتى ولو على حِساب الآخرين، لكنه الآن، لا يعرف لماذا يشعر أن هناك شيئًا قد تغيّر بصديقه، أصبح راضيًا عن حياته البسيطة، غير ناقمٍ على فقره المدقع، بل يبتسم أمام الفقر ويُخبره أنه لن يجعله تعيسًا مهما فعل.

بعد فترة وجيزة من الصمت وضع سامي يده في جعبته ليُخرج علبة صغيرة من الشوكولاة ويمدها نحو طارق وهو يقول بمرح:

-طب دانا حتى جيبتلك البيمبو إللي كُنا بنجيبها واحنا عيال

أعطاه عُلبة الشوكولاة ليلتقطها طارق بضحكاتٍ مرحة لا يُصدق معها أن صديقه لا زال يتذكر كيف كان يُحب هذه الحلوى، انتهز سامي الفرصة وبدأ يقص عليه بعضًا من ذكرياتهما الطفولية وكيف كانا يفتعلان الكوارث التي تنتهي بعقابهما مثلما حدث عندما أشعلا المفرقعات وألقياها داخل إحدى المنازل لينطلق منها أصوات الصراخ

ويُقهقه هو وطارق قهقهات شيطانية ماكرة انتهت بشكوى من الجيران وحرمانٌ من اللعب في الشارع لإسبوعٍ كامل.

بعد فترة وجيزة من الأحاديث المتبادلة استأذن طارق ليذهب إلى والدته المريضة ليبقى سامي وحيدًا بالمقهى ينادي على النادل ليُجدد الفحم بالأرجيلة التي كان يحتسيها طارق والتي أصبح يأخذ منها أنفاسًا متتالية ويُطلقها على هيئة أدخنة سامة تخترق عبير السماء، بقي يتأمل الحي الشعبي لفترة وجيزة ذكرته بتلك المغامرة التي عاشها وما الذي يفعله أصدقاءه الآن، فطوال هذه الأيام، كانت اتصالاتهم عبارة عن مكالماتٍ هاتفية بسبب بُعد المسافات.

أول ما جال بخاطره هو مارك لأن حكيم معه بنفس الدوّلة وهو يستطيع أن يزوره وقتما يُريد، فقد أرسل له حكيم عنوان منزله مع دعوة للعشاء، فتح إحدى التطبيقات الخاصة بالمكالمات الصوتية عن طريق شبكة العنكبوت حتى يستطيع الاتصال به، بقي للعديد من الدقائق يحاول الاتصال حتى نجح أخيرًا وبدأ يستمع إلى صوّت الرنين من الجهة الأخرى، كان يُريد أن يحادثه مارك بخاصية الصوّرة والصوّت لكن مارك لم يقبل بذلك واكتفى بمحادثته بخاصية الصوّت فقط، رغم أن سامي يعلم جيدًا أن الوقت الآن يقترب من الخامسة مساءً بأمريكا.

-هل نسيتني بهذه السهولة ؟

بدأ سامي الحديث بتلك الطريقة المرحة ليُجيبه مارك وهو جالس داخل السيارة يتحدث بطريقة ساخرة مندفعة اعتادها سامي:

-وهل أنت دواءُ حتى أتذكرك ؟

قهقه سامي بخفة على حديثه ثم سأله عن أحواله ليُخبره مارك أنه بخير رغم أن صوته يحمل لمحة من الحُزن استطاع سامي استشفافها عبر الهاتف:

-أنا وكات سنتزوّج بنهاية الأسبوع .... أنت وميليندا ستأتيان .... أرسلنا لكما الدعوّات

أومأ مارك إيجابًا وهو يهنئهما بكلماتٍ جافة حاول أن يجعلها مُحملة بالمشاعر لكنه لم يستطع، فلا زال يجد صعوبة بتحديد مشاعره الحقيقية وسامي يعرف ذلك جيدًا.

كان مارك يعتدل في جلسته داخل السيارة يستمع إلى تخطيطات سامي لهذا الزفاف الأسطوري وعن بلدته وعم سيفعلونه سويًا، ومارك يكتفي بالهمهمة حتى سأله سامي مستذكرًا:

-صحيح .... ما أخبار الجهاز ؟ .... هل أنهيت التعديلات ؟

-لازلتُ أحاول فصله عن الواقع لكن ذلك سيأخذ بعض الوقت

همهم سامي إيجابًا لينتبه بعدها إلى كلمات مارك المُحذرة:

-قبل أن أنسى .... أنت تعرف أننا غيّرنا الحكايات الأصلية لبعض الأفلام أليس كذلك ؟

همهم سامي بإيجابٍ ليواصل مارك بلكنة تحذيرية:

-حذاري أن تُخبر أحدهم أننا السبب في ذلك أو أننا اخترقنا أي فيلمٍ من أفلام الرسوم المُتحركة .... لأننا وقتها سنقع في العديد من الكوارث

أومأ سامي بموافقة همهم معها مؤكدًا على حديث مارك وما الذي سيحدث لهم حينما يُدرك الجميع أنهم اخترقوا أفلام الرسوم المُتحركة، فبخلاف أن لا أحد سيُصدقهم وسيتم وصمهم بالجنون والذهان، سيقع مارك في العديد من المشكلات بسبب جهازه الذي سيتم كشفه قبل الانتهاء منه مما سيضحى عائقًا في حياة مارك ويجعله يضيق ذرعًا من كثرة الضغط الجماهيري ورغبة الجميع بتجربة جهازه المُعجزة، لهذا السبب أنهى سامي الحديث بطمأنينة:

-لا تقلق يا صاح .... لن أخبر أحدهم أبدًا .... وسأخبر حكيم أيضًا لا تقلق

أنهى سامي مكالمته مع مارك على أمل أن يُنفذ وعده ويُخبر حكيم قبل أن يتهوّر ويفشي سرّهم، لكنه يتصلب مرة واحدة لتتسع حدقتيه في صدمة من ذاك المقطع الذي ظهر أمامه صدفة والذي كان يحتوي على صوّرة حكيم وهو يتحدث مع " معجبيه " ويُخبرهم عن رحلته المجنونة وكيف اخترق هو وأصدقاءه... الرسوم المُتحركة!!

خفق فؤاد سامي بحدة ترك معها الأرجيلة جانبًا وبدأ يُحدق في الهاتف ليرى حكيم يتحدث بالُحجج البراهين ويفضح أصدقاءه بهذا المقطع الذي تعدُى المليون مشاهدة !!

الفصل الثامن والعشرون (صرخة المخاطر)

يرغب الإنسان دائمًا بإنقاذ العالم من الفساد ونشر العدل والسلام، لكنه لا يعرف أن محاولاته لإنقاذ العالم تنقلب إلى حربٍ عالمية جديدة....

تنهمر الأمطار الغزيرة على عينيه فتنزلق على الأرض وتتحوّل إلى حُبيباتٍ من الذهب اللامع، يرفع يده نحو هذه الأمطار فتتكوّم قطرات الندي على راحتيه ويظهر بريقها السافر الذي انعكس على عينيه البُندقتين، كان هذا ما يحلم به وهو يتقلب على فراشه غارقًا في سُباتٍ عميقٍ وابتسامة بلهاء على وجهه إثر هذا الحلم الذي يتمنى أن يتحقق، لكنه بدلًا من أن يتحقق، يجد من ينقض عليه كالوحش الثائر لينتزعه من حُلمه ويُلقيه من الفُراش كما تُلقى المحارم المُستخدمة في سلة المُهملات.

انقبضت أوزار حكيم وهو يقع على الأرض وهناك عينان مُتقضتان تصوِّبان نحوه مع يدين غليظتين تقبضان على ياقة ثيابه حتى كادت تُمزقها، لم يكن في كامل وعيه حتى يُدرك من هذا الذي يقف أمامه مما جعله يصرخ كالفتاة التي أخافها صرصورًا :

-حرامي ... حرامي....

تجاهل سامي صراخه المُدلل وبقي يدفعه للأمام والخلف وكلماته تخرج من فمه بطريقة حادة:

-حرامي مين يا ابن الهبلة ..... بقى تفضحنا وتضحك علينا الناس يا حكيم الكلب

أفاق حكيم من غفوته وبدأ يُسبل بعينيه لتتضح الرؤية أمامه ويرى سامي مُخترقًا حجرته الفسيحة حتى يقبض عليه كالمُجرمين.

-سـ... سام !! .... إنت بتعمل إيه هنا ؟

آثارت كلماته الهادئة حنق سامي الذي غلت المراجل بداخله وهو يُحركه من ياقة ثيابه هاتفًا:

-وكمان مش عارف !! ..... هو إحنا ياض مش قولنا إن اللي حصلنا مش هيتقال لحد .... تقوم إنت تقول للعالم كله!!

فهم حكيم سبب غضبه وبدأ يفرك على جبهته مُستذكرًا:

-أااه ... إنت قصدك على الفيديو اياه

-أيوة يا خويا قصدي عالـ فيديو اياه .... واتفضل افتح موبايلك وامسحو بدل ما امسح بكرامتك الأرض

ارتبك حكيم من نبرة سامي المُتجهمة وعدم رغبته بمحو هذا المقطع الذي تعدّى المليون مشاهدة، هذا ما جعله يتحدث ببعض الرجاء:

-بس....ده جايب مليون مشاهدة

ارتفعت أوداج سامي وهو يقبض على ياقة حكيم مُجددًا غير عابئًا بصوّته المرتفع الذي على الأحرى سيستيقظ بسببه من يقطن بالمنزل، أو ربما حدث ذلك بالفعل:

-ولاا .... إنت لسة هتقولي بس ومبسش بقولك امسحو دلوقتي وإلا_

قطع حديثه صوّت عدلي_والد حكيم_الذي استيقظ إثر هذه المشادة وآراد أن يطمئن على ابنه وعن هذا الضيف الغريب والذي ربما سمحت له الخادمة بدخول المنزل.

-فيه إيه يا حكيم .... مين الجدع ده ؟

ابتعد سامي عن حكيم ليُهندم ملابسه ويحافظ على ثباته حتى لا يشعر والد حكيم أنه قاتل مُتسلسل أتى للاعتداء على ابنهم الوحيد، حسنًا، هذه كانت إحدى نواياه بسبب ما فعله الأحمق الآخر.

-مفيش يا حج .... ده سامي، صاحبي من أمريكا .... كان جاي بس يمسي عليا

جاهد سامي حتى يرسم بسمة هادئة أكد معها على حديث حكيم الذي جعل والده يُقطب حاجبيه بحيرة قال معها باستنتاج:

-صاحبك من أمريكا ومصري !! .... يا بني إنت سافرت أمريكا ولا سافرت دولة عربية ؟

هرول حكيم صوّب والده ليدفعه برفق خارج الحجرة قبل أن يرى رأس ابنه مُعلقة على الباب ليضحى باب حُجرته أقرب إلى باب زويلة.

-يا حج والله سافرت أمريكا ... اطلع بس دلوقتي عشان دودو متقلقش

استجاب عدلي لدفعاته وعلامات الحيرة لا تزال على وجهه وهو يسأل:

-يعني كل حاجة تمام ؟

طمأن حكيم والده وهو يواصل دفعه خارج الحُجرة ويُخبره أن صديقه يمزح معه ليس إلا وأنها مجرد مشادة بسيطة لا ضيٌر منها، وما إن خرج والده حتى أغلق الباب والتفت نحو سامي ليرميه بنظراتٍ معاتبة قال معها:

-يا سطا مش قُدام أبوية وأمي

تجاهل سامي كلماته المعاتبة وتقدم نحوه بعد أن انتشل الهاتف الخاص بالآخر وقذفه نحوه متفوٌهًا بأمر:

-امسح الفيديو

أطلق حكيم نفحاتٍ من الهواء المتضايق من فمه قبل أن يلتقط هاتفه ويفتحه مُرغمًا أمام نظرات سامي المتوٌعدة والتي جعلته يمحو المقطع ويُخبر جمهوره أنها مُجرد مزحة ليس إلا، ما إن فعل ذلك حتى ترك سامي الحُجرة وبقي يعدو داخل المنزل حتى تركه كليًا، بينما كان حكيم يُتمتم بضجرٍ ويضرب الأرض بتذمرٍ طفولي ثم يُلقي هاتفه على المنضدة ويستلقي على الفراش لينام وكأن شيئًا لم يكن...

مرٌت ثلاثة أسابيع أخرى حدث بهم العديد من التطوٌرات، فها قد وفى حكيم بوٌعده وسافر مع أسرته إلى سوريا ليطلب يدها من خالها وتتم خُطبتهما بحِمص على أن يتم الزفاف بمِصر كما اتفقا، كما تطوٌرت العلاقة بين سامي وكاتي وأضحى يهيم بها ولا يستطيع أن يواصل حياته بدوٌنها، كما أنهما عقدا القران أخيرًا بإحدى الكنائس واتفقا على إقامة حفلة زفاف صغيرة ليحتفلا بتلك المناسبة.

كانت يدا مارك تحملان قميصًا مطوٌيًا ليضعه داخل حقيبة سفره بعد أن تلقى دعوة لزيارة مصِر ليحضر عرسهما كما اتفق معهما، فهو وميليندا قد تلقيا تلك الدعوة ليتم لم شمل هذه الصداقة التي تحاول الحياة أن تُمزقها، لا يزال شاردًا في عالمٍ آخرٍ لا

يخلو وجهه من الجمود والجفاء، يتذكر والده الذي يقطن بمنزله الآن ويحاول بشتى الطرق أن يتحدث معه وهو لا يعامله سوى بطريقة جافة وأحيانًا يتجاهل وجوده تمامًا، لا يعرف حقًا لماذا يفعل ذلك، لكن رؤيته لوالده دائمًا ما تُذكره بماضيه وكيف تخلّى عنه أكثر من مرة.

وضع آخر قطعة من ملابسه وأغلق الحقيبة لينزعها عن الفراش ويبدأ بجذبها خارج الحُجرة، يرمق ساعته في كل وهلة حتى لا يتأخر على الطائرة، فكانت الساعة تُشير إلى السابعة صباحًا ومن المُفترض أن تقلع الطائرة بالتاسعة لكنه سيتقابل أولًا مع ميليندا ليتناولا الفطور سوٌيًا قبل السفر.

خرج من الحُجرة ليتجه إلى الباب مباشرة متجاهلًا والده الجالس بحُجرة المعيشة يحمل جهاز التحكم ويشاهد إحدى البرامج التليفزيونية لكنه ما إن رأى مارك يتحرك أمامه حتى تجاهل البرنامج ووثب عن مقعده ليقترب نحوه متسائلًا:

-هل سترحل الآن ؟

أبعد مارك نظراته عنه وهو يُجيب بجفاء:

-نعم .... لفترة وجيزة

تردد جاك قليلًا قبل أن يسأل بعاطفة أبوية:

-ألا تُريدني أن أصطحبك ؟

اندفع مارك بوجهه بإجابته الحادة التي لا يعرف سببها حتى:

-لا ... أستطيع الذهاب وحدي

حاول أن يخفض من حدة حديثه بنهاية جُملته ليقبض بعدها على حقيبة سفره ويدفعها صوٌب الباب عازمًا على الرحيل لولا يد والده التي وُضعت على كتفه حتى يتوٌقف مارك عن السير ويستمع إليه مُرغمًا، فدائمًا ما يحاول الحديث معه ومارك يصده بشتى الطُرق، والآن سيسافر وربما يلقى حتفه قبل أن يُخبر مارك ما يُريد قوٌله طوال هذه السنوات.

-أنا وكارول لم نكن نُريد الإنجاب ... حاولنا طوال سنوات تعارفنا أن نتجنب الحصول على طفلٍ منا .... لأننا نعرف بشكلٍ أو بآخر، أن هذا الطفل ربما يضحى عُثرة بحياتنا .... وعندما أخبرتني كارول أنها حُبلى .... كانت في قمة غضبها، كانت ثائرة، آرادت أن تتخلص منك بشتى الطُرق .... لكنني....

توّقف جاك عن الحديث ليتطلع إلى نظرات مارك المصوّبة نحوه والتي بشكلٍ أو بآخر تدعوه للمواصلة:

-لم أرد أن أتخلص منك أبدًا ... شعرتُ أنك هدية منحها لي الرب لتبقى بجواري مدى الحياة، كُنت أتخيلك امامي قبل أن تأتي هذه الحياة .... تخيلتك وأنت تحبو وتلهو بالكرة .... وأنت تقول لي بابا لأول مرة .... كُنت أريد أن أقدم لك ما حُرمت منه طوال حياتي .... أردتك أن تتعلم وتزدهر ويُحبك الجميع .... لذلك كُنت أعمل بجدٍ حتى لا أجعلك تعاني من ويلات الفقر

بدأت أنفاسه تتصاعد وهو يواصل الحديث بنبرة نادمة:

-لكنك على حق ..... لم يكن يجب أن أتركك معها وأنا على عِلمٍ بأنها تكره الأطفال، وتكرهك لأنها لم تكن تريد الزواج مني .... وحينما كُنت آتي لزيارتكما .... كُنت أحاول التغاضي عن جروحِك وكدماتك .... أحاول تصديق آكاذيبك التي تُرغمك على كذبها .... لم أكن أفعل ذلك لأنني أكرهك ... بل لأنني .... لأنني أبٌ سيء .... ظننتُ أن أموالي ستغنيك عن تلك المعاملة السيئة

تيبست أقدام مارك على الأرض وبدأت السخونة تجتاح جسده وهو ينصت إلى كلمات والده الصادقة وعيناه اللتان كادتا تُذرفان الدموع، وجد والده يتنهد بحرقة وهو ينهي حديثه باعتذارٍ صادق:

-أعتذر مارك .... أعتذر نيابة عمَ كانت تفعله بك .... ولأنني تركتك تعاني وحدك لسنواتٍ عديدة .... أعتذر لأنك لم تحظى بطفولة تستحقها .... إقبل اعتذاري أرجوك .... لا أقدر أن أراك بعيدًا عني لهذه الدرجة

أسبل مارك بعينيه وكان يجاهد حتى لا تترقرق دمعاته ويغرق مُجددًا في ذكرياته الأليمة، لذلك اكتفى بالصمت لوهلة أمام نظرات جاك المتلهفة ورغبته بسماع

المسامحة من ابنه الوحيد، وبعد فترة وجيزة من الصمت جاهد مارك حتى يقول بنبرة خافتة:

-لا بأس أبي .... لستُ غاضبًا منك على أي حال .... أنا فقط .... آردتُ الابتعاد قليلًا .... أعتذر لأنني عاملتك بهذا الجفاء

اتسعت بسمة والده وهو يستقبل اعتذاره وينقض على وحيده ليأخذه في عناقٍ أبويٍ دافيءٍ لم يستطع مارك مقاومته بل شعر أنه بحاجة جامة لهذا العناق، ابتعد جاك عنه ليقبض مارك مجددًا على حقيبته استعدادًا للرحيل أمام والده الذي سأله:

-أمتأكدٌ أنك لا تريدني أن أصطحبك ؟

ابتسم له مارك وهو يُجيب بصدقٍ واطمئنان:

-لا .... سأذهب مع صديقتي ... ثم أنني سأسافر لثلاثة أيامٍ فقط

رفع جاك حاجبيه بعدم تصديقٍ من حديث مارك الذي جعله يهتف بمشاكسة:

-أوه ... صديقتك إذا!!

فهم مارك حديث والده الخبيث وغير الصائب مما جعله يُربت على كتفه متفوهًا:

-نعم .... صديقتي فقط ولا شيء غير ذلك .... إلى اللقاء حتى لا أتأخر

ادعى والده أنه يُصدق حديثه وبقى يرمقه بنظراتٍ ماكرة فكر معها بتلك الصديقة التي يتحدث عنها مارك، فهو يعرف كيف يعاني مارك من مصادقة الآخرين مُنذ آخر مرة تعرّف فيها على فتاةٍ وقامت بطعنه وتركه وحيدًا...

وكان مارك يجذب حقيبته في حديقة منزله الصغير ليتحرك قليلًا في الشارع نحو سيارته التي سيقودها إلى المطار، كان يُفكر بحديثه مع والده وكيف ستتغير العلاقة بينهما بعد هذه المشادة الكلامية، لم يكن غاضبًا من والده على قدر غضبه من ذاته، فهو الذي استقبل عقابات والدته دون أن يتحدث ويُخبر الجميع الحقيقة، كان بوسعه أن يزتها بالسجن ويتخلص من هذه المعاناة لكنه لم يفعل وبقي صامتًا حتى تعرض للمزيد من الآذى، وها هو الآن، بدأ يتعافى من هذا الماضى ويُفكر في مُستقبلٍ مُشرقٍ سيسعى فيه حتى يحافظ على الطفولة.

فتح حقيبة السيارة ليُدثر حقيبته بداخلها ثم يتجه صوّب مقعد القيادة ليستقل السيارة لولا هذه الأقدام السريعة التي ضرّبت أذنه؛ توّقف عن السير ليشعر بالقشعريرة تسري بأحراشه وهو ينصت إلى تلك الأقدام التي تقترب وتقترب حتى....

شعر باصطدامٍ يضرب جسده ويجعله يكاد يقع على الأرض لولا التصاقه بزجاج السيارة؛ اعتراه الغضب وهو يلتفت إلى ذاك الجسد الذي اصطدم به عازمًا على توّبيخه وسبُّه على هذه الهمجية، لكنه يُصدم من تلك الفتاة ذات الرابعة عشر ربيعًا وهي تقف أمامه بوّجهٍ شاحبٍ يميل إلى اللون الأصفر مع خُصلات شعرٍ مُشعثة وأنفاسٍ متصاعدة تختلط مع لهيثها وهي تقول:

-أنا أسفة ... أعتذر .. أنا أسفة...

بقيت تعتذر بأنفاسٍ مُتقطعة ونظراتٍ تتلفت حوّلها بذعر، الأمر الذي جعل مارك يرمقها بريبة حتى وجدها تهرع نحو سيارته لتفتح الباب وتدلف إلى الداخل متفوّهة برجاء:

- خبئني .... خبئني أرجوك...

زادت كلامتها من ريبة مارك وشعوره ببعض الغضب من وقاحتها، فمن هي حتى تدلف سيارته العزيزة ؟ ولماذا يري الخوّف في عينيها ؟

استقل مارك سيارته ولا زالت عوالم الريبة تلوح على وجهه حتى التفت إليها متسائلًا:

-من أنتِ ؟ .... ومما تهربين يا هذه ؟

كانت كلماته حادة مُندفعة جعلتها تلتقط أنفاسها بصعوبة لتظهر ارتجافة بسيطة بجسدها وهي تقول بطريقة مُتقطعة:

-أ..أنا أسفة ... أنااا ... اسمي رويلا

زاد ارتباكها ليجعلها تتلاعب بأصابعها وتبتعد بعينيها عن مارك الذي زادت ريبته من تلك الفتاة الصغيرة.

-هل يُمكن أن تساعدني ؟ .... أعرف أنك تعرف السيد إيجر والسيد شنايدر .... أرجوك ... أنا في ورطة كبيرة، وعائلتي تُرغمني على الذهاب إليهم

كانت على وشك البُكاء وهي تتحدث مما جعل الحيرة تزداد أكثر بعيني مارك وتجعله يسأل ببعض القلق:

-ما الأمر .... ولماذا تُريدنني أن أساعدك ؟

أخذت رويلا نفسًا عميقًا ثم أطلقته لتُهديء من روّعها وهي تقص عليه حقيقة الأمر دون أن تتزعزع، تعلم أن ما ستقوله صعبٌ للغاية، لكنها إن بقيت صامتة، ستتأذى أكثر.

-أنا رويلا ... أقطن في حيٍ فقيرٍ بجلنديل .... والداي يعانيان من الفقر المُدقع خاصة وأننا مهاجرون من البوسنة ... لدي أربعة أخوات، وأختٌ تعاني من إعاقة ذهنية .... لذلك تعيّن علي أن أعثر على وظيفة....

سرقت نفسًا عميقًا ثم أطلقته وهي تواصل الحديث:

-وقتها وجدنا إعلانًا بإحدى الصُحف، عن قناة خاصة بالأطفال .... وتجارب أداءٍ ستنتهي باختيارٍ مجموعة من النجوم الصغار للمشاركة بإحدى العروض التليفزيونية .... أقنعني والداي أنها فُرصة جيدة، خاصة وأنني أجمل أبنائهم .... وافقتُ على الذهاب إلى تلك العروض التجريبية، وتدربت ليلًا ونهارًا حتى يتم قبولي .... وبالفعل نِلتُ إعجاب لجنة الحُكام، وتم اختياري من بين ألف فتاةٍ اشتركت بهذه التجارب .... ومن بعدها بدأ الكابوس....

عادت بذكرياتها إلى ذاك اليوم الذي كانت فيه فتاةٌ بالحادية عشر من عُمرها تقف داخل حُجرة تبديل الأوعية لتُبدل ثيابها إلى رداءٍ خليعٍ قد أخبرهن الُمخرج أنه سيتناسب مع العرض التليفزيوني خاصة وأنه من برامج الأطفال، كانت رويلا تقف أمام المرأة ترسم ابتسامة طفولية بريئة وتتمايل بجسدها وهي تتدرب على الأغنية التي ستؤديها، إلا أن جسدها توّقف عن التمايل مرة واحدة عندما شعرت بهذه الأيادي تتحرك بهدوء على جسدها الصغير حتى أمسكت بكتفيها العاريتين.

-أحسنتِ رويلا .... سينبهر الجميع بأدائكِ

لاحت السخونة على جسد رويلا وهي ترى يد المُخرج تتحرك على جسدها غير عابيءٍ بمناطقها الحساسة، حاولت أن تبتعد عنه وترحل من الحجرة لكنه أوقفها وكمم فمها وهو يقول بخُبثٍ:

-أين ستذهبي يا فتاة .... أنا فقط أريدكِ أن تتمتعي

انهمرت الدموع على وجنتها وهي تحاول دفعه ويبقى هو مكممًا لفمها ثم يهمس بأذنها بنبرة تهديدية حتى لا تصرخ وتكشفه أمام فريق الإعداد، كان يُهددها بصورها الخليعة التي أجبرها على التقاطهم وبالأموال التي تُعينها هي وأسرتها الفقيرة، الأمر الذي جعلها تبكي وتتوّسله حتى يتركها، لكنه لم يفعل ... لم يرحم طفولتها البريئة أبدًا...

أنهت رويلا ذكرياتها بدموعٍ كثيفة تنهمر من عينيها وتتساقط على بنطالها وجسدها الذي انكمش، بينما كانت الصدمة تلوح على وجه مارك وهو يستمع إلى حديثها عن برامج الأطفال والتي تضم مجموعة من أصحاب البيدوفيليا والمجرمين، أخبرته عن اعتداء المُخرج عليها أكثر من مرة، وعن بكاءها ليلًا ونهارًا وتوّسلها لعائلتها حتى لا تذهب إلى هذا المكان مجددًا، لكن عائلتها لا تُصدقها وتُرغمها على الذهاب رغبة في الحصول على المال، تركوها تتعذب وتعاني من تلك التهديدات والاعتداءات الجنسية حتى قررت الهرب والتخلص من هذا الأمر، بقيت تجوب الشوارع والطرقات هربًا من أبيها وشقيقها الأكبر حتى وجدت نفسها بسان دييجو تركض في وجهة غير مُحددة جعلتها تصطدم بمارك بالصدفة وتستنجد به لأنها تعرفه جيدًا، فهي تعلمه من المدونات التي نُشرت عنه مُنذ تلقيه فرصة للعمل بالقنوات الخاصة ببرامج الأطفال.

-أرجوك ساعدني .... لا أريد الذهاب إلى شنايدر مُجددًا .... جميع الأطفال هناك يعانون من تلك الاعتداءات، وأنا لا أقدر على التحمل....

ارتجف بدنها وهي تواصل البكاء مما جعل الدماء تتغلغل بعروقه ليتذكر هذا العهد الذي اتخذه على نفسه مُنذ فترة وجيزة، فهو قد قرر أن يبذل ما بوّسعه حتى ينقذ الأطفال، وها قد أتت فرصته أخيرًا مع تلك الفتاة التي سيسعى ليُخلصها من عذابها.

وجد يداه ترتجفان بصورة لا إرادية وهو يُحركها باتجاهها ليُربت بحنوٍ على ظهرها ثم يُعطيها المحارم لتُجفف دموعها:

-حسنًا ... إهدئي .... أعدِك أنني سأساعدك

رفعت رويلا وجهها ليظهر بعض الأمل على ملامحها وهي تقول:

-حـ..حقًا ؟

أومأ مارك بتأكيدٍ وقد شعر أنه بطلٌ خارقٍ يسعى لهزيمة الأعداء وهو يقول:

-نعم .... لا تقلقي .... سأخلصكِ منهم....

دقت ميليندا جرس المنزل وبقيت لفترة تنتظر أن يُفتح الباب لها لتتشبث جيدًا بالحقيبة الورقية التي تحملها ثم تستمع إلى صوّت الباب وهو يُفتح ليطل منه رجلٌ سبعيني ذو شعرٍ أبيضٍ يُخالطه السواد مع بشرة داكنة وملامح تقترب من ملامحها، كان هذا والدها باول الذي ما إن رآها حتى اتسعت بسمته ليُهلل بعدها بسعادة ويعانقها عناقًا أبويًا دافئًا استقبلته ميليندا بصدرٍ رحب ثم ابتعدت عنه لتردف بحماسٍ رفعت معه الحقيبة الورقية:

-أحضرت لك الكعك المُحلى .... أعلم أنك تُحبه

قهقه باول بسعادة من ابنته التي تعرفه جيدًا ثم دعاها داخل المنزل لتتناول معه كوّبًا من الشاي قبل ذهابها إلى المطار، كان يسألها عن أحوالها وعن وظيفتها الجديدة لكن دوّرثي تقتحم المجال بطلتها الشيطانية ونظراتها الحاقدة.

-أتيتي إذًا .... ظننتُ أنك لن تأتي كما تفعلين دائمًا

طالعتها دورثي من أعلاها لأخمص قدمها وكانت تُمشطها بنظراتها الماكرة التي تجاهلتها ميليندا لترسم ابتسامة مُستفزة على ثغرها وهي تقترب منها متفوّهة:

-ولماذا لا آتي يا زوجة أبي ؟ .... سيارتي تستطيع أن تأخذني إلى أي مكان .... يُمكنني حتى أن آخذ ليزا إلى الملهى الليلي الذي تذهب إليه يوميًا ... لكن لا أعرف

إذا كُنت سأصطحبها من هناك أم لا ... فربما أتركها تتجوّل بالشوارع وهي مخمورة

أنهت حديثها بنبرة مُستخفة ذكرّت فيهم دوروثي أن ابنتها التي جاهدت من أجل تعليمها أصبحت الآن فتاة طائشة لا فائدة منها، ولا تفعل شيئًا سوى السهر والشُرب، على عكس ميليندا التي ارتقت في عملها وأصبحت عالمة لها شأنٌ ومكانة.

ما كادت ترد عليها دوروثي حتى واصلت ميليندا حديثها الماكر ويدها التي عبثت بجعبتها لبُرهة وجيزة حتى أخرجت زجاجة صغيرة لتمدها صوّب الآخرى متفوّهة باستذكار:

-كِدت أنسى .... أحضرتُ لكِ هدية

أعطتها هذه الزجاجة لتتفحصها دوروثي قليلًا ثم تقول:

-ما هذا ... هل هذا نوّعٌ من السموم ؟

أومأت ميليندا إيجابًا وهي تقول:

-لا تقلقي لا أريد قتلك .... فهذا النوع من السموم يتم استخدامه كترياق لسُم الأفاعي .... أي أنه سُعالجكِ

انبثقت النيران من عيني دوروثي وهي تقبض على الزجاجة بيدها حتى ابيضت مفاصلها ثم ابتعدت عن المجال مُتعللة بالذهاب إلى ليزا لتطمئن عليها في سباتها العميق، ما إن رحلت حتى التفتت ميليندا صوّب والدها لتقول باستئذان:

-جِئت فقط لأوّدعك .... فالطائرة على وشك الإقلاع

عانقت والدها مُجددًا ثم قبلته على وجنته وابتعدت عنه لتجد عوالم العبوس تلوح على وجهه بسبب ابنته التي دائمًا ما تأتي إلى المنزل بضع ثوانٍ ثم ترحل قبل أن تتناول معه الطعام أو تحتسي الشاي كما تعده دائمًا، تتعلل في كل مرة بالعديد من الحُجج وهو يعلم تمامًا أنها ترحل لأنها لا تريد أن تبقى مع دوروثي فترة طويلة.

-لكنكِ لم تحتسي الشاي حتى

حاول أن يعترضها بتلك الكلمات المتوّسلة التي صدتهم بقولها وحركاتها المُتجهة صوّب الباب:

-أعتذر أبي لا يجب أن أتأخر على الطائرة

كان يعرف والدها أن هناك ما يكفي من الوقت لتحتسي الشاي معه قبل الذهاب إلى المطار وكان يعلم أيضًا أنها حجة أخرى من حججها حتى ترحل من المنزل، لذلك وثب أمامها وهو يقول باستنتاجٍ حمل غصة مريرة بداخله:

-ميل .... إلى متى ستبقي هكذا ؟ .... أنا والدكِ وأريد أن أبقى معكِ ولو ساعة واحدة

تنهدت ميليندا بضجرٍ حتى لا تتعارك مع والدها وتُذكره بزواجه من تلك الحيّة التي حوّلت طفولتها إلى جحيم مُنقعر، لا تزال تكني له بعض الاحترام ولا تريد أن تعاقبه وتتناسى أنه والدها.

-أخبرتك أبي .... لا أريد أن أبقى معها بمنزلٍ واحد .... إذا أردت رؤيتي، فعليك أن تقابلني بمكانٍ آخر

-لكنه منزلك

هكذا اعترض حديثها بطريقة تذكيرية جعلتها تستنكر الحديث ببعض الحرقة:

-منزلي !! .... الآن أصبح منزلي !!... إذًا أين هي حُجرتي ... أه نسيت، أعطيتها لليزا لأنها الحُجرة الأكبر.... أين هي أغراضي وألعابي ؟ .... كلهم مع ليزا .... أين هي صوّري وذكرياتي مع والدتي ؟ .... حرقتهم هذه الحية حتى لا تجعلك تتذكر والدتي .... أبعد هذا كله تُسمي هذا منزلي ؟ .... بعدما جعلتني أعاني من الاضطهاد وبأنني مُجرد خادمة وضيعة وأنا لم أكن أريد سوى اللهو والمرح كبقية أقراني!!

سرقت نفسًا عميقًا ثم أطلقته أمام نظرات والدها المخذولة ورغبته الجامحة بالاعتذار عمَ سلف، لكنه مع الأسف لا يستطيع تغيير الماضي ولا يستطيع أن يعدها بحاضرٍ أفضل لأن الآوان قد فات، وأصبح عالقًا مع تلك الحيّة طوال حياته.

بقي يسبل بعينيه لأسفل وشعورٌ من الندم يجتاحه حتى قرر أن يواجه نظراتها الحارقة ويحاول الاعتذار بكلماته:

-ميل ... أعرف أنني_

شعرت ميليندا أنها على شعرة من البكاء وتناسي وعدها بالثبات والصمود، لذلك قررت إنهاء الحديث قبل أن تنغرس قدميها أكثر وتعود إلى تلك الطفلة الضعيفة المُضطهدة التي جعلتها زوجة أبيها خادمة المنزل.

-حسنًا أبي .... لا وقت لذلك الآن .... يجب أن أرحل

بصقت كلماتها بطريقة حادة ثم ابتعدت عن المنزل لتعود إلى سيارتها وتستقلها محاولة نفض هذه الأفكار عن ذهنها والتركيز بحاضرها ومستقبلها الحالي، فقد أخذت عهدًا على نفسها بألا تجعل الماضي يؤثر على حاضرها، بأنها ستبقى تلك الفتاة الصامدة التي تواجه صفعة الحياة بصعفة أخرى تعادلها أضعافًا.

فتحت باب السيارة لتستقلها ثم تُنظم أنفاسها قليلًا قبل أن تضغط على زر التشغيل وتُخرج هاتفها لتتفاجأ من كم الاتصالات التي تلقتها من مارك، مما يجعلها أكثر تعجبًا، فمارك لا يتصل بها إلا إذا حدثت كارثة كبيرة!!

تغلغل أناملها الصغيرة داخل فراء هذه الهرة البيضاء الساكنة بين ذراعيها وهي تجلس بين كلٍ من حكيم وغيّد التي أتت إلى منزلهما تلبية لدعوة العشاء التي أتى بها سامي وكاتي أيضًا لكنهما الآن يقفان بالشرفة، ولكي لا تبقى غيّد مع حكيم في حُجرة المعيشة وحدهما قرر أن يأتي بشقيقته الصغيرة حكمت على أمل أن تبقى ساكنة وتتركه يتحدث مع غيّد على راحته، فهي قد أصبحت خطيبته الآن، لكن ما حدث أن حكمت لم تتوّقف عن الحديث عن مغامراتها الطفولية وصديقاتها ومدرستها ومعلمينها وكل الأحاديث التي تطرأ ببالها حتى ضاق حكيم ذرعًا وآراد أن يدفعها خارج الحجرة من كثرة شعوره بالصداع، لولا غيّد التي كانت تأكل البُوشار وتعلق باستمتاعٍ على حديث حكمت:

-وشو سويتي معا ؟

آجابتها حكمت بنبرة طفولية متلهفة جعلت حكيم يرغب بتركهما على راحتيهما في تلك الجلسة النسائية التي لا دخل له بها:

-روحتلها وشدتها من شعرها وقولتلها هاتي الساعة بتاعتي

رفعت غيّد حاجبيها بإعجابٍ وكأن الأخرى تُخبرها عن إحدى إنجازاتها لا عن مشاجرة بينها وبين رفيقتها.

-والله عفارم عليكي .... كُنت راح سوي نفس الشي إذا كنت مكانك

ابتسمت حكمت بفخرٍ على ذاتها وما كادت تواصل حكايتها المئة وخمسون حتى تدخل حكيم ليهتف بضجر:

-ما خلاص يا خالتي .... أنا جايبِك عشان تكوني مِحرم مش عشان تجبلنا صُداع

تدخلت غيّد لتُدافع عنها بطريقة مؤّبخة:

-لك اتركا لحالها .... أنا بدي ياها تحكي شو دخلك إنت

زفر حكيم بنفاد صبر بينما اتسعت بسمة حكمت وطفقت تعتدل في جلستها لتُغيّر مجرى الحديث بكلماتها البريئة:

-طب أحكلكم حكاية ؟

وافقت غيّد على حديثها بوّدٍ بينما استكان حكيم ولم يُعقب حتى لا ينفجر بوجهها، جلست حكمت على رُكبتيها وبدأت تقص عليهما أحد أفلام الرسوم المُتحركة التي تشاهدها، فكانت تقول بحماس:

-هحكيلكم علاء الدين ..... تعرفو إنه كان بيحب واحدة قبل ياسمين ؟ .... أه والله، دي حتى شبه غيّد أوي

ازدردت غيّد لعابها وبدأ وجهها يميل إلى اللون الأبيض من كثرة التوّتر، بينما اعتدل حكيم في جلسته لينتبه على حديث حكمت لأول مرة مع نظراتٍ مُتشككة ولاها صوّب غيّد ليسترفد توّترها:

-شبه غيّد !! .... وعرفتي منين بقى إن علاء الدين كان بيحبها ؟

ازداد حماس حكمت وهي تقص عليه بينما انصهرت غيِّد وآرادت الرحيل والتهرب قُبل أن يُفضح أمرها، لكنها حتى لم تستطع فعل ذلك:

-أصلها كانت بتجري معاه من الناس الوحشين .... وراحت البيت بتاعه

تقاطرت حبات العرق على جبهتها وبدأ جسدها يرتجف من التوّتر بينما طغي الغضب على وجه حكيم وهو يرفع حاجبيه ويرمق غيِّد بنظراتٍ عابرة متوّعدة:

-راحت البيت بتاعه !!.... وعملت إيه تاني ؟

كادت تواصل الحديث لولا غيِّد التي تركت وعاء البوشار لتثب عن الأرض متحججة:

-حاسة حالي بدي فوت عالـ حمام

أوقفها حكيم بنظراتٍ مشتعلة رغم محافظته على ثباته:

-استني يا برنسيسة خليكي .... مش عايزة تسمعي مغامرات البنت إللي شبهِك مع علاء الدين ؟

أنهى الحديث بنبرة متوّعدة جعلت غيِّد تحاول المحافظة على هدوئها وهي تُبرر بارتباكٍ جعلها تتحدث ببعض الاندفاع والصدق:

-شـ..شو يعني ؟ .... ما صار بينا شي ... بعدين ما كان بينا شي وقتها

هنا وقد انفجر حكيم وبدأ يهتف بوجهها لتقابله هي بصوّتٍ مُرتفع ذكرته كيف كان يتغزل ببياض الثلج أمامها وعندما آراد البقاء في منزل الأقزام السبعة حتى يبقى بجوارها لتستمر المشادة بينهما أمام حكمت التي كانت ترمقهما ببلاهة ظنُّت معها أنهما مختلان أو مجذوبان....

ببقعة أخرى وبنفس ذات المنزل الذي انقلب إلى مسرحٍ استعراضي، كانت كاتي تستند بجذعها على سور الشُرفة تُطالع النجوم الزاهية وأمامها سامي ينفث الأدخنة من لفافته ويستمع إلى سؤالها الهائم:

-ما شعورك الآن بعد أن تزوجنا ؟

أنهت سؤالها ببسمة ودودة جعلته يقابلها بابتسامة أخرى وعيناه تجوبان الفضاء أثناء إجابته:

-أشعر أنني أحلق عاليًا مثل هذه النجوم .... لم أكن أتوّقع أن رحلة مجنونة قد يضحى لها تأثيرًا كبيرًا على حياتي

اعتدلت في وقفتها ليوّلي كلاهما وجهيهما صوّب النجوم لتُخبره بطريقة حكيمة:

-معك حق .... اتضح أن هناك صُدفٌ ليست سيئة

ما كاد يُجيبها بنفس الطريقة الغامضة حتى استمع كلاهما إلى صوّت ضجيجٍ يُصدر من داخل الحُجرة، استمعا إلى صُراخ غيِّد وتراشقها الكلمات مع حكيم الذي بدا غاضبًا وهو يتحدث معها، هذا ما جعل سامي يُطلق زفراتٍ سائمة من جوّفه ثم يُطفيء لفافته متفوّهًا:

-لنوّقفهما قبل أن ندفن جُثة إحداهما

قهقهت على دعابته وهي تدلف إلى داخل على أمل إيقاف هذا العراك....

-مارك .... هل ستبقى صامتًا هكذا ؟.... أخبرني ما الذي حدث معك ؟

قالتها ميليندا بنفاد صبرٍ وهي تجلس داخل سيارة الأجرة بعد أن وصلت الطائرة مصر وكانا على شفا جرفة من الوصول إلى منزل حكيم بعد أن تركا حقائب السفر بأحد الفنادق.

لاذ مارك بالصمت طوال الرحلة وكان يبدو عليه الشرود والضياع، لازال يُفكر بتلك الفتاة التي استنجدت به ووعدها هو بالمساعدة وهو حتى لا يعرف كيف سيفعل ذلك، استطاع فقط أن يتركها بأحد الفنادق الصغيرة بسان دييجو على أمل أن يعود من هذه الرحلة ويبدأ باعداد خُطة لمساعدتها، لا يعرف ما هي هذه الخطة لكنه ظنٌ أنه سيُفكر بها في تلك الرحلة.

ضجرت ميليندا من تصرفاته الغريبة ورغبتها الجامحة بمعرفة ما يحدث معه، فمنذ اتصاله وهي تُدرك جيدًا أن هناك شيءُ ما، حتى أن مارك آراد أن يُخبرها بالهاتف

لكنه تراجع بآخر لحظة وقرر أن يُخبرها في وقتٍ آخر لأن هذه الأحاديث لا يُمكن الافصاح عنها بالهواتف التي عادة ما تضحى مراقبة.

-مـــــارك!!

بصقت ميليندا هذه الكلمة بنفاد صبرٍ جعل مارك يستيقظ من غفوّته وينتبه إلى حديثها، هذه المرة قرر أن يفصح عمَ بداخله لعلها تملك حلًا لتلك المُعضلة:

-هناك أمرُ سيءٌ يحدث .... ونحن لم نعرف به

قطبت ميليندا حاجبيها بقلقٍ من نبرة حديثه التي جعلتها تتسائل:

-ما الأمر ؟

سرق مارك نفسًا عميقًا ثم أخرجه ليعتدل في جلسته ويوليها جسده وهو يقول بجدية :

-جائتني فتاة صغيرة صباح اليوم .... كانت تطلب المساعدة....

أخبرها عن تلك الفتاة وعن هيئتها الرثة وعائلتها الفقيرة وعن معاناتها التي يُعاني منها العديد من الأطفال، وكانت عينا ميليندا مُتسعتان لا تُصدق تلك الأحاديث ولا تُصدق كيف يضحى العالم بهذه الحقارة، فكانت تُعلق بصدمة:

-يا إلهى .... وما الذي فعلته ؟

-تركتها بأحد الفنادق .... وأخبرتها أنني سأساعدها .... لكنني لا أعرف حتى كيف

أبعدت ميليندا نظراتها عنه وطفقت تُفكر بحديثه لوهلة حتى توّقفت سيارة الأجرة تزامنًا مع اقتراحها:

-ما رأيك أن نطلب منهم المساعدة .... ألم نكن نضع هذه الخُطط سويًا ونحن بعالم الرسوم المُتحركة ؟

قطُب مارك حاجبيه وبدأ يُفكر في اقتراحها الذي لوهلة شعر أنه أفضل الاقتراحات، فأصدقاءه الجُدد دائمًا ما كانوا يُفكرون بتلك الخطط التي أنجدتهم من الكوارث أكثر من مرة.

لم يُعطيها إجابة وافية لأنه انشغل بدفع الأموال للسائق ثم الترجل من السيارة والتحرك صوٌب منزل حكيم الكبير، فما إن توٌقف عند الباب حتى أردف ببعض الشك:

-أتعتقدي ذلك ؟!

صوٌت الشِجار والعراك كان ينبثق من داخل الحجرة، فكان حكيم يرمقها بنظراتٍ غاضبة آشار معها سبابته نحوها متفوٌهًا:

-عملالي فيها ست الشيخة وإنت كُنتِ في بيت راجل غريب .... لأ وكمان حرامي !!

احتدت نظرات غيٌد وهي تبادله الحديث بنفس تلك الطريقة الصاخبة:

-إيه لا تعيٌط علي_

قطعها حكيم وهو يهتف بدفاعٍ عن ذاته:

-هعيٌط ليه يعني شايفاني عيٌل صُغير ؟

قطبت غيٌد حاجبيها من بلاهة حديثه، فهي لم تكن تقصد أن تُخبره أنه يبكي كالأطفال لهذا السبب عدٌلت من حديثها بنبرة مرتفعة:

-لك مو قصدي هيك_

قطعها للمرة الثانية وهو يهتف بحدة:

-إيه !! ... يعني تدخلي بيت راجل غريب وتقوليلي مش قصدي !!

أطبقت غيٌد على شفتيها بغضبٍ وهي ترد على حديثه الصاخب:

-ما دخلت داره عن قصد .... بعدين إنت كنت مقضيها تلطيش بسنوايت

قطب حكيم حاجبيه مجددًا من كلمتها الغريبة التي فسرها بطريقة خاطئة:

-بلطش مين يا ولية إنتِ .... أنا ملطشتش في حد .... وبعدين مالِك محموقة كدة ليه، إنتِ مكنتيش_

وقبل أن يواصل حديثه وجدها تندفع بوجهه بطريقة جعلته يتأكد أنها لم تفهم ما قاله أو لم تسمعه جيدًا:

-وشو فيها إذا كُنت متحممة ؟.... شو شايفني جربة ؟

رمقها بنظرة بلهاء جعلته يُعلق باستنتاج:

-أنا مجبتش سيرة الحُمى .... هي الخناقة باظت ولا إيه ؟

هرع سامي نحوهما هو وكاتي التي اتجهت فوّرًا صوّب غيّد حتى تُهدئها قبل أن تنقض على حكيم وتلكمه في وجهه أو تُهشم المزهرية فوق رأسه من شدة الغضب، بينما اتجه سامي بدوّره صوّب حكيم ليجذبه من ذراعه وينتبه إلى حكمت التي كانت تحمل هرّتها البيضاء وتُمسد على فروّتها وهي تستمع إلى سؤاله:

-هو في إيه ؟

لوّت فمها بغرابة قالت معها:

-معرفش عمالين يقولو كلام غريب .... حكيم بيقول إنها خانته مع علاء الدين، وغيّد بتقول إنه كان بيحب سنوايت

خرجت حكمت من الحُجرة لتترك هذا الجنون بينما أطلق سامي زفرة سائمة من جوّفه ليعود إلى حكيم الذي كانت المراجل تغلي بداخله وهو يقف عند إحدى الزوايا موّليًا ظهره لغيّد عاقدًا ذراعيه لعله بتلك الطريقة سيُهديء القليل من روّعه، فما إن وثب سامي بجواره حتى أردف بشكوى:

-يعني يرضيك يا سام .... البنت إللي بحبها تطلع بتخوني مع علاء الدين!!

ابتسم سامي بُسخرية على حديثه ثم آحاطه بذراعه وهو يقول بنبرة ساخرة:

-يا عم ولا تزعل .... لو هي بتخونك مع علاء الدين ... خونها انت مع سنوايت .... ولا أقولك، خليك مع سندريلا .... أهي واحدة غلبانة ممكن تستحمل غباوتك

استرفد حكيم سُخريته فآزاح ذراعه عن كاهله مردفًا:

-يا سطا إنت بتهزر ..... بقولك راحتله البيت .... هو أنا طرطور عشان أتجوز واحدة كانت بتروح لواحد غريب البيت!!

هنا وقد اشتعلت نيران غيّد من تلك التُهمة غير الصحيحة، فهي لم تذهب إلى منزل علاء الدين بإرادتها ولم تبقى هناك سوى بضع دقائق فقط انتهت بهروبها للمرة التي لا تعلم عددها، الأمر الذي جعلها تدفع كاتي بعيدًا عنها لترمق حكيم بنظراتٍ مُشتعلة قالت معها:

-لك والله إذا قولت هيك مرة تانية لأضربك بالكندرا

رفعت سبابتها بتهديدٍ قابله حكيم بثباتٍ وتهديدٍ يماثل تهديدها:

-إضربي يا ختي وأنا أوّديكي في ستين داهية .... أبويا أساسًا شغال في الداخلية وهيخليكي تعفني في السجن

ما كاد يُنهي حديثه حتى استمع الجميع إلى صوّت عدلي الصادر من الخارج وهو ينادي على حكيم بصوّتٍ مُرتفع:

-واد يا حكيــم .... تعالى هاتلي جامبول عايز أشوف الحلقة الجديدة .... وابقى قول لكاترينا تعملي موز باللبن

انفجر سامي بالضحك الذي حاول أن يكتمه قدر المُستطاع بينما تحوّل وجه حكيم إلى اللون الأحمر بسبب خجله من حركات والده الصبيانية التي تُشبه حركاته بالضبط، فهو نُسخة مُصغرة منه؛ بات الحرج واضحًا على وجهه وهو يستجيب إلى أوامر والده متفوّهًا:

-وحياة ربنا شغال في الداخلية

ما كاد يهرع حكيم خارج الحُجرة حتى انتفض جميعهم إثر هذا الصُراخ المُرتفع الذي انبعث من خارج الحُجرة وجعلهم يتبادلون النظرات في حيرة وهلع، فهذا

الصُراخ المُستنجد يدل على أن هناك شخصُ في خطر، وهذا الشُخص هو صاحب هذه الصرخات التي جعلت كاتي تهتف بهلع:

-أو لا .... هذا مارك!!

الفصل التاسع والعشرون (الجانب المُظلم لعالم الأطفال)

لا ينجلي اليقين بمعرفتك الحقيقة فقط، بل ينجلي في سيرك بالاتجاه الصحيح، اتجاهك صوّب الضوء رُغم ظُلمة الطريق، صوّب الفرج رغم تكالب الهموم على الأكتاف، باختصارٍ شديدٍ، اليقين الحقيقي هو أن تتحدّى الشك، لا أن تضحده فقط....

صرخاتٌ عالية أصمت أبدانهم وجعلت رجفة خافتة تتسلل إليهم، صوّت صديقهم يُشق هدير الأجواء وهو يطلب النجدة وكأنه يقف أمام ليثٍ شرسٍ على شعرة من افتراسه، حسنًا، كان من الأفضل أن يضحى واثبًا أمام ليثٍ بدلًا من الحقيقة!!

-يا إلهي ما الذي يحدث ؟

نبست غيّد هذه الكلمات المذعورة وهي تهرول خارج الحُجرة بعد أن تناست عراكها الصبياني مع حكيم، وكان الآخر يتبعها يُريد أن يفهم لماذا يصرخ مارك بهذه الطريقة وهو داخل منزله، لوهلة ظنٌ أن والده أوّقعه بإحدى مقالبه أو أن الثريا الثمينة سقطت على رأسه وجعلته مُضرجًا بدماءه، وعندما توّقفت أفكاره عند هذه النُقطة؛ وجد قدماه تهرولان ونبضاته تتسارع في هلع، تبعه كذلك كلٌ من سامي الذي كانت ملامحه مُقتضبة وكاتي التي انتفضت في قلقٍ وهي تهرول نحوهم.

أصوات الصُراخ والاستنجاد تنبعث من فوهه وتختلط مع نداءات ميليندا المُطمئنة والتي يزجرها مارك ويسبها كما لو أنها هي من تسببت بذعره، وبين هذه الفوّضى، كانت القهقهات الساخرة تنبعث من حِكمت الصغيرة وهي تُقرب هرها الصغير من مارك فيزداد ذعره ليتشبث بسور الدرج وهو يصرخ ويتوّسلها أن تبتعد، وكان رفاقه بين هذا كُله يُحدقون به ببلاهة حتى انفجر حكيم بالضحك وأخرج هاتفه فوّرًا ليُسجل ما يحدث متجاهلًا تذمرات مارك وتوّعده له هو وشقيقته.

-ابتعدي .... ابتعدي أيتها الـ_

كاد يسبها سبة بذيئة لكنه توّقف في اللحظة الأخيرة ليتذكر أنها مُجرد طفلة صغيرة لا يجب أن تستمع إلى هذه الكلمات، بل يجب أن يقبض على رقبتها حتى تختنق أو يُلقيها من النافذة حتى تتهشم عظامها وينتهي من مشاكستها ومحاولاتها المُستميتة لاستفزازه، كما يفعل شقيقها بالضبط.

-ما الذي تفعله مارك ؟ .... هذه مُجرد قطة

قالتها ميليندا بنفاد صبرٍ من حركات مارك الناجمة عن رهبته من هذا الحيوان الأليف، حيث كان يتشبث أكثر بالسوّر متفوّهًا بذعر:

-أعاني من الفوبيا أيتها الحمقاء

زادت حكمت من قهقهاتها وهي ترفع قطها وتُقربه من مارك الذي يزداد ذعرًا حتى كاد يقفز من الجهة الأخرى وهو يسب حكيم وشقيقته حتى أغلق حكيم هاتفه بعد التقاطه ما يكفي من اللقطات التي ربما سيستخدمها فيما بعد لمساومة مارك وتهديده.

-خلاص يا حكمت .... ادخلي جوة وسيبي عمِك مارك كدة عيب

كانت نبرته تحمل من السخرية ما تحمله من لكنة آمرة جعلت حكمت تُغير ملامحها للعبوس وتبدأ بتوّسله بعينيها حتى لا يمنعها من هذه المُتعة، فمشاكسة الغير تُشبه لعبة الأرجوحة بالنسبة لها، أو بالنسبة لكلٍ من بهذا المنزل.

أحنى حكيم جذعه وهو يقترب من أذن شقيقته هامسًا:

-متقلقيش أنا صوّرت كل حاجة .... هنتفرج عليهم أنا وإنتِ بليل

اتسعت بسمة الصغيرة بشرٍ بعد كلماته التي آعادت إليها لهفتها بينما كان مارك يكاد يشتعل من الغضب وهو لا يفهم حديثهما ولا يعرف حتى أن حكيم قد قام بتصويره وهو يرتجف بهذه الطريقة، فلم يكن يتوّقف وقتها عن السب وهو يترجل من السور :

-أقسم أنني سألقن شقيقتك درسًا قاسيًا سيجعلها تندم على ما تـ_

قطع كلماته المُهددة صرخة نابية وانتفاضة هاجرة فعلها جسده لا إراديًا عندما اقتربت نحوه حكمت ورفعت قطها صوّبه وكأنها تُخبره بهذه الطريقة أنه لن يفعل لها شيئًا، كبت سامي ضحكاته وهو يتابع هرولة مارك صوّب حجرة المعيشة واختباءه من شقيقة حكيم الشيطانة كما يقول بينما كانت غيّد ترمق حكيم بحسرة على حالها تشعر بغصة مريرة تعتمر صدرها كلما تذكرت شقيقها بدران وكيف كانت تمرح معه بتلك الطريقة كما يفعل حكيم مع شقيقته، كادت الدموع تفر من

عينيها وهي تتذكر مرحه وبرائته التي سلبتها ويلات الحرب وجعلته مُجرد أشلاءٍ تحت الثرى، فقط لو تعود بها الأيام حتى تضمه ضمة أخيرة تُخبره بها كم أنها تُحبه هو وأبويها ولم تكن تقصد أن تتشاجر معهما، فقط لو تعود بها الأيام....

انفض الجمع بعد لحظاتٍ قصيرة واتجه الجميع إلى حُجرة المعيشة ذات التلفاز العريض والأريكة العصرية الواسعة، لم تكن أشبه بحُجرة معيشة على قدر ما كُانت تُشبه منزلًا صغيرًا آخرًا، فجميع الحُجرات في هذا المنزل الفسيح كانت عبارة عن منازل صغيرة تلتصق ببعدها لتُخلق هذا المنزل الأشبه بالقصور العصرية الفاخرة.

ارتكن مارك على الأريكة يضع يده على صدره ليُهديء من نبضاته بينما كان لسانه لا يتوّقف عن الوعيد والسباب، بينما كانت ميليندا تتلفت حوّلها في ذهولٍ أدركت بعده أن حكيم بالفعل من عائلة مرموقة، رغم أنه لا يبدو عليه الكِبر والاستعلاء، بل يبدو أقرب إلى طفلٍ صغيرٍ تهرب من المدرسة ليلهو مع أصدقاءه.

مدُت ميليندا عُلبة الهدايا التي ابتاعتها مع مارك نحو كاتي وهي تُهنئها على زواجها وتعانقها عناقاتٍ أخوية، وكان سامي يرتمي على الأريكة يرمي مارك ببسمة مُتشفية أردف معها بمشاكسة:

-ما بك أيها العالم الجليل ؟ كِدت تُبلل سروالِك بسبب قطة صغيرة

رفع مارك نظراته الحانقة صوّب سامي ليُخبره :

-لا تتحدث معي يا حثالة المُجتمع حتى لا أخفيك عن الوجود .... فعن قريب سأبدأ العمل على جهازٍ يستطيع أن يخفي البشر ... وربما الحيوانات أيضًا

نمت بسمة متشفية على ثغر سامي وهو يلتف برأسه جهة اليمين ويبقى في حالة من الصمت لتقطعها ميليندا وهي تتوّسط حُجرة المُعيشة، تعلم أن مارك الآن قد تناسى هذه المُعضلة التي تواجهه لكنها لم تنسى، ولم تنسى أي كلمة قالها مارك وصدقتها هي حتى باتت ترى نفسها مُنقذًا لعالم الأطفال الذي على وشك أن يتدمر بسبب أنظمة مُجحفة هدفها استغلال أرواحهم البريئة وتدنيسهم بالذنوب.

-رفاق ... انتبهوا إلي رجاءً .... هناك أمرٌ بالغ الأهمية علينا أن ننبأكم به

وجهت نظرة عابرة صوّب مارك مع آخر حديثها لتنقبض أوزاره ويبدأ في الاعتدال ثم الوثوب ليشاركها الحديث أمام نظرات أصدقائهم المُترقبة.

-هذا صحيح .... قبل أن آتي إلى هنا .... وقعتُ علي حقيقة سوداء كانت كالسهام في أوج حدتها، استطاعت أن تنحر ما تبقى من أفكاري المُشتتة .... بل استطاعت أن تجعل أفكاري تضيع وسط الأدغال

قطب حكيم حاجبيه ببلاهة وعدم فهمٍ لحديثه الغامض، بينما تغضنت نظرات كاتي وهي تتابعهما وشعورٌ بداخلها يُخبرها أن ما حدث لم يكن هيُنًا، وأن هناك مفاجأة ستُفجر في وجوههم بعد قليل.

-عروض الأطفال ليست وردية كما نظن .... بل إنها عروضٌ سوداء، مُظلمة .... عروّضٌ ساعدت على تلطيخ الطفولة وجعلتها طفولة مُظلمة...

أخذ يقص لهم ما حدث معه صباح اليوم وعن تلك الفتاة الصغيرة التي اقتحمت حياته وجعلت أفكاره تتضارب مع بعضها حتى كاد يضحى عقله ضحية هذه العراكات، أخبرهم عمَ تتعرض له من اعتداءٍ جنسي وعذابٍ نفسي داخل هذه البرامج التي تُجبر على التمثيل بها فقط لأنها طفلة جميلة، أخبرهم عن تلك الحالات التي تتعرض لمثل هذه الأمور دون أن يذكر أنه كان ضحية هذه الاعتداءات في يومٍ من الأيام، لا يزال يتذكر كيف دنس كيفن_عشيق والدته_طفولته البريئة واعتدى عليه أكثر من مرة أمام والدته التي كانت تتجاهل صراخه واستنجاده، بل أحيانًا ترميه بنظراتٍ شامتة مقيتة جعلت فؤاده يتمزق أكثر، فهو أكثر من يعلم بمَ يشعر به الطفل البريء حينما تُدنسه هذه الأيادي القذرة، ولن يقف صامتًا مُكتف الأيدي أمام أمورٍ يعرف أنها تحدث ويعرف أنه يستطيع التخلص منها، لن يضحى كوالدته التي كانت ترى معاناته بوّجهٍ بشوش، لم ولن يُصبح مثل والدته التي يحاول في كل يومٍ أن يثبت لها أنه ليس سيئًا مُعقدًا كما كانت تُخبره دائمًا.

أنهى الحديث بغصة مريرة وحُزنٌ دفين كان يحاول قدر الإمكان اخفاءه والتحلّي بالجمود كما يفعل دائمًا، وكانت نظرات الذهول والصدمة تعلو وجوههم واحدًا تلو الآخر، لا يُصدقوا ما يقول، ولا يُصدقوا أن العالم بهذه القذارة.

-لذلك علينا أن نتدخل .... لن نبقى صامتين ونحن نعلم أن غيٌرنا يتعرض للأذى ... خاصة هذه الأرواح البريئة

أنهى الحديث بنبرة شامخة قيادية حفزت الأدرينالين بداخلهم وجعلت نظراتهم تميل إلى الجرأة والإقدام، بدأت النظرات تتبادل فيما بينهم حتى استمعوا إلى طرقٍ خافتٍ تبعه فتح الباب بهدوءٍ وتوٌجل الخادمة ومعها أكوابٍ من العصير والكعك تضعهم بهدوءٍ على الطاولة لتفسح المجال لسيدتها_والدة حكيم_ التي دلفت الحُجرة لتُرحب بأصدقاءه ببسمة ودودة وكلماتٌ أجنبية تتُقنهم جيدًا نظرًا لأنها مديرة إحدى المدارس الأجنبية العريقة:

-مرحبًا بكم .... أنا والدة حكيم، سُررتٍ بمعرفتكم .... وأتمنى لكم سهرة سعيدة

كانت ترتدي ملابس رسمية أنيقة تتكوٌن من تنورة تصل إلى الرُكبة وتبرز منحنياتها الأنثوية الجذابة التي جعلت فك مارك يسقط ببلاهة، يتعجب ملامحها الشبابية التي لا تتناسب مع سنها البتة، بينما كانت ميليندا ترمقها بحيرة تُريد أن تسألها عن روتين اعتناءها بالبشرة لكنها خشت أن تنجرف عن موضوعهم المُهم إلى ذاك الموضوع الساذج، ربما ستسألها قبل أن يرحلوا.

رحلت والدة حكيم بهدوءٍ كما دلفت ليلتفت مارك صوٌب حكيم ليسأله ببلاهة:

-حكيم ... هل والدتك متزوجة ؟

رفع حكيم نصف شفته العلوية ببلاهة من سؤاله الأحمق الذي آجاب عليه دون تفكير:

-بالطبع

-هل تنوي الطلاق ؟

هكذا سأله مارك وهو لايزال في حالة من الصدمة يكاد ينجذب إلى والدة حكيم الفاتنة، يتسآل مُنذ متى وهو ينجذب لكِبار السن ؟ حسنًا مُنذ متى وهو ينجذب لأي كائنٍ حيٍ من الأساس ؟!

تدخلت ميليندا باللحظة الأخيرة لتُعيدهم إلى أرض الواقع وتُحرك وجه مارك الذي بقى مُنصبًا نحو الباب تحديدًا بالبقعة التي وثبت بها والدة حكيم وكأنه يأمل رؤيتها مًجددًا ليتناسى مُعضلتهم ويغرق في أحلامه الوهمية.

-لنُعد إلى حديثنا رجاءً

حمحم مارك قبل أن يعود إلى نبرته الجدية لتتدخل غيٌد بسؤالها:

-وما الذي سنفعله نحن ؟

آجابت كاتي بملامح غائرة تُفكر بما قاله مارك وداخلها يعقد العزم على المساعدة مهما كلفها الأمر:

-ما نقدر على فعله لإنقاذ الطفولة .... نحن لم يضعنا القدر مع بضعنا سوى لهدفٍ واحدٍ، هذا الهدف يتلخص بإزاحة الباطل ودفعه إلى التهلكة

كانت نبرتها الحكيمة تُشبه خُطبة يُلقيها قائد الجيش على جنوده قبل دخولهم المعركة، وما كان من حكيم سوى أن يرمقها بنظراتٍ ساخرة لا تُصدق حديثها، ففي نهاية الأمر هُم حفنة من العاديين، ليس لهم قُدراتٌ خاصة وليست لديهم أي مؤهلاتٍ تجعلهم بصدد مواجهة هذه الحياة بأعينٍ معصوبة.

-عن أي تهلكة تتحدثين يا فتاة .... نحن بالكاد نجوٌنا من عالمٍ خياليٍ صنعه البشر .... فما بالكِ بالعالم الواقعي حيث تُخلق المفاسد

وثب سامي من مجلسه بعد أن كان صامتًا يدرس الامور ويبحث عن ثغرة لهذه المُعضلة، لا يُريد أن يتم وصفه بالفاشل الجبان، يريد أن يواجه حتى ولو انتهى به المطاف إلى التهلكة:

-ومن قال لك أننا سننقذ العالم .... نحن فقط سنساعد على جعل المفاسد تطفو على سطح البحيرة .... وعندما نفعل ذلك، سيأتي عُمال النظافة بإزاحتها

لاحت نظرات الغرابة على وجوههم من حديث سامي الذي كان يفوق حديث كاتي غرابة وغموضًا، فقد كان يرميهم بنظراتٍ واثقة مُتشفية وكأنه يحمل الحل لهذه

المُعضلة ويُريد أن يُخبرهم هذا الحل بهذه الكلمات الغامضة التي ساعدت على إثارة انتباههم، هذا ما جعل غيُّد تزداد تيُّهًا وهي تسأل:

-وما معنى هذه الكلمات ؟

طغي الغموض على وجه سامي وهو يقول بثقة:

-يعني أنني أعرف جيدًا ما الذي سنفعله....

يعبث بالأوراق أمامه بنظراتٍ حادة وزبدٌ يسيل من عينيه كلما تفقد عدد الأموال التي ستدخل جعبته وتدخل إليه بسبب هذا المعرض الذي عاند الجميع حتى يفتحه، معرض يُنافس عالم ديزني بأجهزته الحديثة وتقنياته الفريدة من نوعها، فعلى عكس مدينة ديزني التي تعتمد على خلق عالمٍ خاص بالأطفال في بقعة واسعة أشبه بمدينة كاملة، كان عالمه صغيرًا محدودًا لكن بالنسبة للطفل كان أوسع من عالم ديزني وأكثر نقنية واستثارة لروحه الطفولية، خاصة بعد أن ينتهي مارك من الجهاز ويتم افتتاحه رسميًا في معرضه ليضحى أول معرضٍ يستطيع فيه الطفل أن ينتقل بروحه المعنوية إلى عالم الرسوم المتحركة.

لا يهتم بما سيُعانيه الأطفال من دخولهم هذه العوالم على قدر ما يهتم بالأموال التي سيجنيها، لا يُهمه إن أضحى الطفل كارهًا لحياته الحقيقية ويتمنى البقاء في هذا العالم المصوّر على قدر ما يهتم بما ستتناقله الصحف والأخبار عن معرضه واسمه الذي سيسطع في جميع الجرائد.

وضع السيد إيجر أوراق الحسابات جانبًا ليفرك عينيه من شدة الإرهاق ويُعيد ظهره للوراء آملًا أن يحظى ببعض الراحة قبل مواصلة العمل، يستمع إلى صوّت أزيز الباب وهو يُفتح بهدوءٍ فيعتدل في جلسته مُستقبلًا هذا الزائر الذي توّقع مجيئه:

-سيد أشفورد .... عمت مساءً يا صاح

ابتسم أشفورد بسمة آلية قبل أن يُهندم سترته السوداء ويجلس بشموخٍ قبالة إيجر الذي لزمت البسمة ثغره وهو يقول:

-ما رأيك بفنجانٍ من القهوة قبل أن أخرج لك العقود ؟

قالها بنبرة مرحة عزم معها على اكتساب صداقة أشفورد، هذا الرجل المهيب ذو الملامح الجامدة والنظرات الآلية التي تُشعرك لوهلة أن انسانيته قد قُتلت في حرب إبادة جماعية.

-لا وقت لدي ... فقط أعطني العقود ولننتهي من الأمر

تلاشت بسمة إيجر المرحة وحلّ محلها ملامح جدية أومأ معها برأسه وطفق يتحرك صوّب الخزنة لينتشل منها حفنة من الأوراق الخاصة بعروضٍ تليفزيونية جديدة سيقوم أشفورد بتمويلها مقابل أن يُخبره ما سيتم تقديمه بحلقات هذه البرامج، الأمر يبدو مُجحفًا متملكًا للبعض، لكن لطالما سيجني إيجر المزيد من الأموال من خلاله، فلا بأس من أن يضحى عبدًا لأشفورد وغيره من الأسياد.

وضع إيجر العقود أمام أشفورد ليقوم الآخر بتزيينها_أو تلطيخها_بإمضته ثم يترك القلم الجاف جانبًا ليعود إلى جلسته الشامخة وهو يقول:

-سأرسل لك الحلقة على البريد ... وأتمنى أن يبدأ الاعداد للحلقة التي أرسلتها .... فأنت تعرف جيدًا ما الذي سيحلّ عليك إن لم تُنفذ الأوامر

ازدرد إيجر ريقه وهو يبتلع تهديد أشفورد الصريح وتذكيره أنه يجب أن يبدأ الاعداد لحلقة من إحدى برامج الرسوم المتحركة التي سيضحى مجبورًا على إقحام شعائر المثلية بداخلها وفق ما يتلقاه من معلومات، الأمر الذي جعله أكثر ترددًا وهو يقول:

-لكن سيدي .... لا أعتقد أنني يجب أن أعرض موادًا جنسية على الأطفال ... خاصة فيما يتعلق بالمثلية ... فأنت تعرف أنه_

قطعه أشفورد بنبرة قاطعة آمرة ذكره من خلالها أنه مُجرد عبدٍ يُنفذ أوامر الأسياد، وأن كلماتهم سيفٌ على رقبته، فمنذ اقتحم كيانهم، وهو لا يجب عليه أن يعترض أو يُبرر وجهة نظره، يجب فقط أن يُنفذ ما يقولون حتى ولو عثى فسادًا بالبلاد، وهو بالفعل يفعل ذلك:

-ما أعرفه فقط يا سيد إيجر هو عقيدتنا وأهدافنا التي وجد كياننا لأجلها ..... إذا تربّى الطفل على هذه العادات السيئة وتلك الأفكار المُتطرفة .... سيضحى ناقمًا على هذه الحياة، يرى تحرره بتلك الأمور المُخلة لطبيعة البشر .... وعندما يقع بهذه الهوة ... سيلجأ لنا، وسيتسع كياننا....

وثب عن المقعد أمام إيجر الذي ابتلع غصته وسلم لكلماته التي حتى وإن لم يكن مُقتنعًا بها، فهو سيُنفذها على أي حال، فهم قد أوهموه أنه سيحظى بمكانة عالية وسينحني له الجميع ما إن ينضم لكيانهم، وهذا بالفعل ما حدث معه، فلا أحد يستطيع أن يمس شعرة منه، ويحصل على الإمتيازات من شتى المجالات، أما بداخل الكيان، فهو يعامل كالعبيد بين أيديهم، يُنفذ فقط الأوامر...

ابتعد أشفورد عن المقعد باصقًا آخر كلماته بنبرة آمرة شيطانية:

-ضع هذه الكلمات بعُصب عينيك .... ولا تُفكر بالانحياد عن طريقنا، فعمَ قريب، سيُصبح العالم ملكًا لنا....

ثلاثة أيامٍ مرٌت عليهم بين تخطيطٍ ومؤامراتٍ وكوارث على وشك أن تنبثق، كانت خطتهم أكثر من بسيطة، بل لن تتسبب حتى بتعرضهم للآذى، فكما قال لهم سامي، سيساعدوا على إيضاح الفساد وجعله يطفو على سطح البُحيرة، وها هُم يفعلون ذلك الآن، عادوا إلى أمريكا مجددًا لتتجدد رحلتهم وتبدأ مغامراتهم بالعودة من جديد، هذه المرة كانت مغامراتهم لا تهدف للنجاة وإصلاح ما فسد، بل في محاولة الانتهاء من مفاسد العالم وإنقاذ الطفولة التي يقسم العالم على تدنيسها حتى ينجح بخلق أرواحٍ مشوّهة تشارك المُفسدين في فسادهم.

لم ينفق سامي الكثير من الأموال حتى يستطيع السفر هذه المرة، فقد حظى على جنسية أمريكية خاصة بعد زواجه من كاتي مما ساعده على السفر بأموال بخيثة، أما حكيم فكانت الأموال لا تعنيه من البداية فهو يُسافر العالم ويتنقل من دولة إلى أخرى دون أن يكترث لتلك الأمور، الفرق الوحيد أنه استطاع أن يقنع غيٌد أن يدفع ثمن تذكرتها وتأشيرتها حتى لا تشعر أنها الوحيدة التي لا تستطيع مشاركتهم هذه الرحلة، حسنًا لا يجب أن نقول أنه استطاع اقناعها على قدر إجبارها أو خداعها،

فغيِّد لم تكن لتقبل بهذا حتى لو بقيت وحيدة في دوّلتها، لكنه خدعها وأخبرها أن سعر التذكرة أقل من سعرها العادي مما جعلها تُصدقه وتدفع ثمنها البخيث ليُضيف عليه هو من أمواله الخاصة دون أن تُلاحظ، وها هُم الآن، يتجمعوا مُجددًا في تلك الدوّلة التي شهدت على بداية صداقتهم الغريبة والمليئة بالكوارث، ها هُم بصدد ارتكاب كارثة أخرى لكن الهدفُ ساميٌ هذه المرة، وربما لا تُعد كارثة على قدر كوْنها نوْعٌ من المخاطر.

يقف حكيم أمام الحامل ليُثبت عليه جهاز التصوير ثم يقوم بضبط الإضاءة بمهارة اكتسبها لكوْنه مؤثرًا يُتابعه الملايين، وكانت غيِّد تتابعه بفضولٍ وتساعده نظرًا لكونها مراسلة تليفزيونية قضت حياتها بين أجهزة التصوير ومسجلات الصوّت، فكانت تقوم بضبط أجهزة الصوّت ويقوم حكيم بضبط الإضاءة ليُشكل كلاهما فريق إعدادٍ ناجح.

كانوا يجتمعون بالمنزل الخاص بميليندا لأن والد مارك في منزله وربما يُعيق عملية تصوّيرهم، كما أن منزلها كبيرٌ يسع جميع رفاقها وكذلك الزوّار!!

انتفضوا على صوّت الجرس وهو يصدح عاليًا ليهب مارك من مضجعه بلهفة جعلته يفتح الباب ويستقبل رويلا ببسمة بشوشة، ورويلا ترميه بنظراتٍ مرتبكة ووجهٍ شاحب يخشى الإقدام على هذه الخطوة:

-لمَ تأخرتي يا فتاة .... أخبرتكِ أن تأتي قبل ساعة

توْترت رويلا من لهجته الهجومية التي جعلتها تنبس بكلماتٍ خافتة:

-لم آتي وحدي....

تبعت حديثها بالابتعاد قليلًا عن الباب لتُشير لرفاقها الذين يتراوح عُمرهم ما بين الثانية عشر والسادسة عشر ربيعًا ومنهم من كان بالعاشرة والتاسعة من العُمر، جميعهم يحملون من الخوف ما يحمله الحمل الوديع وهو يتحرك بالقُرب من الليث، جميعهم ضحايا الاعتداءات والاستغلال.

تعجب مارك من هذا الجمع الغفير وكان مُتصلبًا مكانه يتابع رويلا وهي تُخبرهم أن مارك سيساعدهم مما ضاعف من مسؤوليته اتجاههم، فهو الذي كان ناقمًا على الحياة كارهًا لها، أصبح الآن على شفا جرفٍ من إنقاذ البشرية، خاصة الطفولة.

تدخلت ميليندا بعد أن رأت معالم الصدمة تعتلي وجه مارك وتجعله مُتصلبًا يُفكر بالتبعيات وما سيفعله، يواجه أفكاره ومُعتقداته بأنه غير جديرٍ بالمسؤولية وأنه سيخذلهم، فكيف لرجلٍ عاش طفولة مشوّهة أن ينقذ الغير ؟ كانت هذه الأفكار تكاد تقتله حتى وجد ميليندا تنتزعه من غياهب أفكاره وتدعوهم لدلوف منزلها رغم صدمتها وارتباكها.

تبعتهم ميليندا صوّب الداخل وبدأت تُشير على أصدقائها تُعرفهم واحدًا تلو الآخر لتتبادل بينهم الابتسامات الودودة لفترة وجيزة من الزمن استطاع سامي أن يقتطعها وهو يُشير على أحد المقاعد التي تتوّسط البهو والتي تتمركز أمام جهاز التصوير مباشرة، كان يستند بجذعه على ظهر المقعد يحاول أن يبثهم بعض الطمأنينة بحديثه الذي لا يعرف من أين خرج، فهو لم يكن بهذا الحنان يومًا:

-أعرف أنكم عانيتم الكثير .... لكن مجيئكم هنا، وفي هذا اللحظة، لا يدل إلا على شيءٍ واحدٍ فقط .... أنكم في صدد مواجهة المظالم، وكشف الحقيقة .... بصدد إنهاء الظلم، والإعلاء من الحق .... إجلسوا على هذا المقعد، وتحدثوا عن معاناتكم .... فالعالم لن يساعدكم إذا لُذتم بالصمت

كلماته المُحفزة جعلتهم يتبادلون النظرات في حيرة وتردد، لا يعرفوا كيف يفصحوا للعالم عن أمورٍ قد تُسبب لهم الحرج، لكنهم يعلمون كذلك أن صمتهم لن يُجدي نفعًا، لن يسمع العالم استغاثاتهم إذا انتصر خوّفهم وأجبرهم على الصمت.

-من منكم يُريد أن يبدأ ؟

سأل سامي بعد أن طالت فترة صمتهم ليزداد ارتباكهم، وتتبادل نظراتهم مجددًا، بقيوا هكذا حتى رفعت فتاةُ صغيرة بالتاسعة من عُمرها يدها، وكانت أصغر المُتقدمين، كانت سمراء البشرة ذات عينان واسعتان مع شعرٍ مُجعد قامت بتجديله ليتناسب مع سترتها الوردية.

-أ...أنا ... أنا سأبدأ

ابتسم سامي بسمة فخورة وهو يبتعد عن المقعد فتتحرك الصغيرة بخطواتٍ مترددة وأطرافٍ مُرتجفة، كانت على شعرة واحدة من البكاء والتراجع رغم نظراتهم الداعمة وابتسامة كاتي الحنونة التي جعلت الصغيرة تلتقط أنفاسها وتُسلط نظراتها صوّب عدسة جهاز التصوير لتهتف بنبرة خافتة تحمل القليل من الخوف والكثير من الحرج:

-اسمي أماندا ... وُلدت بولاية ميسوري ... و ... والداي أخبرانني أننا سننتقل إلى كاليفورنيا بعد أن حصل والدي على عملٍ جديد....

زاد ترددها وارتجافها وهي تتحدث عن مقابلتها الأولى بمُنسق العمل وحصولها على تلك الوظيفة التي كانت جحيمًا بالنسبة لصغيرة بعُمرها، أخبرتهم أنها تمتلك صوّتًا رائعًا وهذا ما جعل والديها يُشجعانها على تلك الخطوة، أخبرتهم كم كان يُخبرها المخرج أن تتناول كمياتٌ كبيرة من الحلوى ويتقصد إهانتها ومناداتها بصفاتٍ بذيئة فقط لأنها سوّداء، أخبرتهم أنها أخفت هذه الأمور عن والديها خوّفًا عليهما من تهديد فريق الإعداد والانتاج، أنهت الحديث بنبرة باكية وهي تُخبرهم عن المخرج الذي حاول أن يتلمس مناطقها الحساسة وكانت تهرب منه بشتى الطُرق.

تركت أماندا مقعدها ليجلس عليه مراهق بالخامسة عشر من عُمره يتحدث عن تجربته وعن اعتداء المُخرج عليه وهو نائم بحُجرة التصوير، بقي يسرد معاناته أمام حكيم الذي اهتم بالتقاط أفضل اللقطات وغيّد التي اهتمت بضبط الصوُت والتأكد من نقائه رغم صدمتها مما تسمع، تسمع للتو براءة يتم تلطيخها على الهواء مباشرة، فبينما يتمتع الجميع بتلك البرامج، كانت هناك أرواح تتكالب عليها ضروبٌ من العذاب ولا يشعر بها أحد.

وقف سامي قبالة كاتي التي كانت على شعرة من البكاء وهي تستمع إلى حكايات شهود العيان، وعلى الرغم من نظراته الجامدة إلا أن هناك غصة أليمة كانت تتكوّن بداخله مع كل طفلٍ يجلس على هذا المقعد ويتحدى رهبته ليفصح أمام الجميع عن حقيقة هذا العالم المُظلم.

وكان مارك يقف بإحدى الزوايا يرتجف جسده بصورة لا إرادية والدموع تكاد تفر من عينيه، ليس لأنه يشعر بالشفقة، بل لأنه يستمع الآن إلى صراخه واستنجاده،

يستمع إلى نبرته المخذولة وهو يطلب من أحدهم المساعدة ويرميه الآخر بنظراتٍ قاسية تزيد من معاناته، لاحظت ميليندا ارتجافته ومحالاته المستميتة بالابتعاد حتى لا تتهاوى حصونه، وضعت يدها على كتفه بحنانٍ آرادت معه أن تبثه بعض الآمان وتدفع عنه هذه الذكريات الأليمة، رغم أنها لا تعرفها جيدًا، فهي لا تعرف سوى قشورٌ بسيطة لمَ كان يعانيه، وهو لم يكن يجد من الشجاعة ما يجعله يُخبرها الحقيقة، أو ربما ارتأى إلى إخفاء الأمر بسبب فوات الآوان، فها هي طفولته قد تدمرت، لكنه لن يسمح لطفولته المدمرة أن تهدم شبابه وما تبقى من حياته.

-مارك .... هل أنت بخير ؟

سألته برقة بعد أن وجدت دمعة تفر من مضجعها وتنحدر بهدوءٍ على وجنة مارك مما جعل الحيرة تغتابها، فمارك إن قطرت عيناه دمعة واحدة، هذا يعني أن هناك جرحٌ غائرٌ قد فُتح مجددًا وبدأ بالنزيف.

ارتبك مارك من ربتتها الحانية وبات يُجفف دمعاته المُتمردة ليُحافظ على جفاءه وهو يقول:

-لا شيء .... أنا فقط...

آبى أن يُخبرها أنه يشعر بالشفقة لأنه يعلم أنها لن تُصدقه، فهي تعلم جيدًا أن مارك ليس مُرهفًا ولا يبكي بهذه السهولة، لذلك حاول أن يتدارك الأمر ويحافظ على نبرته العملية الجادة:

-لا عليكِ ... أنا بخير

لم تُصدق كلماته وبقيت ترمقه بنظراتٍ مُتشككة حاول هو أن يتغاضاها ويتلفت بعينيه بعيدًا عنها خوّفًا من أن تحاصره وتجبره على الانفجار والعودة إلى ذكرياته السوداء، أو أن يبكي أمامها كطفلٌ صغيرٌ فتُربت هي على ظهره بعد أن تستشف ضعفه الذي حاول لسنواتٍ أن يخفيه عن العالم، وهو لا يريد العودة لذكرياته السوداء، ولا يريد أن يضحى أمامها كطفلٌ صغير، هو بالأساس لم يتعامل أبدًا كالأطفال حتى وهو بالسادسة من العُمر، لم يبكي أمام أحد، ولم يشعر بهذا الضعف الذي يشعر به الآن، وهذا ما يجعله غاضبًا مُشتتًا، يشعر أنه على وشك الانهيار ويبكي ما لم يبكيه في طفولته لكنه يجاهد حتى يتماسك.

-غدًا سينتشر عبير العدل في السماء ..... وسيُعاقب كلٌ من فكر بتدنيس الطفولة...

بصقت كلماتها المُشجعة أمام مارك الذي التفت إليها بعد أن جمدته كلماتها، بقي يرمق نظراتها الواثقة وهي تواصل الحديث كما لو أن فؤادها هو الذي يتحدث:

-صحيح أننا لم نستطع إنقاذ طفولتنا .... لكننا نستطيع أن ننقذ طفولتهم.....

"أعلنت سيادة الشُرطة الأمريكية قبضها على كلٍ من السيد شنايدر مُخرج البرامج التليفزيونية وإيفري المسئول على الإنتاج مع بعض من فريق الإعداد بعد اشتباههم بجريمة الاعتداء على أطفال دون سن الرُشد وذلك بعد نشر أحد المقاطع على مواقع التواصل الاجتماعي والتحدث مع الضحايا حيال هذه الجرائم الشنيعة، ووفقًا للقانون الأمريكي وبموجبٍ من منظمة حقوق الإنسان والطفل، سيتم الحُكم على كلٍ من" .....

خبرُ تناقلته الصحف والمجلات بعد أسبوعٍ واحدٍ من نشر المقطع، حيث قام حكيم بنشره على صفحته التي تملك من المعجبين أرزلهم بعد أن أخفى وجوه الضحايا بواسطة عمليات المونتاج، كما ساعد بقيتهم على نشر المقطع وقاموا بمشاركته مع أقرانهم ومعارفهم حتى انتشر كالنار في الهشيم، أصبحت جميع الألسنة لا تنطق سوى بهذا الخبر الذي هز سيادة الدولة الأمريكية وجعلها مسئولة أمام القانون بتعريض أطفالها لهذه الأفعال المُشينة.

أغلقت إحدى القنوات التليفزيونية بعد اشتباهها بجرائم اعتداءٍ ضد الأطفال وتحوّل العديد من الأشخاص المرموقة للتحقيق والمثول أمام القانون، هذا بفضل ألسنتهم التي آبت أن تصمت عن الحق وأصرّت على كشف الحقيقة دون الاكتراث لتوابع ما قد يحدث، فأصل المقطع تم نشره بواسطة رجلٍ لا يحمل الجنسية الأمريكية، مما يعني أنه من الصعب الوصول لهويته ومقاضاته من قِبل الأسياد.

كان مارك يجلس في عُقر عمله يعبث بهاتفه وعلى وجهه علامات الضيق، رغم أنه من المُفترض أن يطير من السعادة لهذا الانتصار، لكن ما يحدث حوّله يجعل البسمة تكاد تفارق وجهه، يعرف أن المُقطع الذي ساعد على نشره قد ساعد العديد من

الأطفال، لكن في المقابل، هناك العديد من القلوب البريئة التي يتم إيذاءها يوميًا، وفي مكانٍ آخر، بل وربما في شتى بقاع العالم.

يشعر بحملٍ ثقيل يجثم على قلبه وهو يشاهد مقاطع أخرى غطت على مقطعه الصادق، مقاطع تحمل أطفالًا يبكون ذويهم ويحملون أعناش أبويهم، أطفالًا يموتون من الجوع ويحرمون من حقوقهم الطبيعية، والأشد قسوة أن معاناتهم تتناقل بين الصُحف والأخبار ولا أحد يقوم بإنقاذهم، حتى دوّلته التي تدّعي المساواة والعدل، تقف متفرجة أمام معاناتهم بل وتزيدها سوءًا.

أغلق مارك هاتفه يتنفس بعُمق وهناك غصة مريرة تتكوّن على صدره، لا يعرف مُنذ متى وأصبح بهذه العاطفية، مُنذ متى وهو يهتم بالآخرين، فلطالما كان يُعظم الآنا ويجعلها فوق الجميع، لطالما آراد التخلص من العالم والهروب إلى عالمٍورديٍ آخر حتى يصطدم بحقيقة الفساد الذي يكمن في النفوس قبل أن يسكن العالم، والأصعب من ذلك أنه لا يعرف ما الذي يجب أن يفعله حتى يسكن فؤاده، ففي النهاية ليس بطلًا خارقًا حتى ينقذ العالم، لا يسعه فقط سوى النشر والحديث الذي يذهب في طي النسيان.

قطع شروده صوّت الباب وهو يُفتح ليتدارك أفكاره ويعتدل في وقفته أمام السيد إيجر الذي دلف الحُجرة وعلى وجهه علامات الجمود والجدية، يكاد يجزم مارك أن إيجر لا يهتم بموظفيه على قدر ما يهتم بمَ يفعلون وبمَ يصب في مصلحته الشخصية، وهو بالتالي يرى مارك عبارة عن جهازٍ سيتم استخدامه في معرضه العزيز.

-صباح الخير مارك ..... هل أنهيت أعمالِك أم آراك تتقاعس مجددًا ؟

حمحم مارك ببعض الحرج وهو يُجيب بنبرة هادئة:

-كُنت أرتاح قليلًا سيدي .... ثم أنني على وشك الانتهاء من آخر التعديلات

أومأ إيجر بلا اكتراثٍ واصل معه بنبرة آمرة:

-جيّد .... عليك أن تنتهي بسرعة .... يجب أن نُسرع بإرسال المعونات لأشقائنا في حربهم ..... وأنت تعرف أن هذا الجهاز سيساعدنا على الحصول على مزيدٍ من المال

انقبضت أوزار مارك وهو يستمع إلى حديث إيجر والنيران تعتمر بداخله، فهو يعرف لمن يرمز إيجر بكلمة أشقاء.

-ماذا !! .... هل سنُعطي أموالنا لهذه الدوّلة ؟؟

كانت كلماته مندفعة غاضبة تحمل كمًا من الثبات الذي جاهد حتى يُحافظ عليه، يكاد يشيط من الغضب من تلك المساعدات الأمريكية التي تذهب إلى ذاك الكيان المزعوم وتستأثر أهلها من هذه الأموال، أليس هذا الكيان هو من يتسبب بتلك المعاناة ؟ أليس هذا الكيان من يحرم الأطفال من حقوقهم ويجعلهم أشلاءً أسفل الثرى ؟ كيف يُخبره إيجر أن الجهاز الذي عمل عليه لسنوات سيضحى رُهن إشارة هذا الكيان وسيُعطيهم من أموالهم ؟ لم ولن يسمح بهذا أبدًا.

-نعم هذا صحيح .... يجب أن نساعدهم في محنتهم

-تقصد نساعهم في جرائمهم

صرخ مارك بهذا الكلمات التي اعترض بها على حديث إيجر، بينما كان الآخر متجاهلًا لصراخه ونظراته المُشتعلة، فأمره نافذ لا يوجد مجالٌ لاعتراضه كما أن مارك مجرد موظفٍ لديه ولا يملك حق الاعتراض والاختيار.

-لا وقت للحديث الآن مارك .... فلتنتهي من الجهاز في أسرع ما يُمكن... وإلا سأُعلن افتتاحه وهو غير مُكتمل

بصق هذه الكلمات في وجه مارك الذي تملكته حالة من الصدمة والجمود، جهازه الآن سيتحوّل إلى آلة للحرب، حتى وإن لم ينتهي من التعديلات سيتم استخدامه، فهو يعرف أنه قد نجح، بل قد جرّب نجاحه حتى، وعلى ما يبدو، سيُنفذ إيجر تهديده ويفتتح الجهاز قبل تعديلاته الأخيرة.

برقت عينا مارك بتحدٍ سافرٍ بعد أن عقد العزم على تخليص جهازه العزيز من تلك التداعيات، لن يضحى سببًا في معاناة الأرواح البريئة حتى ولو كانت حياته هي الثمن...!!

صوت التلفاز يصدح في المكان تقابله غيُّد التي كانت تعبث بجهاز التحكم بحثًا عن برنامجٍ أو أي فيلم تُنفس فيه عن مللها وشعورها بالضجر، اتفقوا أن يحتفلوا في هذا اليوم بذاك الانتصار البسيط الذي أضفى على حياتهم شعورًا بالنشوة، فلا شيء يعادل نشوة الشعور بأنك سببًا بإنقاذ العالم وتطهير الكرة الأرضية من الفساد.

اجتمعوا بمنزل ميليندا لأنها إجازة من العمل على عكس مارك الذي يعمل ستة أيامٍ في الأسبوع حتى ينتهي من جهازه، كانت كاتي تجلس بأحد الأركان تعبث بإحدى الكُتب الخاصة بميليندا بينما كانت الأخرى تجلس بجوار غيُّد تتعارك معها على جهاز التحكم حتى تشاهد فيلم دراكولا بدلًا من فانتاستيك فور الذي تصر غيُّد على مشاهدته، أما سامي فكان يجلس أمام الطاولة يُنهي أعماله ويُجري العديد من الاتصالات وحكيم في عالمٍ موازٍ يتجوّل في حُجرة الطعام بحثًا عمَ يملاء به معدته وكأنه منزله، فمنزل ميليندا كان مقر اجتماعهم بعد الأحداث الأخيرة ومُنذ سفرهم إلى أمريكا.

-ابتعدي ميل .... لا تكوني سخيفة ..... هذا الفيلم شاهدتيه مئة مرة

-نعم وأنا أريد مشاهدته للمرة المئة وواحد .... ثم أن هذا التلفاز يخصني

قالتها ميليندا وهي تدفع غيُّد بعد أن التقطت جهاز التحكم وجعلت الأخرى ترمقها بغضبٍ وهي تقول:

-حقًا .... إذا لن أعطيكي من الشوكولاة الباهظة التي ابتعتها والتي تهيمين بها عشقًا

قطبت ميليندا حاجبيها بعدم تصديقٍ لحديث غيُّد، فالأخرى كانت تقطن معها طوال هذا الأسبوع بعد أن أصرّت ميليندا على ذلك، هذا ما جعل صداقتهما تتشعب أكثر وتعتاد غيُّد على منزل ميليندا وكأنه منزلها، وكذلك تعاملها الأخرى كشقيقتها التي

تتعارك معها تلك العراكات الصبيانية التي تتدخل فيهم كاتي وتفرقهما كما لو أنها تُفرق بين طفلين يتشاجران في الروضة.

-كاذبة .... لم أركِ تخرجين من المنزل حتى

قالتها ميليندا بتكذيبٍ لترمقها غيِّد بنظراتٍ مُتحدية أكدت معها على ابتياعها تلك الحلوى من أجل ميليندا تعبيرًا لها عن امتنانها لاستضافة الأخرى لها بمنزلها حتى تعود إلى دوّلتها، لكن هذه الغبية ستجعلها تستخدم هديتها كسلاحٍ تُهدد به الأعداء.

-لستُ كاذبة .... وسأبرهن لكِ حتى

رفعت رأسها بعيدًا عن ميليندا لتهتف بصوّتٍ مُرتفعٍ حتى يسمعها حكيم ويحضر هذه الحلوى من البراد.

-حكيـــم .... جيب الشوكولاة من البراد

كان حكيم داخل حُجرة الطعام يستقبل حديثها بملامح حائرة يبدو أنه لا يفقه ما تقول، فما إن أدلت هذه الكلمات حتى كان هو يُردد كلمة " براد " أكثر من مرة حتى أوقفته قدميه أمام إبريق الشاي ظانًا من أن غيِّد تقصده بحديثها، لا يعرف كيف، لكن هذا ما وصل له عقله.

-براد !! ..... إزاي يعني تُحطي الشوكولاتة جوة براد الشاي ؟

أغلقت غيِّد عينيها بنفاد صبرٍ من حماقته التي جعلتها تثب عن الأرض لتحضر الحلوى بنفسها على ألا تعتمد على ذاك الأحمق مُجددًا، لكن في أثناء طريقها إذ يقطعها صوّت الجرس وهو يصدح عاليًا لتثب ميليندا من مرقدها عازمة على فتح الباب لهذا الزائر الذي تعلم جيدًا من هو.

-مـــارك .... وأخيرًا أتيت ... كنا سنبدأ الاحتفال بدونك

وكان مارك على عكس المتوقع_ أو ربما المتوقع_يحمل من الوجوم ما يحمله من فقد عزيزًا عليه، ملامح وجهه باهتة تحمل حزنًا دفينًا، وعيناه غائرتان كما لو أنه لم يحرز انتصارًا مُنذ فترة قصيرة.

-عن أي احتفالٍ تتحدثين وهناك أرواحٌ تلفظ أنفاسها الأخيرة

قطبت ميليندا حاجبيها من كلماته السوداوية التي جعلتها ترمقه بغرابة، تعرف أن مارك لا ينظر سوى للجوانب السيئة من الحياة، لكنه لم يكن أبدًا بهذا الوجوم و... الندم!!

-ما بك مارك ؟ ..... هل حدث شيءٌ بالعمل ؟

لم يُجبها مارك وطفق يعدو صوّب الطاولة حتى ارتكن على أحد المقاعد ليُلاحظ سامي نظراته الغائرة ويترك ما يفعله ليفهم ما حدث معه، وكانت غيّد تتابع ما يحدث من بعيدٍ حتى استرفدت كلمات ميليندا القلقة وقررت أن تسأل مارك عمَ حدث، فبالطبع هناك كارثة أخرى، فصداقتهم لا تخلو من هذه الكوارث.

-لا .... لكن سيحدث عمَ قريب

هكذا آجاب مارك بنبرة مقتضبة جعلتهم يلتفون حوّله ليفهموا حقيقة الأمر، فكان سامي يوجه نظراتٍ حادة صوّب مارك حتى يتوقف عن الحديث بتلك الطريقة الملتوية ويُخبرهم ما يعانيه بطريقة مباشرة:

-مارك .... كفى حديثًأ بهذه الطريقة الرمزية، أترانا مجموعة من الفلاسفة حتى نساعد على فك شفراتِك ؟

تنهد مارك تنهيدة عميقة أسبل معها بعينيه حتى يتقاطر الندم من جفونه، كان يتحدث بنبرة مبحوحة ظهر معها حُزنه الدفين وضيقه من تلك الأنظمة المُجحفة التي تتبعها دوّلته:

-أخبرني السيد إيجر أن جهازي سيساعد على تمويل الصهاينة في حربهم .... أو في جرائمهم .... سيُصبح جهازي آلة للحرب، مثله مثل بقية أموالنا

أنهى الحديث بنبرة متضايقة وهو يُخبرهم أمر إيجر النافذ وكيف يعلم إيجر أن الجهاز أضحى جاهزًا للاستخدام لأن مارك يوافيه بأخباره في كل ثانية، طفق يتحدث عن هذه الورطة التي وجد ذاته متوّرطًا بها حتى برقت عينا غيّد بغضب جامٍ وهي تعترض بطريقة مُندفعة:

-هذا لا يجب أن يحدث ..... هذا الحقير إيجر وهؤلاء الرؤوساء الفاسدون يجب أن يتم مثولهم أمام العدالة

ارتكنت كاتي على أحد المقاعد تُعرب عن ضيقها بمَ يجيش به صدرها:

-فقط لو لنا ملكة الاختيار .... لكننا لسنا كذلك، نحن مجبورون على اتباعهم ولا نملك حلًا آخرًا.... هذه الدولة تهمكم بالديموقراطية والعدالة، لكنها لا تستمع لشعبها أبدًا .... ولو كانت تستمع، لمَ وُجد قانون الأسلحة

كانت تتحدث عن قانون الأسلحة الذي أصدر حديثًا بدولتهم والذي يؤكد على استخدام الأسلحة بحرية دون ترخيص، فالأسلحة ليست ضارة لكن البشر هُم كذلك، هذا ما قاله الرئيس وهو يُعرب عن صالحية هذا القانون، وهو لا يعرف أن هذا القانون جعل العديد من المراهقون يفتعلون عملياتٍ مُسلحة داخل المدارس ويقتلون العديد من الأطفال، حتى أن الأطفال باتت تخشى الذهاب إلى المدارس بسبب هذا الأمر، ورغم اعتراض العامة وتقديمهم الشكاوي، إلا أن القانون لم يُقدم لهم شيئًا ولم يلتفت حتى إلى شكواهم.

بعد فترة وجيزة من الصمت وتبادل النظرات قليلة الحيلة، وثب سامي من مرقده وعيناه مشتعلتان بنيران التحدي، لا يريد أن يرى هذه النظرات الضعيفة في أعينهم، هو لم يعتد ذلك منهم، لم يعهدهم بهذا الضعف حتى في جوف المهالك.

-صحيحٌ أننا لا نملك ملكة الاختيار ..... لكننا نستطيع أن نسلب قطعة اللحم الدسمة من فوّه الأسد .... نستطيع أن نحيد عن طريقهم ونجبرهم على اتباع قواعدنا

التفتت النظرات صوّب سامي ليرمقوا التحدي السافر في عينيه مما جعل حكيم يسأل:

-ماذا تقصد بهذا الحديث ؟

سرق سامي نفسًا عميقًا ثم أخرجه وهو ينصب طوله أمامهم متفوّهًا:

-أقصد أننا لن نستسلم لهم مجددًا ..... وبما أن الجهاز سيتحوّل إلى عبدٍ بين قبضتهم .... فلا يوجد أمامنا سوى شيءٌ واحدٌ فقط، حتى لا تُدنس إنجازات مارك بقذارتهم .... وهذا الشيء هو....

صمت برهة عن الحديث ليشتعل الإصرار في عينيه وهو يواصل:

-أن نسرق الجهاز....!!

الفصل الثلاثون (النهاية)

العالم ليس مجنونًا كما نعتقد، بل نحن من جعلناه يصارع الجنون وينتهي به الأمر فاقدًا لآخر ذرات عقله، وبالنسبة لهذا الفريق الأشبه بعصابة عشوائية تحمل القيّم والمباديء_أو على الأقل بعضهم_ كان اجتماعهم داخل السيارة يجعلك تعتقد أنهم يجتمعون للبدء في كارثة جديدة، وأي كارثة ستنافس اتفاقهم على سرقة الجهاز من أيدي حفنة من المتجبرين.

-اسمعوا جيدًا .... علينا أن نحافظ على أقنعة الوجه ولا نخلعها أبدًا حتى لا يتم كشفنا

قالها سامي بنبرة جادة وهو يستقل المقعد الخلفي وجواره كاتي التي كانت تجاورها كلًا من ميليندا وغيّد بينما كان مارك يتوّلى مهمة القيادة نظرًا لأنها سيارته، وحكيم يجلس بجواره يرفع كيسًا ورقيًا تكبد عناء ابتياعه حتى يخفي بداخله تلك الأقنعة التي كانت...

-ماذا !! .... هل تمزح معي !!... أخبرتك أن تأتي بأقنعة تجعلهم لا يستطيعون كشفنا...لا أن نجعلهم يقهقهون على هيئتنا

بصق سامي هذه الكلمات الحانقة بوجه حكيم الذي لعن حماقته عندما أخبره أن يتوّلى هو مهمة إحضار الأقنعة، فحكيم قد ابتاع حفنة من أقنعة المهرجين المُرعبة والأبطال الخارقون كما لو أنهم في عيد ميلاد، بل لم يكتفي حتى وبدأ يُدافع عن نفسه متفوّهًا:

-ما الأمر ؟ .... هذه هي الأقنعة التي أعطاني إياها البائع حينما أخبرته أننا سنسرق إحدى المعارض الكبيرة

قالها ببلاهة جعلت سامي يكظم غيظه ضاربًا جبهته بغضبٍ دفين، بينما أخذ البقية يرمقونه بأفواهٍ مفتوحة ونفوسٍ على شفا جرفٍ من الانهيار، كان هذا قبل أن تُعلق كاتي بعدم تصديق:

-هل ... هل أخبرت البائع أننا سنقوم بالسرقة ؟

آجابها حكيم ببساطة كما لو أنه أخبر البائع أنهم في نُزهة، أو هذا هو ما يعتقده بالفعل:

-نعم ... كُنت أريده أن يساعدنا، لكنني وجدته يقهقه بخفة ويُعطيني هذه الأقنعة

أطلقت غيِّد زفرة مطمئنة تشكر ربها أن البائع اعتبره مُختلًا عقليًا، لأول مرة تشكر ربها على حماقة حكيم الواضحة التي تنجدهم من كوارثه التي يرتكبها هو.

كظم سامي غضبه وهو يواصل إدلاء الخطة للمرة العاشرة بعد المائة حتى ينتبهوا جيدًا لحديثه، فلا سبيل للخطأ في هذه المهمة وفي هذا العالم، لأن الخطأ هنا قد يُدمر مستقبلهم تمامًا.

-مع تمام الساعة العاشرة، سيبدأ تبديل الدوام .... وقتها ستقل الحراسة على بوابة المعرض ولن يُلاحظنا أحدهم ونحن نتوّغل من الجهة الخلفية

تقدمت ميليندا بجذعها لتستفسر بسوالها:

-ولماذا نتوّغل من الجهة الخلفية ؟

-لأنها نُقطة عمياء .... أي لا تلتقطها أجهزة المراقبة

أومأ الجميع إيجابًا بعد كلمات سامي الجادة وتعليماته التي بقي يتلوها أكثر من مرة حتى يستجيبوا له ويبدؤوا الخطة، كانت غيِّد تترجل من السيارة وعلى وجهها قناع الرجل العنكبوت بينما كانت ميليندا ترتدي قناع الجوكر وكاتي ترتدي قناع المرأة القطة، وسامي يتحرك بثقة وعلى وجهه قناع الرجل الوطواط يجاوره حكيم بقناع الرجل العنكبوت الأسود ومارك بقناع المُهرج المرعب بفيلم الشيء، أقنعة تجعلك تعتقد أنهم عصابة سوّداء أتت لسفك الدماء والمتاجرة بالأعضاء لكن حركاتهم الساذجة المبالغ بها تجعلك تُلقي بمعتقداتك في حاوية القمامة وتَسلم إلى حقيقة أنهم خارجون من فيلمٍ من أفلام الرسوم المُتحركة، لحظة ... هُم بالفعل كذلك.

رفع سامي قامته ليتسلق الجدار بمهارة قد اكتسبها لأنه يتسلق الأشجار مُنذ نعومة أظافره، تبعته كاتي التي لم تجد صعوبة في هذا الأمر ومن بعدها حكيم الذي أخذ يُخبرهم عن مغامراته في تسلق جبل إيفيرست وجبال الألب رغم أنه لم يفعل شيئًا سوى التقاط الصوّر لهم من بعيد، تسلقت بعده غيِّد ثم ميليندا التي كانت تساعد مارك

الذي أخذ الكثير من الوقت حتى يتسلق القمة ويقفز من الجهة الأخرى ليصطدم جسده بالأرض ويساعده سامي على الوثوب.

كان مارك يُطلق تذمراتٍ حانقة من جوّفه ويُعلق حكيم بسُخرية عليه مما جعل أصواتهما تكاد تظهر للعيان؛ وضع سامي سبابته بمُنتصف فمه وهو يقول بتحذيرٍ خالطه الصوّت الهامس:

-توّقفا عن الجدال .... هيا بسرعة قبل أن يُلاحظنا أحد

أنهى الحديث وبدأ يعدو قبالتهما لتتصلب أجسادهم مرة واحدة أمام فوهة السلاح التي باغتتهم فجأة!!

انتفض جسد سامي وهو يتراجع للوراء ليصطدم في مارك الذي تعالت نبضات قلبه متفوّهًا:

-ألم تقل أن هذه منطقة لا تلتقطها أجهزة المراقبة ؟

ازدرد سامي ريقه وهو يهتف بقلق:

-نعم ... قولت أجهزة المراقبة وليس جدرانٌ بشرية

آشار بحديثه إلى ذاك الضخم الذي يثب أمامهم رافعًا سلاحه عليهم مُحدقًا بهم بنظراتٍ مُهددة قال معها:

-ما الذي أتى بكم إلى هنا ؟ .... أظننتم أنكم ستستطيعون الهرب بما سرقتوه!!

أنهى الحديث بحدة جعلت حكيم يُجيبه ببلاهة وصدق:

-لا ... لم نسرق شيئًا بعد

وجه سامي نظرة عابرة مليئة بالحنق صوّب حكيم الذي ابتلع ريقه بهلع بينما تقدم نحوهم هذا الحارس وهو لا يزال يُشهر سلاحه على أمل أن يقودهم إلى الخارج حيث تتلقفهم سيارات الشُرطة، لكن سامي آبى أن يتحرك وبقي محافظًا على ثباته وكأن قدماه قد التصقتا بالأرضية العطبة.

اقتربت كاتي من سامي من الجهة الأخرى وبقيت تبادل نظراتها صوّبه ثم تُشيرها على الأرض في إشارة التقطها سامي فوّرًا وقرر أن يُنفذها قبل أن تنتهي حياتهم، حتى ولو كانت هذه الإشارة إعلانًا صريحًا لتاريخهم الإجرامي الذي على وشك أن يبدأ.

-تحركوا أمامي

زمجر الحارس بتلك الأحاديث وهو يلوّح بسلاحه عازمًا على النيل منهم، بينما كان سامي يُحدق به بجمودٍ لم يدم طوّيلًا حتى وجد يداه تمتدان صوّب الحارس لينتزع عنه سلاحه وتقابله كاتي بالتقاط حجارة من الأرض وحكيم يركله بمعدته ركلة تأوه الحارس على إثرها وتأوه أكثر حينما وجدهم ينقضون عليه ويطيحون به على الأرض ليتلقى ضربة قاضية من كاتي جعلته يغيب عن الوعي!!

جحظت عينا مارك بعدم تصديقٍ لم حدث، بينما كانت كاتي تتنفس الصُعداء وهي تُلقي الحجارة على الأرض وسامي يجلس على الأرض قبالة الحارس ليتفقد نبضاته.

-هل مات ؟؟ .... مـ...ما الذي سيفعلوه لنا ؟

سأله حكيم بتوّتر خشية من موّت الحارس ووقوعهم في كارثة أكبر، لكن مارك أجابه بنبرة بسيطة وكأنه يُخبره بنيله إحدى المكافئات:

-لا تقلق .... سيعدموننا فقط

التقط حكيم كلمات مارك البسيطة التي جعلته يُعلق بسُخرية لا تتناسب مع الموقف:

-طمأنتني .... ظننتهم سيحرقوننا أحياء

أوقف سامي هذا الحديث العبثي وهو يثب عن الأرض هاتفًا بطمأنينة تحمل الكثير من الجدية:

-لا يزال حيًا .... لا نُريد المزيد من المصائب أرجوكم

قالها برجاءٍ جعلهم يومؤون ببلاهة رغم ارتكابهم لكارثة بالفعل، هذا وهم لم يبدؤوا الخطة بعد.

تحركوا بضع خطواتٍ حذرة للأمام استطاعوا من خلالها أن يدخلوا المعرض بالفعل ليقطعهم عدد من الأصوات الصاخبة والأقدام المهرولة؛ تيبست أجسادهم على الأرض إثر هذه الأصوات التي جعلت قلوبهم ترتعد خوّفًا، فما هي إلا بُرهة وجيزة حتى استمعوا إلى صوّتٍ أمرٍ يأتي على مقربة من آذانهم:

-هناك من اعتدي على هينسون ... هناك لصوص بالمعرض...

انقبضت أوزارهم بسبب هذه الأقدام التي طفقت تهرول نحوهم بعد سماع ضرباتهم التي وجهوها لأحد الحراس، تأزم الموقف وباتوا عالقون داخل المعرض يحفهم الرجال من كل حدبٍ وصوّب، الحراسة بالخارج قد تكاثرت كما يتكاثر الذباب وقد ظنوا لوهلة أنهم مجموعة من اللصوص أتوا لسرقة المعرض، حسنًا هم بالفعل أتوا لذلك، لكن والله أنهم أتوا لسرقة الجهاز فقط، بل استعادته كما يقولون.

ارتجفت أطرافهم وباتو متيقنون أن الخطة في طريقها للفشل، هذا إن لم تكن قد فشلت بالفعل، التفت سامي_قائد العصابة_نحوهم ليقول بكلماتٍ متلجلجة حافظت على نبرته القيادية:

-هكذا سننتقل إلى الخطة البديلة

قطبت غيّد حاجبيها وهي تسأل بحيرة عن هذه الخطة البديلة التي لم يُخبرهم سامي عنها:

-وما هي هذه الخُطة ؟

ازدادت أصوات الهرولة حولهم مما جعل سامي يقول بسرعة:

-إركضــوا...

تبع حديثه صوّت طلقاتٍ نارية أطلقها بعض الحراس لتشتيتهم لكنها لم تفعل شيئًا سوى أنها جعلتهم يزيدون من خطواتهم هاربين من هذه الطلقات النارية، تفرق جمعهم نتيجة هرولتهم السريعة لكنهم اتفقوا على البقاء عصبة واحدة حتى بعد تفرقهم، فكان سامي يجذب ذراع كاتي وهو يهرول بأسرع ما يملك، وكانت غيّد تتحرك خلف ميليندا في اتجاهٍ آخر، بينما بقي حكيم خلف مارك على أمل أن يعرف الآخر ثغرات هذا المعرض باعتبار أنه يعمل به، أو كان يعمل به.

يهرول سامي كالمياه الجارية بنهرٍ شديد الانحدار جاذبًا معه كاتي التي كانت تجد صعوبة في متابعة خطواته لكنها تفعل مُرغمة ورغبة في النجاة، العديد من الممرات والمجسمات كانت تُعيق طريقهم خاصة مع هذا الظلام الدامس الذي اكتنف الأركان وجعلهما يتعثران أكثر من مرة حتى تفاجأا بالأضواء التي يتم تشغيلها!!

رفع سامي وجهه متفاجئًا من تفعيل الأضواء رغم أنه يعلم جيدًا أن الحُراس هم من قاموا بتشغيلها حتى يعثروا على " اللصوص " قرر أن يأخذ الأمر لصالحه ويتحرك بخطواتٍ أكثر سرعة بعد أن اتضح الطريق أمامه واستطاع أن يصعد درجات المبنى ويتلفت حوله ليأتيه الضباط من جهة اليسار ويتحرك هو جهة اليمين حتى دلف إحدى الأبواب التي لا يعلم ما يختبيء خلفها.

كان هناك ممرٌ طوّيل ذا إضاءة زرقاء خافتة وأرضية ناعمة جعلت كاتي تراقب الأمر بحيرة، وجد سامي خزانة عريضة يُعلق عليها ستُراتٌ واقية مع أسلحة زائفة تُستخدم لحروبٍ هدفها المرح فقط، ابتسم سامي بسمة خبيثة قبل أن يلتقط أحد هذه الأسلحة ويدفع بآخرٍ صوّب كاتي حتى تأخذه بسرعة وبأطرافٍ مُرتجفة أعقبتها أقدام الضباط وهي تهرول خلفهما صوّب هذه الحجرة!!

-خذي هذه بسرعة

ألقى سامي إحدى الذخائر الزائفة صوّب كاتي لتلتقطها بنظراتٍ حائرة ثم تتحرك خلفه كالمغيبة لتدلف هذا العالم الذي تدثر بهذا المعرض الخاص بالأطفال، كانت الحُجرة واسعة ذات أرضية وردية مع لوّحٍ كبيرٍ من الشوكولاة البلاستيكية ينتصف الحُجرة ناهيك عن اللاعقات الحمراء والملتوية المترامية على الأطراف بطريقة مُهذبة تجعلك تعتقد أنك دلفت عالمًا من الحلوى.

هروّل سامي داخل مدينة الحلوى جاذبًا معه كاتي ليختبيء كلاهما خلف تمثالٍ من كعك الأكواب وفوقه الكريمة المخفوقة مع حبة الكرز والفارماسيلا، بينما كان الضابط بالجهة الأخرى يكاد يشيط من الغضب وهو يُطلق عليهما طلقاتٍ عشوائية ظانًا بأنهما سيخضعا ويُسلما الراية خوّفًا لكن ظنونه تذهب هباءً حتى قرر أن يصوّب عليهما حتى يقتلهما وقُضي الأمر، حتى ولو اخترق القانون، ففي النهاية هؤلاء معتدون يجب سجنهم وتلقينهم درسًا قاسيًا.

كان هذا ما يُفكر به الضابط وهو يُطلق الرصاص من فوّهة سلاحه ثم يوجه جنوده ليتفرقوا داخل مدينة الحلوى، أشهر سلاحه بعدها يكاد يطلق منه رصاصة أخرى قبل أن تباغته تلك الرصاصة الوهمية التي أصابت يده وجعلته يُطلق تأوهًا مصحوبًا بسبة نابية رغم أن إصابته كانت هينة، فهذا الرصاص لا يأذي على قدر ما يُصيب الآخرين بالرهبة.

زمجر الضابط بغضب قبل أن يُلقي سلاحه الحقيقي الذي نفدت ذخيرته ويلتقط سلاحًا مزيفًا ثم يوّجه جنوده ليُحيطوا بالمكان وعلى وجهه نظرات الحدة والصرامة، تريدونها حربًا .... إذًا فليكن.

استند سامي بظهره على تلك الكعكة العملاقة وأصوات الطلقات النارية تنتشر بجواره، ومع ذلك لم يمنع نفسه من التقاط نظراتها الواجمة وخصلاتها العشوائية التي تناثرت بفعل الحركة مع هذا القناع الذي يليق بها، كان يتأمل نظراتها البريئة_من وجهة نظره_ويبتسم بسمة عابثة قال معها:

-يا ويلي من هذه النظرات القاتلة ..... يبدو أن هذا المكان يليق بكِ يا حلوتي

ابتسمت كاتي بسمة خجولة أعقبتها رصاصة سريعة كادت تثقب عينها لكنها أحنت جذعها باللحظة الأخيرة وهي تقول:

-لا أعتقد أن الوقت يسمح لهذا الغزل

قهقه سامي بخفة أكد معها على حديثها ليعلو وجهه الصرامة وهو يقبض على السلاح جيدًا ثم يرفعه لتبدأ بعدها المعركة التي كانت ساحتها مدينة الحلوى!!

أنفاسه تكاد تتقطع أو تتوّقف وهو يهرول بلا وجهة مُحددة داخل هذا المعرض الأشبه بمتاهة، وحكيم يركض خلفه ظانًا بأن مارك يعرف أين يذهبان بينما الحقيقة أن مارك لم يكن يعرف في ذاك المعرض سوى الطريق إلى معمله والطريق إلى المطاعم، ليست هذه الممرات المحفوفة بتماثيل الرسوم المتحركة والمجسمات الهلوغرامية.

توقف مارك عن الهرولة ليلتقط أنفاسه حانيًا جذعه لأسفل واضعًا يده على صدره ليُهديء من نبضات قلبه المتسارعة، بينما كان حكيم يقف قبالته ينزع القناع عن وجهه ليتقاطر العرق على جبهته وأنفاسه تصارع الريح وهو يقول:

-أين سنذهب الآن ؟

رفع مارك جذعه ليُجيب حكيم بكلماتٍ متعنتة ادّعى معها أنه يعرف المعرض عن ظهر قلب، فمارك لا يعرف كلمة " لا أعرف " بقاموسه:

-لا تقلق ... أعرف مكانًا آمنًا .... اتبعني

آشار بيده صوّب حكيم ليتحرك خلفه بتغيُّب دون أن يسأل، فهو يثق بمارك ثقة عمياء، ثقة قد تجعله يُلقي بنفسه من فوق الهاوية إذا أخبره مارك أنها طريقة للنجاة.

هروّل مارك صوّب إحدى الحجرات الواسعة التي لا يعرف ماهيتها لكنه اطمأن إلى انخفاض أصوات الهرولة وأصوات الضُباط، تبعه حكيم صوّب هذه الحُجرة ذات الباب العريض والممرات المتداخلة التي كانت جدرانها عبارة عن حشائش خضراء متراصة بعناية، بقي مارك يركض بين هذه الممرات وحكيم يهرول خلفه لا يفهم ماهية هذه الحجرة، لكنه يهرول فقط حتى وجد حركات مارك تتباطأ مع نظرات الوجوم التي بدأت تحوم على ملامحه.

توّقف مارك حينما قابلهما طريقٌ مسدودٌ جعلهما يتقهقران للوراء ويتحركان في طرقاتٍ متداخلة أخرى لكن بأقدامٍ عادية.

-يالا ذكائك أيها العالم الجليل .... أدخلتنا في طُرقاتٍ متداخلة حتى نتسبب بضياع الضُباط

قالها حكيم بفخرٍ على فكرة مارك الذكية التي لا يعلم أنها ليست فكرته من الأساس، فما إن أدلى تلك الكلمات حتى توّقف مارك عن السير متفوّهًا باستسلام خالطه السُخرية:

-نعم نعم .... أضعنا الحُراس .... وأضعنا أنفسنا أيضًا

قطب حكيم حاجبيه بحيرة من تلك الكلمات المُبهمة التي جعلته يسأل ببعض الشك:

-ماذا !! .... ألا تعرف طريق العودة من هذه الطرقات المتداخلة

رفع مارك يديه بيأسٍ قال معه:

-أي طريقٍ للعودة يا هذا .... نحن الآن بمُنتصف المتاهة!!

كانت أصوات الضُباط تتكاثر حولهما حتى كادت تخترق أذنيهما، وغيِّد في هذه اللحظة تكاد تذوب من الهلع وشريط حياتها يمُر أمام عينيها، حسنًا لم تكن حياتها هادئة قبل أن تتعرف عليهم، لكنها على الأقل لم تكن جزءًا من عصابة لا تفعل شيئًا سوى الكوارث، وها هي الكوارث تنتقل إلى العالم الواقعي وستحيل حياتها إلى جحيمٍ أبدي.

جذبت ميليندا يد غيِّد لتختبيء معها خلف أحد الجدران حتى يمُر مجموعة الضباط الذين يجوبون المعرض بهدوءٍ بحثًا عن أولئك اللصوص، لم تتخيِّل يومًا أنها ستأخذ أدوّار الشرِّ بالحكايات، فلطالما كانت تُشجع الأبطال وهم يُخلصون العالم من الشرور، الآن أصبحت هي من هذا الشرور.

رفعت غيِّد يدها نحو السماء تناجي ربها بكلماتٍ متوِّسلة وقلب ينبض من الهلع:

-يا الله أرجوك ساعدنا .... أقسم أننا أتينا هنا بنية صافية

تجهمت ملامح ميليندا وهي تسخر من حديث الأخرى:

-نية صافية !! .... يا فتاة نحن أتينا للسرقة

أخفضت غيِّد يديها لتقابل ميليندا بنظرات حانقة لم تظهر بسبب قناعها لكن كلماتها أعربت عن ذلك:

-نعم .... لكنها سرقة لأهدافٍ سامية .... ثم لا تقطعي دُعائي يا هذه

كادت ميليندا تُجيبها ليبدأ العراك بينهما للمرة المئة لكن أصوات الأقدام عركلت عراكهما الصبياني المعتاد وجعلت وجهيهما يميلان إلى اللون الأبيض الباهت الذي

جعل ميليندا تُطلق شهقة مُرتعبة ثم تجذب غيّد من ذراعها حتى يبتعدا عن مرمى الضباط.

أخفضا صوّتيهما وهما تتحركان في ممرٍ ضيقٍ أوصلهما إلى حُجرة عجيبة ذات بابٍ مُستديرٍ بنفسجي اللون ومقبضٌ يُشبه يدٌ مقطوعة يتقاطر منها الدماء، ودون أن تدري ميليندا ماهية هذه الحُجرة، وجدت يدها تقبض على هذه اليد المصنوعة من السيليكون وتُديرها جهة اليمين حتى وجدت باب الحُجرة يُفتح على مصراعيه ليُباغتهما الظلام القاتم مع بعض الإضاءات الخافتة التي تُصيب المرء بالرهبة.

-ما هذه الحُجرة ؟

سألت غيّد بصوّتٍ هامسٍ لتُصمتها ميليندا وتحثها على السير حتى يتوّغلا الحُجرة، كانت الإضاءة تختلط ما بين البنفسجي والأحمر مع جُدرانٌ ناعمية متموّجة بفعل المجسمات الهلوغرامية، وهناك أصوات هسهسة تُصدر من خلف آذانهما.

ارتعدت أوصالهما وهما يتوّغلان داخل الحُجرة بقلوبٍ تنبض من الهلع، تلتصق غيّد بظهر ميليندا وهي تتابع بعينيها هذه الأشلاء المترامية على أطراف الحُجرة مع علبة صدئة من التراز القديم تُفتح وتُغلق ببطءٍ وحدها، وأصوات الهسهسة تشتد بالقُرب من أذنيهما حتى انقبضت أوزارهما مرة واحدة لينطلق من أفواههما صرخة نابية بسبب هذا المنظر المروّع الذي ظهر أمامهما ... وفجأة!!!

صوت الأعيرة النارية الزائفة تتضارب بهذه المجسمات الشبيهة بالحلوى لتنبثق منها جحافل من الأدخنة تختلط مع ضربات قلوبهم المتصاعدة وأفئدتهم الهلعة، كان يختبيء سامي خلف لوح الشوكولاة وجواره كاتي وكلًا منهما يقبض على سلاحه الزائف ويُطلق من هذه الأعيرة التي لا تأذي ولا تقتل، فقط تساعد على تشتيت الحراس وإبعادهم عن الطريق.

-لا يجب أن نواصل العراك هكذا ... يجب أن نهرب

قالتها كاتي بقلبٍ وجلٍ لينتفض جسدها فيما بعد إثر هذا العيار الذي مرٌ بجوار أذنها، بينما كان الآخر صامدًا يُقطب حاجبيه وهو يُفكر في حديثها ثم يجول بعينيه في كل

مكانٍ بحثًا عن طريقة للنجاة، بقي هكذا حتى توّقفت عيناه ببقعة بعينها كانت هي مبتغاه:

-ها هو باب الخروج .... إذهبي إليهم أولًا وأنا سأقوم بتعطيلهم

كادت تعترض كاتي لكنه دفعها بترو ٍ فاضطرت أن تتحرك بخطواتٍ حذرة سريعة صوّب اللاعقة الحمراء العملاقة، وكان سامي يبادل نظراته بينها ليتأكد من سلامتها ثم يوجه سلاحه صوّب الضباط ليُشتتهم أكثر.

تأكد سامي أن نصفه الآخر ارتأت إلى بقعة آمنة تقترب من بوابة الخروج، آن الآن وقته للذهاب إليها والابتعاد عن مرأى الضباط، كانت كاتي ترمقه بنظراتٍ مترقبة ثم ترفع سلاحها لتشتيتهم ثم تُشير بإصبعها صوّب سامي لينتهز فرصة انشغالهم ويتحرك باتجاهها، فما هي إلا برهة وجيزة حتى تحفزت حواسه وخفض جذعه ليتقلب بجسده على الأرض الرطبة وصولًا إلى اللاعقة التي تقف عندها كاتي ومخترقًا لهذه الأعيرة التي كادت تخترق جسده لكنها لم تستطع بسبب دوّرانه بهذا الشكل المُتمرس.

وثب سامي عن الأرض يلتقط أنفاسه ويرى تقدم الضباط نحوهما وعلى وجوههم علاماتٌ مُتحفزة، باتوا ينتشرون كالذباب حوّلهما عازمين على محاصرتهما وسبر أغوّارهما، هذا ما زاد من ارتعاد كاتي وهي ترمق سامي بنظرة عابرة مُحملة بالقلق لتجده يُطمئنها بنظراته الواثقة التي اختلطت بكلماته القيادية:

-مع الرقم ثلاثة .... سننطلق كالسهام صوّب البوابة ... اتفقنا

أومأت كاتي إيجابًا ليسرق نفسًا عميقًا ثم يرفع إصبعه متفوّهًا بارتباكٍ حاول اخفاءه قدر الإمكان:

-واحد ... اثنان ... ثلاثة....

انطلقت كاتي أولًا صوّب بوابة الخروج المُستديرة الأشبه بالباسكويت ذو قطع الشوكولاة الصغيرة، بقيت تهرول وهي تُغطي وجهها خوّفًا من اختراق الأعيرة لجمجمتها مما سيُصيبها بإصابة بليغة، وكان سامي يهرول خلفها يُطمئنها بنظراته ويحثها على المواصلة دون الالتفات للوراء.

قلّت الأمتار ما بينهما وبين بوابة الخروج حتى ظنا أنهما سيلوذان بالفرار، كان هذا قبل أن يصرخ سامي بتحذير انقض معه على كاتي ليُحيطها بجسده كالدرع الواقي وهو يقول:

-انتبـــــهي!!

وما هي إلا لحظاتٌ قليلة حتى صدح صوّت تأوه مع صوّت شهقة مرعوبة أطلقتها كاتي وهي ترى جسد سامي يرتمي فوقها بعد إصابته بتلك الرصاصات!!

-لاا ..... ليس مجددًا

أصدر حكيم هذه الكلمات المتأففة بعد أن قابلهم جدارٌ من الحشائش مُخبرًا إياهم أنهما يدوران في دوائر لا مفر منها، كان حكيم قد نزع القناع عن وجهه لتظهر ملامحه المُضجرة من تلك المتاهة التي علُق بها ولا يجد أي مفرٍ للخروج منها، بينما كان مارك لا يقل عنه ضجرًا وغضبًا كلما سارا بإحدى الطُرق واكتشفا أنه طريقٌ مسدود حتى تشقق كاحله وتوّرمت قدميه بسبب كثرة السير.

توّقف مارك عن السير ليرفع قامته ويتلفت حوّله بحثًا عن طريقة للخروج من تلك المتاهة، يتسأل ما سر المُتعة في الدخول بمتاهة لا أول لها ولا آخر ؟ وكيف لهذه المتاهة أن تضحى مصدر لهوٍ للأطفال ؟ أو أنهم يُدربونهم على متاهات الحياة التي لا يوجد بها سبيلٌ للنجاة.

-سنذهب من هذا الطريق

قالها مارك بقيادية وهو يتراجع بضع خطوات ثم يُشير على الطريق الآخر الذي لم يسلكاه ليتبعه حكيم وهو لا يزال يصدر أفأفاتٍ متذمرة، بقيا يتحركان في تلك الممرات المتداخلة وفق تعليمات مارك الذي يسير حسب استشعاره حتى باتا عالقان تمامًا، فها هما يعودان إلى تلك البقعة التي كانا بها مُنذ قليل!!

دبدب حكيم على الأرض بتذمرٍ قال معه بنفاد صبر:

-يا الله ...... عُدنا مجددًا إلى هنا .... لمَ لا تقول أنك لا تعرف الطريق وتتوّقف عن هذه البهنسة

باتت كلماته جريحة بالنسبة لمارك الذي لن يوافق على نعته أحدهم بالجاهل، بالطبع بسبب تاريخه الذي لم يلقى به سوى التوّبيخ والإهانة حتى أصرّ على أن يضحى فوق الجميع وبات لديه شعورٌ دائمٌ أنه على صوّاب وأن الجميع على خطأ، هذا ما جعله يقول بنبرة غاضبة:

-إياك ومناداتي بالمُتبهنس أيها الخسيس .... أنا أعرف الطريق لكنه سيأخذ بعض الوقت

رفع سبابته بحدة صوّب حكيم الذي زفر بنفاد صبر وبقي يتمتم بكلماتٍ عربية لم يفهمها مارك وهذا كان بصفه لأنه لم يتوّقف عن السُخرية منه.

بعد فترة من الصمت كاد مارك يتحرك مُجددًا في طرقاتٍ عشوائية لا يُدرك ماهيتها لكن حكيم آبى أن يتحرك ويُنفذ تعليمات الآخر، فهما عالقان هنا لأكثر من ساعة ولا يشعر أنهما قريبان حتى من نقطة النهاية.

-لماذا تقف هكذا ؟ .... هيا تحرك، لن نبيت هنا

قالها مارك بنبرة آمرة جعلت الاعتراض يلوح على وجه حكيم وهو يقول بإصرارٍ حمل الكثير من الرجاء:

-تفتأت قدماي يا رجل ..... ألا يوجد حلٌ لهذه المتاهة بدلًا من السير بعشوائية ؟

أخفض مارك عينيه لأسفل وهو يُفكر بحديث حكيم الذي ساعد على تفعيل هالة تفكيره التي لا يعرف لماذا كانت خاملة مُنذ وطأت أقدامه هذا المكان، رفع سبابته ليضعها على شفتيه وتلك الكلمات التي قالها حكيم تتردد في ذهنه .... حلٌ ... متاهة ... طريقة ...و..

توّقفت أفكاره عند هذه النُقطة لتزوره تلك التجارب العلمية والبحوثات التي تتحدث عن المتاهات، وبسبب طبيعته النابغة وشغفه بالعلم والمعرفة، كانت هذه المعلومات متأصلة بجزءٍ كامنٍ في عقله لكنه لم ينساها أبدًا، بل كان يحمد ربه أنه شاهد هذا البرنامج البريطاني الذي تحدث عن المتاهات وطُرقٍ لحلها.

ارتسمت بسمة خافتة مُنتصرة على ثغره رفع معها رأسه لأعلى ليوٌجهها صوٌب حكيم متفوٌهًا بثقة:

-وجدتها .... علِمتُ كيف سنخرج من تلك المتاهة!!

____

صرخة هاجرة أطلقتها غيٌد وهي تنتفض وتنكمش على ميليندا التي لم تختلف عنها ارتعادًا رغم أنها تعلم أن هذا المُجسم الهلوغرامي الأشبه بشخصية شريرة كانت بفيلم الحورية، لم تكن حقيقية رغم قُربها من الحقيقة، وهذه اليد الصغيرة المُتحركة لم تكن سوى لعبة تم تصميمها خصيصًا لإضفاء الرهبة على من يدخل هذا المكان.

أطلقت تلك الشخصية الهلوغرامية قهقهة شيطانية ماكرة وطفقت ترتفع في الهواء حتى تلاشت ولم يبقى من بعدها سوى بعض المؤثرات وأصوات الأزيز التي اخترقت نفوٌسهما.

حاولت غيٌد أن تُهديء من روٌعها وهي تضع يدها على صدرها تحاول التهدئة من أنفاسها قدر الإمكان، هذه ليست أول مرة تدلف فيها منزلًا للرعب، فقد كانت تذهب إليهم بمدينة الملاهي، لكنهم لم يضاهوا منزل الرعب هذا بحداثته ومجسماته الأقرب للحقيقة.

-أجننتي يا فتاة .... من بين جميع الآماكن بهذا المعرض لم تجدي سوى منزل الرعب حتى تُقحميننا إياه!!

قالتها غيٌد بحنقٍ بعد أن هدأت أنفاسها لتقابلها ميليندا بنبرة مُستخفة:

-لمَ أنتِ مُدللة هكذا .... هذه مُجرد أوهامٍ ليست حقيقية .... لا داعي للخوٌف من تلك الأمور الساذجة...

كانت تتراجع للخلف بثقة وهي تتحدث حتى شعرت بيدٍ ثقيلة توُضع على كتفها مع صوٌت هسهسة اخترق أذنها وجعل ميليندا تنتفض مُطلقة لهذه الصرخة العالية المُرتعبة، ثم بدأت تلوٌح بيدها وتبتعد عن تلك البقعة أمام غيٌد التي انفجرت بالضحك على حالتها وفزعها وهي التي كانت تسخر من خوٌفها سابقًا.

بعد برهة من الوقت كانت ميليندا ترمق غيِّد بنظرات حانقة بسبب سُخريتها منها، والأخرى تحاول المحافظة على جديتها بسبب تأزم المؤّقف، وبعد برهة كانت تقول بتقرير:

-لنرحل من هنا قبل أن يتلبسنا فردٌ من الجان

قالتها غيِّد بسخرية وهي تتقهقر للوراء صوّب باب الخروج حتى ترحل ويبحثا عن مكانٍ آخرٍ للهروب بدلًا من منزل الرُعب هذا، لكنها لحظاتٌ وجيزة حتى ارتعدت أوصالهما إثر هذه الأقدام المهرولة التي اختلطت مع أوامر صارمة جعلت عينا غيِّد تجحظان بهلعٍ لتبادل نظراتها مع ميليندا التي أدركت تمامًا أن هناك عناصر من الشُرطة تتبعهما وستقضي عليهما عمَ قريب.

-هذا أكثر رعبًا من منزل الرُعب هذا

قالتها غيِّد بارتعادٍ استشفته ميليندا وهي تجوب بعينيها لتتوّقف حدقتيها عند القطار، الذي يسمونه قطار الرعب، ولأنه الطريقة الوحيدة للنجاة، وجدت يدها تجذب غيِّد صوّب القطار خاصة بعد توّغل عناصر الشُرطة منزل الرعب وعزمهم على العثور على هذان اللصان.

تأكدت غيِّد من وضع القناع على وجهها هي وميليندا وهما يتحركان صوّب القطار ليستقلانه وتضغط ميليندا على المُحرك ليُصدر القطار بعض الأصوات المتداخلة ثم يتحرك على القضبان بسرعة متوّسطة.

تماسكت غيِّد بحافة القطار وهي ترى أمامها جماجم متدلية ومُهرجٌ يتقاطر من فمه الدماء وهو يبتسم لهما بسمة مرعبة ويُحرك حدقتيه صوّبهما مما جعل الدماء تتجمد بعروقها لكنها تتجاهل وتُذكر ذاتها أن هذا وهمٌ ليس إلا.

انتفض جسد الاثنان برعبٍ عند هجوم مجموعة من الخفافيش الهلوجرامية التي لا يوجد لها ملمسٌ لكنها استطاعت إثارة الرعب بقلبيهما كما المُفترض، وما زاد من رعبهما أكثر هي تلك الأعيرة التي بدأت تنطلق وتصوّب باتجاههما ... مباشرة.

انقبضت أوزار ميليندا وهي تخفض جذعها ليلتصق جسدها بأرضية القطار كما فعلت غيِّد التي كانت قاب قوّسينٍ من البكاء، ضربات قلبها تتسارع كالصاروخ

وأنفاسها تتصاعد مع اشتداد حدة الطلقات النارية واكتشافهما أن الضباط قد رأوهما وبدأو يتبعونهما بقطارٍ آخر.

-سينتهي أمرنا .... سينتهي أمرنا...

أخذت غيّد تُردد هذه الكلمات ودموعها تكاد تفارق حدقتيها بينما يداها لا تتوّقفان عن اللطم والندب، أما ميليندا فكان يبدو على وجهها الثقة وهي تقول:

-لا تقلقي .... لن يقتلوا فتاتين عُزل .... أنا أعرف أخلاق الشُرطة الأمريكية

هدأت غيّد قليلًا وقد بدأت تُصدق حديث ميليندا بسبب ثقتها البادية على وجهها، فهي أكثر من يعلم بشعبها، هذا ما جعلها تتوّقف عن الندب وتقول:

-حقًا!!

-بالطبع .... لا تقلقي ... بمجرد أن ترفعي يديكِ لأعلى وتُريهم أنكِ عزلاء .... سيتوّقفوا عن إطلاق الأعيرة فوّرًا

تبعت حديثها بوّثوبها بضع أمتارٍ لترفع يدها بارتباكٍ حمل بعض الثقة في شرطة بلادها، لكن ثقتها قد ذهبت هباءًا حينما انطلقت تلك الرصاصة نحوها وكادت تودي بحياتها لولا انخفاض جسدها على الأرض بسرعة لتواصل الاحتماء من تلك الأعيرة أمام نظرات غيّد التي كانت تستخف بكلماتها السابقة:

-هذه هي الشرطة التي لن تقتل العُزل!!

آحاطت ميليندا وجهها بكلتا يديها مع تصاعد حدة الأعيرة وهي تبرر ما حدث:

-إنهم عنصريون .... وأنا فتاةٌ سوداء

لم تناقشها غيّد واكتفت بالصمت والاحتماء من تلك الأعيرة، كانت تُفكر في مصيرهم وما ستؤول إليه الأمور وكيف سينجوا من هذا الأمر، تذكرت الحروب وأصوات الأعيرة التي كانت تتبادل بشوارع بلدتها وقت الثورة، تشهد أمامها منظر الجُثث المترامية والدماء المتناثرة حتى خشيتٌ أن تتناثر دماءها مثلهم، فلا تعرف إن ماتت الآن، هل سيتم اعتبارها شهيدة أم مُجرد لصة ودخيلة ؟ رغم أنها وافقت على هذا الأمر حتى لا يتم استخدام تلك الأموال بأذية الآخرين، آرادت فقط ألا

تصمت عن الحق وتسمح لهم بإرسال المعونات التي تتسبب بقتل الأبرياء وتشريد الأطفال، وها هي النتيجة، عالقة في قطار الرعب وهناك عناصر من الشُرطة تلاحقها، يالها من نهاية تناسب فتاةٌ ساذجة تجد حياتها تنقلب رأسًا على عقب مرة واحدة.

ابتلعت غيٌد ريقها وحاولت المحافظة على ثباتها وهي ترتفع بجذعها بضع أمتارٍ لأعلى لترى نهاية هذه القُضبان، وما إن أبصرت النهاية حتى برقت عينيها وهالتها بوادر الهلع وهي تعود مجددًا لوضعية الالتصاق بأرضية القطار ولسانها يقول بذعر:

-لا يجب أن نصل إلى النهاية

أنهت الحديث بنبرة متلجلجة مرتعبة قابلتها ميليندا بكلماتٍ ساخرة:

-لماذا ؟ ... هل هي نهاية العالم ؟

-لا ... نهايتنا نحن

هكذا آجابت غيٌد بسرعة وبنبرة جادة جعلت الأخرى ترمقها بخوٌفٍ وتسأل بارتباك:

-ما الذي يعنيه هذا ؟

آجابتها غيٌد وهي لا تزال مرتعدة:

-يوجد المزيد من الضباط بخط النهاية .... يبدو أنهم ينتظروننا

شعرت لوهلة بالفخر لهذا الاستقبال التشريفي الذي يُعده الضباط لهما مع نهاية القُضبان، لكنها تذكرت أن هذا الاستقبال سينتهي بالأصفاد وهي تلتف حوٌل رسغيها مع صوٌرتها التي ستتناقلها الصُحف والمواد الإخبارية.

وكانت ميليندا تكاد تبصق فؤادها من شدة الارتباك والخوف لكنها تحاول التماسك والعثور على حلٍ لتلك المُعضلة، لا يجب أن تتوقف حياتها هنا، لا زالت تريد إحراز المزيد من الإنجازات، لا زالت في بداية حياتها حتى يتم سجنها واتهامها بالسرقة، حسنًا، لن يضحى هذا اتهامًا على أي حال، لكن دوروثي ستتصيٌد لها وتغرقها بنظراتها الشامتة، والدها سيرميها بنظراتِ مخذولة ويُصدق كلمات زوجته

السامة، وهي لن تسمح بهذا أن يحدث، ستعثر على طريقة للنجاة، حتى ولو خسرت حياتها بالمقابل، وحتى ولو كانت هذه الطريقة هي أكثر الطرق جنونًا!!

توّقفت أفكارها عند هذه النُقطة لترفع جذعها عن الأرض وتشاهد ما يحدث أسفل القُضبان، كان القطار يسير على مسافة مرتفعة وحوّلهما الظلام في كل مكان، لكنها تعلم أن هذا المكان قد صُمم خصيصًا من أجل الأطفال، أي يوجد هنا مقومات الأمن والسلام، هذا ما يجعلها مطمئنة من تلك الخطوة التي ستأخذها .... والآن...

-سنقفز من القطر

هكذا انتهت أفكارها بتلك الكلمات التي بدت بسيطة بالنسبة لها، لكن غيّد رمقتها بصدمة وعدم تصديقٍ لهذا الهراء الذي تقوله، لا تعرف حقًا هل أصيبت ميليندا بالجنون بسبب هذه المطاردة أم بسبب بقاءها معهم.

-ماذا !! .... هل تمزحي ؟

هكذا أردفت غيّد بكلماتٍ غيّر مصدقة أكدت عليهم ميليندا:

-لا .... سنقفز من هنا .... لا يوجد حلٌ آخر

ازدادت غيّد ارتعادًا وهي تهتف باعتراض:

-مستحيل ... هذا يُعد انتحارًا

-لكن البقاء يُعد انتحارًا أيضًا .... نحن محاصران .... ثم أنني متأكدة أن هناك إسفنجٌ بالأسفل

لا زال الاعتراض على وجه غيّد لكنها ترى القطار يكاد يصل إلى خط النهاية، والقطار الذي يسير خلفهما يحاصرهما من الجهة الأخرى ويجعل الخيارات محدودة أمامهما، أما الموّت بالأعيرة أو في السجون، أو الموّت بعد هذه القفزة الشاهقة.

ازدادت برودة أطرافها وهي تتلفت حولها بحثًا عن طريقة أخرى لكنها كلما التفتت حوّلها أدركت أن القفز هو الحلّ الوحيد لهذه المُعضلة، أما ميليندا فكانت تُمنى نفسها أن الأمور ستسير على ما يُرام وستمّر هذه العاقبة كما مرّت غيّرها، فقط عليهما أن يتحليًا بالصبر والثقة، هذا ما جعلها تقبض على يد غيّد وتطمئنها بعينيها قبل أن

ترفع كلتاهما جسديهما لأعلى ويصعدا على حافة القطار لتجوب صرخاتهما الأجواء وهما تقفزان .... نحو المجهول!!

-وفقًا لمَ جاء بالبرنامج البريطاني " المتاهة البلورية " ولما قاله العلماء عن نظريات فك الشفرات .... يوجد العديد من الطُرق لحل هذه المتاهة...

قالها مارك بثقة وهو يقف أمام حكيم رافعًا سبابته لأعلى ليواصل الحديث بطريقة علمية:

-الطريقة الأولى ... طريقة " اتُباع الجدار " وهي تتمثل في وضع إحدى اليدين على جدار المتاهة ونبدأ السير وفق هذا الجدار شريطة ألا تتبدل اليدين في المُنتصف والمحافظة على تلاصق يدك بالجدار حتى تخرج من المتاهة .... لكنها ليست فعالة لأن نقطة البداية كانت بالمُنتصف

لاح على حكيم نظرات البلاهة وعدم الفهم وهو يتابع مارك الذي يتحدث بتلك الطريقة العلمية رافعًا إصبعه الأوسط ليشترك مع سبابته وهو يواصل الشرح:

-الطريقة الثانية هي طريقة الكاتب الفرنسي تشارل بيير التي أتت على غرار الحكاية المشهورة " هانسل وجريتل " وهي التي تتمثل في إلقاء فتات الخُبز على الأرض حتى لا نسير بالطريق مرتين وبالتالي ... سنُدرك الطريق التي لم نمرُ به وسنعرف أين هي النهاية .... لكننا لا نملك فتات خبزٍ أو أي شيءٍ نُريد الاستغناء عنه .... لذلك لن نستخدم هذه الطريقة

بدأ يتحرك يمينًا ويسارًا وقد اغتابه الحماس وهو يواصل التفكير حتى توٌقف مرة واحدة بعد أن لمُعت في ذهنه إحدى الأفكار:

-لا يوجد سوى طريقة هيليير .... وهذه الطريقة تتمثل في العلاقة بين المكان ومدى سهولة الوصول إليه عن طريق تقييم المؤشرات البيئية حسب مقياسٍ يتراوح من صفر إلى عشرة ... المناطق التي تزداد بها درجة الحرارة، تُشبه المجمعات السكانية المُزدحمة، أي أنها تعني أننا بمُنتصف المتاهة .... والمناطق التي تقل بها درجة الحرارة .... تعني أننا في طريقنا نحو الحرية

أنهى الحديث بكلماتٍ متلهفة تجاهل معها نظرات حكيم البلهاء وعدم فهمه لتلك المصطلحات العلمية التي يستخدمها مارك في حديثه، بينما كان الآخر يُخرج هاتفه الجوال على برنامج قياس الحرارة ثم يُقدر المؤشرات البيئية التي وصلت إلى ثمانية، أي أنهم في جوّف المتاهة، بدأ يتحرك بعدها صوّب إحدى الممرات وقدماه يتحركان بثقة بينما كانت عيناه تحدقان بالهاتف لمتابعة المؤشرات البيئية، فكلما وجدها تزداد أدرك أنهما يتجهان نحو المنتصف أو إلى بقعة مسدودة، وكلما تقل المؤشرات يُدرك أنهما في طريقهما للنهاية.

وكان حكيم يتابعه بجهلٍ لمَ يفعل لكنه يمُني نفسه أن هذه الطريقة ستُجدي نفعًا وستساعدهما على التحرر من هنا، أخذ مارك يتحرك يمينًا ويسارًا، إلى الأمام وتارة إلى الخلف حتى وجد المؤشرات تنحدر إلى واحد، وقتها ارتسمت بسمة واسعة على ثغره وطفق يتحرك باتجاه المؤشرات المنحدرة حتى....

نعم فعلاها .... فعلاها ووصلا أخيرًا إلى خط النهاية!!

اتسعت بسمة حكيم وهو يضرب بقدمه على الأرض رافعًا قبضته لأعلى وأسفل وهو يُعرب عن انتصارهما على تلك المتاهة اللعينة، بينما كان مارك يُعيد الجوال إلى جيبه مع ابتسامة متفاخرة تُرتسم على ثغره لأنه السبب بخروجهما من هذا المكان، كما كان السبب بإقحامهما إياه من البداية.

ما هي إلا برهة وجيزة حتى عادا إلى أرض الواقع حينما استمعا إلى صوّت الضباط يُعلن ناقوس الخطر، وقتها لاحت الجدية على وجه مارك وهو يقول:

-بسرعة .... علينا الذهاب إلى المعمل

تبع الحديث بهرولة سريعة صوّب حُجرة المعمل التي يعرفها عن ظهر قلب، صعد الدرجات بقلبٍ وجلٍ بينما كان حكيم يتبعه ويسبقه بحركاته السريعة ورغبته الجامحة بالانتهاء من هذه المُعضلة، حسنًا كان يعتبرها مغامرة بسيطة كما سبق لكنه هبط على أرض الواقع حينما أدرك أن تلك المغامرة قد تؤدي بحياته.

وصلا أخيرًا إلى باب المعمل ليتوقف مارك عن السير ويبدأ العبث بجعبته متفوهًا:

-إنتظر .. سأ_

وما كاد يواصل الحديث حتى وجد حكيم يُطلق صيحة عالية من فمه وهو يندفع بجسده كالسيل الجارف صوّب الباب الذي حطمه بجسده الرياضي وعضلاته التي يقضي أيامًا بصالة الرياضة من أجل بنائهم.

ارتمى حكيم على الأرض بسبب حدة اندفاعه التي جعلت باب المعمل يُفتح على مصراعيه، طفق يرفع جسده ويُهندم من ملابسه وهو يوجه كلماته صوّب مارك الذي بدا مصدومًا مما فعله حكيم.

-لا يوجد وقتٌ لاستخدام النظريات العلمية لفتح الباب أيها العالم الجليل ... فأحيانًا نُجبر على استخدام العضلات

قالها وهو يستعرض عضلاته أمام مارك الذي رمقه ببلاهة وكانت يداه ترفع أحد المفاتيح وهو يقول:

-لكنني كُنت سأقول أنني أملك المفتاح

رمقه حكيم ببعض الحرج لوهلة بعد أن ظنٌ أن مارك سيستخدم العلم والنظريات مُجددًا لفتح الباب، على الرغم من أن الأمر أكثر بساطة من خياله الواسع، لكنه تجاهل الأمر وبدأ يعدو داخل الحُجرة وخلفه مارك يُمشط المكان بعينيه يتذكر تلك الأيام التي قضاها بهذا المعمل يعمل على جهازه الذي فنى حياته بصُنعه هو وبقية الأجهزة الصغيرة التي يتم استخدامها بالمعمل، يتذكر مشاجراته الدائمة مع ميليندا واليوم الذي تقابلوا به لأول مرة، كان هذا المعمل بداية حكايتهم، والآن سيضحى نهايتها.

بدأ يتلمس الجهاز بيديه ويحُسس عليه كما لو أنه يُحسس على طفلٍ رضيع يخشى أن يبكي، كان غارقًا في أحلامه وطموحاته وكيف كان يحيا طفولته على أمل أن يبني هذا الجهاز ويستطيع الهرب من ذاك العالم القاسي، يتذكر تلك الرسومات البيانية التي يخطها بالجير بجدار تلك الحجرة المُظلمة التي شهدت على عذابه وأنينه، كان هذا الجهاز هو السبب في بقاءه على قيْد الحياة حتى هذه اللحظة، فكلما ضاقت به الأهوال، واشتد عذابه، يمُني نفسه أنه في يومٍ ما سيذهب إلى عالمٍ آخرٍ يختفي فيه عن هذا العالم، عالمٍ ورديٍ بديعٍ كان يشاهده بالقصص والحكايات، الآن هذا العالم

الوردي سيضحى سببًا في عذاب العديد من الأرواح البريئة، حلمه الجميل سيضحى كابوسًا بالنسبة لأطفالٍ تستيقظ يوميًا على أصوات النواح والانفجارات.

آفاق من شروده على صوّت حكيم وهو يحمل المجرار ويُقربه نحو مارك متسائلًا:

-ما رأيك أن نضع الجهاز هنا ؟

أومأ مارك إيجابًا وبدأ يقترب من جهازه بحذرٍ ثم يرفعه عن الأرض بضع أمتارٍ ليضعه فوّق هذا المجرار الذي قام حكيم بدفعه صوّب الباب خروجًا من المعمل، كان مارك يتبعه نحو الخارج لكنه توّقف مرة واحدة ليلتفت حوله صوّب الأوراق والأبحاث المتناثرة على الأرض وفوق الطاولة.

-انتظر

قالها بتنبيهٍ حتى يتوّقف حكيم عن السيّر ويلتفت صوّب مارك الذي أحنى ظهره وبدأ يجمع هذه الأوراق ويضعها ببقعة واحدة ثم يلتفت صوّب حكيم الذي يطالعه بغرابة ويستمع إلى سؤاله:

-أمعك قداحة ؟

قطب حكيم حاجبيه بغرابة وهو يسأل:

-لا ... أنا لا أدخن .... لكنني أملك كبريتًا ..... كنت آملٌ أن نحتفل بعد هذه الكارثة فابتعته وأنا أبتاع الأقنعة حتى نستخدمه في إشعال الصواريخ

لم يُعلق مارك على أفكار الآخر الصبيانية واكتفى بمدٌ يده نحو حكيم ليلتفط منه الكبريت ويُشعل عود الثقاب الذي أنار الحجرة المظلمة لوهلة قبل أن يُلقيه على حفنة الأوراق حتى تحترق ولا يعثر أحدهم على طريقة بناء هذا الجهاز، ليس من أجل السرقة العلمية فقط، لكنه يعلم أن باختراعٍ جهازٍ كهذا، ستزداد الأموال التي تدلف هذه الشركة، وستزداد المعونات لهذه الدولة المزعومة.

بقي واثبًا أمام الأوراق يشاهدها وهي تحترق وتتحوّل إلى حفنة من الرماد يتذكر الليالي التي قضاهًا بين البحوث والكتب العلمية، يعلم أنه لم يترك جميع البحوث هنا

وأبقى أهمهم في منزله، لكنه لا يزال يشعر بغصة مريرة تعتلي حلقه وهو يُدمر انجازاته بيديه، فلو كانت هذه الإنجازات سببًا بتعاسة الآخرين، فتبًا لهذه الإنجازات.

تقهقر مارك إلى الوراء ثم بدأ يعدو خارج الحجرة رفقة حكيم الذي يجذب المجرار والجهاز، ولم ينتبه أي منهما لتلك النيران التي التهمت الأوراق وبدأت تعدو صوّب الستائر تستعد لالتهام المعمل بأكمله وربما المعرض أيضًا...!!

يهرول حكيم بتلك الرُدهة وأنفاسه تتصاعد في هلع، فما إن وطأت أقدامهما خارج المعمل حتى زادت أصوات الضباط وبدأت تنطلق الأعيرة النارية لتلفح الأجواء وتُصيبهما بهالة من الخوّف والرعب، ازدادت معاني الارتباك على وجه حكيم وهو يتلفت حوّله بحثًا عن طريقة أخرى للنجاة بدلًا من الهرولة التى لا فائدة تُرجى منها، كانا يسيران بمحاذاة سورٍ عريض يفصل ما بين الطابق الأول والأرضي، وهناك شجرة كبيرة تُشبه أشجار الأدغال بفروعها المتشعبة ولونها البُني الداكن، وضع حكيم يده على حافة السور ليرمق المزيد من أجواء الغابات التي من المفترض أنها ساحة استعراضية لرجلٍ الأدغال الوهمي الذي يوهم الأطفال أنه الأسطورة " ترازان"

-سأمسك بهذا الحبل وأقفز من هنا إلى الجهة الأخرى لأومن لك الطريق ... اتفقنا

بصق حكيم تلك الكلمات المتسرعة التي كان يتلوها بطريقة بسيطة كما لو أنه فتًا خارقًا يستطيع القفز من تلك المسافة الشاهقة إلى الجهة الأخرى دون أن يتضرر، والأضهى أن البقعة بالأسفل ليست اسفنجية حتى تمنعه من الإصابة، لكن الآخر لا يزال متأثرًا بأفلام الرسوم المتحركة التي اخترقها وكان بها يقفز ويتطاير من مسافاتٍ عالية دون أن يتأذى قيّد أنملة، وكان مارك يُدرك ذلك ويُريد أن ينبه حكيم قبل أن يزداد تهوّرًا:

-حكيم لا تفعل ذلك نحن لسنا في_

وما كاد يواصل جملته التحذيرية حتى وجد الآخر يُنفذ كلماته ويقف على السور ليتمسك بالحبل جيدًا ويقفز من تلك المسافة لكن يداه تنزلقان ويقع على تلك الأرضية الصلبة دون أن ينتقل إلى الجهة الأخرى كما تخيّل.

صدح صوت صراخ حكيم المتألم وصوّت تحطم المجسمات مما جعل مارك يُغلق عينيه ويُجعد وجهه وهو يواصل جملته المعلقة:

-الرسوم المتحركة...

____

شهقة قوية أطلقتها كاتي وهي تندفع بجسدها على الأرض بسبب سامي الذي لمح إحدى الأعيرة تتجه نحوها وقرر أن يفديها بروّحه كما فعل أكثر من مرة، فما إن آفاقت من هوّل الصدمة حتى وجدته متسطحًا أمامها يئن من الوجع ويداه تتلمس ظهره الذي أصيب بتلك الرصاصة.

-سام ... هل أنت بخير ؟

سألته بقلقٍ ودموعٍ تكاد تُذرف من عينيها، لكنها تجده يقاوم الألم ويعتدل في جلسته متفوّهًا:

-أنا بخير ... هيا بنا

ساعدته على الوثوب عن الأرض رغم ألمه الذي يشعر به إثر هذه الضربة، صحيحٌ أنها ليست رصاصة حقيقية_ولو كانت حقيقية لأردته صريعًا_ لكنها لازالت تجعله يشعر بألمٍ حارقٍ بظهره وربما كان يجب عليه ارتداء تلك السُترات الواقية قبل بدء هذه المعركة الوهمية في مدينة الحلوى.

جذب سامي يد كاتي وواصل كلاهما الهرولة صوّب باب الخروج عازمان على البحث عن الآخرين وسرقة الجهاز بسرعة قبل أن تحاصرهما الشرطة وتُلقي القبض عليهم، بقيا يهرولان داخل ممرات المعمل متجاهلان هذه الأصوات الحادة الآمرة وتلك الرائحة الغريبة التي بدأت تعبق بالأجواء وتجعلك تعتقد أن هناك شيئًا يحترق .... أو هو هكذا بالفعل!!

قطع هرولتهما صوّت ميليندا وهي تعدو نحوهما جاذبة معها غيّد التي لا زالت تتعافى من صدمتها بعد أن قفزت من تلك المسافة الشاهقة واصطدم جسدها بمجموعة من مكعبات الإسفنجية التي ساعدتهما على النجاة، فبعد أن تحررا من

المكعبات الاسفنجية استطاعا العثور على معبرٍ للخروج عن طريق بوابة العُمال، ثم بدأا الهرولة مجددًا حتى قابلتا كاتي وسامي بطريقهما.

-أين مارك وحكيم ؟

سأل سامي ببعض القلق حينما تأكد من سلامة غيّد وميليندا وبدأ يعثر على بقيتهم حتى ينتهوا من تلك المهمة ويعودوا إلى منازلهم سالمين، أو شبه سالمين على الأقل، وما إن أنهى كلماته حتى استمعوا إلى صوّت مارك وهو يجذب الجهاز أعلى المجرار وحكيم جواره يعرج على قدمه ويتأوه في صمت.

ما إن رأوا هيئة حكيم حتى باشرت غيّد بسؤالها القلق:

-ماذا حدث ؟

كاد يُجيبها حكيم لكن مارك قطع إجابته بلكنة ساخرة:

-كان يظن نفسه رجل أدغال

رمقه حكيم بنظراتٍ حانقة آراد معها لكمه لكنه لم يقدر على ذلك بسبب شعوره بالألم، بل بسبب هذه الطلقات النارية التي اخترقت الأجواء مع تلك الأدخنة التي تصاعدت مرة واحدة وبدأ يظهر معها شعلاتٌ نارية تزامنت مع أصوات الإنذارات وهرولة الضباط خلفهم، وصوّب الخارج.

-ما الذي يحدث هنا ؟

شُحب وجه مارك وأدرك أنه ربما يضحى السبب فيما حدث، لكنه مع ذلك آبى الحديث واكتفى بالصمت ومحاولة العثور على طريقة للهروب، تزامنت أفكاره مع صوّت سرينة عالية تُصدر بالقُرب من آذانهم، جعلت غيّد تسأل بذعر:

-هل هذه سيارات الشُرطة ؟

-لا هذه سيارات الإطفاء .... المعمل يحترق

قالتها ميليندا بهلع طفقت معه تهرول صوّب باب الخروج مع زيادة حدة الهرج والمرج ومحاولة الشُرطة للفرار من هذه النيران بدلًا من العثور على اللصوص، فما هي إلا برهة وجيزة حتى انتشرت النيران وازدادت حدة الأدخنة حتى كادت

أنفاسهم تختنق، فكانت كاتي تسعل بحدة وتلوِّح بيدها كما تفعل ميليندا، وغيِّد تتحرك ولا تتوَّقف عن الدعاء والابتهال وسامي يحتفظ بنظراته الحادة وهو يقودهم من الخلف يأمل أن ينتهي هذا الكابوس بأية طريقة، لكنه يهبط بقسوة على أرض الواقع حينما بصر بعينيه تمثالٌ كبيرٌ التهمته الشعلات النارية وجعلت عواميده تتلاشى ليهبط عليهم وكأنهم وجبة دسمة يسعى لالتهامها.

-إحــــذروا...!!

صرخ سامي بتلك الكلمات وهو يدفعهم بسرعة صوِّب باب الخروج بينما شهق الجميع وهم يرون هذا التمثال يسقط بجوارهم مُخلفًا وراءه المزيد من الدمار، يقسموا في هذه اللحظة أنهم أتوا فقط لسرقة المعمل وليس لتدميره، لكن يبدو أن للقدر رأيٌ آخر.

أخبرهم سامي أن ينزعوا الأقنعة ويتحركوا بين الضُباط ليتخفوا حتى لا يُثيروا الشُبهات؛ نفذ الجميع حديثه وبقيوا يهرولون خلف مارك الذي كان يدفع الجهاز صوِّب سور الحديقة حتى قطعه واحدٌ من عناصر الشُرطة وعلى وجهه الجمود:

-من سمح لكم بالدخول إلى هنا ؟ .... أين هي بطاقاتكم ؟

ازدرد مارك ريقة وهو يعتدل في وقفته متفوِّهًا بنبرة مرتبكة حاول صبغها بالثقة:

-أنااا ... أنا العالم مارك جيفرسون .... أعمل هنا مهندسًا للالكترونيات وخبيرًا بالذكاء الإصطناعي ... و ... وهذه ميليندا مساعدتي، وهؤلاء طلبتهم اليوم لمساعدتي .... فكما تعلم .... كنت أعمل على الجهاز وعندما استمعتُ إلى الإنذارات قررتُ أن آخذه معي حتى لا يتدمر

بدت كلماته مقنعة أمام الضابط الذي مدٌ يده ليلتقط بطاقة الهوية الخاصة بمارك والتي أكدت على كوِّنه موِّظفًا بهذا المعمل، طفق بعدها يتفحص أصدقائه وحالة حكيم المزرية التي استنتج أنها بسبب ما يحدث داخل المعمل لا بسبب رغبته بتقليد رجل الأدغال أثناء هروبه من الشرطة.

-جاءنا بلاغٌ بوجود مجموعة من اللصوص هنا ؟ .... هل رأيتم أحدهم ؟

سألهم الضابط بعد فترة من الصمت والتمشيط لينفي الجميع برؤوسهم ويتدخل سامي ليقول بثقة:

-لا سيدي ... كان الظلام دامسًا

قالها وهو يخفي القناع خلف ظهره كما فعل البقية وهم يؤكدون أنهم لم يروا اللصوص دون أن يُظهروا أمام الضابط أنهم كانوا اللصوص الذين يبحثون عنهم.

أومأ الضابط بصرامة بعد أن صدق حديثهم وأفسح لهم المجال حتى يهربوا من المعمل الذي تآكل تمامًا بسبب هذه النيران لكن لحسن الحظ أنه لا يوجد أي إصاباتٍ بليغة، فقد فرّ الضباط قبل أن يطولهم أي أذى، كذلك فرّ هذا السداسي الأشبه بتشكيلٍ عصابي بعد أن استطاعوا انتشال الجهاز ووضعه بالسيارة انطلاقًا إلى وجهة مرادة، وهذا المرة ... للاحتفال.

تضاربت كؤوس المشروبات الغازية داخل منزل ميليندا في خِضم تلك الليلة المُعتمة وهذا اليوم الطويل الذي تكلل بالنجاح والانتصار، فها قد انتصروا أخيرًا على آخر معاركهم واستطاعوا ببسالة أن ينقذوا الجهاز من بطش المعتدين، ذهبوا إلى منزل ميليندا مباشرة ليحتفلوا كما أقنعهم حكيم ولكي يتركوا الجهاز في مكانٍ آمنٍ لفترة مؤقتة حتى يرى مارك ما الذي سيضحى مصيره، فهو لن يُدمر انجازه الذي فنى حياته من أجله.

هلل الجميع بسعادة ليرتشفوا من مشروباتهم الغازية لتنتشر قهقهاتهم ومزحاتهم حينما يتذكروا تلك المغامرة الشيُقة وكيف نجو منها بأعجوبة، فكانت ميليندا تتحدث عمَ فعلاه بمنزل الرُعب وتُضيف غيّد على حديثها، وحكيم يُخبرهم بمغامرته بتلك المتاهة ليتدخل مارك بطبيعته المتعالية التي أخبرهم بها كيف استخدم ذكاءه ونظرياته العلمية للنجاة دون أن يتطرق إلى تسببه بذاك الحريق رغم خوٌفه من تعثر حكيم واخبارهم بالحقيقة، لا يعلم أن حكيم لم يربط بين المستندات التي حرقها مارك والحريق الذي نشب في المعرض.

وبعد فترة من الأحاديث المتبادلة سألت غيّد بقلق:

-أتعقدوا أنهم سيعثرون علينا ؟

آجابها مارك بنبرة واثقة وهو يجلس أمام طاولة البهو:

-لا تقلقي يا فتاة .... الأقنعة ساعدت على عدم كشفنا

همهمت غيّد باقتناعٍ تذكرت معه تلك الأقنعة التي أحضرها حكيم وأجبرهم على ارتداءها، الأمر الذي جعلها تهتف بسُخرية:

-معك حقًا .... سيُلقوا القبض على توم هولاند

أنهت حديثها وهي تتذكر قناع الرجل العنكبوت الذي كانت ترتديه والذي سيجعل الضباط ينفجرون بالضحك وهم يبحثون عن ذاك التشكيل العصابي الذي يتكوّن من مجموعة من المُهرجين.

-دعونا ننسى هذه الأيام .... لا أريد لحياتي أن تستمر بين المطاردات والمؤامرات

قالها سامي بنبرة حكيمة مُقررة جعلتهم يؤكدون على حديثه عازمين على مواصلة ما تبقى من حياتهم في رخاءٍ وسلام، لا مزيد من الهروب، لا مزيد من الخطط والمهام، والأهم من ذلك، لا مزيد من الكوارث، يكفي ما حدث بحياتهم مُنذ بداية تعارفهم.

كانت حياتهم في البداية داخل عالم الأطفال، والآن أصبحت من أجل عالم الأطفال، من أجل أن يحيا الأطفال في سلامٍ ورخاء، يحيوا حياةً هادئة تساهم في جعلهم نماذج يُحتذى بها، رغم أن حياتهم لم تكن بهذه السهولة، فكلٌ منهم قد عانى بطفولته خاصة مارك الذي كان سببًا بصناعة هذا الجهاز، وميليندا التي صدقته وشاركته مُتذكرة حياتها البائسة وزوجة والدها الماكرة، وكاتي التي قضت حياتها وحيدة لا تعرف عائلتها حتى وهبت حياتها للأطفال حتى تمنع عنهم الشعور بالوحدة، أما سامي فكانت معاناته تتمثل في صعوبة العثور على الذات، حتى وجدها بينهم، وبينها هي تحديدًا.

-يناسبك دوّر القائد

قطعت كاتي شروده بتلك الكلمات الهائمة مع هذه البسمة الساحرة التي جعلته يستدير نحوها متأملًا عينيها وهاتفًا ببسمة عابثة:

-قائد !! .... وهل توجد عصابة حتى أضحى قائدها .... نحن مجموعة من السُذج ألا تري ما يفعله حكيم

أنهى الحديث بنبرة ساخرة آشار معها على حكيم الذي كان يضع محرمًا على فمه لينفث عليه الهواء لعله سيُحلق عاليًا، وكانت غيّد أمامه تُقلد حركاته الصبيانية وتتسابق معه على من سيستطيع أن يجعل المحرم يُحلق في الهواء، الأمر الذي جعل كاتي تُقهقه بسُخرية وتلتفت صوّب سامي متفوّهة بصدق:

-معك حق .... ربما نضحى مجموعة من السُذج .... لكننا أصدقاءٌ جيدون، رغم اختلافنا التام

أومأ سامي إيجابًا ليخطو خطوة جوارها ثم يُحيطها بذراعه متفوّهًا بمشاكسة:

-وماذا عن ذاك العاشق الولهان الذي يكاد يذوب من قلة الاعتناء ؟

تبسمت بحرجٍ وهي تستدير بوجهها جهة اليمين حتى لا يرى وجهها الأحمر:

-ومن هو ذاك العاشق الولهان ؟

كانت تحاصره بأسئلتها حتى يخضع لها ويكُف عن طريقته الملتوية بالحديث، فحتى شجنه ورومانسيته تتلطخ بالالتواء والغموض.

اتسعت بسمة سامي وهو يقابل كلماتها رافضًا الانصياع والتحدث بطريقة مباشرة:

-رجلٌ ظنٌ أنه تائهٌ بهذا العالم ... ليُدرك في النهاية أنه تائهٌ في جمالكِ

زادت كلماته الحانية من شعورها بالحرج وباتت تُريد الاختباء من نظراته العابثة، وكان الآخر يستمتع برؤية حرجها بل ويراها أكثر جاذبية حتى، وبعد فترة وجيزة من الصمت كان يقول ببعض الاستنتاج:

-أتعرفي شبيهتكِ من الأميرات ؟

قطبت حاجبيها بغرابة من سؤاله لترفع نظراتها نحوه متسائلة:

-من هي ؟

-أميرة البُرج

هكذا آجابها بثقة واختصار مما جعل الحيرة تكتنفها أكثر لتبدأ التفكير بحديثه ولماذا شبهها بأميرة البُرج تحديدًا، وهو لم يستمع حتى لسؤالها وبقي غارقًا في ملامحها البريئة وهو يفسر:

-عاشت حياتها وحيدة، ليس لديها أصدقاء .... حتى صديقتها اتضح أنها حرباءة .... فتاةٌ هشة، فريدة من نوّعها، لا أحد يعلم أنها ذكية، لكنها كذلك .... وشجاعة أيضًا .... لديها حُلمٌ وحيدٌ تحيا من أجله ..... لم تستطع تحقيقه إلا عند مقابلتها لهذا السارق الهارب من العدالة

اتسعت بسمتها وهي تتأمل كلماته وتربط ما بينها وبين حياتها، فلطالما عاشت فتاةً وحيدة، لا أصدقاء لها، ومن تصادقهم يتضح أنهم حرباوات، مجموعة من الماكرون، تسعى دائمًا لنشر السعادة على الوجوه والتحرر من وحدتها، ولم تفعل ذلك إلا بعد أن قابلت...

توّقفت أفكارها عند هذه النقطة لتلتفت له وهي تقول باستنتاج:

-مهلًا ... هل هذا يعني أنك ذاك السارق الهارب من العدالة ؟

ابتسم لها بسمة شغوفة مؤكدة حاول معها أن يُذكرها أنه بالفعل كان سارقًا وهاربًا في دولة أجنبية، يُذكرها أنها سبب توّبته وأن بدونها كان سيواصل دعسه على الآخرين دون الاهتمام بمشاعرهم.

ضمها أكثر نحو صدره عازمًا على إقحامها داخل قفصه الصدري لتشارك فؤاده في مرقده وربما تستبدله بوّجودها، فهي التي آعادت نبضاته إلى الحياة، وهي التي آعادت إنسانيته بعد أن هدرها من أجل المكانة والأموال.

-نعم .... أنا هو هذا السارق .... وأنا هوذاك الهارب من العدالة والذي وجد ملجأه بلقياكِ....

وفي بقعة أخرى، كان مارك يجلس على الطاولة يتناول من الكعك المحلّى المغمور بالكريمة المخفوقة، وميليندا تجلس بجواره ترتشف من مشروبها الغازي وتسأله ببعض القلق:

-ما الذي سنفعله بالخطوة القادمة ؟.... لا يجب أن نبقى هنا بعد ما حدث

وضع مارك الشوكة على الصحن وطفق يُجيبها بثقة:

-لا تقلقي ... عثرت على شركة للاختراعات والذكاء الاصطناعي بأيرلاندا ..... أرسلت لهما سيرتنا وأخبرونني أنهم فخورون لتوّظيفنا .... أي سنسافر كلانا بعد غد

تفاجأت ميليندا من حديثه الذي جمعها رغم ظنها بأنه سيُفر من تلك الدولة ولن يُفكر بها:

-حقًا !! ... هل أرسلت لهم أوراقي أيضًا ؟ .... لماذا لم تُخبرني ؟

حسنًا، كانت تُريد أن تسأله لماذا يُفكر بها وبسلامتها، لكن لسانها الغبي جعلها تتلو هذه الكلمات وبتلك الطريقة الحادة التي واجهها مارك بهدوء:

-وجدت الإعلان بالأمس، لم أجد ما يكفي من الوقت لإخباركِ خاصة أن مهمتنا كانت باليوم التالي ..... ثم أنني لن أتركك هنا تنالين العقاب وحدكِ

باتت كلماته مندفعة رغم نبرة الأهمية التي لطخت حديثه، نعم، هو يهتم لأجلها ولسلامتها ولا يعرف كيف يُخبرها بذلك، هذه الأحاديث لا تناسب طبيعته الجافة، حتى أنه شعر ببعض الحرج من تلك الكلمات التي أبدت اهتمامه بها وجعلتها تُحدق به بعدم تصديق وتلوذ بالصمت لفترة حتى عدّل هو من كلماته بكذب:

-لن أتركِكِ تعاقبين بسببي ... فهذا الجهاز أنا الذي اخترعته

همهمت ميليندا بتفهمٍ رغم نظرات الشك التي انبثقت من عينيها اتجاهه، لكنها تعلم أن مارك لن يلين بهذه السهولة ولن يجعل مشاعره واضحة للعيان، لا يزال يعاني من ويلات هذا الأمر وهي تعرف جيدًا أن ما عاناه بحياته ساعد على تكوّين تلك الشخصية الجافة الخالية من المشاعر.

بعد بُرهة من الصمت، اعتدلت ميليندا في جلستها لتضع كأس المشروب الفارغ على الطاولة وتضم قبضتيها باهتمامٍ سألت معه:

-مارك ... هل يُمكن أن أسألك سؤالًا ؟

آجابها مارك بنبرة مُضجرة:

-أنتِ بالفعل سألتي

تجاهلت ميليندا ضجره وواصلت سؤالها بفضول:

-لو عادت والدتك وطلبت السماح .... هل ستسامحها ؟

توّقف الطعام بحلقه وهو يستقبل سؤالها الذي آعاد عليه سيلًا جارفًا من الذكريات الأليمة التي تسببت والدته بها، آعادت عليه طفولته المظلمة وتعرضه للعنف والتوبيخ والاعتداء، وجد يداه ترتجفان ونظراته تدور في كل مكانٍ بحثًا عن مهربٍ من ذاك السؤال، فكيف له أن يسامح من تسبب بتدمير حياته ؟

-وهل ستسامحي زوّجة أبيكِ إذا فعلت الشيء ذاته ؟

هكذا سألها بعد أن قرر أن يُجيب السؤال بسؤالٍ آخر لعله يستطيع الهرب من إجابة لا يعرفها، ظنٌ أنها سترتبك وتتلجلج مثلما حدث معه لكنه تفاجأ من نظراتها التي أبعدتها عن عينيه وإجابتها التي بدت واثقة:

-نعم ... سأسامحها، ليس لأن السماح من الصفات النبيلة .... لكن لأنني لم أعُد أفكر بالماضي .... وفي جميع الأحوال، زوجة أبي لا تعني لي شيئًا .... أي معاملتها السيئة معي، لا تؤثر بي بتاتًا الآن ... لم أكن أتوّقع منها معاملة جيدة على أي حال

أومأ مارك بموافقة على حديثها وكانت الكلمات تخرج بثقلٍ من جوّفه وهو يقول:

-معكِ حق ... هي مُجرد زوّجة أبيكِ، لا يربطكِ بها رابطة دمِ حتى، لذلك آذاها ليس قاسيًا كآذية الآقارب...

بدأت ميليندا تشعر بالندم بسبب سؤالها الذي جعل مارك على شفا جرفٍ من الانهيار رغم تماسكه الواضح، حيث كان يواصل الحديث بنبرة منكسرة جعلتها ترمقه بضيقٍ

واصفة حالها بالغبية، فهي للتو عبثت بجرحه وذكّرته أنه تألم من أكثر شخصٍ كان بحاجة لحنانه.

-لو سألتني ذاك السؤال بالعام الماضي، لثُرت وأجبتكِ أنني لن أسامحها أبدًا، فبسببها باتت الكوابيس تلازمني وتطاردني طوال الوقت .... لكن الآن، أدركتُ أن الضغينة هي ما تجعل جرحي أكثر التهابًا .... لا أخبركِ أنني نسيتٌ الماضي، فنحن لا ننسى سوى الأشياء المُهمة التي لا نُريد نسيانها .... أما ما نُريد نسيانه، يبقى عالقًا بذاكرتنا مهما مرّت السنوات...

سرق نفسًا عميقًا ثم أطلقه وهو يواصل بنبرة عميقة وكأنه يتحدث بفؤاده وبكلماتٍ آملة:

-أما الآن...إذا عادت .... أقسم أنني سأستمع إليها، وربما أرتمي بأحضانها أيضًا .... سأخبرها أنني سأتناسى ما فعلت، وسأسمح لها بممارسة دوّرها كأم لأنها لم تفعل سابقًا .... لكن...

توّقف عن الحديث ليسبل بعينيه لأسفل حتى تقاطر الحُزن من عينيه وهو يواصل بنبرة أليمة:

-لكنها لن تعود .... ولا أعتقد أنها تُفكر بي حتى

تهاوت حصونه في تلك اللحظة ولم يعُد قادرًا على الصمود، فكان الانكسار واضحًا على نظراته والخذلان يتقاطر من عينيه، فهو لوهلة تخيّلها تعود إليه نادمة تترجاه بأن يسامحها وينسى ما فعلته به، يتخيلها وهي تحتضنه وتُخبره كم أنها آسفة وأنها تُحبه، لكنه يعرف أنها لن تفعل ذلك، ولا تتذكره حتى، حطمته وهربت بلا رجعة.

كسرت ميليندا حاجز الصمت بينهما بكلماتٍ مُشجعة صادقة:

-عفوًا مارك .... لكن والدتكِ امرأة غبية

رفع عينيه نحوها ليرمقها بحدة على نعتها لوالدته بالغبية، رغم أنه يعلم أن والدته أكثر من ذلك، لكن ما فاجئه حقًا، هو ما قالته ميليندا بعد ذلك والذي كان:

-ليس لأنها تسببت بمعاناةٍ طفلٍ صغيرٍ وساعدت على تشويه فطرته .... بل لأنها ...

حدقت جيدًا بعينيه حتى تخترق كلماتها المُحفزة الصادقة صدره:

-لأنها لم تُدرك روٌعة ما أنجبت....

أما عند الثنائي الثالث، فكانت غيٌد تتجوٌل في البهو رفقة حكيم الذي لم يتوٌقف عن الحديث عن منزلهما وكيف سيحيا في سعادة ورخاءٍ بعد أن يعود معها إلى مصر متناسيًا أنها ستعود إلى دوٌلتها سوريا وستبقى هناك حتى يزفها ويعقد قرانه عليها ثم يأخذها إلى مصر ليُقيم لها زفافًا آخرًا أكبر من زفافها الذي سيُقيمه في سوريا رغم اعتراضها على كل هذا البزخ، فهي ستكتفي بزفافٍ صغيرٍ على ضفاف النيل أو شاطيء البحر، لا يهمها العيش في القصور أو المجمعات السكنية الراقية، يهمها فقط أن تحيا حياةً هادئة بسيطة لا تشوبها شائبة.

- بكفي حكي عن العرس بقى .... لك راح نتزوٌج وانت لا شغلة ولا مشغلة

كانت تقصد وظيفة حكيم التي لا تُعد وظيفة من الأساس، فرغم أنه تخرج من كلية الحقوق بمجموعٍ مرتفع، ومن جامعة خاصة حديثه، إلا أنه لا يعمل بشهادته الجامعية ويكتفي بتلك المقاطع التي ينشرها ويقتات منها، الأمر الذي لا يُعجبها البتة، فما الذي ستقوله لعائلتها حينما يسألونها عن وظيفة زوجها ؟

-ومين قالِك يعني إني مش بشتغل ؟ .... إنتِ عارفة أنا عندي كام فلوٌار ؟

أغلقت غيٌد عينيها بنفاد صبرٍ من ذاك الحديث الذي يدوٌر بينهما دائمًا، فهي لا تنفك تُخبره أن هذه ليست وظيفة ثابتة قادرة على مساعدتهما على العيش برخاء، ولا يجب أن يعتمدا على تلك الأموال الخاصة بوالد حكيم بعد أن يستقران في منزلٍ واحد.

-لك شو دخلني أنا بفانزاتك .... أنا عم قولك إنه هاي مو وظيفة .... حكيم فكر شوي بمستقبلنا، ما بيصير تضل تاخد مصروف من بيَك

تنهد حكيم باستسلام لحديثها المُتكرر وبات بالفعل يُفكر بمستقبلهما، يعرف تمام المعرفة أنها على حق، وأن عليه أن يتحمل المسؤولية، هو قد تحملها بالفعل بعد هذه

المغامرة، تحمل هذه المطاردات والكوارث التي لا تنتهي وآخرهم هذه الكارثة التي كادت توّدي بحياته، تيقن أخيرًا أن حديثها صائبًا، يجب أن يعثر على وظيفة ثابتة ويتحمل المسؤولية، لا يجب أن يبقى مرُفهًا طوال الوقت.

توّقف عن السير ليلتفت لها هاتفًا باستسلامٍ وتقرير:

-معاكي حق ..... لما أرجع لمصر هقول لابويا يشغلني في مكتب المحاماة بتاعه ..... وأوعدِك إني هتحمل المسؤولية وهبطل شُغل مراهقين .... بس توٌعديني كمان إنِك هتفضلي معايا

اتسعت بسمة غيُد بانتصارٍ قالت معه بصدق:

-وانا ما راح اتركك أبدًا

بادلها ببسمة أخرى شغوفة تأمل معها ملامحها العربية الساحرة وعيناها الزُمردتيان الفريدتان من نوٌعهما، يشكر هذه المغامرة وهذه الكارثة التي جعلته أثيرًا لهذه الشامية، لا يقول أنه تغيٌر على يديها، لكنه يشعر معها وكأنه يجلس مع قرينته، هي الوحيدة التي تُشاركه صبيانيته بل وتُضيف عليها أيضًا، لا يراها مجرد فتاةٍ شامية أصيلة، يراها فتاةٌ فريدة من نوٌعها، لا مثيل لها، ولا مكان لها بهذه الحياة سوى بفؤاده فقط.

بعد برهة من الصمت والنظرات المتبادلة قرر حكيم أن يكسر حاجز الصمت ويعود إلى نبرته المرحة وهو يقول:

-بس أنا بقى هعملِك حتة دين فرح .... الشرق الأوسط كله هيحكي ويتحاكى بيه ...

بقي يواصل الحديث بمرحٍ أمام ابتسامتها الخجولة والسعيدة والمتحمسة أحيانًا، تراه يتحوٌل إلى طفلٍ صغيرٍ يتحدث عن رحلة مدرسية لمدينة الملاهي وهو يتحدث عن زفافهما، حتى أنه بدا متحمسًا للزفاف أكثر منها، متحمسًا لدرجة جعلته يتناسى وجود الجهاز وهو يستند بباطن كفه على أحد الأزرار دون أن ينتبه إلى ما يُمكن أن يحدث!!

شعر حكيم بالاهتزاز خلف ظهره ليبتعد بضع أمتارٍ للوراء ويتفاجأ من وجود الجهاز خلف ظهره، وبأنه ضغط عليه بالخطأ.

جحظت عينا غيّد وهي ترى الجهاز يتحرك بهيستيرية جعلت فؤادها يرتعد خوّفًا خاصة مع هذه الأضواء التي انطلقت مرة واحدة وجعلتها تهتف باستنجاد:

-مـــارك ... مارك ساعدنا....

نادت غيّد بأعلى صوّتها وبنبرة مرتعدة جعلت مارك يهرول نحوهما وكذلك فعل سامي وكاتي وميليندا ليروا ما يحدث بتلك البقعة التي تركوا بها الجهاز والتي كانت بنهاية المنزل، سقط فك مارك وهو يرى اهتزازات الجهاز ويهرع فوّرًا صوّبه لعله يستطيع توّقيفه، لكنه مع الأسف، لم يجد ما يكفي من الوقت، فما إن تقدم بضع خطواتٍ حتى حدث انفجارٍ هائل مع هالة كبيرة من الضوء انتشرت مرة واحدة وأدت إلى تطاير أجسادهم .... جميعهم!!

حاول حكيم أن يرفع جسده عن الأرض مقاومًا لهذا الصُداع الجثيم وشعوره بأن عقله يزن أطنانًا، فرك عينيه ليمحو هذا التشويش ويرى ماذا حدث لهم رغم عُتمة الليل، ظنٌ لوهلة أن الجهاز سينفجر ولن يبقى منهم سوى أشلاء لن تستطيع التمييز بينها، لكن من كرم ربه أن أصدقاءه كانوا بجواره سالمين لا تشوبهم شائبة.

-يا فرج الله ... إحنا لسة عايشين!!

قالها بعدم تصديق وهو يتكيء على باطن كفه حتى يثب عن الأرض بينما كانت غيّد بجواره تئن من الوجه وتجاهد حتى تثب هي الأخرى تشعر ببرودة تسري بأمعاها وهواءٌ كثيف يداعب جسدها، وهي التي ظنٌت ان منزل ميليندا مزوّد بأجهزة التدفئة التي تمنعهم من البرودة .... مهلًا، هذا لا يبدو منزل ميليندا، ولا يبدو منزلًا من الأساس.

-مـ...ما هذا المكان ؟

سألت غيّد بقلقٍ بعد أن انتابتها هذه الشكوك التي لا تريدها أن تصدق، بينما كان مارك في الجهة الأخرى يتطلع حوله ليرمق هذا التُرام الستيني يتوّقف لتترجل منه

سيدة وابنتها يرتديان ثيابًا كلاسيكية ويتجهان صوّب مجمعٍ سكني يتكون من منازل صغيرة متشابهة محفوفة بالأشجار الخضراء ويُجملها إضاءة خافتة تنبعث من المنازل الصغيرة وتشترك مع إضاءة القمر الساطع.

تجهمت ملامح مارك بعد أن تأكدت شكوكه وبدأ ينقض على حكيم_السبب في تلك المُعضلة_ ليقبض على تلابيبه متفوّهًا:

-ما الذي فعلته أيها الأحمق ؟

حاول حكيم أن يتملص من قبضته بعد أن أكد لهم مارك أنهم اخترقوا إحدى أفلام الرسوم المُتحركة، ومرة أخرى، الأمر الذي جعل غيّد تهتف بعدم تصديقٍ خالطه الحسرة:

-أو لا .... لا تقولوا أن هذا الكابوس سيتكرر مُجددًا

بقي مارك يتعارك مع حكيم الذي يحاول التبرير وإخبارهم أنه لم يكن يقصد بينما كان سامي يرمق ما يحدث بهدوء ثم يقول بحكمة:

-توّقفا أرجوكما .... ألم تقل أنك أقمت تعديلاتٌ على هذا الجهاز ؟ .... لمَ لا تُعيدنا وننتهي من هذا الأمر

قالها ببساطة وكأن الحلٌ بهذه السهولة، لكنه تفاجأ من شحوب وجه مارك وابتعاده عن حكيم ليزدرد ريقه بتوّترٍ حرك معه يديه ليفُرك بها على عنقه من الخلف وهو يصدمهم بحقيقة الأمر:

-نـ..نعم ... قُمت بالتعديلات .... لكن ... لكنني لم أجد طريقة للعودة بعد

ما إن أدلى كلماته حتى غشتهم هالة من اليأس جعلت ميليندا تضرب جبهتها على أمل أن تحافظ على ثباتها قبل أن تنفجر، فها هي الأيام تُعاد وستعود كوارثهم ومصائبهم، الأمر الذي جعلها تقول بفُقدان صبر:

-عظيم .... الآن سنعلق هنا حتى نهاية الفيلم

تدخلت غيّد بالحديث لعلها تستطيع إنقاذ الموّقف، أو إرضاء فضولها:

-حسنًا ... هلا أخبرتمونّا بأي فيلمٍ نحن ؟

كانت كاتي في تلك اللحظة تحافظ على صمتها وتكتفي بتأمل المكان بحثًا عن ماهيته وكيف سيخرجوا منه سالمون، وما إن أدلت غيّد بسؤالها حتى تقدمت بضع خطواتٍ تفوّهت معهم بثقة:

-أعرف أين نحن

-وأنا كذلك

هكذا أردف سامي وهو يبادل نظراته معها يُذكرها أنه كان يشاهد معها هذه الأفلام ليشاركها اهتماماتها وحُبها للأطفال، الأمر الذي جعله يُدرك جيدًا بأيٍّ فيلمٍ هم، وبأي مغامرة هم بصدد مواجهتها، وربما تتحوّل تلك المغامرة إلى مهماتٍ هدفها النجاة والعبث بالرسوم المُتحركة مجددًا.

أنهى أفكاره وهو يوجه نظراته نحو أصدقاءه_أو عصابته_ليقول هو وكاتي في نفس الوقت:

-الأميرة والضُفدع!!

((تمت بحمد الله))